

فَضَائِلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأليف

د. عبد السلام بن صالح بن سليمان البخاري

جامعة الملك سعود - كلية المعلمين

شاركت الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
في طباعة هذا الكتاب

تدارك البطل

2010-09-16

www.alukah.net

www.almosahm.blogspot.com

فَضَائِلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأليف

د. عبد السلام بن صالح بن سليمان السجاري

جامعة الملك سعود - كلية المعلمين

شاركت الجمعية العامة السعودية للقرآن الكريم وعلموه
في طباعة هذا الكتاب

بإذن الله تعالى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

أصل هذا الكتاب بحث تقدم به المؤلف لنيل درجة الماجستير من
كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام
١٤٢٣هـ، وقد أجاز البحث بتقدير ممتاز

إدارة التادمية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

فَضَائِلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، وسيد الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فتظهر أهمية موضوع فضائل القرآن الكريم من جهتين:

الأولى: ارتباطه القوي بالقرآن الكريم، وهذا أكسبه شرفاً وفضلاً على العلوم التي لا تتعلق بالقرآن.

الثانية: أن ذكر فضائل القرآن من أعظم الدوافع للمسلم ليقبل على القرآن بالتلاوة والحفظ والتدبر والعمل، وهذه الأمور من أعظم مقاصد إنزاله، ولما كانت الفضائل تدفع المسلم وتحثه على هذا المقصد العظيم اكتسبت أهمية وخصوصية بين علوم القرآن الأخرى.

ولأهمية هذا العلم اعتنى به العلماء، فدونوا فيه المصنفات، وألفوا فيه الكتب على اختلاف فنونهم وتخصصاتهم، وتفاوت أقدارهم ومنازلهم في العلم.

وكان للأوساط الجامعية والدراسات العليا فيها نصيب من هذا الاهتمام والتأليف، غير أنه اقتصر على إخراج بعض نتاج السابقين وتحقيقه، ولا تتجاوز الكتب المحققة في هذا الموضوع في الدراسات العليا أصابع اليد الواحدة، وبعض هذه الكتب لم يكمل بعد.

أما تناول القضايا المنهجية لهذا الفن، فإنها لم تلق من العناية والدراسة من قبل الباحثين ما لقيته علوم القرآن الأخرى.

واقصر الحديث عن القضايا المنهجية - باختصار شديد - على مقدمات التحقيق التي يقوم بها بعض الباحثين، مع التركيز في هذه المقدمات على الكتاب المراد تحقيقه.

فأردت أن تكون هذه الرسالة مغايرة للرسائل الجامعية الأخرى، فتكون مؤلفة بشكل مستقل في هذا الفن.

وتكون أيضاً مغايرة لما جرى عليه العلماء في تصنيفهم في فضائل القرآن، المعتمد على تبويب الفضائل وسرد الأحاديث والآثار تحت كل باب.

وأجملُ الأسباب التي دعنتي لاختياره في الآتي:

أولاً: أن أحداً من المؤلفين لم يتعرض بشكل مستقل للحديث عن القضايا المنهجية التي ستتکلم عنها هذه الرسالة، وإن وجد شيء من ذلك، فهو مختصر لا يفي بالغرض، ولا يحيط بهذا العلم من جوانبه، ولا يعطي تصوراً واضحاً عنه.

ثانياً: جرت عادة المصنفين في فضائل القرآن على سلوك الطريقة الحديثية المألوفة في تبويب الفضائل، وسرد الأحاديث والآثار تحت كل باب، فجاء هذا البحث مخالفاً لهذا المألوف، مما أكسبه شيئاً من التجديد في طرق الموضوع، والله الموفق.

ثالثاً: جمع شتات مباحث التفضيل ومسائله المتعلقة بالقرآن الكريم، حيث توجد مفرقة في الكتب الأخرى، وهي أقرب إلى فضائل القرآن، فأحببت جمع بعضها إلى بعض في مؤلف خاص بفضائل القرآن؛ ليسهل تناولها، والإفادة منها.

رابعاً: إظهار شرف القرآن وفضله، وعلو قدره ومنزلته عند الله تعالى، ويظهر ذلك في الفصل الثالث من فصول الرسالة المتعلق بتفضيل القرآن على الكتب السابقة، وما أحوج الناس في عصرنا إلى التذكير بهذا

الأمر حين ضعف يقين كثير من المسلمين بدينهم، وثقتهم بكتابهم، وتسلبت عليهم أعداؤهم يثيرون الشكوك والشبهات، ويفتخرون بكتبهم المحرفة المبذلة.

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من شقين :

الأول: يتحدّث عن القضايا المنهجية المتعلقة بهذا الفن من تعريفه وحده، وبيان أنواعه وأقسامه، والحديث عن نشأته ومن أول من ألف فيه؟، ومناهج العلماء في التأليف فيه، وبيان حركة الوضع فيه.

ويشمل هذا الشق التمهيد والفصلين: الأول والثاني.

الثاني: يتحدّث عن مباحث التفضيل المتعلقة بالقرآن الكريم نفسه، وهي تفضيله على الكتب الإلهية، وتفضيل بعضه على بعض، وتفضيل بعض القراءات على بعض.

ويشمل هذا الشق الفصول الثلاثة: الثالث والرابع والخامس.

وها هي خطة البحث مفصلة :

يشتمل البحث على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس.

أما التمهيد فيتعلق بالتعريف بهذا الفن وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف فضائل لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: تعريف فضائل القرآن باعتبار الإضافة.

المبحث الرابع: أنواع فضائل القرآن.

وأما الفصول الخمسة فهي :

الفصل الأول: التأليف في فضائل القرآن.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: فضائل القرآن في مؤلفات خاصة.

المبحث الثاني: فضائل القرآن ضمن كتب الحديث.

المبحث الثالث: فضائل القرآن ضمن كتب التفسير.

المبحث الرابع: فضائل القرآن ضمن كتب علوم القرآن.

الفصل الثاني: الوضع في فضائل القرآن:

وفيه تمهيد وستة مباحث:

المبحث الأول: كثرة الوضع في فضائل القرآن.

المبحث الثاني: أسباب الوضع في فضائل القرآن.

المبحث الثالث: المشتهر من الموضوعات في فضائل القرآن.

المبحث الرابع: الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير،
وفضائل القرآن.

المبحث الخامس: الطريق إلى معرفة الموضوعات في فضائل
القرآن.

المبحث السادس: حكم رواية الموضوعات في فضائل القرآن.
والآثار السيئة المترتبة على روايتها، وسبل مقاومتها.

الفصل الثالث: تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على تفضيل القرآن الكريم على الكتب
السابقة من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: أوجه تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وذكرت في هذا المبحث ثمانية أوجه رئيسة في ثمانية مطالب،
ولأهميتها أذكرها هنا:

المطلب الأول: حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التحريف.

المطلب الثاني: إحكامه وعدم نسخه.

المطلب الثالث: كونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة.

المطلب الرابع: شموليته.

المطلب الخامس: نزوله بأشرف لغة على أشرف مُرسل لأشرف

أمة.

المطلب السادس: يسر شريعته.

المطلب السابع: تيسير حفظه على أمة محمد ﷺ.

المطلب الثامن: هيمنته على الكتب السابقة.

الفصل الرابع: تفاضل القرآن الكريم.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة تفاضل القرآن الكريم، والخلاف فيه.

المبحث الثاني: وجوه التفاضل عند أصحاب كل قول.

المبحث الثالث: أدلة كل فريق، ومناقشتها مع الترجيح.

الفصل الخامس: التفضيل بين القراءات.

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: ضوابط قبول القراءات، وأنواعها وارتباط ذلك

بالتفضيل بينها.

المبحث الثاني: موقف العلماء من التفضيل بين القراءات.

المبحث الثالث: أدلة كل فريق، مع المناقشة والترجيح.

المبحث الرابع: أسباب التفضيل بين القراءات.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

وأخيراً: الفهارس وهي خمسة:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس مراجع البحث.
- ٤ - فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

راعى عند كتابتي البحث الأمور التالية:

أولاً: كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

ثانياً: تخريج الأحاديث تخريجاً علمياً بذكر الراوي من الصحابة، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما أو بأحدهما، وإن كان في غيرهما اجتهدت في ذكر من خرجه من أصحاب الدواوين، ونقلت كلام العلماء فيه تصحيحاً أو تضعيفاً.

ثالثاً: اجتهدت في تحرير المذاهب والأقوال، ونسبتها إلى قائلها مباشرة ما أمكن، كما اجتهدت في ذكر الأدلة، وما يرد عليها من نقاش واعتراض، والترجيح بين الأقوال فيما هو من صلب الرسالة.

رابعاً: عزو الآيات الشعرية إلى قائلها.

خامساً: التعريف بالأعلام الواردة أسماؤهم في متن الرسالة، واستثنيته المشهورين من الصحابة، والأئمة الأربعة.

سادساً: التعريف بالفرق الإسلامية.

سابعاً: شرح الغريب من الألفاظ والأماكن.

وموضوع فضائل القرآن من السعة وكثرة الأنواع والمباحث والجزئيات المتعلقة به بحيث يصعب وفاء دراسة واحدة بحقه، ولكن

رجائي أني وفقت في تحقيق وإيضاح ما أفردت له هذه الرسالة .
ولعلي مهدت السبيل أمام من يريد البحث في بعض أنواعه
وجزئياته، أو دراسة بعض مؤلفاته .

وقد بذلت في هذا البحث جهدي وطاقتي، ولم أَدَّخِر وسعاً في
تحريره وإتقانه، وإظهاره بالصورة اللائقة، فإن وفقت فذلك من فضل الله
عليّ، وإن تكن الأخرى فاستغفر الله العظيم وأتوب إليه .
والحمد والشكر أولاً وآخراً لله تعالى على تيسيره وتسديده، وإعانتة
وتوفيقه .

ثم الشكر لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود مهني محمود إسماعيل
على تفضله بالإشراف على الرسالة، وما أبداه خلال إشرافه من فوائد
وملاحظات .

ولفضيلة الدكتور حسن محمد عبد العزيز المشرف السابق على
الرسالة مني جميل الشكر والعرفان على ما لقيته منه من تشجيع وتوجيه
وإرشاد .

وأشكر جميع من أعانني بالرأي والمشورة والفائدة، من أساتذة
وإخوان وزملاء، وأخص منهم بالذكر فضيلة الدكتور عبد الرحمن بن
صالح المحمود، فقد أفادني بتوجيهاته، وتفضل مشكوراً بقراءة مسودة
الفصل الرابع كاملاً .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

التمهيد

تعريف فضائل القرآن وأنواعها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفضائل لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف القرآن لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثالث: تعريف فضائل القرآن باعتبار الإضافة.

المبحث الرابع: أنواع فضائل القرآن.

المبحث الأول

تعريف الفضائل لغةً واصطلاحاً

٢ وفيه مطلبان

المطلب الأول

تعريف الفضائل لغة

من أوزان جموع الكثرة ما صيغ على «فعائل» كـ «فضائل»^(١)، ومفردها «فضيلة»^(٢) على وزن «فعيلة»، وهي من أوزان المبالغة والتاء فيها للتأنيث، واسم الفاعل منها «فاضلة»^(٣)، وقد حولت صيغته إلى فاعيل للمبالغة والتكثير^(٤).

والحروف الأصلية لكلمة «فضيلة» ثلاثة أحرف: الفاء، والضاد، واللام، ففضيلة ترجع إلى «فَضَلَ»، وفي هذه الكلمة ثلاث لغات: الأولى: فَضَلَ يَفْضُلُ، كَدَخَلَ يَدْخُلُ. الثانية: فَضِلَ يَفْضُلُ، كَحَذَرَ يَحْذَرُ. وهاتان اللغتان مشهورتان وقياسيتان.

أما اللغة الثالثة: فَضِلَ يَفْضُلُ، فهي لأهل الحجاز، مركبة من

(١) شرح عمدة الحفاظ وعدة اللاظ لابن مالك (٩٣٦/٢)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ص ٦٥٥).

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (٩٠٧/٢).

(٣) لسان العرب (٣٤٢٨/٥)، والقاموس المحيط (ص ١٣٤٨) «فضل».

(٤) أوضح المسالك (ص ٤٣٠).

لغتين، ولذلك حكم عليها بعض اللغويين بالشذوذ^(١). هذا من الناحية الصرفية للكلمة.

أما من ناحية المعنى فإن هذا الأصل «فَضَلَ» يدل على الزيادة.
قال ابن فارس^(٢): «الفاء، والضاد، واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء»^(٣).

وقال العسكري^(٤): «الفضل الزيادة، يقال: فَضَلَ الشيء في نفسه إذا زاد، وَفَضَّلَهُ غيره إذا زاد عليه، وَفَضَّلَهُ بالتشديد إذا أخبر بزيادته على غيره»^(٥).

فالفضل إذاً ضد النقص، والفضيلة ضد النقيصة في المعنى اللغوي^(٦).

(١) انظر في هذه اللغات الثلاث: إصلاح المنطق لابن السكيت (ص ٢١٢)، والاشتقاق لابن دريد (ص ٦٤)، والصحاح (١٧٩١/٥)، ولسان العرب (٥/٤٣٢٩) مادة «فضل».

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، كان إماماً في اللغة، تتلمذ له صاحب بن عباد وغيره، من أهم كتبه: المجمل، ومعجم مقاييس اللغة، والصاحبي. توفي سنة (٣٩٥هـ).

انظر: وفيات الأعيان (١١٨/١)، والبلغة للفيروزآبادي (ص ٦١)، وبغية الوعاة (٣٥٢/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥٠٨/٤) «فضل».

(٤) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري اللغوي الأديب، تلميذ أبي أحمد العسكري. له: كتاب التلخيص، وجمهرة الأمثال، والصناعتين. قال ياقوت: «لم يبلغني في وفاته شيء». وقال الفيروزآبادي: «توفي في حدود الأربعمئة».

انظر: معجم الأدباء (٥٦٢/٢)، والبلغة (ص ٨٧)، وبغية الوعاة (٥٠٦/١).

(٥) الفروق اللغوية (ص ١٦٠).

(٦) جمهرة اللغة (٩٠٧/٢)، والصحاح (١٧٩١/٥) «فضل».

وقد جاء لمعنى الزيادة أمثلة وشواهد كثيرة غير ما تقدم، منها:

١ - الإفضال يأتي بمعنى الإحسان^(١)، والإحسان فيه معنى الزيادة، وهي الزيادة في الخير.

٢ - والفضائل تعني المحاسن^(٢).

وإذا وصف الرجل بصفات جميلة، ومناقب حميدة قيل: إنه ذو فضائل؛ لأن تلك الصفات يزيد بها على غيره من الناس^(٣).

٣ - وإذا ادعى الرجل زيادته على غيره في شيء ما قيل له: متفضل على غيره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]^(٤).

٤ - وَفَضَّلَ الشيء على غيره تفضيلاً أي: مَيَّزَهُ عليه^(٥)، ومن هذا المعنى:

أ - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ مِنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضُهُا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤].

ب - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

٥ - وإذا زاد الرجل على غيره في الحسب والنسب، قيل: أفضل عليه، قال ذو الإصبع العدواني^(٦):

(١) الصحاح (٥/١٧٩١)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٨) «فضل».

(٢) جمهرة اللغة (٢/٩٠٧) «فضل».

(٣) الاشتقاق لابن دريد (ص ٦٤).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٨) «فضل».

(٥) القاموس المحيط (ص ١٣٤٨) «فضل».

(٦) هو حرثان بن محرث بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، شاعر جاهلي، =

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديانني فتخزوني^(١)
٦ - وكانت للنبي ﷺ درع واسعة، فسُميت ذات الفضول؛ لزيادتها
على غيرها من الدروع^(٢).

٧ - ومن الأحلاف المشهورة في الجاهلية حلف سُمي حلف
الفضول، تعاقد عليه بعض القرشيين على رد المظالم إلى أهلها، ووجه
تسميته بهذا أن هذه المظالم - التي اتفقوا على ردها - زائدة عن الحق
المشروع^(٣).

٨ - ومن مجيء هذا الأصل بمعنى الزيادة قولك: «رأيت صفهم قد
أفضل على صفنا، أي: زاد عليه، وكان أكثر منه. وتقول: أخذ حقه
واستفضل ألفاً، إذا أخذه فاضلاً عن حقه»^(٤).

٩ - ومن الأسماء المتداولة قديماً وحديثاً الفضولي، وهو من
يشتغل بما لا يعنيه^(٥).

= وحكيم من حكماء العرب، يغلب على شعره الحكمة، سُمي ذا الإصبع، لأن
حية نهشت إصبع رجله فقطعه، أربى عمره على مائة وسبعين سنة.
انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٤٧٦)، والأعلام (١٧٣/٢)، ومعجم
الشعراء الجاهليين (ص ١٣٤).

(١) البيت في المفضليات (ص ١٦٠). وانظر: لسان العرب (٣٤٢٩/٥) «فضل».
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٥٦/٣) «فضل».
(٣) انظر عن هذا الحلف: السيرة النبوية لابن هشام (١٣٣/١)، والبداية والنهاية
(٣١٥/٢).

وما ذكر من سبب تسميته بذلك هو أرجح الأسباب، رجحه السهيلي في الروض
الأنف (٧١/٢)، ولم يذكر الصغاني غيره في كتابه: التكملة والذيل والصلة
(٤٧٣/٥)، ونقله عنه الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ص ١٣٤٨) «فضل».

(٤) أساس البلاغة (ص ٤٧٦) «فضل».
(٥) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (١٤٢/٢)، والتكملة والذيل والصلة
للصغاني (٤٧٢/٥) «فضل».

وله تعريف اصطلاحى عند الفقهاء، وهو: من لم يكن ولياً، ولا أصيلاً، ولا وكيلاً، ولا كفيلاً في العقد^(١).

ويلاحظ في هذا التعريف معنى الزيادة، فالفضولي متصرف زائد في العقد، يتصرف من تلقاء نفسه دون وكالة، ولا ولاية، ولا أصالة، ولا كفالة، فكان تصرفاته زيادة منه لم يؤمر بها.

١٠ - ومن مجيء هذا الأصل تسمية اسم التفضيل عند النحويين، وهو عندهم: «ما اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره»^(٢).

١١ - وتسمى كل عطية لا تلزم المُعْطِي «فَضْل»؛ لأنها زيادة على ما يستحقه المُعْطَى (بفتح الطاء)^(٣).

وشواهد هذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم ومنها:

أ - قوله تعالى: ﴿فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ب - وقوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

ج - وقوله تعالى: ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨].

د - وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾ [الجمعة: ٤].

١٢ - ومن شواهد معنى الزيادة في السنة، قوله ﷺ: «إن لله - تبارك وتعالى - ملائكة سيارة فُضْلاً»^(٤).

(١) التعريفات للجرجاني (ص ٢١٥). وانظر: معجم لغة الفقهاء د. محمد قلعه جي (ص ٣٤٧).

(٢) شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي (ص ١٩٠ - ١٩١).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٦٣٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء (٢٠٦٩/٤)، وهو عند =

أي: زيادة على الملائكة المرتبين مع الخلائق، لحفظهم وكتابة أعمالهم ونحو ذلك^(١).

ويذكر اللغويون معنى آخر لهذا الأصل «فضل» يرجع عند تأمله إلى معنى الزيادة، فيطلق الفضل ويُراد به البقية من الشيء. وهذه البقية زائدة عن الحاجة:

١ - قال الجوهري^(٢): «الْفَضْلَةُ، وَالْفَضَالَةُ، ما فضل من شيء»^(٣). وقال العسكري: «الْفَضْلَةُ، البقية من الشيء كالفضل، وَالْفَضَالَةُ، وقد أفضلت فضلة، والعرب تقول لبقية الماء في المزادة: فضلة، ولبقية الشراب في الإناء فضلة»^(٤).

٢ - ومن الأسماء العربية: الفضلتان، وهما: فضلة الماء في المزادة، وفضلة الخمر في الركوة، أي: بقيتهما^(٥). وتُسمى الخمر فضلة؛ لأن صميمها هو الذي بقي وَفَضِّلَ^(٦).

= البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله (١٦٨/٧)، لكن دون ذكر «فُضْلاً»، وكلاهما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي ضبط «فضلاً» خمسة أوجه. انظرها في فتح الباري (٢١١/١١)، والمعنى في الجميع واحد وهو ما ذكر.

(١) النهاية في غريب الحديث (٤٥٥/٣) «فضل».

(٢) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. إمام في النحو واللغة والصرف، أخذ عن أبي علي الفارسي والسيرافي. يضرب بحسن خطه المثل. من مؤلفاته: الصحاح، وهو أعظمها، وله كتاب في العروض، توفي سنة (٣٩٨هـ)، وقيل غير ذلك.

انظر: إنباء الرواة (٢٢٩/١)، والبلغة (ص٦٦)، وبغية الوعاة (٤٦٦/١).

(٣) الصحاح (١٧٩١/٥) «فضل».

(٤) المعجم في بقية الأشياء (ص١٣٢).

(٥) تهذيب اللغة (٤٢/١٢) «فضل».

(٦) لسان العرب (٣٤٣٠/٥) «فضل».

٣ - ومن شواهد هذا المعنى في السنة حديث: «لا يُمنع قُضْلُ الماء»^(١).
 وذلك أن الرجل يسقي أرضه، وقد يبقى من الماء بقية لا يحتاج إليها، فلا يجوز له بيعها، ولا يمنع أحداً أراد الانتفاع بها^(٢).
 ٤ - ومن شواهد هذا المعنى «الفضول»، وهو ما يبقى من الغنيمة مما لا يحتمل القسمة، فيُعطى الرئيس^(٣). قال الشاعر:
 لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول^(٤)
 ومن خلال هذا العرض اللغوي لمعنى «الفضائل» يتضح أمران:
 الأول: أن أصل الفضائل «فضل» يدور حيثما تصرف على معنى واحد، هو الزيادة، وأن ما ذكر من معنى البقية راجع عند التأمل إليه، لأن بقية الشيء زائدة عن الحاجة.
 الثاني: أن أصل الكلمة «فضل» وما اشتق منه له دوران كثير في اللغة العربية، فقد تقدم ذكر الفضول، وذات الفضول، والفضلة، والفضالة، والفضلتان...

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المساقاة في باب من قال: إن صاحب الماء أحق بالماء (٣/٧٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة (٣/١١٩٨)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/٤٥٥)، وهذا الحديث في الماء المشترك الذي ليس ملكاً لأحد.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤١/١٢)، ولسان العرب (٥/٣٤٢٩) «فضل».

(٤) البيت لعبد الله بن عنة الضبي في الأصمعيات (ص ٣٧) «القصيدة الثامنة».

والمربع: ربع الغنيمة، والصفايا: جمع صفيه، وهي ما يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة، وقوله: حكمك، أي: ما تحكم به أيها الرئيس فينفذ حكمك، والنشيط: هي ما ظفر به من مال العدو من غير قتال، فيُعطى الرئيس دون غيره.

انظر: شرح حماسة أبي تمام للأعلم الششمري (١/٥٥٥).

ومن كثرة دورانه أنه جاء وما اشتق منه في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، في ثنتين وثلاثين سورة^(١).

المطلب الثاني

تعريف الفضائل اصطلاحاً

تنوعت عبارات اللغويين في تعريف الفضيلة «مفرد فضائل»، لكنها ترجع إلى شيء واحد، وهو اعتبار الفضيلة شيئاً حسناً، بل مبالغاً في حسنه، لما عرفنا سابقاً، أنها صيغت على وزن من أوزان المبالغة. ومن عبارات اللغويين في تعريف الفضيلة:

هي «الدرجة الرفيعة في الفضل»^(٢)، أو هي «الدرجة السامية في الفضل»^(٣).

وعرّف بعضهم الفضائل بأنها المحاسن^(٤).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المعنى الاصطلاحي للفضيلة لا يخرج عن المعنى اللغوي^(٥)، فبين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة وثيقة وارتباط قوي، لاشتراكهما في معنى الزيادة، فمتى وُصِفَ الشيء بالفضل أو الفضيلة، فإنه لا ينفك عن أمر زاد به على غيره، استحقّ به التفضيل. لكن ينبغي التنبّه للأمور التالية:

الأول: أن الفضيلة والفضائل لا تُطلق إلا على سبيل المدح والثناء والحمد، وبيان علو الشيء ورفعته على غيره.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٥٢١ - ٥٢٢) «فضل».

(٢) تهذيب اللغة (٣٩/١٢) «فضل».

(٣) البستان للبستاني (١٨٢٧/٢) «فضل».

(٤) جمهرة اللغة (٩٠٧/٢).

(٥) الموسوعة الفقهية (١٥٠/٣٢).

أما أصل الفضيلة وهو «الفضل»، فالغالب استعماله في الخير، والأمور المحمودة، وقد يأتي فيما هو مذموم كفضل الغضب^(١).

ولم يرد الفضل في القرآن الكريم إلا على الوجه المحمود، فقد جاء الفضل في القرآن الكريم على نحو عشرين وجهاً كلها محمودة، ومن هذه الأوجه: مجيئه بمعنى نعمة الإسلام، وبمعنى النبوة، وجاء بمعنى الرزق في الدنيا، والرزق في الجنة، وبمعنى الخُلف في المال، والمن وكل هذه المعاني محمودة مرغوبة^(٢). أما في اللغة فقد تأتي هذه المادة لما يُذَم، ومن ذلك أن الكلام الزائد الذي لا حاجة إليه يُقال له: فضول^(٣).

وقيل - أيضاً - لمن يشتغل بما لا يعنيه: فضولي، وقد جاء في الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٤).

الثاني: تكلم الفلاسفة والأخلاقيون - كثيراً - عن الفضائل والفضيلة، وأولع الفلاسفة في الكلام عنها، المتقدمون منهم والمتأخرون، فتحدثوا عن تعريفها وأقسامها وأصولها وشروطها،

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٣٩)، والكلبيات للكوفي (ص ٦٨٣).

(٢) انظر في هذه الأوجه: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان (ص ١٤٠)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٦).

(٣) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير (ص ٢١١).

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء فيمن تكلم بما لا يعنيه (٧/ ٧٧)، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٥)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مالك في الموطأ (٢/ ٤٨٧)، والترمذي في الكتاب المتقدم (٧/ ٧٧)، عن علي بن الحسين بن أبي طالب مرسلًا، وصحح الترمذي المرسل على الموصول، ورواه أحمد في المسند (١/ ٢٠١) عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً، وصحح الألباني الحديث في صحيح الجامع (٢/ ١٠٢٧).

وتحدّثوا عن ضدها وما يُنافيها، مع اتفاقهم على أنها صفة في الإنسان محمودة ينبغي له السعي في تحصيلها^(١).

وقد يطلقون الفضائل هكذا دون إضافة أو تقييد، وحينما يتحدثون عنها يتحدثون عنها من زاوية خاصة: من حيث تعلّقها بالإنسان.

وقد تحدّث عنها المسلمون من هذا الجانب، لكن من منظور إسلامي^(٢)، وليس ما يتكلمون عنه داخلاً فيما نحن فيه لا من قريب ولا بعيد.

الثالث: باب الفضائل من الأبواب الواسعة جداً، فلا يُخصى كم كُتِبَ فيه من كُتُبٍ، ودون فيه من رسائل ومؤلفات، والحديث في هذا الباب لا يقتصر على فن بعينه، وإنما يدخل في شتى العلوم والفنون، وقد كُتِبَ في فضائل لا تعلق لها بالعلم، وإنّما هي من شئون الناس، وما يتعلق بحياتهم، فتناوله الجميع على اختلاف مشاربهم صلاحاً أو فساداً، فكم كُتِبَ في فضائل الأشخاص والعباد، والأقاليم والبلاد، وتناول المؤلفون في الفضائل فضائل المطاعم والمشروبات والملبوسات، وتجاوزوها إلى الحيوانات العجماوات، ومن أراد الوقوف على شيء من ذلك فليطالع الكتب التي ألفت لذكر المصنّفات ككشف الظنون مثلاً فسيجد فيه عشرات العناوين المختلفة^(٣).

(١) انظر مثلاً: الموسوعة الفلسفية عبد المنعم الحنفي (ص ٣١٣ - ٣١٤)، والأخلاق النظرية د. عبد الرحمن بدوي (ص ١٤٢) وما بعدها.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥/٤٣٢)، وكتاب «الفضائل في ضوء الكتاب والسنة» لمحمد سالم محيسن.

(٣) انظر: كشف الظنون (٢/١٢٧٤) وما بعدها، وإيضاح المكنون (٢/١٩٥) وما بعدها.

الرابع: كل من كتب في الفضائل فله هدف ومقصد، إما الدعوة إلى ما كتب في فضائله، وإما الدفاع عنه ضد من ذمه وتنقصه. وهي في النهاية ترجع إلى قسمين من حيث تعلقها بالعمل، إذ هو المقصود الأعظم للمسلم:

القسم الأول: الفضائل التي يُقصد من ذكرها العمل بمقتضاها، وهذا شأن الفضائل الشرعية، التي تتناول أموراً شرعية كفضائل الأعمال ونحوها.

وتمتاز الفضائل الشرعية باعتمادها على أصل، إما نصّاً أو استنباطاً من نص، فحينما يذكر العلماء فضيلة لأمر شرعي كالصلاة والزكاة مثلاً، فإن مستندهم في ذلك الكتاب والسنة، أو أحدهما.

ثم هذه الفضائل لها أثر في العمل، فليس الهدف من ذكرها إلا الحث على العمل بمقتضاها كما هو الشأن في فضائل القرآن الكريم.

القسم الثاني: فضائل لا تعلق لها بالعمل، ولا ثمرة لها في ذلك، كفضائل بعض الناس ممن لم يرد الشرع بفضلهم، وبعض الأقاليم والبلاد التي لم يرد الشرع بفضلها.

الخامس: الحديث في الفضائل يتناول أموراً ثلاثة:

١ - ذكر فضل الشيء وشرفه في نفسه، دون التعرض لذكر فضله على غيره.

٢ - ذكر فضل الشيء على غيره على سبيل المقارنة بينهما؛ ليظهر فضل أحدها على الآخر، كما قيل: والضد يظهر حسنه الضد، ولا تعني المفاضلة بين شيئين انتقاص المفضول دائماً؛ فقد تكون له مزية ولكن مع المقارنة يتبين الفاضل من المفضول، فلا يفاضل بين شيء حقير وشيء رفيع، وإلا عُدّ ذلك انتقاصاً للرفيع، وخطأً من قدره، كما قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل: إن السيف أمضى من العصى^(١)
٣ - ذكر تفاضل الشيء في نفسه، مثل ذكر فضائل الأنبياء، ثم
يُذكر تفاضلهم فيما بينهم، ومثل ذكر فضل العلم، ثم يذكر أفضله
وهكذا.

وهذا الثالث يكون في النوع الواحد.
وقد يتناول من كَتَبَ في الفضائل هذه الأمور الثلاثة كلها، وقد
يقتصر على بعضها.

وقد تناول المصنفون في فضائل القرآن الكريم الأمور الثلاثة كلها،
فحدثوا عن شرف القرآن وفضله، وتكلموا عن فضله على غيره، كفضله
على الكتب السابقة وغيرها، وحدثوا عن فضل بعضه على بعض كما
سيمر بك إن شاء الله تعالى.



(١) البيت لأبي درهم البندنجي كما في تنمة يتيمة الدهر (٢٩٩/٥).

المبحث الثاني

تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

c وفيه مطلبان

المطلب الأول

تعريف القرآن لغة

عندما يتناول اللغويون تعريف القرآن الكريم في كتبهم، فإنهم يتناولونه من جهتين:

جهة صرفية متعلقة باشتقاقه، ومن ماذا اشتق؟، وأخرى متعلقة بمعناه في لغة العرب.

وللعلماء في اشتقاقه مذهبان:

المذهب الأول: مذهب القائلين بعدم اشتقاقه، وإنما هو علم مرتجل^(١) وضع هكذا علماً على الكتاب المنزل على النبي ﷺ.

وذهب إلى هذا الإمام الشافعي^(٢) - رحمه الله تعالى - وجماعة من الأئمة^(٣).

وقد أراح هؤلاء أنفسهم من عناء البحث عن مادة هذه الكلمة ومعناها.

(١) العلم المرتجل هو: «ما استعمل من أول الأمر علماً». شرح كتاب الحدود في النحو (ص ١٤٨)، وأوضح المسالك (ص ٦٤).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٢٧٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٧١) «قرأ».

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٤).

وأضافوا إلى رأيهم القول بعدم همز القرآن، وهي قراءة ابن كثير^(١) في جميع القرآن^(٢)، ورجح هذا الرأي السيوطي^(٣).

والمذهب الثاني: مذهب القائلين باشتقاقه، ورجوعه إلى أصل ومادة أخذ منها، وهو مذهب أكثر العلماء، لكنهم اختلفوا في الأصل الذي يرجع إليه مع اختلافهم في معناه على ثلاثة أقوال:

الأول: وذهب إليه أكثرهم، ذهبوا إلى أن القرآن يرجع إلى مادة «قرأ»، فهو مهموز عندهم، إلا أنهم اختلفوا في معنى هذا الأصل على ثلاثة أقوال:

١ - أن معنى «قرأ»: تلا، فالقرآن مأخوذ من معنى التلاوة والقراءة؛ لأنه يتلى ويقرأ، فتسميته قرآناً من باب تسمية المفعول بمصدره، فهو مصدر كالغفران من غفر، والخسران من خسر^(٤).
وممن ذهب إلى هذا المعنى عبد الله بن عباس رضي الله عنه^(٥).

(١) هو: عبد الله بن كثير بن عمرو الكناني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، وأحد القراء السبعة المشهورين، قرأ على ابن السائب ومجاهد، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة (١٢٠هـ).

انظر: معرفة القراء الكبار (١/٨٦)، وغاية النهاية (١/٤٤٣).

(٢) التيسير (ص ٧٩)، وممن ذهب إلى عدم همز القرآن أبو عمرو بن العلاء البصري. انظر: تهذيب اللغة (٩/٢٧٢) «قرأ».

(٣) الإيتقان (١/٦٨)، والسيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي، إمام حافظ مؤرخ، له نحو ستمائة مصنف منها: الدر المنثور، والإيتقان، والجامع الصغير، وغيرها. توفي سنة (٩١١هـ).

انظر: الضوء اللامع (٤/٦٥)، والكواكب السائرة (١/٢٢٧)، والبدر الطالع (١/٣٢٨).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٤٢)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٦٨)، والإيتقان (١/٦٨).

(٥) جامع البيان (١/٤٢)، والدر المنثور (٦/٢٨٩)، وقال بهذا القول للحياني كما =

واستدل أصحاب هذا الرأي بقول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرأنا^(١)
أي: يقطع الليل تسبيحاً وقراءة^(٢).

٢ - أن معنى «قرأ»: جمع وضم من قول العرب: قرأت الشيء قرأناً، إذا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض.
وقال بهذا القول جمع من أهل العلم، منهم قتادة رحمه الله تعالى^(٣).

وبنى أصحاب هذا الرأي قولهم على أن أصل المادة وهو: القاف،

= في تهذيب اللغة (٢٧٢/٩) «قرأ»، وقال به الراغب الأصفهاني في مفرداته (ص ٦٦٨)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/١٣)، و(٣٦/١٧)، والفيروزآبادي في القاموس المحيط (ص ٦٢) مادة «القرآن»، ورجحه الطبري في تفسيره (٤٣/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٥/١)، والزرقاني في مناهل العرفان (٧/١).

(١) البيت في ديوانه (ص ٢٤٨).

(٢) جامع البيان (٤٣/١).

(٣) قتادة هو ابن دُعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، الأكمه المفسر الحافظ المحدث، روى عن بعض الصحابة، قال عن نفسه: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً»، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ أو ١١٧هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٢/١)، وتهذيب التهذيب (٤٢٨/٣)، وطبقات المفسرين للدودي (٤٧/٢)، وانظر: قوله في جامع البيان (٤٢/١)، وقال بقوله أبو عبيدة معمر بن المثنى في مجاز القرآن (١/١)، والزجاج كما في تهذيب اللغة (٢٧١/٩) «قرأ»، والجوهرى في الصحاح (٦٥/١) «قرأ»، والقاضي عياض في مشارق الأنوار (١٧٦/٢)، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٣٠/٤) «قرأ»، والسخاوي في جمال القراء (١٦٣/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٧٤/١)، والتذكار (ص ٢٥).

والراء، والهمزة، يدل على الجمع والضم^(١).
ثم اختلف أصحاب هذا الرأي في وجه تسمية القرآن بهذا المعنى
على أقوال:

أشهرها أنه جَمَعَ السور والآيات، وَضَمَّ بعضها إلى بعض^(٢).
٣ - أن معنى «قرأ»: ألقى، فمعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً،
أي: ألقيته مجموعاً وهذا الرأي لِقُطْرِب^(٣).
القول الثاني: أن الأصل الذي يرجع إليه القرآن هو «قَرَن»، ومعناه
الضم، من قول العرب: قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، فسمي
القرآن الكريم بذلك؛ لأن السور والآيات قد ضُمَّ بعضها إلى بعض.
وهذا الرأي لأبي الحسن الأشعري^(٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٧٨/٥ - ٧٩) مادة «قري»، ونبه إلى أن المعنى
واحد في الهمز والياء، وانظر: الصحاح (٦٥/١) «قرأ».

(٢) مجاز القرآن (١/١، ١٨). وانظر: البرهان (٣٧٣/١)، والإتقان (٦٨/١)،
فقد ذكرا أسباباً أخرى.

(٣) تهذيب اللغة (٩/٢٧١) «قرأ». وقطرب هو: محمد بن المستنير البصري
النحوي الشهير بقطرب، أخذ النحو عن سيبويه، وهو الذي لقبه بقطرب، وهو
أول من وضع المثلث في اللغة، له كتاب: الاشتقاق، والأضداد، ومعاني
القرآن. توفي سنة (٢٠٦هـ).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٩٩)، والبلغة (ص ٢١٤)، ووفيات
الأعيان (٤/٣١٢).

(٤) انظر: البرهان (١/٣٧٤)، والأشعري هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر،
صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة وغيرهم، وإليه تنتسب فرقة
«الأشاعرة». من كتبه: اللمع، والموجز، والإبانة، ومقالات الإسلاميين،
وغيرها. توفي سنة (٣٢٤هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١١/٣٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٨٥)، ووفيات
الأعيان (٣/٢٨٤).

القول الثالث: أن الأصل الذي يرجع إليه القرآن هو القرائن؛ لأن القرآن يصدق بعضه بعضاً، ويشبه بعضه بعضاً^(١).

وعلى القولين الأخيرين، فإن القرآن غير مهموز، ونونه أصلية^(٢). هذه أشهر الأقوال في معنى القرآن الكريم واشتقاقه، ويلاحظ التقارب الشديد بين الآراء الثلاثة للقول الأول، القائل باشتقاق القرآن من القاف والراء والهمز «قرأ».

فهي متفقة على أن القرآن مهموز، ومشتق من مادة واحدة. وهي متقاربة من حيث المعنى، فأصل القراءة يصدق عليها جميعاً، فالقراءة من حيث معناها اللغوي يصدق عليها معنى الجمع؛ لأنها تجمع الحروف وتضمها إلى بعض، ولذلك لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به أحد: إنه قراءة^(٣).

ويصدق عليها الإلقاء، فإن القارئ يلقي الحروف، ويلفظها مجتمعة.

إلا أنه يرد على من علل تسمية القرآن بالجمع والضم - أعني جمع السور والآيات - يرد عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرَرَّا، قَالَ مُبَارَكٌ مَا وَعَدَ اللَّهُ ﴿الْقِيَامَةُ: ١٧، ١٨﴾.

ففي الآية الأولى عطف القرآن على الجمع مما يدل على تباينهما في المعنى^(٤).

(١) الإتيان (٦٨/١)، ونسبه للفراء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٦٨).

(٤) وأجيب عن هذا الإيراد بأن الجمع أعم، والقرآن أخص فحسن التكرير لذلك كما تقول: أعلمت زيداً وأنذرت لأن الإنذار أخص، وكل منذر معلم، وليس كل معلم منذر. جمال الفراء (١٦٣/١).

وفي الآية الثانية يلزم على هذا القول ألا يكون النبي ﷺ مأموراً بأول ما نزل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ [المدثر: ١]، حتى يُضَمَّ ويؤلف إلى غيره مما ينزل بعده، وهذا لا قائل به^(١).

وأظهر هذه الأقوال الثلاثة، وأرجحها قول من قال: إنَّ القرآن مصدر مهموز من: قرأ بمعنى «تلا»، وهذا القول قال به ورجحه جمع من الأئمة، وعلى رأسهم حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. والله أعلم.

المطلب الثاني

تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً

إذا أطلق القرآن الكريم، فإنه ينصرف إلى هذا الكتاب المعظم، وهو أشهر من أن يُعرف أو يُحد، فيكفي في تعريفه أن تشير إليه^(٢).

وقد يتساءل بعض الناس، ويقول: إذا كان بهذه الصفة التي ذكرت فلمَ لجأ العلماء إلى تعريفه وحده؟!

والواقع أن لهم في ذلك مقاصد وأغراضاً، منها:

- الرد على بعض الفرق الإسلامية التي ضلت في اعتقادها تجاه القرآن الكريم، فيذكر العلماء للقرآن صفاتٍ وسماتٍ ليردوا بها على تلك الفرق.

- ومنها أنهم يريدون تقريب معناه، وتمييزه عمّا عداه مما قد يشاركه في بعض خصائصه، ذلك أن سائر كتب الله تعالى، والأحاديث

(١) انظر: جامع البيان (٤٣/١)، وزاد المعاد (٥/٦٣٥).

(٢) انظر: النبأ العظيم (ص ١٤).

القدسية تشارك القرآن في كونها وحياً إلهياً، وقد تشترك بعض الكتب الإلهية في الاسم أحياناً^(١)، فأراد العلماء بيان بعض صفات القرآن الكريم التي امتاز بها عن غيره^(٢).

لأجل هذا وذاك عُني العلماء بتعريف القرآن الكريم، وذكر صفاته المميزة له عن غيره من الكلام.

وهناك كتب تميزت بالتعرض لتعريف القرآن بكثرة، وهي كتب العقيدة، وعلوم القرآن، وأصول الفقه.

غير أن كتب العقيدة حينما تتعرض لتعريفه تتناول الجانب العقدي بالدرجة الأولى؛ قاصدة بذلك الرد على من ضل في اعتقاده تجاه القرآن.

فتجدها تركز على أمور معينة مثل:

كون القرآن الكريم كلام الله، وتقصد بذلك الرد على من نفى كون القرآن كلام الله من المعتزلة^(٣) وغيرهم، وتؤكد ذلك بقولها: إن القرآن كلام الله حقيقة، ومنزل من عند الله، وتضيف كونه غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود جل وعلا، فهو الذي أنزله من لدنه، ولم يخلقه في الهواء، أو بدأ من عند غيره^(٤).

(١) وقد جاء تسمية القرآن توراة وإنجيلاً وتسمية الزبور قرآناً. انظر: الإتيقان (١/٦٩).

(٢) انظر: النبا العظيم (ص ١٤).

(٣) المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء البصري الغزالي، سمو بذلك لاعتزال رئيسهم مجلس الحسن البصري، ويُسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، من أصولهم: نفي الصفات، والمثلية بين المتزلتين، وخلق العباد لأفعالهم.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٤)، والملل والنحل للشهرستاني (١/٤٣)، والتعريفات للجرجاني (ص ٢٧٦).

(٤) انظر في هذا: شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٧)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٧٤).

أما كتب علوم القرآن، وأصول الفقه، فتناولها لتعريف القرآن أوسع وأشمل، فتذكر من الصفات والحدود والمميزات ما يخرج كل ما يتوهم دخوله في حد القرآن الكريم.

ولا يعني هذا عدم إفادتها من كتب العقيدة، فعبارات كتب العقيدة في تعريف القرآن ماثوثة في كتب المفسرين والأصوليين، وتستطيع معرفة عقيدة المؤلف في القرآن الكريم من خلال تعريفه له. وعند النظر في كتب علوم القرآن وأصول الفقه ألفت انتباهك لأمرين:

الأول: أن هذه الكتب تتفاوت في ذكر الحدود والأوصاف، فهي بين موجز^(١) ومتوسط ومطنب^(٢)، غير أن مقصودها في ذلك واحد، هو تمييز القرآن عما يُظن مشاركته له.

الثاني: أن بعض هذه الكتب تذكر من القيود والأوصاف ما لا يذكره غيرها، إما لظن صاحبها أن ما ذكره غيره ولم يذكره هو لا حاجة إليه^(٣).

وإما لكون ما لم يذكره غيره داخلياً فيما ذكره، مثل من ذكر في تعريف القرآن الكريم قيد الإعجاز، وأخرج به الكتب السابقة المنزلة على غير النبي ﷺ^(٤)، بينما لم يتطرق غيره لقيد الإعجاز مستعيضاً عنه بقوله: «المنزل على النبي ﷺ» مخرجاً بهذا القيد ما أخرجه الأول بقيد الإعجاز^(٥).

ولنأخذ بعد ذلك تعريفاً متوسطاً بين الإيجاز والإطناب، شاملاً

(١) انظر تعريف الآمدي الموجز في: الإحكام في أصول الأحكام (١/١٥٩).

(٢) انظر أمثلة لهذه التعريفات في: مناهل العرفان (١/١٢ - ١٣).

(٣) انظر نقد الآمدي لتعريف أبي حامد الغزالي في: الإحكام (١/١٥٩).

(٤) الإيهاج في شرح المنهاج (١/١٨٩).

(٥) إرشاد الفحول (ص ٢٩).

لأكثر المحترزات التي يذكرها العلماء في تعريف القرآن الكريم .
فيقال: القرآن هو كلام الله المنزل على الرسول ﷺ المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته^(١) .

فالقول بأن «القرآن كلام الله»: يُرد به على القائلين بخلق القرآن،
النافين لكون الله تعالى تكلم به، وإضافة الكلام إليه يخرج كلام غيره من
الأنبياء والملائكة وغيرهم^(٢) .

وقيد «التنزيل»: يُخرج ما لم ينزل أصلاً من كلام الله الذي استأثر
به، أو علمه الملائكة ليعملوا به^(٣) .

وقيد «الرسول ﷺ»: يُخرج ما نزل من كلام الله على الأنبياء
السابقين كالطهارة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى،
والزبور المنزلة على داود عليهم جميعاً الصلاة والسلام^(٤) .

وقيد «التواتر»: يخرج القراءات الشاذة، فإنها غير متواترة^(٥)،
وكذلك ما نسخ تلاوة وبقي حكماً^(٦) .

وقيد «التعبد بتلاوته»: يُخرج الأحاديث القدسية، فإنها وإن كانت
من كلام الله فلا يجوز التعبد بتلاوتها وقراءتها، مع أن أكثرها منقول بلا
تواتر^(٧) .

(١) قريب من هذا التعريف، التعريف الذي ذكره الزرقاني في مناهل العرفان (١٣/١) .

وقريب منه تعريف د. محمد دراز في النبأ العظيم (ص ١٤) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٩)، والنبأ العظيم (ص ١٤ - ١٥) .

(٣) النبأ العظيم (ص ١٥) .

(٤) المصدر السابق، ومناهل العرفان (١٣/١) .

(٥) إرشاد الفحول (ص ٣٠) .

(٦) مناهل العرفان (١٣/١) .

(٧) المصدر السابق (١٤/١) .

المبحث الثالث

تعريف فضائل القرآن الكريم باعتبار الإضافة

موضوع فضائل القرآن الكريم موضوع متداول بكثرة، يطرق أسماع الناس دائماً، قديماً وحديثاً على اختلاف طبقاتهم: علماء وعامة، صغاراً وكباراً، فهو مادة حديثة ثرة، تناولها المحدثون بالجمع تارة، وبالنقد أخرى، وهو - أيضاً - مادة وعظيمة خصبة، يحتاجها الخطباء، والمؤلفون في الرقائق والترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال.

فضائل القرآن الكريم مما يطرق الأسماع دائماً، ومع ذلك لم أجد من المتقدمين من تعرض لتعريفه، ومن عرّفه منهم اقتصر على معنى الفضائل لغة^(١).

ولعلّ السبب في إعراض العلماء المتقدمين عن حده وتعريفه، وضوح موضوعه إلى درجة كبيرة؛ لكثرة طرقه الأسماع، فلم يروا حاجة ملحة في تعريفه وحده.

وقد تعرّض بعض المعاصرين لتعريف فضائل القرآن، فقال: إنه «عنوان لما جاء عن النبي ﷺ في تعلّم القرآن وتعليمه عموماً، أو في حق بعض الآيات والسور من الفضل والثواب، والأجر الدنيوي والأخروي»^(٢).

(١) كما صنع العيني في عمدة القارئ (١٦/١٩٢)، والطبي في الكاشف عن حقائق السنن (٥/١٦٣٣)، وابن علان في دليل الفالحين (٣/٤٨٧).

(٢) هذا تعريف د. فاروق حمادة في مقدمته لفضائل القرآن للنسائي (ص ١٧)، ونقل تعريفه يوسف جبريل في مقدمته لفضائل القرآن للفريابي (ص ١٤)، =

وقد أحسن هذا التعريف في موضوع فضائل القرآن، فلم يقصره على ما يتعلق بالأجر والثواب فقط، بل أضاف إليه ما يظهر مزية القرآن الكريم وشرفه، حيث ذكر قيد «الفضل»، وهو أعم من الأجر والثواب، فليست فضائل القرآن مقتصرة على بيان الأجر فقط كما هو الشأن في فضائل الأعمال غالباً، بل تشمل فضل القرآن في نفسه، وما فيه من مزايا وشرف، وما جاء في القرآن والسنة من مدحه والثناء عليه، وكذلك ما ورد في شرف أهل القرآن وحملته، ومدحهم والثناء عليهم، وما ورد من الثناء على بعض السور والآيات والإخبار بأنها كذا وكذا، وجميع هذه الأمور أصيلة في فضائل القرآن، وهي بمعزل عن بيان الأجر والثواب الدنيوي والأخروي المناط بقراءة القرآن^(١).

إلا أن التعريف المتقدم قَصُر حين قَصُر مصدر فضائل القرآن على ما جاء عن النبي ﷺ فقط.

فهو أشبه بصنيع المحدثين حينما يتناولون فضائل القرآن، فيقتصرون - غالباً - على المرفوع فقط.

ولو التزمنا هذا التعريف لخرج به كثيرٌ مما جاء في القرآن الكريم من الآيات المبينة فَضْل القرآن وشرفه، وعلو قدره، ولخرج به ما جاء عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في فضل القرآن الكريم، وقد جرت عادة المصنفين في فضائل القرآن بذكر ما جاء عنهم في ذلك.

كما يخرج هذا التعريف كثيراً مما يذكره العلماء من الأوجه والمعاني والخصائص التي تظهر شرف القرآن، وتُعلي من قدره في

= ود. سليمان القرعاوي في مقدمته لقاعدة شيخ الإسلام في فضائل القرآن (ص ١٠)، وغيرهما.

(١) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، (١/٢١٩) تعليق المحقق د. عبد الحق سيف القاضي في الحاشية رقم «٢».

النفوس، وهذه الأوجه والمعاني مما استنبطه العلماء من الأدلة الشرعية. والواقع أن ما تقدّم داخل في فضائل القرآن، شاهدٌ بفضله وشرفه، ومما يوضح هذا ما جاء في المعنى اللغوي للفضائل، فهي تعني لغة: مطلق المزايا والمحسن، وهذه المزايا والمحسن لا تقتصر على ما جاء عن النبي ﷺ، بل كل ما يظهر مزايا القرآن الكريم ومحاسنه داخل في هذا الباب.

ولعلّ هذا التعريف نظر إلى الأعم الأغلب في فضائل القرآن الكريم، وهو ورودها عن النبي ﷺ، كما أنه صنيع كثير من العلماء في كتبهم، فالغالب في صنيعهم الاختصار على ما جاء عن النبي ﷺ مما يتعلّق بهذا الباب.

لكن لا يعني هذا إخراج ما جاء عن غيره مما تقدّم ذكره. والمتعين في التعريف شموليته، وإحاطته بالمعرّف.

وهنا مسألة متعلّقة بما جاء عن الصحابة والتابعين في فضائل القرآن، فهل يستقل ما جاء عنهم، ويحكم بوقفه وقطعه، أو يدخل فيما جاء عن النبي ﷺ فيحكم برفعه؟

فالملاحظ عند بعض المصنفين إكثارهم من الموقوفات والمقطوعات في فضائل القرآن^(١).

وهذه المسألة مبنية على مسألة أخرى تناولها العلماء في مصطلح الحديث، وهي: هل ما قاله الصحابي مما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، يُعد من قبيل المرفوع أو لا؟

مثل: لو ذكر الصحابي شيئاً يتعلّق بأخبار الأنبياء السابقين، أو

(١) انظر مثلاً: إكثار ابن الضريس من ذلك في كتابه فضائل القرآن. وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٥٢/٢، ٥٦، ٦١، ٦٤، ٦٥) وغيرها.

يتعلق بالفتن والملاحم، وأشراف الساعة، أو أخبر عن البعث والنشور، وصفة الجنة والنار، أو أخبر عن عمل يحصل به ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص، فهذه الأمور مما لا مجال للرأي فيها.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن لها حكم الحديث المرفوع^(١).

ومثل هذا الكلام يقال فيما جاء عن التابعي في هذا الباب، إلا أنه يختلف عما جاء عن الصحابي، فما جاء عن الصحابي له حكم المرفوع المتصل، أما ما جاء عن التابعي فله حكم المرفوع المرسل^(٢)، فيجري فيه الخلاف في قبول المرسل، والذي عليه جمهور المُحدثين الحكم بضعفه^(٣).

وهذا الحكم المتقدم فيما جاء عن الصحابة والتابعين حكم عام، فهل ينطبق على ما جاء عنهم في فضائل القرآن الكريم؟ والذي يظهر - والله أعلم - أن ما جاء عنهم في ذلك لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يكون متعلقاً بالأجر والثواب، مثل أن يقول الصحابي

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٥٣١)، وفتح المغيـث للسخاوي (١/١٤٣).

(٢) انظر: تدريب الراوي (١/٢١٦)، والمرسل هو حديث التابعي حين يقول: قال رسول الله ﷺ، والتابعون في ذلك سواء صغيرهم وكبيرهم. مقدمة ابن الصلاح (ص٢٠٢).

(٣) ومن العلماء من قبل المرسل بشروط من أهمها: أن يكون المرسل من كبار التابعين، وألا يُرسل إلا عن الثقات.

انظر في تفصيل هذه المسألة: معرفة علوم الحديث (ص٣٣ - ٣٤)، والكفاية في علم الرواية (ص٥٤٧) وما بعدها، وشرح النووي على مسلم (١/٣٠)، (١٣٢)، ومقدمة ابن الصلاح (ص٢٠٧ - ٢١١)، والنكت عليها لابن حجر (٢/٥٦٧)، وفتح المغيـث للسخاوي (١/١٦١).

أو التابعي: من قرأ كذا كان له كذا، ومن حفظ كذا فله كذا.

فهذا له حكم الرفع لبعد أن يخصص الصحابي لسورة أو آية ثواباً معيناً محدداً إلا وقد سمع في ذلك شيئاً، ولذلك بعض ما يروى عنهم موقوفاً يرد من طريق آخر مرفوعاً^(١).

ومن أمثله ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «يقال للرجل: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن آخر منزلك من الدرجات عند آخر آية كنت تقرؤها في الدنيا».

وقد جاء نحوه عنه وعن غيره من الصحابة مرفوعاً^(٢).

الثانية: أن يكون ما ورد عنهم من قبيل وصف القرآن، والثناء عليه، أو مدح بعض السور والآيات، والثناء عليها.

ومن أمثله: ما جاء عن السلف في وصف «آل حم»، فقد قال بعضهم: «إنها ديباج القرآن»، وقال آخر: «إن لكل شيء لباباً، وإن لباب

(١) انظر: معرفة علوم الحديث (ص ٢٦-٢٧).

(٢) رواه موقوفاً على ابن عمرو رضي الله عنه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٦٥) وهذا لفظه، وجاء في مسند أحمد (٤٧١/٢) موقوفاً على أبي هريرة أو أبي سعيد رضي الله عنه شك الراوي.

ورواه مرفوعاً عن ابن عمرو أبو داود في سننه (٧٣/٢) في كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل، والترمذي في سننه (١١٧/٨) في كتاب ثواب القرآن، باب الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (١٩٢/٢)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٧١/٢)، والحاكم في المستدرک (٥٥٢/١)، وصححه ووافقه الذهبي، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٦٨/١).

وجاء مرفوعاً من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند ابن ماجه في سننه (٢/١٢٤٢)، في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، وصححه الألباني مرفوعاً من حديث ابن عمرو وأبي سعيد كما في صحيح الجامع (١٣٤٩/٢).

القرآن آل حم»^(١).

أو يكون ما ورد عنهم من قبيل الرقية والاستشفاء بالقرآن الكريم، فيذكرون لبعض الناس سوراً وآيات تُقرأ على بعضهم ممن أصيب بمرض معين^(٢).

ففي هذه الحالة يحتمل ألا يحكم برفع ما ورد عنهم للاحتمال القوي في كونه من كلامهم وثنائهم على القرآن، وليس في وصفهم وثنائهم ذكر لثواب أو أجر مخصوص، وإنما هو ثناء عام.

والاستشفاء بالقرآن داخل تحت عموم الخبر بأن القرآن شفاء كقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وينبغي هنا التأكد من صحة ما يرد عنهم في ذلك إذ يكثر فيه الضعيف والموضوع.

* الفرق بين فضائل القرآن وفضل القرآن:

فرق بعض الباحثين بين «فضائل القرآن» و«فضل القرآن»^(٣).

والأظهر - والله أعلم - عدم الفرق بينهما، واختلاف صيغتهما ليس له كبير أثر في المعنى، ومقتضى صنيع العلماء في تصانيفهم في فضائل القرآن عدم التفريق بين هاتين العبارتين.

(١) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٦٤/٢)، ولمحات الأنوار (٨٩٩/٢) وما بعدها.

والمقصود «بآل حم» السور المبدؤة بـ «حم»، وهي سبع سور تبدأ بسورة «غافر» وتنتهي بسورة «الأحقاف».

(٢) وهذا يدخل تحت مسمى «خواص القرآن» وسيأتي الحديث عنه قريباً.

(٣) انظر: مقدمة يوسف جبريل لفضائل القرآن للفريابي (ص ١٣ - ١٤)، ومقدمة د. سليمان القرعاوي لكتاب «قاعدة في فضائل القرآن» (ص ٩ - ١٠).

التعريف المختار: بناءً على ما تقدم من نقد التعريف السابق، يمكن تعريف فضائل القرآن تعريفاً أوسع وأشمل مما سبق، فيقال: هي ما جاء في بيان شرف القرآن وما يتعلق به، وإظهار مزايا سورة وآياته، ومنافعها الدنيوية والأخروية.

وبناءً على هذا التعريف يدخل جميع ما جاء في الكتاب والسنة، وجميع ما جاء عن الصحابة والتابعين مما ينقله المؤلفون في فضائل القرآن.

ويدخل - أيضاً - ما استنبطه العلماء من النصوص مما يظهر فضل القرآن وشرفه.

ويدخل فيه جميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من فضل أهله وحملته، وفضل قراءته وتلاوته، واستماعه وحفظه وغير ذلك.

* خواص القرآن وفضائله:

بناءً على التعريف الواسع لفضائل القرآن هل يدخل ما يُسمى بخواص القرآن أو منافعه في فضائل القرآن أو لا؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل يُحسُن بيان المقصود بخواص القرآن ومنافعه، فالخواص والمنافع تعني: تأثير القرآن الكريم، أو بعض سورة وآياته في جلب المنافع، ودفع المضار أو رفعها^(١).

وأقرب شيء ينطبق عليه هذا التعريف الرقية بالقرآن، والاستشفاء به، فإنَّ المصنفين في خواص القرآن، يخصصون لبعض الأمراض سوراً وآيات معينة، يعتقدون أنها تنفع - بإذن الله - من هذا المرض أو ذاك.

(١) انظر في هذا التعريف: مفتاح السعادة (١/٣٤١)، وكشف الظنون (١/٧٢٥)، وأبجد العلوم (٢/١٨٠ - ٢٨١)، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان د. حازم حيدر (ص ٢٤٧).

إلا أن الخواص والمنافع أوسع من باب الرقى والاستشفاء بالقرآن، فهي تشمل هذا الباب كما تشمل ما يرجو الإنسان حصوله كالمال والمسكن، والزوجة والأولاد، ونحو ذلك.

وتشمل ما يريد الإنسان دفعه عن نفسه مما يرهبه ويخافه كأعدائه المتربصين به من الجن والإنس والحيوانات المؤذية، أو سلطان جائر، أو ظلم واقع عليه أو يخاف وقوعه، فيدفع هذه الأمور، أو يرفعها بالقرآن، فليست الخواص والمنافع خاصة بالأمراض فقط.

وبهذا يظهر الارتباط القوي بين خواص القرآن وفوائده، ولا يُبعد من قال: إن خواص القرآن جزء من فضائل القرآن^(١)؛ لأنها توضح وتظهر شرف القرآن وبركته وفضله ومزاياه، في كشف المصائب، ودفع البلايا، وجلب النعم، ورفع النقم، ولذلك يذكر المصنفون في فضائل القرآن ما جاء في بعض السور والآيات من الرقية والاستشفاء بها كسورة الفاتحة، والمعوذتين، وآية الكرسي وغيرها.

وينبغي هنا ملاحظة الأمور التالية:

الأول: أن موضوع خواص القرآن أخذ شكلاً مستقلاً، تناوله العلماء بانفراد عن فضائل القرآن، فأصبح له تعريفه المستقل، ومؤلفاته الخاصة إما باسم خواص القرآن، وإما باسم منفعه أو أسرارها، وإذا تناوله المصنفون في علوم القرآن أفردوه بنوع خاص^(٢).

وقد ألفت فيه مؤلفات كثيرة، وتوسع المؤلفون في عرضه.

(١) وقد ذكر الدكتور حازم حيدر في كتابه «علوم القرآن بين البرهان والإتيقان» (ص ٢٤٤) أن منافع القرآن أعم من فضائل القرآن، والأظهر - والله أعلم - ما ذكرته من بحثها في جزء معين من فضائل القرآن، وهو تأثير القرآن في جلب المنافع، ودفع المضار ورفعها.

(٢) انظر: البرهان (٢/٦٢)، والإتيقان (٢/٢٠٨).

ومن توسعهم أنهم لم يتركوا سورة من سور القرآن إلا وذكرها لها خاصية أو أكثر^(١)، بل أفرد بعض المؤلفين في خواص القرآن لبعض السور والآيات مؤلفات خاصة^(٢).

ولأجل هذا لم أتكلم عن الخواص في الفصل الأول، فلم أتطرق لمنهج المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن في حديثهم عن هذا الموضوع وإن جاء شيء من ذلك فإنه يأتي تبعاً، كما استبعدت جميع المؤلفات المؤلفة فيه عند عرضي للمؤلفات في فضائل القرآن وإن تسمت - أحياناً - باسم فضائل القرآن، لما ذكرت من أنه أخذ شكلاً مستقلاً متميزاً عن فضائل القرآن بتعريفه ومؤلفاته.

وهذا الصنيع له نظير في علوم القرآن، فإن علم التفسير يُعدّ من حيث العموم نوعاً من أنواع علوم القرآن؛ إلا أنه أخذ شكلاً مستقلاً له كتبه ومؤلفاته الخاصة به، فلم يتعرّض المصنفون في علوم القرآن لتفسير القرآن في كتبهم، وإن تحدّثوا عنه تحدّثوا عن مناهج التأليف فيه، وشروط المفسّر وآدابه، وأشهر المفسرين ونحو ذلك.

الثاني: لخواص القرآن أصل في الشرع من الكتاب والسنة، فقد دلّت أكثر من آية على أن القرآن الكريم يستشفى به، وتُدفع به الأمراض والآفات، ويُستعاذ به مما يُخشى شره وضرره.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

(١) انظر: مثلاً الدر النظيم في خواص القرآن العظيم لليافعي وهو مطبوع.

(٢) مثل كتاب أحمد بن علي البوني في خواص البسملة.

وجاءت أحاديث عن النبي ﷺ في الدلالة على هذا الأمر وتقريره، ومن هذه الأحاديث: أن النبي ﷺ قال لرجل من أصحابه رقى رجلاً ملدوغاً بفاتحة الكتاب، قال له: «ما يدريك أنها رقية»^(١). فأقره النبي ﷺ على فعله.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث»^(٢).

فالرقية بالقرآن الكريم والاستشفاء به أمر غير منكور، قرره القرآن الكريم، وفعله النبي ﷺ، وفعله أصحابه من بعده، وفعله التابعون وتابعوهم إلى يومنا هذا.

الثالث: ينبغي التأكد من صحة ما ينسب إلى النبي ﷺ، فكثير منه لا يصح، وكذلك ما ينسب إلى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فقد ينسب إليهم ما لا يصح، أو يعارض الكتاب والسنة معارضة صريحة.

الرابع: أن التأليف في خواص القرآن الكريم شابه كثير من البدع والخرافات والدجل، وهذا أسوأ ما فيه؛ مما حدا ببعض إلى النفرة والتحذير منه، ويخيل للقارئ في كتب خواص القرآن - أحياناً - أنه يقرأ كتاب دجل وسحر وشعوذة وتنجيم؛ لوجود الرموز والطلاسم فيها، وربط الانتفاع ببعض السور والآيات بقراءتها في أوقات معينة، وبروج وطوال محددة كبرج الحوت والعقرب ونحوهما، ووضع صفات وأحوال وشروط تبعث على الدهشة، وقد يصل الأمر إلى امتهان القرآن الكريم، والحظ

(١) انظر القصة في: صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب (١٠٣/٦)، وصحيح مسلم كتاب السلام (١٧٢٨/٤) كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (٦/١٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام (١٧٢٣/٤).

من قدره، مثل كتابته في أوراق ووضعها في مواضع مستقذرة^(١).

الخامس: لأجل ما تقدّم وبالأخص الأمر الرابع تظهر الحاجة الماسّة لدراسة هذا الموضوع دراسة نقدية مستقلة، توضّح معالمه، وتضع له الضوابط والشروط والآداب، وتفند الزائف فيه من أقوال وأحوال، ومؤلفات ونحوها.

ومما يؤكّد هذه الحاجة أن النفوس بما جُبلت عليه من ضعف، ورغبة ورهبة ومحبة للقرآن تتعلّق بمثل هذا الموضوع، وتشوف إليه، وتعظم هذه الرغبة والتعلّق إذا أصيبت بمرض أو نكبة، أو رغبت أو رهبت، فيعظم طلبها للكتب المؤلفة فيه، وبلا شعور قد تقع في المحذور^(٢).



(١) انظر مثلاً: الدر النظيم، وخواص القرآن للتميمي، وهو مخطوط.

وأكتفي بمثالين فقط من الدر النظيم (ص ٩٠ - ٩١)، يقول اليافعي: «قوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُهُهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ - إلى قوله - أهداك»: سورة الكهف [٣٧، ٣٨] هاتان الآيتان لخراب بيت الظالم وبستانه، وخراب حانوته وزرعه، وكل ما يتقلب فيه، من كان له عدو ظالم كثير الأذية فليصم يوم الخميس والجمعة، فإذا كان نصف الليل من ليلة السبت كتبت ذلك في مشط رأس قديم ملقوطة من مزبلة، ويلفه في خرقة من قميص راهب ثم يدفن في الموضع الذي يريد يرى منه العجب بإذن الله تعالى!!»

ويقول (ص ١١٤) «ومن جمع بين حروف أول مريم، وأول الشورى في معشر ونقشه في خاتم فضة أو ذهب أو مجموعهما وتكون زنته عشرة دراهم من دراهم الكيل، والطلالع برج الثور أو الزهرة فيه، والمشتري برج الحوت...».

(٢) وقد أعد الأخ الدكتور تركي الهويمل في هذا الموضوع رسالة دكتوراه بعنوان «خواص القرآن الكريم»، وقدمها لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض عام ١٤٢٨هـ.

أنواع فضائل القرآن

يعد الباب المتعلق بفضائل القرآن الكريم من الأبواب الواسعة الكبيرة، فقد توسع العلماء في التأليف فيه وألفوا فيه كتباً كثيرة. ومن توسعهم في التأليف فيه إدراجهم في فضائل القرآن أنواعاً وموضوعات يخيل للناظر فيها لأول وهلة، عدم تعلّقها بفضائل القرآن، وأن الأليق بهذه الأنواع والموضوعات إدراجها تحت أبواب أخرى في علوم القرآن.

ومن الأنواع التي قد يشكل وضعها في فضائل القرآن ما يلي:

١ - ما كتبه بعض العلماء مما يتعلق بنزول القرآن وجمعه، وكتّابه، وقراءته^(١). وهذه الأنواع لها أبواب مستقلة في كتب علوم القرآن^(٢).

٢ - كثير ممن كتب في فضائل القرآن الكريم، تحدّث عن بعض الأحكام، والآداب التي يجب أو يستحب لقارئ القرآن الأخذ بها.

فتجد في هذه الكتب مثلاً: الحديث عن آداب تلاوة القرآن، مثل: السواك والبدء بالاستعاذة والبسملة، ومثل: أن يقرأ القارئ القرآن وهو طاهر، وأن يتدبر قراءته، وألاً يمس المصحف إلا على طهارة^(٣).

(١) انظر في هذه المباحث: فضائل القرآن للنسائي (ص ٥٧ - ٧١، ٧٤، ٧٥ - ٧٨، ٨١)، وانظر أيضاً بعضها في: فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ٩١، ١٦٣، ٢٠٦).

(٢) انظر على سبيل المثال: الإتيان (١/ ٣١ - ٣٨، ٧٦، ٩٣).

(٣) راجع على سبيل المثال: فضائل القرآن لأبي عبيد (١/ ٢٩٢ - ٣١٨)، =

٣ - وقريب من هذا - أيضاً - ما يذكره هؤلاء مما يتعلق ببعض المنهيات المتوعد عليها، التي يُنهى المسلم عنها في تعامله مع كتاب ربه، من مثل: حرمة الرياء بقراءة القرآن أو التأكل بها، ووعيد من فعل ذلك، وكذلك حرمة هجره، ووعيد من هجره، ووعيد من قال في القرآن برأيه، وتغليظ المراء في القرآن والجدال فيه، والنهي عن السفر به إلى أرض العدو.

ومما يلحق بهذا ذكرهم لبعض ما يكره تجاه القرآن أو قراءته، مثل: كراهة بعضهم لبيع المصحف، أو تحليله وتزيينه بالذهب والفضة، وكراهتهم التعمق في قراءته، أو قراءته بلا تدبر، وكراهة نسيانه ونحو ذلك^(١).

والواقع أن بعض ما ذكر لا تعلق له بالدرجة الأولى بفضائل القرآن الكريم، وإنما يذكره العلماء لمناسبات وأسباب تدعوهم إلى تدوينه في كتب فضائل القرآن.

ويمكننا استجلاء بعضها فيما يلي:

أولاً: لفضل القرآن وشرفه وعلو قدره نال كُتَّابه، وحُفَّاظه، وقُرَّاءه، شرفاً ومنزلة، فذُكِّروا في فضائل القرآن، وذُكِرَ ما يتعلَّق بنزوله وجمعه تبعاً لذلك^(٢).

ثانياً: ما يتعلق بذكر الأحكام والآداب الواجبة والمستحبة، له مناسبة من حيث إن هذه الأحكام والآداب تظهر فضل القرآن، وشرفه وعلو قدره، فإنه إذا كان الواجب على قارئ القرآن والمستحب له معاملة القرآن وفق هذه الأحكام والآداب، دل هذا على شرفه وفضله.

= والتذكار: الباب الثالث عشر (ص ٨٤)، والباب الثالث والثلاثون (ص ١٧٤)،

وفضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة لمحمد نصر (ص ١٧ - ٢٦، ٧٠).

(١) سيأتي ذكر بعضها عند الكلام عن الأقسام المتعلقة بفضائل القرآن إن شاء الله.

(٢) انظر: فضائل القرآن للنسائي مقدمة د. حمادة (ص ١٧).

ثالثاً: أن العلماء حينما يذكرون فضائل القرآن ومزاياه، وما أعد الله من الثواب العظيم، والأجر الجزيل لمن قرأه وتدبره وعمل بما فيه، وحينما يبينون منزلة أهل القرآن وحملته، ورفعته في الدنيا والآخرة، ويقرأ المؤمن هذا كله فقد تتوق نفسه لتلاوة كتاب ربه، لينال هذا الشرف والفضل، والثواب والأجر، فحسُنَ ذكر هذه الأحكام والآداب كي يأخذ بها قارئ القرآن وتاليه.

وكلما كان أخذه بهذه الأحكام والآداب أتم وأكمل، كان انتفاعه بفضائل القرآن أعظم.

رابعاً: وهي مناسبة متعلقة بذكر المنهيات والمكروهات، وبيانها: أنه لم يأتِ النهي عن بعض الأمور والوعيد عليها، والتشديد في فعلها إلا لما للقرآن من فضل وشرف، ولفضله وشرفه تُوعَد من أخل ببعض ما يجب في حقّه.

وكذلك ذكر المكروهات، فلشرف القرآن الكريم وفضله استحب للمؤمن اجتناب ما يخل بالتأدب مع كتاب ربه - تعالى وتقدس - أو يخل بما يجب له من التعظيم والإجلال، وكره له وقوعه في بعض ذلك.

* المقصود بالنوع في فضائل القرآن:

يندرج تحت فضائل القرآن الكريم أنواع كثيرة جداً، والمتتبع لها في كتب فضائل القرآن وكتب التفسير والحديث يجد عشرات الأنواع المندرجة تحت فضائل القرآن، بل إن النوع الواحد قد يتنوع إلى أنواع كثيرة.

ويحسن هنا تحديد النوع المقصود في فضائل القرآن لما قد يحدث من لبس في تحديده، فتعدُّ الفضيلة نفسها نوعاً بذاتها، مع إمكان إدراجها تحت نوع من أنواع فضائل القرآن الكريم.

فقد تطالع كتاباً في فضائل القرآن فتجد فيه أبواباً متعددة، من مثل: باب محبة الله حسن الصوت بالقرآن، وباب في أن القرآن حبل الله المتين، وباب نزول السكينة عند قراءة القرآن، وباب في أهل القرآن وأنهم أغنى الخلق^(١).

وقد يظن بعض من يقرأ هذه الأبواب أن كل باب منها نوع مستقل بذاته، وليس الأمر كذلك، بل هي فضائل مندرجة تحت أنواع من فضائل القرآن.

فمثلاً: باب نزول السكينة عند قراءة القرآن مندرج تحت فضل قراءة القرآن، وباب محبة الله حسن الصوت بالقرآن مندرج تحت فضل تحسين الصوت بالقرآن، وهكذا.

فذكر الفضيلة نفسها لا يعد نوعاً، وإنما النوع هنا: الأمر أو الحال الذي له مزية وفضل وشرف. سواء تعلق بالثواب أو مطلق الثناء والمزية والشرف.

وقد يكون للنوع الواحد أكثر من فضيلة، مثل: فضل القرآن عموماً أي: من غير تعلقه بالقراءة أو بالقارئ أو بسوره وآياته، فهذا النوع تحته فضائل متعددة مثل:

الخبر بأنه شافع مشفع، وأنه عصمة لمن تمسك به، وأنه نور من الظلمة، وأنه الصراط المستقيم، وأنه يهبط بمن اتبعه رياض الجنة^(٢).

فهذه كلها فضائل مندرجة تحت نوع واحد، وهو إظهار مزية القرآن الكريم وشرفه، وليست أنواعاً كما قد يُظن.

(١) انظر هذه الأبواب في: كتاب فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٦٦، ٧٢، ١٩٩، ١٢٢).

(٢) انظر هذه الفضائل في: كتاب فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٧٤، ٧٦، ١٢٥، ٧٧).

* فائدة تحديد أنواع فضائل القرآن وحصرها:

قد يسأل سائل فيقول: ما الفائدة من تحديد أنواع فضائل القرآن وتقسيمها؟

فيقال: قد جرت عادة العلماء في كتبهم على تحديد العلم الذي يتكلمون عنه وتقسيمه وترتيبه؛ لأن ذلك مما يساعد على فهمه وحصره، وفضائل القرآن من ذلك، فتنوعها وتبويبها وترتيبها يساعد في حصرها، وإخراج ما ليس منها.

إضافة إلى أن التقسيم والتنوع يظهر سعة هذا العلم، وكثرة أنواعه وأبوابه، فإذا حددت الأنواع وحصرتها، ونظر في كل فضيلة على حدة، ولأي شيء سيقى؟ وجُعِلت تحت نوعها المحدد، تبين بعد ذلك سعة هذا العلم وغزارته، وجدارته لأن يحقق وينظر فيه.

والتنوع والتقسيم يساعد في التحقق من صحة ما جاء في بعض الأنواع أو ضعفه أو وضعه، ولأجل هذا قد يسقط بعض الأنواع أو كثير منها، فيقال: لم يصح في هذا النوع شيء، أو في هذا الباب شيء، لأن ما جاء فيه من فضيلة أو فضائل غير صحيح، فليس من شرط ذكر النوع هنا صحة ما تحته من فضائل، وإنما يذكر لأن بعض العلماء ذكره واستدل له، فيتأكد مما ذكره.

تقسيم أنواع فضائل القرآن:

عند النظر فيما كتبه العلماء من أنواع متعلقة بفضائل القرآن، وما ذكروه تحت هذه الأنواع من فضائل، يمكن تقسيم ذلك إلى أقسام، ويندرج تحت كل قسم أنواع، وقد يتفرع النوع الواحد إلى عدة أنواع. وليس المقصود هنا استيعاب الأنواع كلها، لصعوبة استيعابها، وطول البحث بذلك.

وإنما المقصود بالدرجة الأولى التنبيه على الأقسام الرئيسة فيه، وذكر بعض الأنواع تحت كل قسم، والإحالة إلى مصادرها.

ويلحظ الناظر في بعض الأقسام الآتية قلة الأنواع المندرجة تحتها، وفي أقسام أخرى تكثر الأنواع جداً، مثل: الأنواع المتعلقة بقراءة القرآن، والأنواع المتعلقة بسور القرآن وآياته.

وتنقسم أنواع فضائل القرآن الكريم إلى ثمانية أقسام رئيسة، هي:

القسم الأول: فضائل القرآن من حيث هو كلام الله، من غير تعلقه بالقراءة، أو بالقارئ، أو بالسور والآيات، أو نحو ذلك.

ومن أنواع هذا القسم:

- ١ - فضل القرآن عموماً^(١).
- ٢ - فضل القرآن على سائر الكلام^(٢).
- ٣ - فضله على غيره من الأذكار^(٣).
- ٤ - فضله على الكتب السابقة^(٤).

القسم الثاني: فضائل أهل القرآن وحملته.

وهذا القسم تحته أنواع مثل:

- ١ - فضلهم عموماً، والمقصود به مدحهم والثناء عليهم، وما ورد في ذلك^(٥).

(١) فضائل القرآن للغماري (ص ١١). وانظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول (٤٦١/٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام (١٠٦/٦).

(٣) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٧٠)، والتذكار (ص ٥٥).

(٤) التذكار (ص ٤٣)، وفضائل القرآن للغماري (ص ٢٤).

(٥) انظر: فضائل القرآن للنسائي (ص ٩٨)، وفضائل القرآن وتلاوته للرازي =

٢ - فضلهم في الدنيا مثل: تقديمهم في إمامة الصلاة، وتقديمهم في إمارة الجيش، وتقديمهم في اللحد^(١).

القسم الثالث: فضائل قراءة القرآن وتلاوته.

وهذا القسم تحته أنواع كثيرة، ومنها:

١ - فضل قراءته نظراً من المصحف^(٢).

٢ - فضل قراءته عن ظهر قلب^(٣).

وللعلماء خلاف في أي هذين النوعين أفضل^(٤)؟

٣ - فضل الترتيل في القراءة^(٥).

٤ - فضل حسن الصوت في القراءة^(٦).

٥ - فضل الماهر بالقرآن^(٧).

٦ - فضل المتتبع بالقرآن^(٨).

٧ - فضل من قرأ القرآن قراءة معربة^(٩).

= (ص ٧٩ - ٩٣)، ومن (ص ١٢٢ - ١٢٣)، ومن (ص ١٥٤ - ١٥٦).

(١) انظر ذلك في: فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٩٧، ١٤٨).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (١/ ٢٨٢)، وفضائل القرآن للفريابي (ص ٢٢٩).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٠٨)، كتاب فضائل القرآن، ولمحات الأنوار (١/ ٢٨٧).

(٤) انظر الخلاف في ذلك في: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٣٣ - ١٣٤)، وفضائل القرآن لابن كثير (ص ٢٠٩ - ٢١٣).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد (١/ ٣٢٥)، والتذكار (ص ١٥٣).

(٦) المصدران السابقان (١/ ٣٢٨)، (ص ١٥٨).

(٧) فضائل القرآن لابن الضريس (ص ٣٩)، وفضائل القرآن للنسائي (ص ١٠٧).

(٨) فضائل القرآن للنسائي (ص ١٠٨)، ولمحات الأنوار (١/ ٧٦).

(٩) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ١٧٧)، والتذكار (ص ١٣٥).

- ٨ - كراهة التعمق في إقامة حروفه^(١).
 - ٩ - فضل قراءته عند النوم^(٢).
 - ١٠ - إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل بها^(٣).
- ومما يندرج تحت هذا القسم الفضائل المتعلقة بحفظه، ومن أنواعه:
- ١ - فضل حفظ القرآن كله، وقد يعبر عنه بفضل من جمع القرآن^(٤).
 - ٢ - فضل من حفظ القرآن في صباه^(٥).
 - ٣ - الأمر بتعاهده^(٦)، وذم نسيانه^(٧).
- ومما يندرج تحته - أيضاً - الفضائل المتعلقة بختمه، ومن أنواعه:
- ١ - فضل ختم القرآن^(٨).
 - ٢ - فضل من قرأ القرآن حتى ختم أو حضر ختمه^(٩).
 - ٣ - المقدار المفضل لختم القرآن، وفيه النهي عن ختمه في أقل من ثلاث^(١٠).

-
- (١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١١/٢).
 - (٢) لمحات الأنوار (١٥٨/١)، وفضائل القرآن وحملته لمحمد نصر (ص ٦٩).
 - (٣) صحيح البخاري (١١٤/٦)، كتاب فضائل القرآن، باب من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به، وفضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٣١ - ٣٣).
 - (٤) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ١١٠، ١٤٨)، ولمحات الأنوار (١/١٤٩).
 - (٥) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ١٠٥).
 - (٦) صحيح البخاري (١٠٩/٦) كتاب فضائل القرآن، وفضائل القرآن للفريابي (ص ٢٣٣).
 - (٧) لمحات الأنوار (٣٤٤/١)، والتذكار (ص ٢١٨).
 - (٨) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٥٨/١)، والتذكار (ص ١٠٦).
 - (٩) لمحات الأنوار (١١٧٨/٣).
 - (١٠) التذكار (ص ٩٩)، والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦٨/٢).

القسم الرابع: الفضائل المتعلقة باستماع القرآن الكريم.
ومن أنواعه:

- ١ - فضل استماعه عموماً^(١).
 - ٢ - فضل من استمع آية^(٢).
 - ٣ - فضل البكاء والخشوع عند استماعه^(٣).
- القسم الخامس: الفضائل المتعلقة بالعلم والعمل به.

وتحت هذا القسم أنواع كثيرة منها:

- ١ - فضل تعلم القرآن وتعليمه^(٤).
- ٢ - فضل تعلمه في الشبية^(٥).
- ٣ - فضل تعلمه بعد صلاة الصبح^(٦).
- ٤ - فضل تعلم عشر آيات^(٧).
- ٥ - فضل تفسير القرآن^(٨).
- ٦ - وعيد من قال في القرآن برأيه^(٩).

-
- (١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١/٢٤٨).
 - (٢) لمحات الأنوار (١/١٣٢).
 - (٣) المصدر السابق (١/٢٢٠)، والتذكار (ص١٩٩).
 - (٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (١/٢٣٥)، وفضائل القرآن لابن الضريس (ص٧٦).
 - (٥) لمحات الأنوار (١/١٠٠).
 - (٦) المصدر السابق (١/٦٧).
 - (٧) المصدر السابق (١/٣٤٣).
 - (٨) قاعدة في فضائل القرآن لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧١)، والإتقان في علوم القرآن (٢/٢٢٣).
 - (٩) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/٢١١)، وفضائل القرآن للنسائي (ص١٣٤).

٧ - تحريم وتغليظ المراء في القرآن والاختلاف فيه^(١).

٨ - فضل العمل به^(٢).

القسم السادس: الفضائل المتعلقة بكتابه، والمتعلقة بالمصحف.
ومن أنواعه:

١ - استحباب عظم الكتابة وكراهة صغرها^(٣).

٢ - النهي عن كتابته على حجر أو مدر^(٤).

٣ - فضل النظر إلى المصحف^(٥).

٤ - النهي عن مسه للمحدث^(٦).

٥ - النهي عن السفر به إلى أرض العدو^(٧).

٦ - كراهية بيعه وشرائه^(٨).

٧ - كراهية تزيينه وتحليته بالذهب والفضة^(٩).

القسم السابع: الفضائل المتعلقة بسوره.

والسور التي ورد بشأنها فضائل تنقسم قسمين:

(١) المصدران السابقان (١٨١/٢)، و(١٤٢ ص).

(٢) المصدران السابقان (٢٦٥/١)، و(٩٩ - ١٠٢ ص).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٣٦/٢).

(٤) لمحات الأنوار (٤٠٨/١).

(٥) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ١٤٥)، ولمحات الأنوار (٣١٨/١).

(٦) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٣٩/٢)، وفضائل القرآن وحملته لمحمد موسى نصر (ص ٩٩).

(٧) فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧١/١)، وفضائل القرآن للنسائي (ص ١١٦).

(٨) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٦/٢)، وقد ذكر الرخصة في ذلك.

(٩) المصدر السابق (٢٣٤/٢)، وقد ذكر الرخصة في ذلك، وانظر: فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ١٤٧).

الأول: سور جاءت أحاديث وآثار في فضلها مجتمعة، ومن أنواعه:

- ١ - فضل السبع الطوال^(١).
- ٢ - فضل الزهراوين^(٢).
- ٣ - فضل البقرة وآل عمران والنساء^(٣).
- ٤ - فضل السور المسبحات^(٤).
- ٥ - فضل المفصل^(٥).

الثاني: سور جاءت أحاديث وآثار في فضلها منفردة:

وهذا القسم أوسع بكثير من القسم الذي قبله، فلم تخل سورة من سور القرآن إلا وورد في فضلها شيء صح ذلك أو لم يصح، بل قد رُوي في فضل القرآن سورة سورة حديث موضوع، يأتي الكلام عنه في الفصل الثاني إن شاء الله.

ومما يلاحظ في هذا القسم كثرة ما ورد في فضل بعض السور من أحاديث وآثار، ولذلك يمكن تنويع ما ورد في سورة واحدة إلى أنواع

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٩/٢)، ولمحات الأنوار (٥٨٨/٢).

(٢) المصدران السابقان (٤١/٢)، (٧٠١/٢). والمقصود بالزهراوين البقرة وآل عمران.

(٣) المصدران السابقان (٤٣/٢)، (٧١٩/٢).

(٤) فضائل القرآن للنسائي (ص ٩٥)، والتذكار (ص ٢٨٨)، وقد ذكر القرطبي في المصدر السابق والشوكاني في فتح القدير (١٦٤/٥)، أن المسبحات هي: سورة الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، وذكر غيرهما أنها السور التي في صدورهما لفظ التسبيح وهي سبع سور بإضافة الإسراء والأعلى. انظر: عون المعبود (٣٩٦/١٣)، وتحفة الأحوذى (٢٣٨/٨).

(٥) لمحات الأنوار (٩٣٢/٢). وانظر: معنى المفصل مع نظيراتها من السبع الطوال والمئين والمثاني ما يأتي (ص ٢٩٦).

متعددة كما هو الشأن في سورة «الفاتحة»^(١)، وسورة «الإخلاص»^(٢)، ونحوهما.

ومما يؤكد هذا تأليف بعض العلماء مؤلفات خاصة لبعض السور، كمن ألف في فضل سورة «الفاتحة»، ومن ألف في فضل سورة «الإخلاص»، ومن ألف في فضل سورة «يس»^(٣).

القسم الثامن: الفضائل المتعلقة بآياته.

والآيات التي ورد بشأنها فضائل تنقسم قسمين:

الأول: آيات جاءت أحاديث وآثار في فضلها مجتمعة، وهي نوعان:

أ - آيات مبهمة غير محددة بسورة معينة من سور القرآن، وإنما ورد أن من قرأ كذا آية فله كذا، ومن أنواعه:

١ - فضل من قرأ عشر آيات^(٤).

٢ - فضل من قرأ مائة آية^(٥).

٣ - فضل من قرأ ثلاثمائة آية^(٦).

ب - آيات محددة بسورة معينة، وهذا النوع كثير. ومن أنواعه:

(١) انظر: ما ذكره الغافقي في فضلها في كتابه لمحات الأنوار في الجزء الثاني من (ص ٥٦٦ - ٥٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق الجزء الثالث من (ص ١٠٨٥ - ١١٤٨).

(٣) سيأتي - إن شاء الله - ذكرها عند الحديث عن المؤلفات في فضائل القرآن في الفصل الأول.

(٤) لمحات الأنوار (١/ ١٣٦).

(٥) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ١٣٤)، ولمحات الأنوار (١/ ١٤٥، ٣٠٦).

(٦) فنون الأفتان (ص ٣٣٠)، ولمحات الأنوار (١/ ١٤١).

- ١ - الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة^(١).
 - ٢ - آخر عشر آيات من سورة آل عمران^(٢).
 - ٣ - آخر سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُسْفًا...﴾ [الحشر: ٢١ - ٢٤] إلى آخر السورة^(٣).
- الثاني: آيات جاء في فضلها أحاديث وآثار على انفراد، أي: ورد في فضلها خصوصاً من غير مشاركة آية أخرى لها.
- وهذا القسم كثير - أيضاً - ومن أمثلته:

- ١ - فضل آية «الكرسي»: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]^(٤).
- ٢ - قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]^(٥).
- ٣ - قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]^(٦).

ويدخل في القسمين السابع والثامن تفضيل بعض السور والآيات

-
- (١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧/٢)، وفضائل القرآن لابن الضريس (ص ٨٣).
 - (٢) التذكار (ص ٢٥٠).
 - (٣) انظر في فضلها: فضائل القرآن لابن الضريس (ص ١٠٣)، ولمحات الأنوار (٩٦٤/٢).
 - (٤) انظر في فضلها: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٣/٢)، وفضائل القرآن لابن الضريس (ص ٩٠)، وما ورد في فضلها كثير يمكن تقسيمه إلى أنواع انظرها في لمحات الأنوار (٦٢٠/٢) وما بعدها.
 - (٥) انظر في فضلها: لمحات الأنوار (٦٩٤/٢).
 - (٦) انظر في فضلها: التذكار (ص ٢٤٨).

على بعض، وفي هذه الرسالة فصل خاص لهذه المسألة.
ومما ينبغي ملاحظته في هذين القسمين، أنهما من أوسع الأقسام
المذكورة بحثاً وتأليفاً وتنوعاً.

ولأجل هذا قد ينصرف الذهن - أحياناً - عند ذكر فضائل القرآن
إلى هذين القسمين دون سواهما، بل إن بعض المؤلفات لم تتطرق
لغيرهما، وبعضها اقتصر على بعض الأنواع فيهما، كمن ألف في فضائل
سورة «الفاتحة»، أو فضائل سورة «الإخلاص»، أو فضائل البسملة.

وهذان القسمان يُعدّان قسيمين للأقسام الأخرى لكثرة ما ورد فيهما
من جهة، ولتشوف النفوس لهما أكثر من غيرهما من جهة ثانية، ولتعرض
كتب التفسير لهما كثيراً من جهة ثالثة.

وكما تقدّم فليست هذه الأنواع المذكورة كل أنواع فضائل القرآن؛
بل ما ترك منها أكثر خاصة في القسمين الأخيرين، وإنما المراد تقسيم
هذه الأنواع، والتمثيل لها؛ لبيان سعة هذا العلم وكثرة أنواعه وأبوابه،
وهي محاولة لتنظيمه وترتيبه، وليحكم على كل نوع بما يستحقه من صحة
أو ضعف أو وضع، وقد وجد في عبارات بعض العلماء شيء من هذا.

مثل: قولهم: لم يصح في هذا الباب شيء، ويريدون نوعاً معيناً
من أنواع فضائل القرآن، وقول بعضهم: أصح ما ورد، ما ورد في فضل
«قل هو الله أحد»^(١).



(١) انظر: الفصل الثاني (ص ١٩٠).

الفصل الأول

التأليف في فضائل القرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: فضائل القرآن في مؤلفات خاصة.
- المبحث الثاني: فضائل القرآن ضمن كتب الحديث.
- المبحث الثالث: فضائل القرآن ضمن كتب التفسير.
- المبحث الرابع: فضائل القرآن ضمن كتب علوم القرآن.

المبحث الأول

فضائل القرآن في مؤلفات خاصة

٥ وفيه مدخل وخمسة مطالب

مدخل:

يتخذ الحديث عن المؤلفات عند الباحثين طرقاً وأشكالاً متعددة منها:

أن يعتمد باحث إلى كتاب معين، يتناوله بالدراسة والتحليل والنقد.
أو يعتمد إلى مجموعة محددة من المؤلفات في فن محدد يجمعها قاسم مشترك، فيتناولها بالدراسة والتحليل والنقد.
أو يكون كلامه عن المؤلفات في فن واحد عاماً دون تخصيص بعضها بالحديث عن بعض.

وسيكون الحديث هنا بالطريقة الأخيرة، فينصب على ذكر مزايا التأليف في فضائل القرآن، وحصر المؤلفات فيه، وأول من صنف في هذا العلم، وطرق العلماء في التأليف فيه. وليس الكلام في هذا المبحث تحليلاً للمؤلفات، ونقدها تفصيلاً ما لها وما عليها، فإن هذا لون آخر لا يحتمله مبحث كهذا؛ بل ينبغي أن تفرد له رسالة علمية خاصة، والكلام عن التأليف بالطريقة التي سأتناولها له فائدته العملية من حيث:

١ - بيان أهمية هذا العلم، ومكانته بين علوم القرآن الكريم خاصة، والعلوم الإسلامية عامة.

- ٢ - بيان اهتمام العلماء به على مر العصور، وتطور التأليف فيه، وإرشاد القارئ إلى الأنواع التي اهتم بها العلماء من فضائل القرآن، فقد حظيت بعض الأنواع باهتمام أكثر من غيرها.
- ٣ - بيان ما بقي من تراث المسلمين ونتاجهم العلمي في هذا الفن من خلال بيان المخطوط والمطبوع.
- ٤ - بيان حركة التأليف المعاصرة في هذا الفن، ومدى عناية المعاصرين بإخراج نتاج السابقين.

المطلب الأول

نشأة التأليف في فضائل القرآن الكريم

جرى العلماء في حديثهم عن علم من العلوم أن يتكلموا عن نشأته، وكيف بدأ؟ ومن أول من تحدث عنه؟ وما هي أول الكتب المصنفة فيه؟ وهذا الأمر جارٍ في كثير من العلوم، فقد تكلم العلماء عن بداية التدوين في علم التفسير والحديث، وتكلموا عن أول من صنف في أصول الفقه، كما تكلموا عن واضع علم النحو، وعلم العروض، وهكذا.

وحديثهم عن مثل هذه الأمور - وإن لم يكن من صميم العلم - لا يخلو من فائدة، فالعلم بنشأة فن من الفنون، ومتى بدأ الحديث عنه؟ ومن أول من طرقه بالبحث؟ يعطي صورة واضحة عن تاريخ هذا الفن وتطوره، كما يفيد في معرفة تقدّم البحث فيه أو تأخره.

ومن فوائد معرفة نشأة فن ما معرفة فضل أول من تكلم فيه، فيعرف فضل المتقدم على المتأخر، وعلو قدره وشأنه في هذا الفن، كما عُرف فضل الخليل بن أحمد^(١) في علم العروض، وفضل الإمام الشافعي في علم أصول الفقه.

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري النحوي اللغوي من =

غير أن البحث في نشأة علم، ومعرفة أول من كتب فيه بالتحديد لا يخلو من الاضطراب والغموض، فتكثر فيه الآراء، مما يضعف الثقة بقول محدد منها.

ولعل السر في تضارب الأقوال في النشأة واختلافها، أن الكلام في ذلك يتأخر كثيراً عن النشأة، فيصبح حديثاً عن شيء مضى وانقضى لم يدون في وقته.

وقد نال فضائل القرآن الكريم نصيبٌ من هذا الخلاف وتعدد الآراء، لكنها في مجملها تتفق على أن تدوين هذا العلم بدأ مبكراً جداً، ولذلك دلائل منها:

أولاً: أن فضائل القرآن مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعلم التفسير، فعند تفسير السور والآيات يذكر العلماء - غالباً - ما جاء فيها من فضائل، وتدوين التفسير بدأ مبكراً في القرن الأول^(١).

ثانياً: ارتباط فضائل القرآن بعلم الحديث، فهو من المصادر الأساسية التي تستقي فضائل القرآن مادتها منه، وتدوين الحديث بدأ

= أئمة النحو واللغة الكبار، من أشهر تلاميذه سيبويه، وهو واضع علم العروض والقوافي، من كتبه: العين، والعروض، والشواهد. توفي سنة (١٧٠هـ)، وقيل (١٧٥هـ).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٤٧)، وإنباه الرواة (١/ ٣٧٦)، والبلغة (ص ٩٩).

(١) ومن أقدم من كتب في التفسير التابعي الجليل سعيد بن جبير رضي الله عنه (ت ٩٥هـ) حين سأله عبد الملك بن مروان أن يكتب إليه تفسير القرآن فكتب إليه بذلك فوضعه في الديوان.

انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢). وانظر في نشأة التفسير: التفسير والمفسرون (١/ ١٤٠ - ١٥١)، ومدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور (ص ٢١١ - ٢٢١).

مبكراً كال تفسير^(١).

ومن هذين الأمرين يتبين أن فضائل القرآن في بداية تدوينها كانت ماثلة في كتب التفسير والحديث، ثم جرد لها العلماء كتباً مستقلة.

ثالثاً: عند النظر في أقوال العلماء في أول من صنف في فضائل القرآن، والنظر في المؤلفات، نجد أن بداية التدوين لا تتجاوز أوائل القرن الثالث، وهي دائرة بينه وبين أوائل القرن الأول.

وأقدم وثيقة وصلت إلينا في فضائل القرآن: كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام^(٢) «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه».

أما قبل هذا الكتاب فليس لدينا من كتب فضائل القرآن إلا أسماؤها فقط، فقد ذكر لأكثر من شخص قبل أبي عبيد أنه ألف في فضائل القرآن. فأقدم من نسب إليه التأليف في فضائل القرآن الصحابي الجليل أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه وفي النسبة إليه ضعف، فلم يذكر أحد أنه ألف في فضائل القرآن غير ابن النديم^(٣)، ولعله اطلع على

(١) انظر: مقدمة محمد تجاني جوهري لكتاب فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٦١ - ٦٣)، وانظر في تدوين السنة: الرسالة المستطرفة (ص ٣)، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي (ص ١٠٣)، والحديث والمحدثون لأبي زهر (ص ١٢٧).

(٢) هو القاسم بن سلام الأنصاري البغدادي المقرئ الفقيه اللغوي، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة، أثنى العلماء عليه كثيراً، من كتبه: الغريب المصنف، والأموال، والناسخ والمنسوخ، وغيرها. توفي سنة (٢٢٤هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٤٠٣/١٢)، وتذكرة الحفاظ (٤١٧/٢)، وغاية النهاية (٢/١٧).

(٣) الفهرست (ص ٣٩)، وابن النديم هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم الوراق البغدادي الإخباري الشيعي المعتزلي، له كتاب الفهرست، والتشبيهات، قال ابن حجر: «وهو غير موثوق به، ومصنفه المذكور =

مصنف جمعت فيه الأحاديث المروية عن أبي عليه السلام في فضائل القرآن وبخاصة ذلك الحديث الطويل الموضوع في فضل سور القرآن سورة سورة، فظن أن هذا الكتاب من تأليف أبي نفسه إليه^(١).

أضف إلى ذلك أن أهل الصدر الأول لم تكن من عاداتهم التأليف، وقد أحجموا بادئ الأمر عن جمع الحديث لورود النهي عن ذلك^(٢).

ولو سلم بصحة هذه النسبة لأبي لأصبحت فضائل القرآن الكريم من أول العلوم الإسلامية تدويناً إن لم تكن أولها على الإطلاق، فقد توفي أبي بن كعب عليه السلام في العام التاسع عشر من الهجرة، وهذا الوقت مبكر جداً.

وممن نسب إليه التأليف في فضائل القرآن قبل أبي عبيد الإمام الشافعي، فقد نص غير واحد ممن تكلم عن نشأة هذا العلم على أنه أول من ألف فيه، وسمى بعضهم كتابه «منافع القرآن»^(٣).

= (يقصد الفهرست) ينادي على مصنفه بالاعتزال والزيغ نسأل الله السلامة» توفي فيما قيل سنة (٤٣٨هـ).

انظر: تاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ - ٤٠٠ (ص ٣٩٨)، ولسان الميزان (٥/ ٨٣)، والأعلام (٢٩/٦).

(١) انظر: مقدمة د. فاروق حمادة لفضائل القرآن للنسائي (ص ٢٩).

(٢) طالع (ص ٣٠٨).

(٣) ذكره بهذا الاسم حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٢٧٧، ١٨٣٥).

وينسب لجعفر الصادق (ت ١٤٨) كتاب بهذا الاسم، ويوجد له نسخ خطية.

انظرها في تاريخ التراث العربي لسزكين (١/ ٣/ ٢٧٠)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم الأول (ص ٣٢٠)، ونقل التميمي في كتابه: «خواص القرآن» من هذا الكتاب في عدة مواضع. انظر: ورقة ١٩، ١١، ١٢، ونسبته لجعفر الصادق ليست صحيحة، بل هو من كذب الرافضة عليه، انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام (٢/ ٤٦٤، ٥٤/٤).

وهذه النسبة للإمام الشافعي تحتاج إلى زيادة توثيق، فأقدم من ذكره حاجي خليفة^(١) في «كشف الظنون»^(٢)، وتبعه في ذلك غير واحد^(٣).

وليس لهذا الكتاب ذكر في الكتب التي اعتنت بذكر مؤلفات الشافعي مثل كتاب: «مناقب الشافعي» للبيهقي^(٤)، فقد ذكر مائة وأربعين كتاباً ليس هذا منها^(٥).

وقد راجعت أكثر الكتب المتخصصة في ترجمة الإمام الشافعي طمعاً في العثور على أحد ذكر هذا الكتاب، فلم أظفر بشيء^(٦).

(١) هو مصطفى بن عبد الله «كاتب جلبي» مؤرخ بحائة تركي الأصل، انقطع في آخر حياته لتدريس العلوم، من كتبه: كشف الظنون وهو أشهرها، وتقويم التواريخ، وسلم الوصول في التراجم. توفي بإستامبول سنة (١٠٦٧هـ).
انظر ترجمته في: مقدمة كشف الظنون (١٣/١) منقولة من خطه، والأعلام (٧/٢٣٦).

(٢) (١٢٧٧/٢).

(٣) مثل: صديق حسن خان في أبجد العلوم (٢/٣٩٩)، والكتاني في الرسالة المستطرفة (ص ٥٨)، ود. فاروق حمادة في مقدمته لفضائل القرآن للنسائي (ص ١٩)، وطرهوني في موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (١/١٠)، ومحمد تجاني جوهرى في مقدمته لفضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٦٣ - ٦٤).

(٤) هو أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري أبو بكر الحافظ المحدث، أكثر جداً عن أبي عبد الله الحاكم، وأكثر من التصنيف، من مصنفاته: السنن الكبرى، والصغرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة، وغيرها، توفي سنة (٤٥٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٦٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/١١٣٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨/٤).

(٥) مناقب الشافعي (١/٢٤٦ - ٢٥٤).

(٦) ومنها الكتب التي اعتنت بذكر مؤلفاته، مثل: مناقب الشافعي لابن الأثير (ص ١٤٥ - ١٥٢)، وتوالي التأسيس لابن حجر (ص ١٥٤)، وانظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ٢٤٤)، ومما رجعت إليه أيضاً قصة الشافعي =

ولم أجد لهذا الكتاب ذكراً في الكتب المؤلفة في فضائل القرآن،
ككتاب «لمحات الأنوار» للغافقي^(١)، فقد نقل عن سبعين كتاباً، وليس
كتاب الشافعي منها، والله أعلم.

وهناك آخرون بعد الشافعي وقبل أبي عبيد نُسِبَ إليهم التأليف في
فضائل القرآن كالإمام عبد الرزاق الصنعاني^(٢) والواقدي^(٣).

= مع هارون الرشيد حينما سأله عن علوم القرآن فعدد عليه بعضها، ولم أجد
اسم الكتاب من بينها، انظر القصة في: مناقب الشافعي للبيهقي (١٣٠/١) وما
بعدها، ورجعت إلى ما بين يدي من الكتب التي تطرقت لموضوع خواص
القرآن ككتاب التميمي والياضي فلم أجد فيها نقلاً عن هذا الكتاب، ولم أظفر
إلا بنص واحد في البرهان (٦٤/٢) نقل عن الشافعي ولم ينص على كتابه،
ورجعت كذلك إلى كتب التراجم التي اعتنت بسرد مؤلفات الشافعي كالفهرست
لابن النديم (ص ٢٦٤)، ومعجم الأدباء (٢٤١٦/٦) فلم أجد أثراً لهذا
الكتاب.

(١) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الأندلسي الملاحى
المالكي، كان محدثاً أديباً مؤرخاً، كثير الرواية بارع الخط، من كتبه: تاريخ
علماء البيرة، والشجرة في الأنساب، والأربعين حديثاً وغيرها، توفي سنة
٦١٩هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ (١٤٠٢/٤)، ونيل الابتهاج (ص ٣٧٧)، وشذرات الذهب
(٨٦/٥).

(٢) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، الحافظ الكبير صاحب
المصنف، رحل إلى الأقطار ولقي الكبار، ورحل إليه الناس من سائر
الأمصار، حتى قيل: ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺ مثلما رحلوا
إليه، روى عنه ابن عيينة وأحمد وغيرهما، توفي سنة (٢١١هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٢١٦/٣)، وتذكرة الحفاظ (٣٦٤/١)، وتهذيب التهذيب
(٥٧٢/٢).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي، عالم بالمغازي
والسير، صنف التصانيف الكثيرة، قال البغدادي: «سارت الركبان بكتبه في
فنون العلم»، وقال الذهبي: «أحد أوعية العلم مع ضعفه المتفق عليه».

غير أن كتاب أبي عبيد يبقى متميزاً بينها - وإن لم نجزم بأوليته المطلقة^(١) - بمزايا منها:

أولاً: أنه أول كتاب ألف في فضائل القرآن يصل إلينا، إذ يوجد منه عدة نسخ خطية^(٢).

ثانياً: أن نسبة هذا الكتاب لأبي عبيد مقطوع بصحتها، لا شك في ذلك، فقد ذكره غير واحد من المترجمين له، ونقل العلماء منه^(٣).

ثالثاً: أنه أول كتاب يطبع في فضائل القرآن، فقد نشره المستشرقون قديماً^(٤).

رابعاً: شمولية تناوله لموضوع فضائل القرآن، فكتاب الشافعي مثلاً - على فرض صحته - يبحث في جزئية من جزئيات الموضوع وهي المنافع.

أما كتاب أبي عبيد ففيه مواضيع شتى؛ مثل: فضائل السور والآيات، وفضل حملة القرآن، وفضل قراءة القرآن، وما جاء في ختمه ونحو ذلك.

خامساً: أن كتابه يُعد عمدة في فضائل القرآن، من حيث شموليته في طرق الموضوع، وجلالة مؤلفه، فهو من العلماء الكبار، إلى جانب تقدم تأليف الكتاب.

= من مصنفاته: المغازي، والردة، وفتوح الشام، توفي سنة (٢٠٧هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٣/٣)، ووفيات الأعيان (٤/٣٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٤٥٤/٩).

(١) انظر: هذا القرآن د. صلاح الخالدي (ص ١٤٥).

(٢) انظرها في مقدمة الخياطي لكتاب أبي عبيد (١/٢١٧ - ٢٢٦).

(٣) المصدر السابق (١/٢٠١).

(٤) نشره المستشرق أيزن ويرتسل في مجلة إسلاميكا، انظر: تاريخ الأدب العربي القسم الأول (ص ٤٨١).

المطلب الثاني

مميزات التأليف في فضائل القرآن

امتاز التأليف في هذا الموضوع بمزايا عديدة ظهر لي منها ما يلي :

أولاً: كثرة المؤلفات في فضائل القرآن:

وكثرتها أمر ظاهر جداً لمن تتبعها في مظانها، وقد نص بعض العلماء على ذلك، يقول القرطبي:

«اعلم أن هذا الباب واسع كبير ألف فيه العلماء كتباً كثيرة»^(١).

وقد ذكر بعض الباحثين أن المؤلفات فيه تزيد على السبعين كتاباً حسب الحصر المبدئي^(٢)، بيد أنها أكثر مما ذكره تزيد على ضعف العدد الذي ذكره بكثير كما سترى إن شاء الله تعالى.

ومما يُظهرُ كثرتها مواكبتها لعصر تدوين العلوم الإسلامية، فلم يخل عصر من العصور الإسلامية من عدة مؤلفات في الموضوع.

بل إن بعض العلماء صنف فيه أكثر من كتاب، مثل: الفيروزآبادي وابن طولون، وعلي القاري^(٣)، وغيرهم.

وعند النظر في فهارس المخطوطات تطالعك مخطوطات كثيرة جداً في هذا الموضوع يأتي ذكرها، وهناك مخطوطات كثيرة مجهول مؤلفوها^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/١).

(٢) قاعدة في فضائل القرآن مقدمة المحقق (ص ١٦).

(٣) ستاتي ترجمة لهؤلاء وغيرهم ممن ستاتي أسماؤهم بعد ذكر مؤلفاتهم في المطلب الخامس إن شاء الله تعالى.

(٤) انظرها في الفهرس الشامل للتراث «التفسير وعلومه» (٩٠٦/٢ - ٩١٢).

ثانياً: سعة التأليف في هذا الموضوع:

والمقصود به الإسهاب والإطناب في عرض الموضوع وإعطاؤه حقه من التأليف، من حيث كثرة التبويب والتنويع، وكثرة إيراد الفضائل والتدليل عليها.

ويظهر التوسع في التأليف في هذا الموضوع من جهتين:

الأولى: أن هناك مؤلفات عامة في الموضوع^(١) اتسمت بالتوسع والإسهاب، والإكثار من الأبواب والأنواع، مع كثرة التدليل عليها أحياناً.

ومن الكتب التي امتازت بذلك كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام، فقد بلغت أبوابه ثمانية وستين باباً، اشتملت على كثير من الأحاديث والآثار، ولذلك أصبح هذا الكتاب مصدراً ثراً لما جاء بعده من الكتب.

ومنها: كتاب «فضائل القرآن» لجعفر بن محمد المستغفري أطال مؤلفه فيه النفس جداً، فبلغت أوراق المخطوط على ما فيها من نقص مائتين وثمان وعشرين ورقة وعددت من أبوابه مائة وأربعة وثمانين باباً، وفي بعضها إطالة واستطراد ظاهر، مثل الباب المتعلق بفضل سورة الإخلاص^(٢).

ومن الكتب الكبيرة في هذا الموضوع: كتاب «لمحات الأنوار» لمحمد بن عبد الواحد الغافقي، طبع في ثلاثة مجلدات كبار في أكثر من ألف وخمسمائة صفحة، فيها قرابة ألفي حديث وأثر، موزعة على

(١) ويقصد بها الكتب التي ألفت في فضائل القرآن عموماً، فلم تختص بالكلام عن جزئية من جزئياته، ولذلك يأتي العنوان عاماً «فضائل القرآن».

(٢) من الورقة (١١٥١ - ١١٦٢)، وقد طبع الكتاب أخيراً عام ١٤٢٧هـ.

ثلاثمائة وأربعة وثلاثين باباً، فهو بحق أكبر كتب فضائل القرآن حجماً، وأوسعها عرضاً جمعه مؤلفه من سبعين مصدراً كما ذكرها في مقدمة كتابه وخاتمته^(١).

ومنها: كتاب «هداية الإنسان» ليوسف بن حسن بن عبد الهادي، فقد بلغت أوراق مخطوطته في إحدى نسخها ثلاثمائة وثلاثاً وعشرين ورقة، وبلغت أبوابه مائة باب^(٢).

الثانية: تخصيص بعض الأنواع والجزئيات فيه بمؤلفات خاصة قد تطول أحياناً، وهناك جزئيات صغيرة جداً في الموضوع أفردت فيها كتب خاصة، ومن الأمثلة على ذلك: التأليف في فضل قراءة القرآن، أو فضل أهله وحملته، أو فضل تفسيره وعلومه، وكذلك التأليف في فضائل السور والآيات خاصة، وتجاوز الأمر إلى إفراد بعض السور والآيات في مؤلفات خاصة، ويلاحظ هنا تميز بعض السور والآيات بكثرة التأليف فيها، مثل: سورة «يس»، وسورة «الإخلاص»، والبسملة، وآية الكرسي. وهذا الأمر بالنظر إلى عناوين المؤلفات، وقد لا يقتصر بعضهم على ما عنون له، فيدخل معه غيره.

ومن التوسع في التأليف في فضائل القرآن، ما ألفه بعض العلماء في أحاديث الفضائل كحديث: «شيبطني هود»^(٣)، فقد أفرد له بعض العلماء مؤلفاً خاصاً.

(١) لمحات الأنوار (١/٨ - ١٧)، (٣/٣٤١ - ١٤١٦).

(٢) انظر هذه الأبواب في: مقدمة ابن عبد الهادي من (ص ٣ - ٩) بتحقيق محمد أنور عمر.

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (٣٦/٩)، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه»، وأخرجه من حديث ابن عباس: الحاكم =

وكذلك حديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(١).

ثالثاً: ومن مزايا التأليف في هذا الفن أنه بدأ مبكراً جداً مواكباً بداية تدوين العلوم الإسلامية الأخرى، ولو سلم بصحة الكتاب المنسوب لأبي بن كعب، فإن التأليف فيه يعد أول العلوم الإسلامية تدويناً، وقد تقدم نقد هذه النسبة في المطلب الأول.

وفي الجملة فهناك مؤلفات في هذا الفن صنفها علماء متقدمون، مثل: محمد بن عمر الواقدي، وعبد الرزاق الصنعاني، وأبي عبيد القاسم بن سلام، ويحيى الحِمَّاني، وغيرهم، فاهتمام العلماء به قديم جداً.

رابعاً: أن هذا الفن تناوله بالتأليف علماء أجلاء كبار من أمثال: الإمام أحمد، وعبد الرزاق، وأبي عبيد، وابن أبي شيبة، وجعفر بن محمد الفريابي، مروراً بابن عبد البر، والضياء المقدسي (محمد بن عبد الواحد)، وأبي العباس بن تيمية، وشمس الدين الذهبي، وابن رجب، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم كثير.

وكون التأليف في هذا الموضوع ينال من اهتمام هؤلاء العلماء

= في المستدرك (٣٤٣/٢، ٤٧٦)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وحسنه السيوطي، ونقل عن الدارقطني تعليقه، وعن ابن دقيق العيد تصحيحه، انظر: الدرر المنتثرة (ص ١٢٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٦/١٧)، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧/٧): «رجاله رجال الصحيح»، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٣١٩/٣)، وصحح الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧٦/٢)، وانظر تخريجاً موسعاً لطرق هذا الحديث في: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (٢٩٣/١ - ٣٠٨).

(١) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيِّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ (٢٠٩/٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبار، ويأخذ من أوقاتهم فيخصوه ويفردوه بالتأليف والتصنيف، يدل على شرفه وفضله.

خامساً: وهي ميزة خاصة ببعض المؤلفات في فضائل القرآن، فقد امتاز بعضها بكونه أصلاً في هذا الباب، وعمدة يرجع إليه، وهذا شأن الكتب المتقدمة التي تروي بالأسانيد إلى النبي ﷺ.

مثل: كتاب أبي عبيد، وابن أبي شيبة، وابن الضريس والفريابي ونحوها.

سادساً: امتازت بعض المؤلفات في فضائل القرآن بالتحقيق والانتقاء، ونقد الأحاديث والاعتماد على الصحيح، وهذا له فائدة من حيث اطمئنان القارئ والمتلقي إلى ما فيها، ومن أمثلة هذه الكتب: كتاب الضياء المقدسي، وكتاب ابن كثير.

فغالب ما في كتاب الضياء المقدسي مخرج في الصحيحين أو أحدهما، وابن كثير اعتمد في كتابه على صحيح البخاري اعتماداً كلياً سوى الفصل الأخير، وقد أورد فيه مجموعة من جياد الأحاديث^(١).

المطلب الثالث

طرق التأليف في فضائل القرآن

لم يلتزم العلماء في تناول هذا الموضوع طريقة محددة، ولم يسيروا في التصنيف سيرة واحدة، فقد تعددت طرقهم في عرضه، وليس هذا متعارضاً مع ما تقدّم أولاً من أن التأليف فيه سار - في الغالب -

(١) ومن الكتب المعاصرة: كتاب محمد رزق طرهوني «موسوعة فضائل سور وآيات القرآن القسم الصحيح»، وكتاب محمد موسى نصر «فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة».

على طريقة واحدة وهي سرد الأحاديث والآثار وتبويبها^(١)، فإن هذا غير ما نريد الكلام عنه، فالكلام - هنا - حول المؤلفات ومسلك العلماء فيها، والموضوعات التي يطرقها المؤلفون فيها، وليس الحديث في طريقة كلام تلك المؤلفات عن الموضوع.

ويمكن إجمال طرق التأليف في فضائل القرآن في قسمين:

القسم الأول: من حيث عموم التأليف فيه، وعدم الاختصار على أنواع أو نوع محدد، وللعلماء في ذلك طريقتان:

١ - من تناول هذا الموضوع بطريقة شمولية عامة غير مقتصر على نوع أو أنواع محدودة، فجاء كتابه عاماً في الموضوع، تحت مسمى عام، وهذا كثير في كتب فضائل القرآن، فيحمل كثير منها اسم: فضائل القرآن، أو فضله، أو ثوابه.

وعند النظر فيما طبع منها نجدها تتناول الموضوع بطريقة شمولية، فتتكلم عن فضل القرآن وفضل أهله وحملته، وفضل قراءته، وفضل سورة وآياته، فكلامها عن فضائل القرآن شمولي، لا يتناول جانباً دون آخر، وتختلف في هذا العرض إيجازاً وإطناباً، واختصاراً وإسهاباً.

وممن تناول موضوع فضائل القرآن بعمومية وإسهاب القرطبي في كتابه «التذكار في أفضل الأذكار»، فقد حوى كتابه أربعين باباً اشتملت على أنواع كثيرة من فضائل القرآن، مثل: الحديث عن فضل القرآن الكريم وشرفه في ذاته، وشرفه على غيره من الأذكار والكتب السابقة، وكذلك الحديث عن فضل حامل القرآن وتاليه، وحملته، وفضل تلاوة القرآن وحفظه وختمه وما يتعلق بذلك، كما أن ثلث الكتاب تقريباً مختص بالحديث عن فضائل السور والآيات في باب واحد هو الباب

(١) انظر: المقدمة (ص ٦)

المتمم للأربعين^(١).

٢ - من تناول نوعاً من أنواع فضائل القرآن، أو جزئية من جزئياته، فخص بعض الجزئيات بمؤلف مستقل، وهذا كثير، وقد سبقت الإشارة إلى بعض أمثله.

وننبه هنا إلى أن بعض الجزئيات والأنواع حظي بكثرة التأليف فيه، كبعض السور والآيات.

ومن السور التي خصت بمؤلفات: سورة الفاتحة، ويس، والإخلاص، فالأخيرة ألف فيها أبو نعيم الأصبهاني، وأبو الحسن الخلال، والخطيب البغدادي، وغيرهم.

ومن الآيات التي خُصت بمؤلفات: البسملة، وآية الكرسي، والأخيرة ألف فيها عبد المؤمن الدمياطي، والذهبي، وإبراهيم البقاعي، وابن طولون، ويوسف الأرميوني، وغيرهم.

القسم الثاني: من حيث الاختصار في التأليف على هذا الموضوع أو عدم الاختصار عليه وضم غيره إليه، وهذا القسم شامل للمؤلفات الشمولية، والمؤلفات المقتصرة على بعض أنواع فضائل القرآن، وللعلماء في هذا طريقتان:

١ - من قصر مؤلفه على فضائل القرآن، ولم يدخل فيه غيرها، فلا ترى العنوان يحمل سواها، وهذا هو الغالب في المؤلفات.

٢ - من لم يقصر مؤلفه على فضائل القرآن، بل أدخل فيه غيره، مثل: كتاب أبي عبيد جعل عنوانه: «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»، وكذلك كتاب محمد بن أيوب بن الضريس: «فضائل القرآن، وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة»، ومثل جزء شرف الدين

(١) من (ص ٢٢٥ - ٣١٥).

الدمياطي في «فضل آية الكرسي والذكر والدعاء أدبار الصلوات». واعلم أن هذا الأمر بالنظر إلى عناوين كتب فضائل القرآن، أما لو نظرنا إلى محتواها فقد يختلف الأمر تماماً، فكثير من كتب فضائل القرآن تذكر مع الفضائل ما ليس منها إلا من وجه بعيد، مثل: كتاب المستغفري «فضائل القرآن»، تكلم عن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وتحديث عن جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ، واختلاف المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار^(١).

وكذلك كتاب القرطبي «التذكار»، خصص الأبواب الثلاثة الأولى للحديث عن القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، وعن تنزل القرآن، وأسمائه وترتيب سورة وآياته، وأنه نزل على سبعة أحرف^(٢).

وإنما ذكرتُ هذا الأمر لأن كثيراً من المؤلفات تذكر ضمن كتب فضائل القرآن مع اشتغالها على غير الفضائل، ولم يمنعها ذلك من أن تذكر ضمنها.

وقد يكون نصيب فضائل القرآن في بعض هذه الكتب أقل بكثير مما أدرج معها مما ليس من فضائل القرآن، ومع ذلك ضُمت إلى المؤلفات فيها، لأن تنصيب المؤلف على فضائل القرآن في عنوان كتابه دال على مزيد عنايته بها.

مثل كتاب عبد الله بن أسعد اليافعي - الآتي ذكره - «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز».

حوى هذا الكتاب عشرة أبواب نصيب فضائل القرآن منها باب واحد فقط^(٣)، وباقي الأبواب في الوعظ وفضل الذكر والدعاء والاستغفار ونحو ذلك.

(١) انظر: ورقة (٢٧ ب - ٤٠ ب).

(٢) انظر (ص ١٨ - ٣٨).

(٣) هو الباب الرابع من (ص ١٨٥ - ٢٠٤).

ومما يندرج تحت هذا أن بعض المصنفين لم يقصد تناول موضوع فضائل القرآن بذاته، وإنما قصد أمراً آخر، كتخريج حديث أو نقده، أو شرحه وبيان معناه، ومع ذلك أدرج كتابه ضمن المؤلفات؛ لأنه مما يخدم هذا الموضوع خدمة أولية، مثل: كتاب الخطيب البغدادي في تخريج حديث: «أبعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟»^(١)، وكتاب ابن تيمية حول هذا الحديث «جواب أهل العلم والإيمان»، وكتاب الزبيدي - صاحب «تاج العروس» - في تخريج حديث: «شيتني هود»^(٢) وغيرهم.

المطلب الرابع

الخدمة العلمية لمؤلفات فضائل القرآن

والكلام عن هذا المطلب في أمور أربعة:

الأول: لقيت بعض المؤلفات في هذا الموضوع اهتماماً من قبل العلماء، إما بالاختصار أو الاختيار والانتقاء. شأنها في ذلك شأن الكتب الأخرى.

فكتاب الغافقي «لمحات الأنوار» له منتخب، انتخبه عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد، وكتاب الضياء المقدسي (محمد بن عبد الواحد) «فضائل القرآن»، انتقى منه ابن طولون الدمشقي أربعين حديثاً، وكتاب

(١) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد (١٠٥/٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وتمام الحديث: «فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينما يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن»، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (٥٥٦/١)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: «أبعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن».

(٢) سبق تخريجه قريباً.

الحافظ ابن كثير الدمشقي، له أكثر من اختيار ستأتي إن شاء الله، وكذلك كتاب ابن رجب الحنبلي «الاستغناء بالقرآن»، هذبه ورتبه يوسف بن عبد الهادي (ابن المبرد) في كتابه «هداية الإنسان»^(١).

الثاني: أفردت بعض المؤلفات لدراسة جوانب وجزئيات في الفضائل ونقدها.

وقد مر ذكر بعضها ككتاب الخطيب البغدادي في تخريج حديث: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»، وكتاب الزبيدي في تخريج حديث: «شيبني هود»، وهناك رسالتان للصغاني في التنبيه على الوضع في فضائل القرآن، وغيرها^(٢).

وهذه الكتب قليلة جداً بالنسبة للكتب التي لذكر الفضائل والتدليل عليها، وهذا مما يؤخذ على التصنيف في فضائل القرآن، قلة الدراسات النقدية المفردة فيه، مع حاجته الشديدة لذلك؛ نظراً لكثرة الدخيل فيه.

الثالث: يلحظ الناظر في المؤلفات في فضائل القرآن اختزال بعضها من كتب أخرى، فلم تؤلف مستقلة بادی الأمر، وإنما كانت ضمن كتب أخرى، وهذا الأمر جارٍ فيما تصرف فيه الناشر، وفيما يُذكر أن لفلاً كتاباً في فضائل القرآن سواء كان مفقوداً أو مخطوطاً.

وقد درجت على ذكرها في المؤلفات؛ لأن بعضها أخذ طابع الكتاب المستقل، ولذلك يُعزى إليه دون أصله، وجرى بعض المصنفين على ذكره استقلالاً.

فكتاب الحافظ ابن أبي شيبه «ثواب القرآن» مال بعض الباحثين إلى

(١) نص على ذلك في مقدمته (ص ٣).

(٢) مثل كتاب د. محب الدين واعظ «فضائل سورة يس في ميزان النقد»، وكتاب ناصر الشريف في حديث: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن» رواية ودراسة.

أنه في الأصل ضمن مصنفه^(١)، وعندما خرَّجَ محقق كتاب الغافقي «لمحات الأنوار» أحاديثه التي عزاها لكتاب ابن أبي شيبة، اكتفى بالإحالة إلى مصنفه، وقد ألمح ابن حجر العسقلاني إلى ذلك، فقال عندما ذكر إسناده إلى مصنف ابن أبي شيبة، قال: «وقد وقع لي منه عدة كتب مفرقة تأتي بذاتها فيما بعد»^(٢)، ثم ذكر «ثواب القرآن» له^(٣).

وكذلك كتاب النسائي «فضائل القرآن» طبع مستقلاً، وهو موجود ضمن «السنن الكبرى»^(٤).

وكتاب ابن كثير «فضائل القرآن» هو في الأصل مقدمة لتفسيره «تفسير القرآن العظيم»، وقد طبع مستقلاً.

وعند النظر في فهارس المخطوطات نجد مخطوطات في هذا الموضوع نقلت أو أفردت من كتب أخرى لمؤلفيها، مثل مخطوط لابن حجر الهيتمي المكي - يأتي في محله - منقول من كتاب آخر له.

والمطبوعات الحديثة لم تسلم من هذا، فشرح ابن حجر العسقلاني لكتاب «فضائل القرآن» في فتح الباري نشر في كتاب مستقل، ومقدمة القرطبي لتفسيره «الجامع لأحكام القرآن» طبعت في كتاب مستقل.

(١) تهذيب وترتيب الإتيان لـ د. محمد عمر بازمول (ص ٣١).

(٢) المعجم المفهرس (ص ٥١).

(٣) المصدر السابق (ص ١١٠).

(٤) في الجزء الخامس (ص ٣ - ٣٤)، وقد أحال المزي في «تحفة الأشراف» أحاديثه إلى السنن الكبرى، مع فصله كتاب عمل اليوم والليلة عنها. انظر: تحفة الأشراف (٣/١ - ٤)، ويشبه صنيعه هذا بما فعله في تهذيب الكمال، فإنه فصل كتاب عمل اليوم والليلة، وكتاب خصائص علي عن السنن الكبرى. انظر: تهذيب الكمال (١٥٠/١)، وقد عابه ابن حجر على ذلك، لأنها جاءت في روايات أخرى ضمن السنن الكبرى. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/١).

الأمر الرابع: يتعلّق بنشر كتب فضائل القرآن وتحقيقها. فقد حظيت بعض كتب فضائل القرآن بعناية واهتمام من قبل الباحثين والناشرين.

فهناك خمسة كتب حققت في رسائل عملية، وهي كتاب أبي عبيد، وابن الضريس، والفريابي، والغافقي، وابن عبد الهادي.

ولعل أكثر كتب فضائل القرآن عناية واهتماماً من قبل الباحثين كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام حقق في رسالتين علميتين، كما أن المستشرقين نشره قديماً، وله تحقیقات أخرى^(١).

وقريب منه كتاب ابن كثير حقق ونشر عدة مرات من أقدمها طبعة القاهرة عام ١٣٤٧هـ^(٢).

وكذلك كتاب القرطبي «التذكار في أفضل الأذكار» نشر قديماً في مصر عام ١٣٥٥هـ، بعناية أحمد بن الصديق الغماري، ثم حقق وطبع عدة مرات.

فهذه الكتب الثلاثة أشهر كتب فضائل القرآن وأقدمها عناية ونشراً. وقد بلغ عدد المخطوطات التي حققت في فضائل القرآن ستاً وعشرين مخطوطة، وهناك عدد كبير منها لا يزال حبيس الأرفف مع أهمية نشر بعضها، والنصيب الأكبر من المؤلفات في هذا الفن لا يزال في عداد المفقود.

وبلغ عدد المؤلفات الحديثة المطبوعة واحداً وثلاثين كتاباً.

(١) حققه وهبي سليمان غاوجي، نشرته دار الكتب العلمية ببلنات عام ١٤١١هـ، وحققه مروان العطية وآخران، نشرته دار ابن كثير بدمشق الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ).

(٢) ومن أحسن تحقیقاته تحقیق أبي إسحاق الحويني نشرته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة عام ١٤١٦هـ.

المطلب الخامس

ذكر المؤلفات في فضائل القرآن

بين يدي المؤلفات:

اعتنى بعض الباحثين بذكر المصنفات في فضائل القرآن، وأوسع من ذكرها: الدكتور: ابتسام مرهون الصفار، في كتابها «معجم الدراسات القرآنية»^(١)، والدكتور: علي شواخ إسحاق في كتابه «معجم مصنفات القرآن الكريم»^(٢)، والدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي في تحقيقه لكتاب الزركشي «البرهان في علوم القرآن»^(٣).

وقد أدرج هؤلاء الثلاثة - كلهم أو بعضهم - المصنفات المتعلقة بخواص القرآن ومنافعه، وأسراره، وآداب قراءته وتلاوته^(٤) مع المصنفات في فضائل القرآن نظراً لوجود الترابط بينهما.

كما ذكروا مؤلفات في الموضوع لمؤلفين مجهولين، ومخطوطات مجهولة المؤلف، وقد استبعدت ذلك كله، مقتصرراً على المؤلفات الخاصة بالفضائل فقط دون الخواص والمنافع، وإن تسمى بعضها بفضائل القرآن، إذا تبين لي ذلك، وقد استفدت من هؤلاء الثلاثة، ومع ذلك فقد فاتهم شيء كثير مما ذكرته، والله الموفق.

وفي عرضي للمؤلفات، اقتصرت على من له ترجمة وتاريخ وفاة، وإن كان في صحة نسبة الكتاب إليه شيء بينت ذلك أو أحلت إليه.

(١) من (ص ٤٠٧ - ٤٢٢).

(٢) الجزء الثالث من (ص ٣١١ - ٣٢٢).

(٣) الجزء الثاني (ص ٥٦) حاشية رقم (٣).

(٤) أفرد المرعشلي المؤلفات الخاصة بالخواص والمنافع وآداب التلاوة في أنواعها الخاصة بها في البرهان، بينما أدرجها الآخرون مع الفضائل.

وقد رتبت المؤلفات - عدا المؤلفات الحديثة - على الترتيب الزمني لوفاة مؤلفيها مبتدئاً بأقدمهم وفاة^(١)، ذاكراً اسم المؤلف ونسبه وكنيته وتاريخ وفاته، ثم مصنفه، فإن كان مخطوطاً ذكرت مكان وجوده ورقمه، وإن كان مطبوعاً بينته، وإن كان الكتاب لا يزال في عداد المفقود سكت عنه .

وفي الحاشية أذكر المصادر الموثقة له أولاً، لأن توثيق الكتاب هو الأهم، ثم أذكر المصادر المترجمة للمؤلف، وإن كان المصدر الموثق للكتاب من مصادر الترجمة، وهذا كثير جداً اكتفيت بذكره مع العزو للصفحة التي فيها ذكر الكتاب، وتجنباً للتكرار بين مصادر التوثيق، ومصادر الترجمة وضعت نجمة (*) علامة على الفصل بين مصادر التوثيق ومصادر الترجمة، وقد أستطرد في ذكر المصادر الموثقة للكتاب؛ لأن هذا الاستطراد له قيمته العلمية من حيث ازدياد الثقة بنسبة الكتاب لصاحبه، إضافة إلى إشعاره بانتشار الكتاب وذيوعه بين العلماء، كما يوحي بمكانته بين مصنفات صاحبه .

أما المؤلفات الحديثة فقد رتبته على حروف المعجم أ، ب، ت... بالنسبة لمؤلفيها، فأذكر المؤلف أولاً، ثم اسم الكتاب وناسره وتاريخ نشره .

ولأن لبعض العلماء أكثر من مصنف في فضائل القرآن، وحرصاً على معرفة عدد المصنفين والمصنفات في هذا الموضوع، فقد وضعت ترقيمين:

أحدهما بخط كبير لأسماء المصنفين .

والآخر بخط صغير لأسماء المصنفات، والله الموفق .

(١) فإن اتفقوا في سنة الوفاة رجعت إلى الشهر، فإن لم أجد شهر وفاة لأحدهم، رجعت إلى ترتيب المصنفين على حروف المعجم أ ب ت ث...

- ١ - أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد النَّجَّاري الخزرجي الأنصاري، (ت ١٩هـ).
- ١ - ذكر ابن النديم أن له كتاباً في فضائل القرآن، وقد تقدّم الكلام عنه في المطلب الأول^(١).
- ٢ - أبو عُمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي التيمي المقرئ، (ت ١٥٦هـ).
- ٢ - منام في فضيلة من حفظ القرآن. مخطوط في مكتبة كوبريلي باستامبول برقم (١٦٣١) ضمن مجموع^(٢).
- ٣ - أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطليبي القرشي الإمام المتبوع، (ت ٢٠٤هـ).
- ٣ - ذكر غير واحد أنه أول من ألف في فضائل القرآن، وقد تقدّم الكلام عنه في المطلب الأول^(٣).
- ٤ - أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني، (ت ٢٠٧هـ).
- ٤ - الترغيب في علم القرآن، وله كتاب آخر باسم «ذكر القرآن»^(٤).

(١) انظر (ص ٦٥).

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي (٣٩٦/٢)، وذكر المفهرس أنه من رواية مجاعة بن الزبير عنه، وبحث عنه في ترجمة حمزة وتلميذه فلم أعثر عليه، فلعله من صنيع بعض تلاميذ مجاعة أو غيره * ومعرفة القراء الكبار (١/ ١١١)، وسير أعلام النبلاء (٩٠/٧)، وغاية النهاية (١/ ٢٦١).

(٣) انظر (ص ٦٦).

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ١١١)، وفيه: «الترغيب في علم المغازي»، وفي طبعة دار المعرفة (ص ١٢٨) «الترغيب في علم القرآن»، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٥٩٨)، وهدية العارفين (١٠/ ٢).

- ٥ - أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني،
(ت ٢١١هـ).
- ٥ - فضائل القرآن^(١).
- ٦ - الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البَطَّائني الكوفي الشيعي كان
حيّاً قبل سنة أربع وعشرين ومائتين.
- ٦ - فضائل القرآن^(٢).
- ٧ - أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري الهروي البغدادي، (ت محرم
٢٢٤هـ).
- ٧ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، نشره المستشرقون قديماً، وحقق
في رسالتين علميتين:
- الأولى: في جامعة أم القرى لنيل درجة «الماجستير»، وقام
بتحقيقه محمد تجاني جوهرى عام (١٣٩٣هـ).
- الثانية: في دار الحديث الحسنية بالمغرب لنيل دبلوم
الدراسات الإسلامية العليا، وقام بتحقيقه أحمد بن عبد الواحد
الخياطي، ونشرت هذه الرسالة عام (١٤١٥هـ).
- ٨ - أبو علي الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر السَّرَّاد أو الزَّرَّاد
الكوفي الشيعي، (ت ٢٢٤هـ).
- ٨ - فضائل القرآن^(٣).

(١) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (١٠٧٦/٢)، وسير أعلام النبلاء
(٤٨٣/١٩).

(٢) لسان الميزان (٢/٢٩٠)، ومعالم العلماء لشهراشوب (ص ٣٥) * والفهرست
للطوسي (ص ٧٥)، ومعجم المؤلفين (٣/٢٥٣).

(٣) هدية العارفين (١/٢٦٦)، ومعجم المؤلفين (٣/٢٧٣) * والفهرست لابن =

٩ - أبو إسحاق إسماعيل بن عمرو بن نجيح البجلي الكوفي ثم الأصبهاني، (ت ٢٢٧هـ).

٩ - فضائل القرآن^(١).

١٠ - أبو جعفر محمد بن الفضل بن جابر بن شاذان السَّقَاطِي، (ت رمضان ٢٢٨هـ).

١٠ - فضائل القرآن^(٢).

١١ - أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون الحِمَّاني الكوفي، (ت رمضان ٢٢٨هـ).

١١ - فضائل القرآن^(٣).

١٢ - أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن غراب البغدادي البزار المقرئ، (ت ٢٢٩هـ).

١٢ - فضائل القرآن^(٤).

= النديم (ص ٢٧٦)، والفهرست للطوسي (ص ٧١)، ومعالم العلماء (ص ٣٣)،
ولسان الميزان (٢/٣٠٧).

(١) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (٢/١٠٧٧)، وسير أعلام النبلاء (١٩/٤٨٤) * والجرح والتعديل (٢/١٩٠)، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/٢٥٠)، وميزان الاعتدال (١/٢٣٩)، ولسان الميزان (١/٤٧٤).

(٢) الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها (ص ٩٣)، وعزاه لمخطوط في الظاهرية في تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب لمحمد بن أحمد المالكي * وتاريخ بغداد (١٣/١٥٣).

(٣) الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها (ص ٩٣)، وعزاه للمخطوط المذكور في الحاشية السابقة * وتاريخ بغداد (١٤/١٦٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/٤٢٣)، وميزان الاعتدال (٦/٦٦)، وتهذيب التهذيب (٤/٣٧٠).

(٤) المعجم المفهرس لابن حجر (ص ١٠٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٦٩)، =

١٣ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي، (ت ٢٣٥هـ).

١٣ - ثواب القرآن^(١)، وقد تقدم أن البعض يراه جزءاً من المصنف^(٢).

١٤ - أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الأندلسي المالكي، (ت ٢٣٨ أو ٢٣٩هـ).

١٤ - رغائب القرآن^(٣).

١٥ - أبو الفضل أحمد بن المُعَذَّل بن غيلان بن الحكم بن المختار العبدي البصري المالكي، (ت ٢٤٠هـ).

١٥ - فضائل القرآن^(٤).

١٦ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البغدادي الإمام المتبوع، (ت ٢٤١هـ).

= وصلة الخلف (ص ٣١٦) * وتاريخ بغداد (٣٢٢/٨)، ومعرفة القراء الكبار (١/٢٠٨)، وغاية النهاية (١/٢٧٢).

(١) لمحات الأنوار (٨/١)، والمعجم المفهرس (ص ١١٠)، وكشف الظنون (١/٥٢٦)، وهدية العارفين (١/٤٤٠)، والرسالة المستطرفة (ص ٥٨) * وتاريخ بغداد (١٠/٦٦)، وتذكرة الحفاظ (٢/٤٣٢)، وتهذيب التهذيب (٢/٤١٩).

(٢) انظر (ص ٧٩).

(٣) لمحات الأنوار (١٠/١)، وترتيب المدارك (٣/٣٦)، والديباج المذهب (ص ٢٥٥)، ولسان الميزان (٤/٧٢)، وكشف الظنون (١/٩٠٩)، وهدية العارفين (١/٦٢٤) * وتاريخ علماء الأندلس (ص ٢٢١).

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٩٤)، وتاريخ التراث العربي لسزكين (٢/٥٨/٤) * وترتيب المدارك (١/٥٥٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/٥١٩)، والديباج المذهب (ص ٨٣).

- ١٦ - فضائل القرآن^(١).
- ١٧ - أبو الوليد هشام بن عمار بن نُصير بن ميسرة السُّلَمي الدمشقي المقرئ، (ت ٢٤٥هـ).
- ١٧ - فضائل القرآن^(٢).
- ١٨ - أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي البغدادي المقرئ النحوي الضرير، (ت ٢٤٦هـ).
- ١٨ - فضائل القرآن^(٣).
- ١٩ - أبو سعيد عباد بن يعقوب الأسدي الرَّوَاجِيني الكوفي الشيعي، (ت ٢٥٠هـ).
- ١٩ - فضائل القرآن^(٤).
- ٢٠ - أبو الفضل العباس بن الفرّج بن علي الرِّيَاشي البصري النحوي، (ت ٢٥٧هـ).

(١) نقل عنه ابن عبد الهادي في هداية الإنسان (ص ٩٢، ٥٠٩، ٥١٠) ونص في الأخيرة على كلمة كتاب.

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٥٣/٢)، والأعلام (٧٨/٨) * ومعرفة القراء الكبار (١/١٩٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/٤٥١)، وغاية النهاية (٢/٣٥٤)، وتهذيب التهذيب (٤/٢٧٦).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٦٦) * وتاريخ بغداد (٨/٢٠٣)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٩١)، وغاية النهاية (١/٢٥٥).

(٤) الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها (ص ٩٣) نقلاً عن مخطوط الظاهرية في تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب * والتاريخ الكبير (٣/٢/٤٤)، والجرح والتعديل (٦/٨٨)، وميزان الاعتدال (٣/٩٣)، وتهذيب التهذيب (٢/٢٨٤).

٢٠ - فضائل القرآن^(١).

٢١ - أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن مُزَيْن القرطبي المالكي، (ت ٢٥٩ أو ٢٦٠هـ).

٢١ - فضائل القرآن^(٢).

٢٢ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقي الكوفي الشيعي، (ت ٢٧٤هـ).

٢٢ - فضل القرآن.

٢٣ - ثواب القرآن، اكتفى بعض المصنفين بواحد منهما، ونص آخرون على أنهما ضمن كتابه الكبير «المحاسن»^(٣).

٢٣ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي البغدادي الشهير بابن أبي الدنيا، (ت ٢٨١هـ).

٢٤ - «فضائل القرآن»^(٤).

(١) تاريخ التراث العربي (١/١/٥٢) * وطبقات النحويين واللغويين (ص ٩٧)، وتاريخ بغداد (١٢/١٣٧)، وإنباه الرواة (٢/٣٦٧)، ووفيات الأعيان (٣/٢٧)، ومعجم الأدباء (٤/١٤٨٣).

(٢) فهرسة ابن خیر (ص ٦٢)، وتاريخ علماء الأندلس (ص ٤٣٣)، والديباج المذهب (ص ٤٣٦)، وتاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٥١ - ٢٦٠هـ) (ص ٣٦٨)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٣٦٩)، وهدية العارفين (٢/٥١٦) * وجذوة المقتبس (ص ٣٣٧).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٢٧٧)، ومعجم الأدباء (١/٤٣٢)، والفهرست للطوسي (ص ٤٥)، ومعالم العلماء (ص ١٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٧٢)، وهدية العارفين (١/٦٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/٤٠٣) * وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/١٩٢)، وتاريخ بغداد (١٠/٨٩)، وتذكرة الحفاظ (٢/٦٧٧)، وتهذيب التهذيب (٢/٤٢٤).

٢٤ - أبو محمد علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المحمدي الشيعي،
(ت ٢٨٥هـ).

٢٥ - فضائل القرآن^(١).

٢٥ - أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني البصري،
المشهور بابن أبي عاصم، (ت ٢٨٧هـ).

٢٦ - فضائل القرآن^(٢).

٢٦ - أبو الحسن علي بن حسن بن علي بن فضال بن عمرو الكوفي
الشيعي، (ت ٢٩٠هـ).

٢٧ - فضائل القرآن^(٣).

٢٧ - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصَّفَّار القمي الشيعي
الأعرج، (ت ٢٩٠هـ).

٢٨ - فضل القرآن^(٤).

٢٨ - أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضُرَيْس البجلي الرازي،
(ت ٢٩٤هـ)^(٥).

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩ - ٤٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٩٢)
* والفهرست للطوسي (ص ١١٥)، ومعالم العلماء (ص ٦٢)، وميزان الاعتدال
(٤/٣١)، ولسان الميزان (٤/٢٢١).

(٢) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (٣/١٦٨٨) * وسير أعلام
النبلاء (٣/٤٣٠)، وتذكرة الحفاظ (٢/٦٤٠)، وشذرات الذهب (٢/١٩٥).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وترجم له (ص ٢٧٨)، وطبقات المفسرين
لِلداودي (١/٤٠٣) * والفهرست للطوسي (ص ١١٨)، ومعالم العلماء
(ص ٦٥)، والأعلام (٤/٢٧٢).

(٤) إيضاح المكنون (١/١٩٩)، وهدية العارفين (٢/٢٤)، ومعجم المؤلفين (٩/
٢٠٨) * والفهرست للطوسي (ص ١٧٠)، ومعالم العلماء (ص ١٠٢).

(٥) انظر في ترجمة ابن الضريس: الجرح والتعديل (٧/١٩٨)، وتذكرة الحفاظ =

٢٩ - فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة.

حقق في رسالة علمية لنيل درجة «الماجستير» من جامعة الملك سعود، وقام بتحقيقه مسفر سعيد الغامدي عام (١٤٠٣هـ)، ثم نشره عام (١٤٠٨هـ)، ونشر في نفس العام بتحقيق غزوة بدير.

٢٩ - أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، (ت ٢٩٧هـ).

٣٠ - فضائل القرآن^(١).

٣٠ - أبو بكر عبد السلام بن أحمد بن سهيل بن مالك بن دينار البصري، (ت ربيع الآخر ٢٩٨هـ).

٣١ - ثواب القرآن العظيم. مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٩/٢٨٨٦)^(٢).

٣١ - أبو شُبَيْل عبيد الله بن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي، (ت ذي القعدة ٢٩٨هـ).

٣٢ - فضائل القرآن^(٣).

= (٢/٦٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٤٤٩).

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وطبقات المفسرين للدواودي (٢/١٩٤) * وتاريخ بغداد (٣/٤٢)، وتذكرة الحفاظ (٢/٦٦١)، ولسان الميزان (٥/٣١٧).

(٢) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (١/٢٨)، وتاريخ التراث العربي (١/١٠٤) * وتاريخ مدينة دمشق (٣٦/١٩٦)، وتاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٩١ - ٣٠٠هـ) (ص ١٩٦).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩) * وتاريخ بغداد (١٠/٣٤٠)، والإكمال لابن ماکولا (٥/١٨).

٣٢ - أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفريابي،
(ت ٣٠١هـ)^(١).

٣٣ - فضائل القرآن وما جاء فيه الفضل وفي كم يقرأ والسنة في ذلك.

حقوق في رسالة علمية لنيل درجة «الماجستير» من جامعة الملك سعود، وقام بتحقيقه يوسف عثمان فضل الله جبريل عام (١٤٠٥هـ)، ثم نشره عام (١٤٠٩هـ).

٣٣ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي الخراساني، (ت ٣٠٣هـ).

٣٤ - فضائل القرآن. طبع مراراً إحدى طبعاته بتحقيق د. فاروق حمادة عام (١٣٩٩هـ)، والكتاب موجود برمته في السنن الكبرى للنسائي^(٢)، وقد ذكر محقق فضائل القرآن أنه اعتمد في تحقيقه على نسخ خطية للسنن الكبرى^(٣).

٣٤ - أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الله العسكري، (ت ٣٠٥هـ).
٣٥ - ثواب القرآن^(٤).

(١) انظر في ترجمة الفريابي: تاريخ بغداد (١٩٩/٧)، وترتيب المدارك (١٨٧/٣)، وتذكرة الحفاظ (٦٩٢/٢)، وسير أعلام النبلاء (٩٦/١٤).

(٢) السنن الكبرى (٣/٥ - ٣٤).

(٣) انظر: مقدمة فضائل القرآن للنسائي (ص ٤٩)، وللنسائي ترجمة في وفيات الأعيان (١/٧٧)، وتذكرة الحفاظ (٦٩٨/٢)، وتهذيب التهذيب (١/٢٦)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٠٦)، وشذرات الذهب (٢/٢٣٩).

(٤) فتح الباري (٥٦/٩) * والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٨/١٩٠)، وتاريخ الإسلام حوادث سنة (٣٠١ - ٣١٠هـ) (ص ١٦٤)، وتذكرة الحفاظ (٢/٧٤٩)، وطبقات الحفاظ (ص ٣١٨).

٣٥ - أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، (ت ٣١٦هـ).

٣٦ - فضائل القرآن^(١).

٣٦ - أبو سليمان داود بن محمد بن موسى بن هارون الأودني الحنفي، (ت ٣٢٠هـ).

٣٧ - فضائل القرآن^(٢).

٣٧ - أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عيَّاش السلمي العراقي السمرقندي الشيعي المعروف بالعيَّاشي، (ت ٣٢٠هـ).

٣٨ - فضائل القرآن^(٣).

٣٨ - أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الشيعي، (ت ٣٢٨هـ).

٣٩ - فضائل القرآن^(٤).

٣٩ - أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني الشافعي المعروف بابن الحدَّاد، (ت ٣٤٤ أو ٣٤٥هـ).

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٢٨٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٧)، والرسالة المستطرفة (ص ٥٨)، وهدية العارفين (١/٤٤٤) * وتاريخ بغداد (٩/٤٦٤)، وتذكرة الحفاظ (٢/٧٦٧)، ولسان الميزان (٣/٣٦٤).

(٢) الأنساب للسمعاني (١/٢٢٦)، والجواهر المضية (٢/١٩٢)، وتاج التراجم (ص ١٠١)، وكشف الظنون (٢/١٢٧٧)، وهدية العارفين (١/٣٥٩).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٥)، والفهرست للطوسي (ص ١٦٥)، ومعالم العلماء (ص ١٠٠)، وهدية العارفين (٢/٣٢).

(٤) الفهرست للطوسي (ص ١٦١)، ومعالم العلماء (ص ٩٩)، وإيضاح المكنون (٢/١٩٧)، وهدية العارفين (٢/٣٥) * ولسان الميزان (٥/٤٩٠).

- ٤٠ - فضائل القرآن^(١).
- ٤٠ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة الصفواني الشيعي، (ت ٣٤٦هـ).
- ٤١ - ثواب القرآن^(٢).
- ٤١ - أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي البغدادي، (ت ٣٥١هـ).
- ٤٢ - فضائل القرآن^(٣).
- ٤٢ - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، (ت ٣٦٠هـ).
- ٤٣ - ثواب سورة الحمد^(٤).
- ٤٣ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سيار البصري السَّيَّاري الكاتب، (ت ٣٦٨هـ).
- ٤٤ - ثواب القرآن^(٥).

-
- (١) الفهرست لابن النديم (ص ٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (٧٧/٢) * ووفيات الأعيان (١٩٧/٤)، وتذكرة الحفاظ (٨٩٩/٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧٩/٣)، وشذرات الذهب (٣٦٧/٢).
- (٢) إيضاح المكنون (٣٤٨/١)، وهدية العارفين (٤٢/٢) * والفهرست لابن النديم (ص ٢٤٧)، والفهرست للطوسي (ص ١٥٩)، ومعالم العلماء (ص ٩٦).
- (٣) المعجم المفهرس (ص ١١١)، وصلة الخلف (ص ٣١٧) * وتاريخ بغداد (١١/٨٨)، وتذكرة الحفاظ (٨٨٣/٣)، وميزان الاعتدال (٢٤٦/٣)، ولسان الميزان (٤٦٩/٣).
- (٤) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (١٣٠٨/٣، ١٤٧٣) * ووفيات الأعيان (٤٠٧/٢)، وتذكرة الحفاظ (٩١٢/٣)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٧٢)، وشذرات الذهب (٣٠/٣).
- (٥) الفهرست للطوسي (ص ٤٧)، ومعالم العلماء (ص ١٣)، وإيضاح المكنون =

٤٤ - أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَيَّان الأصبهاني،
(ت ٣٦٩هـ).

٤٥ - فضائل القرآن، وله كتاب «ثواب الأعمال» في خمس مجلدات
على ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء^(١).

٤٥ - أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد بن المَرْزُبَان
البغدادي الكاتب، (ت ٣٨٤هـ).

٤٦ - المعلّى في فضائل القرآن^(٢).

٤٦ - أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد البغدادي،
الشهير بابن شاهين، (ت ٣٨٥هـ).

٤٧ - فضائل القرآن^(٣).

٤٧ - أبو بكر عباس بن أصبغ بن عبد العزيز بن غُضْن الهَمْدَانِي
الحِجَارِي، (ت ٣٨٦هـ).

٤٨ - فضائل القرآن^(٤).

= (١/٣٤٨)، والأعلام (١/٢٠٩)، ومعجم المؤلفين (٢/١٠٩).

(١) تلخيص الحبير (٢/١٠٤)، والدر المنثور (٥/٢٥٧)، والإتقان (٢/٢١٠) *
تاريخ أصبهان لأبي نعيم (٢/٥١)، وتذكرة الحفاظ (٣/٩٤٥)، وسير أعلام
النبلاء (١٦/٢٧٦)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٨٢).

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ١٤٨)، والوافي بالوفيات (٤/٢٣٦) * وتاريخ بغداد
(٣/١٣٥)، ووفيات الأعيان (٤/٣٥٤)، ومعجم الأدباء (٦/٢٥٨٢)، وسير
أعلام النبلاء (١٦/٤٤٧).

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين نفسه (١/٢١٠) * ولابن
شاهين أكثر من ثلاثمائة مصنف كما في تذكرة الحفاظ (٣/٩٨٨). وانظر:
تاريخ بغداد (١١/٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٤٣١)، وطبقات الحفاظ
(ص ٣٩٢).

(٤) فهرسة ابن خير (ص ٦٣) * وتاريخ علماء الأندلس (ص ٢٣٩)، وجذوة =

٤٨ - أبو الفضل أحمد بن علي بن حَمْد السُّلَيْماني البَيْكَنْدي البخاري،
(ت ٤٠٤هـ).

٤٩ - فضائل القرآن والمتعلمين^(١).

٤٩ - أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب النيسابوري،
(ت ٤٠٦هـ).

٥٠ - التنبيه على فضل علوم القرآن. ذكره د. يوسف المرعشلي
ضمن المؤلفات في فضائل القرآن، وقد حقق جزء منه في
مجلة المورد بعناية محمد الكاظمي، والجزء المحقق ليس فيه
شيء من فضائل القرآن، وإنما في نزول القرآن وترتيبه، وفي
وجوه الخطاب في القرآن الكريم^(٢).

٥٠ - أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السَّرْخُسي
الهروي المقرئ المعروف بالقرَّاب، (ت ٤١٤هـ).
٥١ - فضائل القرآن^(٣).

= المقتبس (ص ٢٨٥)، وبغية الملتبس (ص ٣٧٧)، وتاريخ الإسلام حوادث
(٣٨١ - ٣٠٠) (ص ١١٨).

(١) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (٣/١٥٣٦)، وله كتاب «فوائد
فاتحة الكتاب» في المصدر نفسه (٣/١٥٣٧) * وسير أعلام النبلاء (١٧/
٢٠٠)، وتذكرة الحفاظ (٣/١٠٣٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (٤/٤١)،
وشذرات الذهب (٣/١٧٢).

(٢) البرهان (٢/٥٧) «حاشية المحقق»، ونقل عنه الزركشي في البرهان (١/٢٧٩)،
والسيوطي في الإتقان (١/٢١١)، وورد ذكره في كشف الظنون (١/٤٨٩)، وهدية
العارفين (٢/١٣). وانظر: مجلة المورد عدد ٤، مجلد ١٧ عام ١٩٨٨ م من
(ص ٣٠٥ - ٣٢٢) * وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٣٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي
(ص ٣٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٤٤)، وبغية الرواة (١/٥١٩).

(٣) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (٣/١٣٨٤، ١٦٥٨) *

٥١ - أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشعلبي،
(ت ٤٢٧هـ).

٥٢ - فضائل القرآن^(١).

٥٢ - أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني،
(ت ٤٣٠هـ).

٥٣ - جزء في فضل سورة الإخلاص^(٢).

٥٣ - أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر
المُستَغْفِرِي النَّسَفِي الحنفي، (ت ٤٣٢هـ).

٥٤ - فضائل القرآن مخطوط في مكتبة أسعد أفندي باستامبول برقم
(١٨١) (٣).

= وسير أعلام النبلاء (٣٧٩/١٧)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٦٦/٤)، وغاية
النهاية (١٦٠/١).

(١) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (١٢٣٥/٢) * ووفيات الأعيان
(٧٩/١)، ومعجم الأدباء (٥٠٧/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧)،
وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ١٧)، وطبقات المفسرين للداودي (٦٦/١).

(٢) المعجم المفهرس (ص ١١١)، ومعجم الشيوخ لابن فهد المكي تكرر مراراً
(ص ١٧٦، ٢٥٧، ٢٧٥)، وصلة الخلف (ص ٢١١، ٣١٩)، والرسالة
المستطرفة (ص ٩١) * ووفيات الأعيان (٩١/١)، وتذكرة الحفاظ (١٠٩٢/٣)،
وطبقات الشافعية للسبكي (١٨/٤)، وطبقات الحفاظ (ص ٤٢٣).

(٣) تاريخ التراث العربي (٢٢٩/٢/١)، والمنتخب من معجم شيوخ أبي سعد
السمعاني (١٥٣٥/٣)، وتذكرة الحفاظ (١١٠٢/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/
٥٦٤)، وتاج التراجم (ص ٧٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١٢٩/١)،
وكشف الظنون (١٢٧٧/٢)، والرسالة المستطرفة (ص ٥٨)، وتاريخ التراث
العربي (٢٢٩/٢/١) * والجواهر المضية (١٩/٢)، وقد طبع الكتاب أخيراً في
جزئين بتحقيق د. أحمد السلوم، نشر دار ابن حزم عام ١٤٢٧.

- ٥٤ - أبو ذر عبدُ بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي المالكي، (ت ٤٣٤هـ).
- ٥٥ - فضائل القرآن^(١).
- ٥٥ - أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغدادي الصيرفي الملقب بابن السَّوَادِي، (ت ٤٣٥هـ).
- ٥٦ - فضائل القرآن^(٢).
- ٥٦ - أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الخَلَّال البغدادي، (ت ٤٣٩هـ)^(٣).
- ٥٧ - فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها. طبع بتحقيق محمد بن رزق طرهوني عام (١٤١٢هـ)، وطبع بتحقيق د. أبي بكر علي الصديق عام (١٤١٩هـ).
- ٥٧ - أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري الضري، (ت ٤٤٣هـ).
- ٥٨ - فضائل القرآن^(٤).

(١) فهرسة ابن خبير (ص ٦٢)، ولمحات الأنوار (٩/١)، وتذكرة الحفاظ (٣/١١٠٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٠/١٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٧٣)، وكشف الظنون (١٢٧٧/٢)، والرسالة المستطرفة (ص ٥٨)، وهدية العارفين (٤٣٨/١).

(٢) نقل عنه ابن عبد الهادي في هداية الإنسان (ص ١٥٤، ٢٦٥) * وتاريخ بغداد (٣٨٥/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٥٧٨/١٧)، وغاية النهاية (٤٨٥/١)، وشذرات الذهب (٢٥٥/٣).

(٣) ترجمته في: تاريخ بغداد (٤٢٥/٧)، والعبر (٢٧٤/٢)، وتذكرة الحفاظ (٣/١١٠٩)، وطبقات الحفاظ (ص ٤٢٥)، وشذرات الذهب (٢٦٢/٣).

(٤) لمحات الأنوار (٩/١)، وكشف الظنون (١٢٧٧/٢) * وسير أعلام النبلاء (٦٣٨/١٧)، والعبر (٢٨٣/٢)، وشذرات الذهب (٢٧١/٣).

٥٨ - أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُنْدَار العجلي الرازي، (ت ٤٥٤هـ)^(١).

٥٩ - فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاته وحملته. طبع بتحقيق د. عامر حسن صبري عام (١٤١٥هـ).

٥٩ - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمْري القرطبي المالكي، (ت ربيع الآخر ٤٦٣هـ).
٦٠ - البيان عن تلاوة القرآن^(٢).

٦٠ - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المشهور بالخطيب البغدادي، (ت ذي الحجة ٤٦٣هـ).

٦١ - روايات الستة من التابعين بعضهم عن بعض.
وهو تخريج لحديث: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟»^(٣)، طبع بتحقيق محمد بن رزق طرهوني عام (١٤١٢هـ).
٦١ - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، (ت ٤٦٨هـ).

٦٢ - فضائل القرآن مخطوط في مكتبة كوبريلي برقم (١٦٣١)، ضمن مجموعة باسم «فضائل السور».

٦٣ - رسالة في شرف علم التفسير. مخطوط في دار الكتب المصرية

(١) ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٤١٧/١)، وغاية النهاية (٣٦١/١)، وسير أعلام النبلاء (١٣٥/١٨)، وشذرات الذهب (٢٩٣/٣).

(٢) الاستذكار لابن عبد البر (٢٤/٨)، وجذوة المقتبس (ص ٣٣٣)، وترتيب المدارك (٨١٠/٤)، وفهرسة ابن خير (ص ٦٣)، وبغية الملتبس (ص ٤٢٨)، ولمحات الأنوار (١٠/١)، وسير أعلام النبلاء (١٥٩/١٨) * وفيات الأعيان (٦٦/٧)، والديباج المذهب (ص ٤٤٠).

(٣) مر تخريجه (ص ٧٨).

برقم (٢٢٠) مجاميع م، ولم أجد من ذكر هذه الرسالة ممن ترجم له^(١).

٦٢ - أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر السمرقندي، (ت ٤٩١هـ).

٦٤ - فضائل «قل هو الله أحد».

٦٥ - فضائل بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

٦٣ - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي، (ت ٥٠٥هـ)^(٣).

٦٦ - جواهر القرآن ودرره، طبع عدة طبعات، والتي بين يدي بتحقيق خليل إبراهيم عام (١٩٩٢م).

وقد ذكر الزركشي أن هذا الكتاب يدور حول مسألة تفاضل القرآن^(٤).

(١) فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي (٣٩٥/٢)، وفهرس دار الكتب المصرية (١/٥١)، وكشف الظنون (١٢٧٧/٢) * وفيات الأعيان (٣٠٣/٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٤٠/٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٦٦)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٩٤/١).

(٢) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني (٥٥٦/١)، والدر المنثور (٦/٤١٠)، وتنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق (٣٠٢/١، ٣٠٣). وانظر: نقد طرهوني نسبة الكتاب الأول للسمرقندي في مقدمة تحقيقه لفضائل سورة الإخلاص للخلال (ص ٢١) * وتذكرة الحفاظ (١٢٣٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٩)، وشذرات الذهب (٣/٣٩٤).

(٣) انظر في ترجمة الغزالي: وفيات الأعيان (٢١٦/٤)، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٩١/٦)، وشذرات الذهب (١٠/٤).

(٤) انظر عن هذا الكتاب ما يأتي (ص ٤٤٨).

٦٤ - أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التُّجِيبِي الأندلسي المالكي المعروف بابن الإقليشي، (ت ٥٥٠ أو ٥٥١ هـ).

٦٧ - شفاء الضمآن في فضل القرآن^(١).

٦٥ - أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد التميمي السَّمْعَانِي المروزي الشافعي، (ت ٥٦٢ هـ).

٦٨ - فضائل سورة يس^(٢).

٦٦ - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت ٥٧١ هـ).

٦٩ - ذكر البيان عن فضل كتابة القرآن، وفي سير أعلام النبلاء «فضل كتابة القرآن»^(٣).

٦٧ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الرَّائِدِي الشيعي، (ت ٥٧٣ هـ).

٧٠ - اللباب في فضل آية الكرسي من الكتاب^(٤).

٦٨ - أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج الغافقي

(١) كشف الظنون (٢/١٠٥٠)، وهدية العارفين (١/٨٥) * والديباج المذهب (ص ١٣٣)، وإنباه الرواة (١/١٧١)، وبغية الوعاة (١/٣٩٢)، ونفح الطيب (٢/٥٩٨).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣١٨)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/٤٦٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/١٨٤)، وهدية العارفين (١/٦٠٩) * ووفيات الأعيان (٣/٢٠٩)، ومراة الجنان (٣/٢٧٩).

(٣) معجم الأدباء (٤/١٦٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/٥٦٠)، وهدية العارفين (١/٧٠١) * ووفيات الأعيان (٣/٣٠٩)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٣٢٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٢١٥).

(٤) هدية العارفين (١/٣٩٢) * ومعالم العلماء (ص ٥٥)، ولسان الميزان (٣/٥٩)، والأعلام (٣/١٠٤).

الأندلسي المَلَّاجي، (ت ٦١٩هـ) ^(١).

٧١ - لمحات الأنوار ونفحات الأزهار، وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن.

حقق نصفه في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، وقام بتحقيقه محمد عبد العزيز الحمادي عام (١٤٠٤هـ).

ثم طبع كاملاً في ثلاثة أجزاء بتحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب عام (١٤١٨هـ).

٦٩ - أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الحميري الكُتامي الفاسي. المعروف بابن القطان، (ت ٦٢٨هـ).

٧٢ - أحاديث في فضل التلاوة والذكر ^(٢).

٧٠ - أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفي، (ت ٦٣١هـ).

٧٣ - فضائل القرآن ^(٣).

٧١ - أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي المقرئ النحوي الشافعي، (ت ٦٤٣/٦/١٢هـ).

٧٤ - منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم. ذكره بعضهم كتاباً مستقلاً ^(٤).

(١) تقدمت ترجمته (ص ٦٨).

(٢) الذيل والتكملة لابن عبد الملك (١٦٨/٨) * وتذكرة الحفاظ (١٤٠٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٦/٢٢)، وشذرات الذهب (١٢٨/٥).

(٣) إيضاح المكنون (١٩٧/٢)، وهدية العارفين (٩٢/١)، وتاريخ الأدب العربي القسم الرابع (ص ٢١٤) * وتاج التراجم (ص ٥٣)، ومعجم المؤلفين (١٥٨/٢).

(٤) هدية العارفين (٧٠٨/١)، ومقدمة سفر السعادة للسخاوي (٢٩/١).

وهو موجود ضمن كتابه المشهور «جمال القراء وكمال الإقراء»^(١).

٧٢ - أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي الشهير بضياء الدين المقدسي، (ت ١٨/٦/٦٤٣هـ)^(٢).

٧٥ - فضائل القرآن وثواب من تعلمه وعلمه. مخطوط بجامعة ليدن برقم (٢٤٦٧) يروي بإسناده إلى النبي ﷺ، وأثناء كتابتي لهذا البحث صدر مطبوعاً بتحقيق صلاح الشلاحي.

٧٣ - أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل الصَّغَانِي العدوي الحنفي، (ت ٦٥٠هـ).

٧٦ - رسالة في الحديث الموضوع في فضائل القرآن سورة سورة المروي عن أبي أمامة، مخطوط في مكتبة الإسكندرية برقم (١١/٩٥) فنون.

٧٧ - رسالة في الأحاديث الواردة في صدر التفاسير في فضائل القرآن وغيرها. مخطوط في مكتبة قولة برقم (١٨٨/١)^(٣).

(١) في الجزء الأول من (ص ٢١٩ - ٣٨١)، وللسخاوي ترجمة في: معرفة القراء الكبار (٢/٦٣١)، وغاية النهاية (١/٥٦٨)، وإنباه الرواة (٢/٣١١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨/٢٩٧).

(٢) انظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٢٣٦)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٤٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/١٢٦)، والمقصد الأرشد (٢/٤٥٠)، وشذرات الذهب (٥/٢٢٤).

(٣) تاريخ الأدب العربي القسم الثالث (ص ٥٨٧، ٥٨٩)، وهاتان الرسالتان غير رسالته المطبوعة في الأحاديث الموضوعية * ومعجم الأدباء (٣/١٠١٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/٢٨٢)، والجواهر المضية (٢/٨٢)، وتاج التراجم (ص ٨٧)، ويغية الوعاة (١/٥١٩).

٧٤ - أبو بكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد اللّخميّ الإشبيلي،
(ت ٦٥٤هـ).

٧٨ - مقالة في معنى حديث: «قل هو الله أحد تعدل ثلث
القرآن»^{(١)(٢)}.

٧٥ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرّح القرطبي الأندلسي
المالكي، (ت ٦٧١هـ)^(٣).

٧٩ - التذكار في أفضل الأذكار. طبع مراراً أقدمها عام (١٣٥٥هـ)
بعناية أحمد بن الصديق الغماري.

٧٦ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن الدّرّاج التّلمساني
الأنصاري، (ت ٦٩٣هـ).

٨٠ - مصنف في مسألة تفاضل القرآن مجهول الاسم^(٤).

٧٧ - أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السّدّاد الغافقي
الأندلسي المالكي، (ت ٧٠٥/١١/٥هـ).

٨١ - المنتخب في فضائل القرآن. منتخب من كتاب الغافقي. «لمحات
الأنوار»، مخطوط في مكتبة شهيد علي بتركيا برقم (٨٧)^(٥).

(١) هو قطعة من الحديث الذي تقدم تخريجه (ص ٧٨).

(٢) الذيل والتكملة (١٩/٦)، وتراث المغاربة للتليدي (ص ٢٧٣).

(٣) انظر في ترجمته: نفح الطيب (٢/٢١٠)، والديباج المذهب (ص ٤٠٦)،
وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٧٩)، وطبقات المفسرين للدودي (٢/٦٩)،
وشذرات الذهب (٥/٣٣٥)، وطبعت مقدمة تفسيره مستقلة. انظر ما يأتي
(ص ١٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٣/١٧) * والوافي بالوفيات (٢/
١٤١).

(٥) الفهرس الشامل للتراث «التفسير وعلومه» (١/٤٠٧)، وهدية العارفين (١/
٦٣٦)، وجعلا وفاته سنة (٧٥٠هـ) تبعاً لحاجي خليفة في كشف الظنون =

٧٨ - أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف التُّونِي
الدِّمِّيَّاطِي الشَّافِعِي، (ت ١١/١٥/٧٠٥هـ).

٨٢ - فضل قراءة آية الكرسي والذكر والدعاء أدبار الصلوات.

مخطوط في مكتبة شهيد علي بتركيا برقم (١١/١٣٤٥) ^(١).

٧٩ - أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الرَّزْغِي المصري المعروف
بأبن الوَجِيد، (ت ٧١١هـ).

٨٣ - الدر النظيم في فضائل القرآن. مخطوط في مكتبة أيا صوفيا
برقم (٣٨٣) ورقم (٣٨٤) ^(٢).

٨٠ - أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن
تيمية الحراني الدمشقي، (ت ٧٢٨هـ).

٨٤ - جواب أهل العلم والإيمان في أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث
القرآن. طبع مستقلاً، وضمن مجموع الفتاوى له ^(٣).

٨٥ - قاعدة في فضائل القرآن، مطبوع بتحقيق د. سليمان القرعاوي
عام (١٤١٤هـ).

= (١/٥٢٠)، والصحيح المثبت * والديباج المذهب (ص ٢٧٨)، وغاية النهاية
(١/٧٧)، وبغية الوعاة (٢/١٢١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٦٦).

(١) نادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا (٢/١٤ - ١٥)، وتنزيه الشريعة
المرفوعة (١/٢٨٨) * وتذكرة الحفاظ (٤/١٤٧٧)، وطبقات الشافعية للسبكي
(١٠٢/١)، والدرر الكامنة (٣/٣٠)، والبدر الطالع (١/٤٠٣).

(٢) فهرس مكتبة أيا صوفيا (ص ٢٥) * والعبر (٤/٣٠)، والبداية والنهاية (١٤/٥٥)،
والدرر الكامنة (٤/٧٣).

(٣) في الجزء السابع عشر من (ص ٥ - ٢٠٥)، ولابن تيمية ترجمة في: العقود
الدرية لابن عبد الهادي، وذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٨٧)، والمقصد الأرشد
(١/١٣٢)، والدر المنضد (٢/٤٧٦)، والدرر الكامنة (١/١٥٤).

٨١ - أبو العطاء محمد بن القاسم بن أبي البدر المُلَيْحِي الواسطي
الواعظ، (ت ٧٤٤هـ).

٨٦ - فضائل القرآن^(١).

٨٢ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي التُرْكْمَانِي
الدمشقي الشافعي، (ت ٧٤٨هـ).

٨٧ - جزء فيه فضل آية الكرسي^(٢).

٨٣ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم المِزِّي المقرئ
المالكي. المعروف بـ«المَوْقُوت»، (ت ٧٥٠هـ).

٨٨ - فضل حملة القرآن. مخطوط في دار الكتب الظاهرية برقم (٥)
ضمن مجموع، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود برقم
(٢١١٩)، تحت اسم «في فضل حملة القرآن»^(٣).

٨٤ - أبو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي الغرناطي المالكي،
(ت ٧٥٠هـ).

٨٩ - تأليف في فضائل القرآن وبعض خواصه. مخطوط في خزانة

(١) كشف الظنون (١٢٧٧/٢) * والدرر الكامنة (٢٦٠/٤)، وفوات الوفيات (٤/١٠٨)، والأعلام (٣٣٥/٦)، ومعجم المؤلفين (١٣٨/١١).

(٢) المعجم المفهرس (ص ١١١)، وصلة الخلف (ص ٢١١، ٣١٩)، ومقدمة تحقيق سير أعلام النبلاء (٨٣/١) * وطبقات الشافعية للسبكي (١٠٠/٩)، وذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٤)، والدرر الكامنة (٤٢٦/٣)، وطبقات الحفاظ (ص ٥٢١)، والبدر الطالع (١١٠/٢).

(٣) فهرس دار الكتب الظاهرية «المنتخب من مخطوطات الحديث» (ص ٤٠٥)، وفهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام (١٦٨/٢) * والدرر الكامنة (٤١٥/٣)، وهدية العارفين (١٥٧/٢)، والأعلام (٣٢٧/٥)، ومعجم المؤلفين (١٦١/١٠).

تطوان بالمغرب برقم (٦٥٩) ضمن مجموع^(١).

٨٥ - أبو السعادات عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن قَلَّاح
اليَافِعي اليميني الشافعي، (ت ٧٦٨هـ)^(٢).

٩٠ - الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز.

عقد باباً واحداً في فضائل القرآن^(٣)، والكتاب طبع في الهند،
ثم طبع في مصر عام (١٣٧٨هـ) بتحقيق عبد الوهاب
عبد اللطيف.

٨٦ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير القيسي
البُضْرُوي الدمشقي الشافعي، (ت ٧٧٤هـ)^(٤).

٩١ - فضائل القرآن، طبع مراراً، وهو في الأصل مقدمة لتفسيره وله
بعض المختصرات والاختيارات تأتي في محلها إن شاء الله.

٨٧ - أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذْرَعي
الدمشقي الشافعي، (ت ٧٨٣هـ).

٩٢ - فضائل القرآن. مخطوط في دار الكتب الظاهرية برقم (٢٢٩٤)

(١) فهرس مخطوطات المكتبة العامة بتطوان (ص ٥٦)، وتراث المغاربة (ص ٢٢٢)
* والإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ١٧٠)، وهدية العارفين (٢/ ١٥٦)، ولعل
هذا المخطوط هو «البرهان والدليل في خواص التنزيل» انظر: الفهرس الشامل
للتراث «التفسير وعلومه» (١/ ٤٠٨).

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٢)، وشذرات الذهب (٦/ ٢١٠)، وهدية
العارفين (١/ ٤٦٥)، والأعلام (٤/ ٧٢).

(٣) هو الباب الرابع من (ص ١٨٥ - ٢٠٤).

(٤) ترجمته في: الدرر الكامنة (١/ ٣٩٩)، وإنباء الغمر (١/ ٤٥)، وذيل تذكرة
الحفاظ (ص ٥٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١١١)، والبدر الطالع (١/ ١٥٣).

ضمن مجموع، ولم يجزم مفهرسه بأنه له، ولم أجد من ذكره ممن ترجم له^(١).

٨٨ - أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الدمشقي الحنبلي، (ت ٧٩٥هـ).

٩٣ - مورد الظمان إلى معرفة فضائل القرآن، مطبوع بتحقيق يسري عبد الغني البشري عام (١٩٩٠م)، ولم أجد من ذكر هذا الكتاب لابن رجب، وإنما كتابه المشهور في هذا الموضوع هو:

٩٤ - الاستغناء بالقرآن في طلب العلم والإيمان، وهو الكتاب الذي رتبّه وهذّبّه ابن عبد الهادي في كتابه الآتي «هداية الإنسان»^(٢).

٨٩ - أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي، (ت ٨١٧هـ).

٩٥ - حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص.

٩٦ - جزء في فضل سورة «يس»^(٣).

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «مجاميع» (٦٢/٢) * والدرر الكامنة (١٣٥/١)، وشذرات الذهب (٢٧٨/٦)، والبدر الطالع (٣٥/١)، وهدية العارفين (١١٥/١).

(٢) الخشوع في الصلاة لابن رجب (ص ١٩)، والجواهر المنضد (ص ٥١)، ومقدمة ابن عبد الهادي لهداية الإنسان (ص ٣)، وكشف الظنون (٧٩/١)، وهدية العارفين (٥٢٧/١) * المقصد الأرشد (٨١/٢)، والدر المنضد (٥٧٩/٢)، والدرر الكامنة (٤٢٨/٢)، والبدر الطالع (٣٢٨/١)، والسحب الوابلة (٢/٤٧٤).

(٣) الضوء اللامع (٨١/١٠)، وكشف الظنون (٦٢٤/٢)، وهدية العارفين (٢/١٨١)، والبدر الطالع (٢٨٢/٢)، والكتاب الثاني ذكره محمد المصري في =

٩٠ - أبو العباس أحمد بن محمد بن سليمان بن قريبة المحلي المَقْسي المصري الشافعي الزاهد، (ت ٨١٩هـ).

٩٧ - الفيض القدسي في فضل آية الكرسي. مخطوط في المكتبة القادرية. برقم (١٤٧٩) ضمن مجموع^(١).

٩١ - أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي الشافعي، (ت ٨٣٣هـ).

٩٨ - فضائل القرآن. مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٥٨٥) تفسير، ومنه صورة في معهد المخطوطات برقم (١٦٢)^(٢).

٩٢ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر الكِنَاني العسقلاني الشافعي، (ت ٨٥٢هـ).

٩٩ - الإِتقان في فضائل القرآن. لم يتمه^(٣).

= مقدمته للبلغة (ص ٢٦)، وعزاه لدرر العقود الفريدة للمقريزي «مخطوط» * وإنباء الغمر (٧/١٥٩)، وبغية الوعاة (١/٢٧٣)، وشذرات الذهب (٧/١٢٧). وللفيرز وآبادي كتاب اسمه الدر التنظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم، كذا وردت تسميته في الضوء اللامع (١٠/٨١)، والبدر الطالع (٢/٢٨٢)، وكشف الظنون (١/٧٣٦)، وهدية العارفين (٢/١٨١)، ووقع في شذرات الذهب (٧/١٢٧)، تسميته الدر التنظيم المرشد إلى فضائل القرآن العظيم.

(١) الآثار الخطية في المكتبة القادرية (٥/٣٢٨)، وإيضاح المكنون (٢/٢١٥)، وهدية العارفين (١/١٢١)، ومعجم المؤلفين (٢/١٠٨) * وإنباء الغمر (٧/٢٢٩)، والضوء اللامع (٢/١١١).

(٢) فهرس دار الكتب المصرية (١/٥٧)، وفهرس معهد المخطوطات (١/٣٦)، والأعلام (٧/٤٥) * وغاية النهاية (٢/٢٤٧)، وإنباء الغمر (٨/٢٤٥)، والضوء اللامع (٩/٢٧٨).

(٣) الجواهر والدرر للسخاوي (٢/٦٦٣)، وشذرات الذهب (٧/٢٧٣)، وكشف الظنون (١/٨)، وهدية العارفين (١/١٢٨) * والضوء اللامع (٢/٣٦)، والبدر =

٩٣ - أحمد بن عمر بن عثمان بن علي الخوارزمي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قَرَا، (ت ٨٦٨هـ).

١٠٠ - الدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم. مخطوط في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم (١٨٨٩) عام^(١).

٩٤ - أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الدمشقي الشافعي، (ت ٨٨٥هـ)^(٢).

١٠١ - الفتح القدسي في آية الكرسي، كذا في المطبوع بتحقيق د. سعود الفنسيان عام ١٤٢٠هـ، وفي بعض المصادر في تفسير آية الكرسي، وفي مقدمة المحقق: في فضل آية الكرسي، وعلى كل فالكتاب قسمان: قسم في فضل آية الكرسي، وقسم في تفسيرها.

٩٥ - محمد حسام الدين الجوسفي. المعروف بـ «قرة جلبي زادة»، (ت ٨٩٣هـ).

١٠٢ - رسالة في فضائل البسملة. مخطوط في الظاهرية برقم (٦٦٥)^(٣).

٩٦ - أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي، المعروف بابن المبرد، (ت ٩٠٩هـ).

= الطالع (٨٧/١)، وطبع مستقلاً شرحه لكتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري. انظر (ص ١٢٨).

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «مجاميع» (٤٤/٢) * والضوء اللامع (٥٤/٢)، والأعلام (١٨٧/١)، ومعجم المؤلفين (٣٢/٢).

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع (١٠١/١)، وشذرات الذهب (٣٣٩/٧)، والبدر الطالع (١٩/١)، والأعلام (٥٦/١).

(٣) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «علوم القرآن» للخيمي (١٥٧/٢) * وهدية العارفين (٢١٥/٢)، ومعجم المؤلفين (١٧٨/٩).

١٠٣ - هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن. وهو تهذيب وترتيب
لكتاب ابن رجب الحنبلي الاستغناء بالقرآن، وهداية الإنسان
مخطوط في دار الكتب الظاهرية برقم (١٣٧٢)، ورقم
(٣٤٥)، وقد حقق جزء منه في رسالة علمية لنيل درجة
«الدكتوراه» من الجامعة الإسلامية بالمدينة، وقام بتحقيقه
محمد أنور صاحب بن محمد عمر عام (١٤١٨ - ١٤١٩هـ)^(١).

٩٧ - أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي
الخُضيري الشافعي، (ت ٩١١هـ).

١٠٤ - خمائل الزهر في فضائل السور^(٢).

٩٨ - أحمد بن سليمان الرومي الحنفي، المعروف بابن كمال باشا،
(ت ٩٤٠هـ).

١٠٥ - جمع الأربعين في فضل القرآن المبين. مخطوط في مكتبة
حكيم أوغلي بتركيا برقم (٩٤٤) ضمن مجموع^(٣).

٩٩ - أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الدمشقي الصالحي الحنفي.
المعروف بابن طُولُون، (ت ٩٥٣هـ).

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «علوم القرآن» للخيمي (٢/٢٣١، ٣٤٨)
* والضوء اللامع (١٠/٣٠٨)، وشذرات الذهب (٨/٤٣)، والكواكب السائرة
(١/٣١٧)، والنعت الأكمل (٦٧)، والسحب الوابلة (٣/١١٦٥).

(٢) الإتقان (٢/١٩٢)، وتدريب الراوي (١/٣٤١)، وكشف الظنون (١/٧٢٣)،
وفهرس الفهارس (٢/١٠٣١)، وهدية العارفين (١/٥٣٨).

(٣) الفهرس الشامل للتراث «التفسير وعلومه» (١/٥٦٤) * والكواكب السائرة (٢/١٠٨)،
شذرات الذهب (٨/٢٣٨)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية
(ص ٢١)، وهدية العارفين (١/١٤١).

١٠٦ - الأربعون حديثاً المنتقاة من فضائل القرآن للحافظ ضياء الدين المقدسي .

١٠٧ - فضل آية الكرسي وتفسيرها^(١) .

١٠٠ - يوسف بن عبد الله بن حسن الأزميوني المصري الشافعي، (ت ٩٥٨هـ) .

١٠٨ - الأربعين المتعلقة بآية الكرسي، طبع باسم «أربعون حديثاً في فضل آية الكرسي» بتحقيق مصطفى عاشور عام (١٩٨٧م) .

١٠٩ - الأربعين المتعلقة بسورة الإخلاص، له عدة نسخ خطية منها في دار الكتب الظاهرية برقم (١٢٤٦)، وأخرى في المكتبة العامة بتطوان بالمغرب برقم (٥٣٦)، وثالثة مصورة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٦/٤٢٧٩) عن مكتبة القرويين بفاس^(٢) .

١٠١ - محمد بن محمد بن زين العابدين الغُمري الشافعي . المعروف بسبّط المرصفي، (ت ٩٦٥ أو ٩٦٦هـ) .

١١٠ - الإبريز الخاص في فضائل البسملة وسورة الإخلاص .

(١) الفلك المشحون (ص ٨١، ١٢٢)، وفهرس الفهارس (١/٤٧٣)، وكشف الظنون (١/٥٤)، وفي (٢/١٢٧٧) ذكر أنه أخذ الأربعين من فضائل القرآن للواحدي والصحيح الأول * والكواكب السائرة (٢/٥١)، وشذرات الذهب (٨/٢٩٨)، وهدية العارفين (٢/٢٤٠) .

(٢) فهرس دار الكتب الظاهرية «علوم القرآن للخيمي» (٢/٢٥)، وفهرس مخطوطات المكتبة العامة بتطوان (ص ٣٦)، وفهرس كتب الحديث المفردة في أبواب مخصوصة في الجامعة الإسلامية (ص ٥٧)، وتاريخ الأدب العربي، القسم الثامن (ص ٢٢٠)، وهدية العارفين (٢/٥٦٤)، والأعلام (٨/٢٤١)، ومعجم المؤلفين (١٣/٣١٣) * والكواكب السائرة (٢/٢٥٨)، وشذرات الذهب (٨/٣٢٢) .

مخطوط في المكتبة العامة بتطوان برقم (٣١٧)^(١).

١٠٢ - أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السَّعْدِي
المكي الشافعي، (ت ٩٧٣هـ)^(٢).

١١١ - رسالة في فضائل القرآن، مخطوط في المكتبة المركزية بجامعة
صلاح الدين بالعراق برقم (١) مجموع، ورقم (٢٩١)
مجموع، وهناك مخطوط آخر له باسم «رسالة في فضل تلاوة
القرآن» في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (١٢٣٢٨) ضمن
مجموع، والذي يظهر كما نص عليه المفهرس أنها منقولة من
شرحه للباب المحيط^(٣).

١٠٣ - أبو المكارم محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن
البُكْرِي الصَّدِّيقي الملقب بشمس الدين، (ت ٩٩٣ أو ٩٩٤هـ).
١١٢ - الفيض القدسي في فضل آية الكرسي.

(١) فهرس مخطوطات المكتبة العامة بتطوان (ص ٣٠)، وإيضاح المكنون (١١/١)،
وهدية العارفين (٢/٢٤٦)، ومعجم المؤلفين (١١/٢٥٧) * والأعلام (٧/
٥٨)، وتاريخ الأدب العربي القسم الثامن (ص ٢٥٤).
(٢) كذا تاريخ وفاته في شذرات الذهب، والكواكب السائرة، والبدر الطالع، وفي
هدية العارفين توفي سنة (٩٧٤هـ)، وهو الذي مال إليه الكتاني في فهرس
الفهارس (١/٣٣٨).

(٣) مخطوطات المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين (ص ١٨ - ١٩)، وفهرس
المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (١٣/١) * والكواكب
السائرة (٣/١٠١)، وشذرات الذهب (٨/٣٧٠)، والبدر الطالع (١/١٠٩)،
وفهرس الفهارس (١/٣٣٧)، وهدية العارفين (١/١٤٦)، وقد جعلت الدكتوراة
ابتسام الصفار في معجم الدراسات القرآنية (ص ٤١٧) هذا المخطوط لابن
حجر العسقلاني، والأظهر ما ذكرته، فقد نص المفهرس أنه منقول من شرح
العباب والذي شرح العباب لأحمد بن المزَّجِد، هو صاحب الترجمة كما في
الكواكب السائرة (٢/١١٤ - ١١٥).

مخطوط في المدرسة الحسنية بالموصل برقم (٦/٢٣٢) ضمن
مجموع^(١).

١٠٤ - محمد بن حمزة الآيدينبي الرومي الحنفي، المعروف بـ «كوزل
حصاري»، (ت ١٠١٠هـ).

١١٣ - تفسير البسمة وفوائدها، مخطوط في دار الكتب الظاهرية
برقم (٤٦٦٥)^(٢).

١٠٥ - علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي،
(ت ١٠١٤هـ).

١١٤ - أربعون حديثاً في فضائل القرآن المبين، مطبوع بتحقيق مراد بن
عبد الله، وطبع باسم:

١١٥ - جمع الأربعين في فضائل القرآن المبين مطبوع أيضاً بتحقيق
مسعد بن عبد الحميد عام (١٤١٢هـ)، وفي هدية العارفين ذكر
هذين الكتابين كلاً على حدة.

١١٦ - العلامات البينات في فضائل بعض الآيات، مخطوط بدار
الكتب المصرية برقم (٦٢٤) تفسير، وله نسخة أخرى في
مكتبة الأسد برقم (١٢٧٩٠هـ).

(١) كتاب مخطوطات الموصل (ص ١٣٥)، وهناك مخطوط بهذا الاسم لمحمد بن
زين العابدين البكري في الخزانة العامة برباط الفتح بالمغرب ضمن مجموع
برقم (٧٨٩ - ١٠٧١). انظر: فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة
برباط الفتح (٧٥/١)، وعندي تردد هل هو صاحب الترجمة أو لا؟ * وفهرس
الفهارس (١٠٦٢/٢)، والأعلام (٦٠/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٨١/١١).

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «علوم القرآن» للخيمي (٩٤/٣ - ٩٥) *
وإيضاح المكنون (٢١٦/٢)، وهدية العارفين (٢٦٥/٢)، ومعجم المؤلفين (٩/٩).
(٢٧١).

١١٧ - رسالة في فضيلة بعض السور مخطوط في مكتبة كوبريلي برقم (١٥٩٠) مجموع، وهناك مخطوط في مكتبة خسرو باشا بتركيا برقم (٧٤٩) ضمن مجموع باسم: رسالة في فضائل القرآن وتلاوته^(١).

١٠٦ - أبو عبد الله محمد بن علاء الدين علي البَابلي القاهري الأزهري الشافعي، (ت ١٠٧٧هـ).

١١٨ - عقد الدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

١٠٧ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي السُّوسي الرُّوداني المغربي المالكي، (ت ١٠٩٤هـ).

١١٩ - تقييد في فضل سورة القدر، مخطوط في المكتبة العامة بتطوان/المغرب ضمن مجموع برقم (٥٣٥)^(٣).

١٠٨ - محمد هاشم بن عبد الغفور بن عبد الرحمن السندي، (ت ١١٧٤هـ)^(٤).

(١) فهرس دار الكتب المصرية (٥٥/١)، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد (١٨٦/٥)، وفهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي (٢٧٨/٢)، والفهرس الشامل للتراث «التفسير وعلومه» (٢٦٥/٢)، وهدية العارفين (١/٧٥١ - ٧٥٢)، وذكر الكتب الثلاثة الأول * والبلدر الطالع (١/٤٤٥)، وخلاصة الأثر (٣/١٨٥)، والأعلام (٥/١٢ - ١٣).

(٢) إيضاح المكنون (٢/١٠٨)، وهدية العارفين (٢/٢٩٠)، ومعجم المؤلفين (١١/٣٤) * وخلاصة الأثر (٤/٣٩)، وفهرس الفهارس (١/٢١٠)، والأعلام (٦/٢٧٠).

(٣) فهرس مخطوطات المكتبة العامة بتطوان (ص ٣٠) * وخلاصة الأثر (٤/٢٠٤)، وفهرس الفهارس (١/٤٢٥)، وهدية العارفين (٢/٢٩٨)، والأعلام (٦/١٥١).

(٤) ترجمته في الأعلام (٧/١٢٩).

١٢٠ - جنة النعيم في فضائل القرآن الكريم طبع بتحقيق محمد شكور الميادينى باسم «هبة الرحمن الرحيم من جنة النعيم . . .» عام (١٤٠٧هـ).

١٠٩ - أبو سعيد محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي الحنفي، (ت ١١٦٨ أو ١١٧٦هـ).

١٢١ - فضائل القرآن وتلاوته وتفضيل بعض السور، مخطوط في مكتبة الأسد برقم (١٣٢٧٩) (١).

١١٠ - محمد بن أحمد بن جار الله الصغدي الصنعاني المعروف بمشحم الكبير، (ت ١١٨١هـ).

١٢٢ - تحفة الخواص في فضائل سورة الإخلاص.

١٢٣ - فتح العليم في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم (٢).

١١١ - محمد بن محمد بن الطيب المغربي التافلاتي الحنفي، (ت ١١٩١هـ) (٣).

١٢٤ - الرقم في محاسن الصور في الكشف عن أحاديث السور. مطبوع مع كتاب فضائل القرآن للغماري الآتي - إن شاء الله - عام (١٤٠٦هـ) ط. الثانية.

١١٢ - محمد مكّي الطّربُزُوني المدني، (ت ١١٩١هـ).

(١) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد (٢٠٧/٥). وانظر: نسخة أخرى في الفهرس الشامل للتراث «التفسير وعلومه» (٧٧٢/٢) * والأعلام (٦٨/٧)، ومعجم المؤلفين (٣٠١/١١).

(٢) هدية العارفين (٣٣٦ - ٣٣٧) * والبدر الطالع (١٠٢/٢)، والأعلام (٦/١٤)، ومعجم المؤلفين (٢٤٥/٨).

(٣) ترجمته في: سلك الدرر (١١٦/٤)، وفهرس الفهارس (٢٦٨/١)، وهدية العارفين (٣٤١/٢)، والأعلام (٦٩/٧).

- ١٢٥ - الدرر الثمينة في فضائل الآيات والسور العظيمة^(١).
- ١١٣ - أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني العلوي الزبيدي الحنفي، (ت ١٢٠٥هـ).
- ١٢٦ - بذل المجهود في تخريج حديث (شيبتي هود)، مخطوط في الخزانة التيمورية برقم (١٤٥) بخط مؤلفه^(٢).
- ١١٤ - أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهبي التميمي النجدي، (ت ١٢٠٦هـ)^(٣).
- ١٢٧ - فضائل القرآن طبع ضمن مجموع مؤلفاته^(٤)، وطبع مستقلاً بتحقيق د. فهد الرومي عام (١٤١٧هـ).
- ١١٥ - أبو زين العابدين المختار بن أحمد بن أبي بكر الكُنْتِي الوافي. (كان حياً سنة ١٢٠٧هـ).
- ١٢٨ - لطائف القدسي في فضائل آية الكرسي، مخطوط في الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط برقم (٥٤٩٣)^(٥).
- ١١٦ - أبو العباس أحمد بن موسى بن أحمد البجلي العدوي المالكي، (ت ١٢١٣هـ).

-
- (١) إيضاح المكنون (٤٦٥/١)، ومعجم المؤلفين (٤٨/١٢).
- (٢) فهرس الخزانة التيمورية (٤١٦/٢)، وتاريخ عجائب الآثار (١١٢/٢)، وفهرس الفهارس (٥٣٨/١)، وله فيهما ترجمة مطولة، وإيضاح المكنون (١٧٤/١)، وهدية العارفين (٣٤٨/٢)، والأعلام (٧٠/٧).
- (٣) ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٢٥/١)، والنعت الأكمل (ص ٣٣٥)، والأعلام (٢٥٧/٦).
- (٤) القسم الرابع من (ص ٣ - ٤٠).
- (٥) فهارس الخزانة الحسينية بالقصر الملكي (٣٦٧/٦) * ومعجم المؤلفين (٤/١٩٨).

١٢٩ - فضائل الفاتحة وخواصها، مخطوط في الخزانة السابقة برقم (٩٢٦٠)^(١).

١١٧ - أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عَجِيبَةَ الحسني الإدريسي التَّطْوانِي، (ت ١٢٢٤هـ).

١٣٠ - شرح الفاتحة وبعض فضائلها، مخطوط في الخزانة العامة برباط الفتح بالمغرب برقم (١٠٧١/٧٠٠)^(٢).

١١٨ - فيض الله شكري بن مصطفى الرومي الحنفي، (ت ١٢٢٩هـ).

١٣١ - الوسيلة النافعة في فضائل القرآن^(٣).

١١٩ - أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشُّوكَانِي الصنعاني، (ت ١٢٥٠هـ).

١٣٢ - فوائد في أحاديث فضائل القرآن. مخطوط في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع برقم (١)^(٤).

(١) فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي (٣٨٣/٦) * وتاريخ عجائب الآثار (٢٧٦/٢)، والأعلام (٢٦٢/١)، ومعجم المؤلفين (١٨٦/٢)، وتاريخ الأدب العربي القسم الثامن (ص ٦٦)، وشجرة النور الزكية (ص ٣٦٠).

(٢) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (٤٤/١) * وفهرس الفهارس (٨٥٤/٢)، والأعلام (٢٤٥/١)، ومعجم المؤلفين (٢/١٦٣)، وشجرة النور الزكية (ص ٤٠٠).

(٣) إيضاح المكنون (٧٠٨/٢)، وهدية العارفين (٨٢٤/١)، ومعجم المؤلفين (٨/٨٦).

(٤) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير (ص ٧١٥) * والبدر الطالع (٢١٤/٢)، وفهرس الفهارس (١٠٨٢/٢)، والرسالة المستطرفة (ص ١٥٢)، وهدية العارفين (٣٦٥/٢)، والأعلام (٢٩٨/٦).

١٢٠ - إبراهيم بن أحمد الحسني العلوي الشهير بابن قضيبة البان،
(ت ١٣٠٨هـ) (١).

١٣٣ - آكام الجواهر والمرجان في فضل تلاوة القرآن، مخطوط في
مكتبة الأسد برقم (١٢٧٠٦).

١٣٤ - مشكاة الأنوار في فضائل القرآن ومنافع الأذكار، مخطوط في
نفس المكتبة برقم (١٢٦٨٣)، ورقم (١٢٧٠٥) (٢).

١٢١ - أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي،
(ت ١٣٨٠هـ).

١٣٥ - رياض التنزيه في فضل القرآن وفضل حامله، مخطوط في دار
الكتب المصرية برقم (٢٣٦١) تصوف (٣).

* * *

المؤلفات الحديثة:

١٢٢ - أحمد حمدي إمام.

١٣٦ - مختارات من فضائل القرآن لابن كثير. طبع بمطبعة المدني
بالقاهرة عام (١٤٠١هـ).

١٢٣ - أحمد بن عباس بن علي الخملي الأخوي.

(١) كذا تاريخ وفاته في فهرس مكتبة الأسد وفي فهرس الفهارس كان موجوداً عام
(١٢٠٤)، وفي الأعلام توفي بعد (١٣٠٤).

(٢) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد (١١/٥، ٢٥٨) *
وفهرس الفهارس (٨٧٢/٢)، والأعلام (٣٠/١)، ومعجم المؤلفين (٤/١).

(٣) ملحق فهرس دار الكتب المصرية (ص ٤٣)، وفضائل القرآن للغماري (ص ٤)،
والأعلام (٢٥٣/١) * والتأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين للجبري
(ص ٣١).

- ١٣٧ - تذكرة أولي الألباب بفضل التقيد بتلاوة الكتاب . طبع بمطبعة التضامن بالقاهرة^(١) .
- ١٢٤ - حسنين محمد مخلوف العدوي المالكي .
- ١٣٨ - فضل القرآن العظيم وتلاوته . لم أره مطبوعاً^(٢) .
- ١٢٥ - حمود بن عبد الله بن عبد المحسن المطر .
- ١٣٩ - من فضائل قراءة القرآن الكريم . نشر دار طويق بالرياض ط . الأولى عام (١٤٢٠هـ) .
- ١٢٦ - رضوان محمد رضوان .
- ١٤٠ - فضائل القرآن . طبع بمطبعة مصر بالقاهرة عام (١٣٦٠هـ) .
- ١٢٧ - السيد عبد المقصود عسكر .
- ١٤١ - المختار من فضائل القرآن لابن كثير . طبع عام (١٤١٢هـ) .
- ١٢٨ - سيد لاشين أبو الفرح .
- ١٤٢ - الفواكه الحسان في فضائل القرآن . طبع بمطابع الرشيد بالمدينة عام (١٤١٤هـ) .
- ١٢٩ - صلاح السيد دعبس .
- ١٤٣ - فضل القرآن . نشر دار المختار الإسلامي بالقاهرة .
- يخالف المحتوى العنوان ، فهو يتكلم عن تاريخ تدوين القرآن ، وتربيته للفرد والمجتمع .
- ١٣٠ - صلاح بن محمد بن محمد بن إبراهيم كرنه .

(١) معجم الدراسات القرآنية (ص ٤٠٨) .

(٢) ذكره محمد خير رمضان يوسف في تنمة الأعلام (١/١٤١) ، ولم يشر إلى طبعه .

- ١٤٤ - فضائل القرآن وحملته وبيان الأحرف السبعة والقراءة بها . نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط . الأولى (١٤١٨هـ).
- ١٣١ - عاتق بن غيث البلادي .
- ١٤٥ - فضائل القرآن . نشر دار مكة بمكة ط . الأولى عام (١٤١٠هـ).
- ١٣٢ - عبد الحميد كشك .
- ١٤٦ - فضل القرآن يوم الحشر . طبع المكتب المصري الحديث بالأسكندرية (١٩٨١م)
- ١٣٣ - عبد الخالق عبد الرحمن الهاشمي .
- ١٤٧ - فضل القرآن على العربية . طبع بمطبعة الجامعة ببغداد^(١).
- ١٣٤ - عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله .
- ١٤٨ - فضائل القرآن الكريم . طبع عام (١٤٠٣هـ) ، الرياض .
- ١٣٥ - عبد الله سراج الدين .
- ١٤٩ - فضل تلاوة القرآن المجيد . طبع عام (١٣٨٥هـ).
- ١٣٦ - عبد الله بن محمد بن الصّدّيق الغماري .
- ١٥٠ - فضائل القرآن في جزئين صغيرين دار عالم الكتب بيروت ط الثانية (١٤٠٦هـ).
- ١٣٧ - علي محمد زهران .
- ١٥١ - من فضائل وآداب وأحكام القرآن الكريم . دار الشعب بالقاهرة (١٩٨٩م).
- ١٣٨ - عمر يوسف باشميل .

(١) معجم الدراسات القرآنية (٤١٠).

١٥٢ - الشفيع، أغلب الكتاب في فضائل القرآن. دار طويق بالرياض
ط. الأولى عام (١٤١٤هـ).

١٣٩ - عمرو عبد المنعم سليم.

١٥٣ - الروح والريحان في فضائل وأحكام المصاحف والقرآن. نشر
دار المؤتمن ط. الأولى عام (١٤٢٠هـ).

١٤٠ - فخري الشيخ سلمان الظالمي.

١٥٤ - القرآن فضائله وآثاره في النشاطين. طبع في العراق عام
(١٩٦٧م)^(١).

١٤١ - فضل إلهي ظهير.

١٥٥ - فضل آية الكرسي وتفسيرها. نشر إدارة ترجمان الإسلام
بباكستان ط. الأولى عام (١٤١٥هـ).

١٤٢ - فوزي بن عبد الله بن محمد.

١٥٦ - الفلك في فضل سورة الملك. نشر مكتبة الذهبي بعنيزة. ط.
الأولى عام (١٤١٢هـ).

١٤٣ - د. محب الدين عبد السبحان واعظ.

١٥٧ - فضائل سورة يس في ميزان النقد. نشر مؤسسة الريان
ببيروت. ط. الأولى عام (١٤١٩هـ).

١٤٤ - محمد بن إبراهيم اللحيان.

١٥٨ - فتح الرحمن بذكر جملة ثابتة من الأحاديث في فضائل القرآن.
نشر دار الكتاب والسنة. ط. الأولى عام (١٤١٠هـ).

١٤٥ - محمد بن رزق بن طرهوني.

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

١٥٩ - موسوعة فضائل سور وآيات القرآن «القسم الصحيح» في جزئين: الجزء الأول عام (١٤١٤هـ) مكتبة العلم بجدة، والجزء الثاني طبع عام (١٤١٤هـ) ط. الثانية.

١٤٦ - محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي.

١٦٠ - فضائل القرآن الحكيم. طبع بالهند ط. الأولى عام (١٣٩٢هـ).

١٤٧ - محمد الصادق قمحاوي.

١٦١ - رسالة في فضائل القرآن، طبعت مراراً مع كتابه البرهان في تجويد القرآن.

١٤٨ - محمد عمرو بن عبد اللطيف.

١٦٢ - حديث قلب القرآن يس في الميزان وجملة مما روي في فضلها. نشر مكتبة التربية الإسلامية بمصر، ط الأولى عام (١٤١٤هـ).

١٤٩ - محمد كامل حسن المحامي.

١٦٣ - فضائل الآيات في القرآن الكريم. نشر المكتب العلمي ببلبنان (١٩٨٨م).

١٥٠ - محمد محمد نور فطاني.

١٦٤ - من شمائل القرآن الكريم. نشر مكتبة الخدمات الحديثة ط الأولى عام (١٤١٦هـ).

١٥١ - محمد موسى نصر.

١٦٥ - فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة. نشر دار اليقين بالبحرين ط. الثانية (١٤١٠هـ).

١٥٢ - ناصر آل سعيد الشريف الظاهري .

١٦٦ - حديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ، رواية ودراية ط .
الأولى عام (١٤١٥هـ) .

١٥٣ - ناظم سلطان المسباح .

١٦٧ - التبيان في فضل وشرح أعظم آية من القرآن . نشر مكتبة
الذهبي بالكويت ط الأولى عام (١٤١٥هـ) .



المبحث الثاني

فضائل القرآن ضمن كتب الحديث

٢ وفيه مدخل، وثلاثة مطالب

مدخل:

تقدم الكلام عن كتب الحديث على كتب التفسير وعلوم القرآن؛ لأن فضائل القرآن تستقي أكثر مادتها من الحديث الشريف، فهو المصدر الأساس لفضائل القرآن، وأغلب هذا الموضوع مأخوذ من أقوال النبي ﷺ، فهناك ارتباط قوي بين فضائل القرآن والحديث، والمحدثون عنوا بفضائل القرآن، ولذلك عدت بعض مصنفاتهم في فضائل القرآن ضمن كتب الحديث^(١)، واقتصر بعض من ألف في فضائل القرآن على إيراد الأحاديث فقط، كأصحاب الأربعينيات الذين جمعوا أربعين حديثاً في فضائل القرآن الكريم.

المطلب الأول

اهتمام المحدثين بفضائل القرآن وأهمية ما كتبوه

من الأمور الواضحة الجلية لمن ألقى نظرة في كتب الحديث اهتمام أربابها بفضائل القرآن، ويأتي اهتمامهم بها من اهتمامهم بحديث الرسول ﷺ عامة، فقد جاء عنه جملة كبيرة من الأحاديث مما يتعلق بفضل القرآن وشرفه، وشرف أهله وحملته، وفضل قراءته وتعلمه وتعليمه وفضل سورة وآياته...

(١) انظر: الرسالة المستطرفة (ص ٥٨).

ومن مظاهر اهتمام المحدثين بفضائل القرآن ما يلي :

أولاً: من الأمور التي نشأت مبكراً عند المحدثين، تقسيم أحاديث الرسول ﷺ، وتبويبها وترتيبها؛ لتسهيل الاستفادة منها. ومن جملة الأبواب التي وضعها المحدثون ما يخص فضائل القرآن، وأفرد بعضهم لفضائل القرآن كتاباً خاصاً في مصنفه، وضع تحته أبواباً متعددة.

ثانياً: أن المصنفين الأوائل في فضائل القرآن بشكل مستقل كثير منهم محدثون، مثل: عبد الرزاق وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن أبي شيبة، وهشام بن عمار، وأبي بكر الفريابي، وابن الضريس، وابن أبي داود وغيرهم.

وهذا يدل على تقدّم عناية المحدثين بهذا الموضوع، واهتمامهم به قبل غيرهم.

ثالثاً: أن الكتب الحديثية التي تناولت فضائل القرآن كثيرة جداً، سواء في ذلك الكتب التي صنفت على الأبواب، أو الكتب التي صنفت على المسانيد.

والكتب التي صنفت على الأبواب على اختلافها في التبويب - كما سيأتي - لم تخل من تناول فضائل القرآن، إما إفراداً له في كتاب خاص، وإما تحت أبواب ضمن كتاب آخر.

وقد توسعت في تناوله لا من حيث كثرة الأبواب والأنواع المتعلقة به، ولا من حيث كثرة ما ساقته تحت هذه الأبواب والأنواع من أحاديث وآثار.

ومن هذه الكتب ما يلي :

١ - مصنف ابن أبي شيبة أفرد فيه كتاباً خاصاً، ويوب تحتها أربعة وسبعين باباً، ساق فيها عدداً كثيراً من الأحاديث والآثار^(١).

(١) (١٠/٤٥٦ - ٥٦٥).

٢ - صحيح البخاري، فيه كتاب خاص لفصائل القرآن، تحته سبعة وثلاثون باباً، ساق فيها الإمام البخاري قريباً من مائة حديث^(١).

٣ - «السنن الكبرى»، أفرد النسائي فيها كتاباً لفصائل القرآن، بوب تحته اثنين وستين باباً، فيها ما يزيد على عشرين ومائة حديث وأثر^(٢).

٤ - «السنن» للدارمي^(٣)، في آخرها كتاب مستقل لفصائل القرآن، تحته خمسة وثلاثون باباً^(٤)، وسيأتي مزيد.

رابعاً: ومن مظاهر اهتمام المحدثين بفصائل القرآن، اهتمامهم بتنقيح أحاديثها وتمييز صحيحها من سقيمها، وبيانهم للموضوع فيها، ومن ذلك إفراد المؤلفين في الأحاديث الموضوعية أبواباً خاصة لما وضعه الرضّاعون في فصائل القرآن^(٥)، ونصر بعضهم على سور خاصة صح فيها فضل دون غيرها^(٦)، ومما يدخل في هذا تعرّض أصحاب مصطلح الحديث كثيراً للوضع في فصائل السور عند الكلام عن الحديث الموضوع^(٧).

(١) (٩٦/٦ - ١١٥). وانظر: فتح الباري (١٠٣/٩).

(٢) (٣/٥ - ٣٤).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي الإمام الحافظ، أحد الرّحّالين في طلب الحديث، والموصوفين بجمعه وحفظه والإتقان له، مع الثقة والصدق والورع والزهد صنف: المسند، والتفسير، والجامع، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (٢٩/١٠)، وتذكرة الحفاظ (٥٣٤/٢)، وتهذيب التهذيب (٣٧٣/٢).

(٤) (٨٨٧/٢ - ٩٣٠).

(٥) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣٩٠/١ - ٤١٨)، واللائل المصنوعة (١/٢٤٨ - ٢٢٦).

(٦) انظر: المغني عن الحفظ والكتاب (ص ٣٢ - ٣٣)، والمنار المنيف (ص ١١٣ - ١١٥)، والتحديث بما قيل لا يصح فيه حديث (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٧) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٨١)، وتدريب الراوي (٣٤٠/١)، وسيأتي =

وبهذا تظهر أهمية ما سطره المحدثون في هذا المجال من أوجه عديدة، منها:

أولاً: أن ما كتبوه يُعدُّ من المصادر الأصلية التي تُستقى منها فضائل القرآن، ولذلك اعتمدت أكثر كتب فضائل القرآن - خاصة المتأخرة - على الكتب الحديثية، واستقت مادتها منها، فهذا ابن كثير في كتابه المشهور «فضائل القرآن» اعتمد على ما كتبه البخاري في صحيحه اعتماداً كبيراً، فجعل أبوابه على أبوابه، وساق أحاديث البخاري وشرحها وعلق عليها، وأضاف إليها بعض الأحاديث في باب جامع في آخر كتابه، سرد فيه طائفة من جياذ الأحاديث^(١).

ثانياً: سعة ما كتبه المحدثون في هذا المجال، مما يعطيه ثراءً، وغناءً بالمادة العلمية، بحيث لو جمع ما دونوه وسطروه، ورُتب، وبوب لأصبح كتاباً كبيراً، وقد خرج بعض ما كتبوه في مؤلفات مستقلة^(٢).

ثالثاً: من عادة المحدثين اعتمادهم على الإسناد لما يوردونه من أحاديث وآثار، وهذا يعطي ما كتبوه قوة، وقديماً قيل: «الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل»^(٣)، وبالإسناد يتمكن الناظر في كتبهم من معرفة الصحيح والضعيف.

= تفصيل الكلام عن الوضع في فضائل القرآن في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

- (١) مقدمة الحويني لكتاب ابن كثير (ص ٣).
- (٢) أخرج بعض الناشرين شرح ابن حجر في فتح الباري لكتاب فضائل القرآن في كتاب سماه فضائل القرآن.
- وقام بتحقيقه د. السيد الجميلي، وقد نص في مقدمته (ص ٧) على أنه مأخوذ من فتح الباري.
- (٣) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص ٤٢)، وحكى هذه المقولة عن سفيان الثوري.

رابعاً: أن بعض المحدثين له عناية ببيان مراتب الأحاديث صحة وضعفاً، ولا يكتفي بإبراز إسناد الحديث فقط، دون بيان حاله ضمناً أو صراحة.

أما ضمناً فمثل من التزم الصحة في كتابه، فلا يخرج إلا ما صح كالبخاري ومسلم، فوجود الحديث في كتابيهما مع عدم تعرضهما له بنقد يدل على صحته عندهما^(١).

وأما صراحة فهذا يرد في الكتب الحديثية التي يتكلم أصحابها عن الأحاديث، كالترمذي^(٢) في سننه، والحاكم^(٣) في مستدركه، فقد أكثرا من تعقب أحاديث فضائل القرآن كما هي عادتهما^(٤). ولا يعني ذلك

(١) ومثل البخاري ومسلم: ابن حبان في صحيحه، فإنه وإن كان أقل مرتبة في الصحة من الصحيحين، فقد التزم ابن حبان ألا يخرج فيه إلا ما صح عنده، وقد رتب صحيحه ابن بلبان الفارسي على الأبواب، فجعل ما يتعلق بفضائل القرآن تحت أبواب مخصوصة. انظرها في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٥٧/٢ - ٨٦).

(٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، الإمام الحافظ البار، من تلاميذ الإمام البخاري، وقد سمع منه البخاري أيضاً، أضر بعد ما كبر ورحل في طلب العلم. من كتبه: السنن وهو أعظمها، والشمائل. توفي سنة (٢٧٩هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ (٦٣٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٣)، وتهذيب التهذيب (٦٦٨/٣).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الضبي النيسابوري، يعرف بابن البيع، لقب بالحاكم لسعة حفظه للأحاديث، سمع من نحو ألفي شيخ، وله في ذلك أسانيد عالية، وفيه تشيع يسير، من كتبه: المستدرک على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث، توفي سنة (٤٠٥هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٤٧٣/٥)، وتذكرة الحفاظ (١٠٣٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٦٢/١٧).

(٤) انظر: سنن الترمذي (٩١/٨ - ١٢٥)، والمستدرک (٥٥٢/١)، وما بعدها، =

القطع بصحة ما ذكره أو صححاه، وإنما يحصل للقارئ اطمئنان واستئناس بكلامهما، وهذا الكلام ينطبق على غيرهما ممن يحدو منهجهما.

وتبقى أهمية ما ذكره المحدثون في المأثور عن الرسول ﷺ، أو من أتى بعده من الصحابة والتابعين، أما ما يدخل في فضائل القرآن من الآيات والاستنباطات والمعاني التي يذكرها العلماء، فلا يتعرض لها المحدثون إلا قليلاً.

المطلب الثاني

الكتب الحديثية التي تناولت فضائل القرآن

موضوع فضائل القرآن مبثوث في كتب الحديث ولا تختص بتناوله كتب دون كتب، فغالب كتب الحديث أصولها وفروعها تناولت هذا الموضوع، وإن اختلفت مناهجها في عرضه.

ويقصد بالكتب الأصول: كتب الحديث التي تروي الأحاديث عن النبي ﷺ بإسناد مؤلفيها، وقد تناولت فضائل القرآن بكثرة، ومن هذه الكتب:

- ١ - الجوامع. وهي: كتب الحديث التي شملت جميع الأنواع كالعقائد والأحكام وغيرها^(١)، كصحيح البخاري ومسلم.
- ٢ - السنن. وهي: كتب الحديث المرتبة على الأبواب الفقهية، وتشمل

= لكن ينبغي التنبيه إلى تساهل الحاكم رحمه الله في التصحيح كما هو معلوم، ولذلك ينبغي النظر في تعقبات الذهبي له في تلخيصه للمستدرک. انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ١٦٤).

(١) أصول التخریج للطحان (ص ٩٧).

على المرفوعات فقط^(١). كسنن أبي داود^(٢).

٣ - المصنفات. وهي كالسنن إلا أنها تروي الموقوف، والمقطوع^(٣).

مثل: مصنف عبد الرزاق، وابن أبي شيبة.

٤ - المسانيد. وهي: كتب الحديث المصنفة على أسماء الصحابة^(٤).

مثل مسند الإمام أحمد وغيره.

٥ - المعاجم. وهي: كتب الحديث المصنفة على أسماء الصحابة أو

شيوخ المؤلف أو البلدان^(٥)، مثل: معاجم الطبراني الثلاثة:

«الكبير»، و«الأوسط»، و«الصغير».

أما كتب الحديث الفرعية، فهي التي تنقل من الكتب الأصول،

وتعزو إليها مكتفية بذلك عن الإسناد إلى النبي ﷺ^(٦).

وتختص بعض الكتب الفرعية بالحديث عن باب معين من أبواب

الدين، ومن الكتب الفرعية التي تناولت فضائل القرآن:

١ - الكتب التي ألفت في فضائل الأعمال، مثل: «فضائل الأعمال»

(١) المصدر السابق (ص ١١٥).

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، الإمام الحافظ، تتلمذ

على الإمام أحمد، وقد كتب عنه الإمام أحمد، قال عن نفسه: إنه كتب

خمسمائة ألف حديث، قال عنه إبراهيم الحربي وغيره: «الين لأبي داود

الحديث كما ألبن لداود الحديد»، توفي سنة (٢٧٥هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩١)، وتهذيب التهذيب

(٢/ ٨٣).

(٣) أصول التخريج (ص ١١٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٤٠).

(٥) المصدر السابق (ص ٤٥).

(٦) انظر في هذين النوعين من كتب الحديث: الأصول والفروع: أصول التخريج

(ص ١٠ - ١٢).

للضيء المقدسي^(١)، و«المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح»
للدماطي^(٢).

٢ - الكتب التي ألفت في الرقائق والترغيب والترهيب، مثل: «الترغيب
والترهيب» للمنذري^(٣) و«رياض الصالحين» للنووي^(٤).

وهناك كتب فرعية جُردت للأحكام ك«المنتقى» و«بلوغ المرام»،
فمثل هذه الكتب لا تتعرض لفضائل القرآن.

المطلب الثالث

منهج المحدثين في تناول فضائل القرآن

ويراد بهم - هنا - الذين بوبوا لفضائل القرآن، وجمعوا أحاديثها في
مكان واحد، أما المحدثون الذين رتبوا كتبهم على الرجال كالمسانيد

(١) (ص ١٠٦ - ١١٣).

(٢) (ص ٢٦٠ - ٢٧٧).

(٣) (٢/ ٣٤٢ - ٣٩٣)، والمنذري هو أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
الشافعي، الإمام الثبت الحافظ، أشهر فنونه فن الحديث، انقطع في دار الحديث
الكاملية عشرين سنة عاكفاً على التصنيف، من مؤلفاته: الترغيب والترهيب،
ومختصر صحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود. توفي سنة (٦٥٦هـ).
انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٢٥٨)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٣٦)، وذيل
مرآة الزمان (١/ ٢٤٨).

(٤) (ص ٤١٩ - ٤٢٨)، والنووي هو: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي
الشافعي، الإمام الحافظ، قال اليونيني: «كان أواحد زمانه في الورع والعبادة
والتقلل من الدنيا، والإكباب على الإفادة والتصنيف»، وله تصانيف نافعة منها:
شرحه لصحيح مسلم، ورياض الصالحين، والمجموع وغيرها، توفي سنة
(٦٧٤هـ).

انظر: ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٣)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٠)، وطبقات
الشافعية للسبكي (٨/ ٣٩٥).

والمعاجم، فلا نتعرض لهم؛ لأن منهجهم لا علاقة له بالمتن - موضوع بحثنا - وإنما يقوم على الإسناد، فالأحاديث المتعلقة بفضائل القرآن عندهم مرتبطة بمن رواها.

وسوف يكون الحديث هنا عن صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، و«السنن الكبرى»، و«الصغرى» للنسائي، وسنن ابن ماجه^(١)، وموطأ مالك^(٢).

وقد اتخذت هذه الكتب في تبويب فضائل القرآن ثلاث طرق:

الأولى: من أفرد لفضائل القرآن كتاباً مستقلاً، وبوب تحته أبواباً متعددة، وذكر في كل باب عدة أحاديث، مثل ما فعله البخاري في صحيحه، والترمذي في سننه، فقد وضع كتاب فضائل القرآن في موضع قريب من كتاب التفسير، أما البخاري فقد وضعه بعده مباشرة، أي: الفضائل عقب التفسير، وأما الترمذي فوضعه قبل التفسير، وفصل بينهما بكتاب القراءات، ويلاحظ اهتمام هذين الإمامين بوضع ما يتعلق بالقرآن قريباً من بعض.

وممن أفرد فضائل القرآن في كتاب مستقل النسائي في سننه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني، الإمام الحافظ الحجة، كتابه السنن أحد الكتب الستة المشهورة في الحديث، وصنف أيضاً التفسير والتاريخ. توفي سنة (٢٧٣هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٢٧٩/٤)، وتذكرة الحفاظ (٦٣٦/٢)، وتهذيب التهذيب (٧٣٧/٣).

(٢) أدرجت موطأ الإمام مالك مع الكتب الستة لجلالة مصنفه، وذبوع الكتاب وانتشاره، وكونه مرتباً على الأبواب، وكونه من أقدم الكتب الحديثية التي طبعت تناولاً لهذا الموضوع. وقد جرى بعض العلماء على إدراجه معها كابن الأثير في جامع الأصول، وضعه بدل سنن ابن ماجه، جامع الأصول (١٩٨/١) - (٢٠٤).

«الكبرى»^(١)، لكنه لم يربطه بما يتعلق بالقرآن، بل جعله قبل كتاب المناقب وبعد كتاب الاستعاذة.

الثانية: من لم يجعل فضائل القرآن في كتاب خاص، بل بوبها تحت كتاب الصلاة، كما فعل الإمام مسلم^(٢) وأبو داود^(٣) والنسائي في سننه الصغرى «المجتبى»، ومالك في «الموطأ».

ويلاحظ على الإمام مالك في الموطأ - مع قلة ما ذكره من أحاديث الفضائل - تفريقه لها في كتاب الصلاة، فذكر ما جاء في فضل الفاتحة عند القراءة في الصلاة^(٤)، ثم ذكر باباً عاماً لما جاء في القرآن وفضائل بعض السور في آخر كتاب الصلاة بعد ذكره لكثير من أحكامها^(٥).

وقد جاء في بعض طبعات «الموطأ» إفراد كتاب خاص للقرآن^(٦)، وقد يُتوهم أنه يتكلم عن فضائله، لكن عند النظر فيه يتضح عدم تعلقه بهذا الموضوع إلا قليلاً، وغالب ما فيه عن نزول القرآن وسجدياته، وعن الذكر والدعاء، والنهي عن الصلاة بعد الصبح^(٧).

(١) السنن الكبرى (٣/٥ - ٣٤).

(٢) صحيح مسلم (٥٤٣/١ - ٥٦٥).

(٣) سنن أبي داود (٧٠/٢ - ٧٦).

(٤) الموطأ (١/١٣٤)، تحقيق بشار عواد معروف.

(٥) المصدر السابق (١/٢٧٧، ٢٨٥).

(٦) في الطبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي (١/١٩٩).

(٧) والأظهر أن وضع اسم الكتاب كتاب القرآن من عمل محمد فؤاد عبد الباقي تابع فيه كتابي «مفتاح كنوز السنة»، و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي». انظر: مقدمته للموطأ (ص زي)، ولا يوجد هذا العنوان في شروح الموطأ، وإنما الأبواب مدرجة ضمن كتاب الصلاة. وانظر: مقدمة بشار معروف للموطأ (١/١٠).

والنسائي في سننه «الصغرى» فرق فضائل القرآن كالإمام مالك إلا أن تفريقه لها في كتاب افتتاح الصلاة فقط، فذكر فضل الفاتحة، ثم جامع ما جاء في القرآن، ثم رجع إلى فضل المعوذتين، ثم ذكر فضل سورة الإخلاص، ثم ذكر فضل تزيين الصوت بالقرآن، ولم يجعل هذه الأمور تحت باب واحد أو أبواب متتابعة، وإنما يذكر ما يتعلق بفضل الفاتحة، ثم يتكلم عن أمور أخرى، ويرجع بعد ذلك لما جاء في القرآن وهكذا^(١).

ومما يلفت نظر القارئ في هذه الطريقة أن هؤلاء الأئمة - رحمهم الله تعالى - وضعوا فضائل القرآن في كتاب الصلاة، وهذا له مناسبة ظاهرة، فإن أفضل أعمال الصلاة قراءة القرآن فيها، وقد وردت أحاديث في فضلها^(٢)، فناسب ذكر فضائل القرآن عند الحديث عن الصلاة ترغيباً للمؤمن في قراءة القرآن في صلاته والإكثار من ذلك، ولذلك ذكر مسلم وأبو داود فضائل القرآن عند أبواب الوتر وقيام الليل، وذكر الإمام مالك والنسائي فضل الفاتحة عند القراءة في الصلاة وإيجاب قراءتها في الصلاة، تدليلاً على أهمية قراءتها في الصلاة^(٣).

الثالثة: طريقة من فرق هذا الموضوع في جميع كتابه، ولم يلتزم ذكره في مكان معين، وقد فعل هذا ابن ماجه في سننه، فقد ذكر في مقدمته باباً في فضل من تعلم القرآن وعلمه، وفي كتاب إقامة الصلاة ذكر باب حسن الصوت بالقرآن، وما يستحب فيه ختم القرآن، وذكر في كتاب

(١) سنن النسائي (٢/١٣٨، ١٤٦، ١٥٨، ١٧٠، ١٧٩).

(٢) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (١/٢٩٨)، والتذكار (ص ٩٢).

(٣) وقد استدلل بعض الفقهاء على إيجابها في الصلاة بفضلها وشرفها. انظر:

الاصطلام للسمعاني (١/٢٠٨ - ٢٠٩)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/

(١٤).

الطب الاستشفاء بالقرآن، وفي كتاب الأدب ذكر باب ثواب القرآن^(١).

وعلى كل حال فقد سلكت هذه الكتب طريقة التبويب مع اختلافها في عرض الأبواب، والغالب وجود أحاديث الفضائل تحت أبوابها مما يسهل البحث عنها، وقد توجد أبواب متعلقة بفضائل القرآن في غير مكانها، وقد توجد أحاديث في الموضوع في غير أبواب فضائل القرآن، وهذا قليل كما سيأتي.

ثم إن الناظر في هذه الكتب يلحظ أموراً عامة، وأخرى خاصة، ومن الأمور العامة ما يلي:

أولاً: أن هذه الكتب سلكت طريقة سرد الأحاديث فقط، ولم تدرج معها كلاماً آخر، وهذا من منهجها العام، وظهر هذا المنهج أيضاً في فضائل القرآن، إلا أن البخاري كما عرف من منهجه، يستدل للأبواب التي يذكرها بالقرآن الكريم^(٢)، وقد يذكر مع الأحاديث بعض الآثار عن الصحابة والتابعين وقد وصلت في فضائل القرآن إلى سبعة آثار^(٣).

ثانياً: يظهر التشابه بين هذه الكتب فيما تذكره من موضوعات متعلقة بفضائل القرآن - خاصة من توسع منها في التبويب - فلم يخل كتاب منها من ذكر فضل القرآن وقراءته، ومن ذكر فضائل السور والآيات قلّ ذلك أو كثر، كما يظهر التشابه في السور التي تذكرها.

ويظهر التشابه بينها في ذكر ما لم يتمحض في الفضائل، فيذكر مؤلفوها نزول القرآن على سبعة أحرف، وكيفية نزول الوحي على النبي ﷺ ونحو ذلك. ويعد الترمذي أقلهم في هذا.

(١) سنن ابن ماجه (١/٧٦، ٤٢٤، ٤٢٧، ١١٥٨/٢، ١٢٤٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦/٩٧، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣).

(٣) فتح الباري (٩/١٠٣).

وقد يتوسع بعضهم فيذكر بعض الأحكام والآداب المتعلقة بالقرآن،
كما فعل البخاري والنسائي في سنته «الكبرى».

فقد ذكرا - رحمهما الله -:

١ - جواز القراءة على الدابة^(١).

٢ - وهل يقول المرء: نسيت آية كذا وكذا^(٢)؟

٣ - وهل يقول: سورة كذا وكذا^(٣)؟

٤ - قول المقرئ للقارئ حسبك^(٤). وانفرد البخاري بذكر جواز تعليم
الصبيان القرآن^(٥).

وانفرد النسائي بجواز قراءة الماشي، وقراءة القرآن على كل الأحوال^(٦).

ثالثاً: لم تقتصر هذه الكتب على ذكر الفضائل في الموضوع
المخصص لها، فيستطيع الباحث استخراج بعض الأبواب والأنواع من
مواضع أخرى، وهذا الأمر يكاد يكون عاماً في هذه الكتب، ولذلك
ينبغي عند البحث عن فضائل القرآن عدم الاقتصار على الكتاب أو الباب
المخصص لها، وإنما ينظر في الأبواب الأخرى، ومن أمثلة ذلك:

١ - النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو، ذكره مالك
والبخاري وأبو داود وابن ماجه في كتاب الجهاد^(٧)، وذكره مسلم في

(١) صحيح البخاري (١١٠/٦)، السنن الكبرى (٢٤/٥).

(٢) المصدران السابقان (١١٠/٦، ٢٠/٥).

(٣) المصدران السابقان (١١٠/٦، ٩/٥).

(٤) المصدران السابقان (١١٣/٦، ٢٨/٥).

(٥) صحيح البخاري (١١٠/٦).

(٦) السنن الكبرى (٢٤/٥، ٢٦).

(٧) انظر: الموطأ (٥٧٤/١)، وصحيح البخاري (١٥/٤)، وسنن أبي داود (٣/

١٦)، وسنن ابن ماجه (٩٦١/٢).

كتاب الإمارة^(١)، وذكره النسائي في «الكبرى» في كتاب السير^(٢).

٢ - ذكر البخاري في كتاب التوحيد بابين يتعلقان بفضائل القرآن: الأول: باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار»^(٣).
الثاني: باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»^(٤)، وقوله: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٥).

فالبخاري ساق هذين البابين في كتاب التوحيد لمناسبة ومعنى يتعلق به^(٦)، ولكن يمكن توظيف هذين البابين في فضائل القرآن، والاستفادة منهما.

٣ - ذكر مسلم النهي عن الاختلاف في القرآن في كتاب العلم، وذكر فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في كتاب الذكر والدعاء^(٧).

(١) صحيح مسلم (١٤٩٠/٣).

(٢) السنن الكبرى (٢٤٣/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الكتاب والباب المذكورين أعلاه (٢٠٩/٨) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (٥٥٨/١ - ٥٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) علقه البخاري في صحيحه في الكتاب والباب المذكورين أعلاه (٢١٤/٨)، ووصله مسلم من حديث عائشة في كتاب صلاة المسافرين (٥٤٩/١).

(٥) علقه البخاري هنا (٢١٤/٨)، وقد أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (٧٤/٢)، والنسائي في سننه في كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت (١٧٩/٢ - ١٨٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب حسن الصوت بالقرآن (٤٢٦/١)، وأحمد في مسنده (٢٨٣/٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٦٤/٢)، كلهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٦) انظر المناسبة في: فتح الباري (٥٠٣/١٣، ٥١٩).

(٧) صحيح مسلم (٢٠٥٣/٤، ٢٠٧٤)، ومعلوم أن مسلماً لم يبوب كتابه، وإنما التبويب من صنع النووي.

٤ - ذكر أبو داود النهي عن الكلام في كتاب الله بغير علم في كتاب العلم، وذكر النهي عن الجدل في القرآن في كتاب السنة^(١).

٥ - ذكر الترمذي المدة التي يستحب فيها ختم القرآن في كتاب القراءات، وذكر باب من فسر القرآن برأيه في كتاب التفسير^(٢).

٦ - ذكر النسائي في سننه «الصغرى» فضل قراءة السر على قراءة الجهر في كتاب قيام الليل، وذكر «مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق» في كتاب الإيمان^(٣).

٧ - تقدمت الإشارة إلى سنن ابن ماجه قريباً^(٤).

والحاصل أنه يمكن للباحث عن فضائل القرآن في هذه الكتب العثور على مادة علمية غنية في هذا الموضوع في غير مكانها المخصص لها، فالحديث يساق في باب آخر لأن تعلقه به أكثر، ولذلك ساق ابن ماجه حديثاً في فضل سورة «يس» في كتاب الجنائز في باب «ما يقال عند الميت إذا حضر» لأن تعلقه بهذا الباب أكبر^(٥).

ومما يدخل في هذا الأمر صعوبة تحديد موضوعات فضائل القرآن وأنواعه في بعض الكتب من خلال النظر في الأبواب فقط، فقد يذكر المحدث باباً عاماً يدرج تحته عدة أنواع من خلال سرده للأحاديث كما فعل ابن ماجه حين ذكر فضل ثلاث سور تحت باب واحد سماه: «باب ثواب القرآن»^(٦)، وكذلك فعل النسائي في باب جامع ما جاء في القرآن

(١) سنن أبي داود (٣/٣٢٠، ٤/١٩٩).

(٢) سنن الترمذي (٨/١٤٣، ١٤٦).

(٣) سنن النسائي (٣/٢٢٥، ٨/١٢٤).

(٤) انظر (ص ١٣٥).

(٥) سنن ابن ماجه (١/٤٦٦).

(٦) المصدر السابق (٢/١٢٤٢).

في سننه «الصغرى»^(١)، فأورد فيه ما يتعلق بتعاهد القرآن وذكر فضل بعض السور.

وهذا يحدث عند من لم يتوسع في ذكر فضائل القرآن، وإنما يقتصر على أبواب معدودة، أما من توسع في التبويب فإن هذا الأمر قد لا يحدث عنده، وإنما ينعكس الأمر فيستدل لأكثر من باب بحديث واحد، مثل النسائي في سننه «الكبرى» ذكر حديثاً واحداً وهو حديث عثمان رضي الله عنه: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢) تحت باين: باب فضل من عَلم القرآن، وباب فضل من تعلم القرآن^(٣).

وقد ذهب إلى أبعد من هذا حينما ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قراءته على النبي ﷺ سورة النساء^(٤)، تحت ستة أبواب ولم يذكر معه غيره، فأخرجه في باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، وفي باب البكاء عند قراءة القرآن، وفي باب قول المقرئ للقارئ: حسبنا وغير ذلك، وعندما كرر هذا الحديث أتى به بأسانيد مختلفة^(٥).

رابعاً: اتفقت هذه الكتب على ذكر فضائل السور، لكنها تفاوتت في عدد السور التي ذكرت فضلها قلة وكثرة، ويجمعها قاسم مشترك، هو عدم التوسع في ذكر فضائل السور كما هو الحال عند المفسرين والمصنفين في فضائل القرآن.

(١) (١٤٦/٢).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (١٠٨/٦).

(٣) (١٩/٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن (١١٤/٦). ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (٥٥١/١).

كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) السنن الكبرى (٢٨/٥ - ٢٩).

وبيان ذلك بالآتي:

١ - لم يبوب ابن ماجه لفضل سورة بعينها، وإنما ذكر فضل ثلاث سور تحت باب واحد سمّاه «باب ثواب القرآن»، والسور هي: الفاتحة، والملك، والإخلاص^(١).

٢ - بوب الإمام مالك لفضل ثلاث سور: فضل الفاتحة، وفضل سورة الإخلاص، والملك، وذكر فضل سورة الفتح في باب ما جاء في القرآن^(٢).

٣ - بوب أبو داود والنسائي في سننه «الصغرى» لفضل أربع سور: الفاتحة، والإخلاص، والمعوذتين^(٣).

٤ - بوب البخاري لفضل سبع سور:

الفاتحة، والبقرة، والكهف، والفتح، والإخلاص، والمعوذتين^(٤).

٥ - ذكر مسلم فضل السور التي ذكرها البخاري سوى سورة الفتح ذكر بدلاً عنها سورة آل عمران^(٥).

٦ - بوب النسائي في سننه «الكبرى» لخمس عشرة سورة إن جعلنا المسبحات سبع سور، وثلاث عشرة سورة إن جعلناها خمساً^(٦)، والسور هي: الفاتحة، والبقرة، والكهف، والمسبحات، والزلزلة، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتان^(٧).

(١) انظر: سننه (١٢٤٣/٢ - ١٢٤٥).

(٢) انظر: الموطأ (١٣٤/١، ٢٨٠، ٢٨٥).

(٣) انظر: سنن أبي داود (٧١/٢ - ٧٣)، وسنن النسائي (١٣٨/٢، ١٥٨، ١٧٠).

(٤) انظر: صحيح البخاري (١٠٣/٦ - ١٠٥).

(٥) انظر: صحيح مسلم (٥٤٧/١، ٥٥٣ - ٥٥٨).

(٦) انظر: المراد بالمسبحات ما تقدم (ص ٥٧).

(٧) انظر: السنن الكبرى (١١/٥ - ١٧).

٧ - بوب الترمذي لعشرين سورة إن جعلنا المسبحات سبعة،
وثماني عشرة سورة إن جعلناها خمساً، وهي: الفاتحة، والبقرة، وآل
عمران، والكهف، ويس، والدخان، والملك، والزلزلة، والإخلاص،
والمعوذتان، والإسراء، والزمر، والمسبحات^(١).

ومن خلال هذا الإحصاء لفضائل السور في هذه الكتب نسجل
الملحوظات التالية:

١ - يُعد الترمذي أكثر السبعة ذكراً لفضائل السور، ولم يفت عليه
مما ذكره غيره سوى سورة الفتح، والكافرون، ويليه في كثرة السور
النسائي في سننه «الكبرى».

٢ - اتفق أصحاب هذه الكتب جميعاً على إخراج فضل سورة
الفاتحة، والإخلاص.

٣ - واتفق أكثرهم - سوى مالك، وابن ماجه - على ذكر فضل
المعوذتين.

٤ - انفرد الترمذي بذكر فضل سورة الإسراء، والزمر، والدخان.

٥ - مجموع السور التي ذكر فضلها هؤلاء الأئمة ثنتان وعشرون
سورة بجعل المسبحات سبعة، وعشرون سورة بجعلها خمساً. وهذا
العدد قليل بالنسبة لعدد سور القرآن الكريم، كما أنه قليل جداً بالنسبة لما
يذكره المفسرون والمصنفون في فضائل القرآن.

٦ - ما تقدم ذكره عن المحدثين في عرضهم لفضائل السور إنما هو
بالنظر في مظان فضائل القرآن في هذه الكتب، وإلا فقد يذكر المحدثون
فضل بعض السور في غير مظانها لسبب ما، كما تقدم عن ابن ماجه في
ذكره لفضل سورة «يس» في كتاب الجنائز؛ في باب: «ما يقال عند

(١) انظر: سنن الترمذي (٨/٩١ - ١١١، ١٢١).

الميت إذا حضر»^(١).

ومثله الترمذي لم يذكر فضل سورة الفتح في كتاب فضائل القرآن، وذكر فضلها في كتاب التفسير، في تفسير سورة الفتح، والحديث الذي ذكره هو نفس الحديث الذي ذكره البخاري في باب فضل سورة الفتح، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أنزل علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]^(٢).

٧ - لم يغفل المحدثون الحديث عن فضائل الآيات لكن بقلّة، فذكروا فضل آية الكرسي، وآخر سورة البقرة، وذكر بعضهم فضل آخر سورة الحشر^(٣).

ومن الملاحظات التي تختص بها بعض الكتب أو تمتاز بها عن غيرها ما يلي:

أولاً: أن البخاري من أحسن وأجلّ من تناول فضائل القرآن من أصحاب هذه الكتب شمولية وانتقاء وصحة^(٤).

فقد جعل فضائل القرآن في كتاب خاص ذكر فيه سبعة وثلاثين باباً، أورد فيها قرابة مائة حديث، ولا يفوقه في كثرة الأبواب والأحاديث إلا النسائي في سننه «الكبرى»، فقد خص هذا الموضوع بكتاب توسع فيه في التبويب والأحاديث كما تقدّم.

ومما امتاز به البخاري دقة استنباطه وهي سمة له في جميع كتابه، وقد قيل فيه: فقه البخاري في تراجمه، وظهرت أيضاً في فضائل القرآن،

(١) انظر ما تقدم (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري (١٠٤/٦)، وسنن الترمذي (١٥/٩).

(٣) سنن الترمذي (١٢٢/٨).

(٤) فضائل القرآن للنسائي مقدمة د. فاروق حمادة (ص ٣٠).

ففي باب فضل القرآن على سائر الكلام، استدل بحديثين:

الأول: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب،
والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها..» الحديث^(١).

الثاني: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب
الشمس، ومثلکم ومثل اليهود والنصارى...» الحديث^(٢).

فظاهر الحديث الأول في فضل قارئ القرآن، وظاهر الثاني في
فضيلة أمة محمد ﷺ، ومع ذلك أوردهما في فضل القرآن نفسه، وقد
وجّه ابن حجر الحديث الأول من «جهة ثبوت فضل قارئ القرآن على
غيره فيستلزم فضل القرآن على سائر الكلام كما فضل الأترج على سائر
الفواكه، ومناسبة الحديث الثاني من جهة ثبوت فضل هذه الأمة على
غيرها من الأمم، وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت
بالعمل به»^(٣).

ثانياً: يُعَدُّ الإمام مالك من أقل أصحاب الكتب تحدثاً عن هذا
الموضوع، فلم يذكر إلا ثلاثة أبواب: باباً في فضل الفاتحة، وآخر في
ما جاء في القرآن، والثالث في فضل سورة الإخلاص والملك، ولم
يذكر في هذه الأبواب إلا أحاديث قليلة (تسعة أحاديث وثلاثة آثار)

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن في الباب المذكور (١٠٧/٦)، ورواه
مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (٥٤٩/١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن في الباب المذكور (١٠٧/٦)، وسيأتي
بطوله (ص ٢٩٣).

(٣) فتح الباري (٦٧/٩). وانظر كلام ابن كثير عن الحديثين في: فضائل القرآن
(ص ١٧٣ - ١٧٥).

بعضها في الأحرف السبعة، وكيفية نزول الوحي على النبي ﷺ^(١).
ثالثاً: أدرج الإمام مسلم القراءات في فضائل القرآن، بينما أفرد لها أبو داود والترمذي موضعاً خاصاً^(٢).

رابعاً: توسع الترمذي في ذكر فضائل القرآن، فقد بلغت أبوابه خمسة وعشرين باباً، ولم يذكر في هذه الأبواب إلا ما يدخل في فضائل القرآن أصالة، وأبعد ما لا تعلق له بالفضائل إلا من وجه بعيد كذكر نزول القرآن وكتابته وقرائه ونحو ذلك، أما البخاري والنسائي في «السنن الكبرى» فمع إفرادهما لفضائل القرآن كتاباً خاصاً وتوسعهما فيه، فقد ذكرا فيه هذه الأمور، وذكرنا بعض الأحكام والآداب المتعلقة بالقرآن وتلاوته.

هذا بعض ما كتبه المحدثون في فضائل القرآن، وبه يظهر قيمة ما كتبوه، وكونه أحد المصادر الأساسية الموثوقة التي يُستقى منها هذا الموضوع، ولو نظر أيضاً فيما كتبه شراح الحديث، وتعليقاتهم على أحاديث الفضائل لاتسع الموضوع وتشعب؛ إذ في كلامهم من الفوائد والمعاني والمسائل العلمية شيء كثير، ولعل بعضه يأتي في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.



(١) انظر ما تقدم (ص ١٤١).

(٢) انظر: سنن أبي داود (٣١/٤)، وسنن الترمذي (١٢٦/٨).

المبحث الثالث

فضائل القرآن ضمن كتب التفسير

٥ وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول

اهتمام المفسرين بفضائل القرآن

من أهم مقاصد المفسر بعد محاولته بيان مراد الله - تعالى - من كلامه الحث على اتباع القرآن الكريم، والعمل بما فيه، والاستنارة بهديه وشريعته، وهذا هو المقصود الأعظم من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

ومما يسهم في الإقبال على كتاب الله تلاوة، وعلماً وعملاً، ويشحذ الهمم، ويشير النفوس ذكر فضائل القرآن، فلها أثر كبير في دفع المؤمن نحو القرآن الكريم، ومحبه والتعلق به.

ومن هذا المنطق حرص كثير من المفسرين على هذا الموضوع وأولوه عناية خاصة.

وقد ظهر اهتمامهم به من نواح عدة، منها:

أولاً: تطرق كثير من المفسرين لفضائل القرآن، سواء في مقدمات

تفاسيرهم، أو في ثنايا السور والآيات، ولم يقتصر هذا الاهتمام على أصحاب التفسير المأثور؛ لأن قائلاً قد يقول: إنّ علاقة فضائل القرآن بالتفسير المأثور أشد وأوثق لاعتمادها على النقل.

والواقع خلاف ذلك، فأصحاب التفسير بالرأي تناولوا هذا الموضوع - أيضاً - ولا يقل تناولهم له عن أصحاب التفسير المأثور، وحتى التفاسير التي اهتمت بجانب معين من جوانب التفسير لم تغفله، كتفاسير الأحكام، مثل: «أحكام القرآن» لابن العربي^(١) - على قلة ما ذكره في ذلك - و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.

ثانياً: أن بعض التفاسير المختصرة لم تهمل هذا الموضوع، مع أن الاختصار قد يدعو المؤلف إلى عدم ذكره.

والواقع أن بعض المختصرات في التفسير تكلمت عنه في المقدمة، وفي ثنايا السور والآيات مثل «التسهيل» لابن جزي الكلبي^(٢).

ومن التفاسير المختصرة من ذكر لكل سورة فضيلة بغض النظر عن

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي المالكي الحافظ، أحد علماء الأندلس وأئمتها وحفاظها، انفرد في الأندلس بعلو الإسناد، وطلب للقضاء فنفع الله به أهل بلده، له مصنفات كثيرة منها: القبس، وعارضة الأحوذى، وقانون التأويل، وغيرها، توفي سنة (٥٤٣هـ).

انظر: بغية الملتمس (ص ٨٠)، والديباج المذهب (ص ٣٧٦)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٩٠).

(٢) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي المعروف بابن جزي، له مشاركة في فنون كثيرة، من تصانيفه: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، والأقوال السنية، والبارع في قراءة نافع، توفي سنة (٧٤١هـ).

انظر: الديباج المذهب (ص ٣٨٨)، والدرر الكامنة (٣/ ٤٤٦)، وطبقات المفسرين للدوادري (٢/ ٨٥).

صحة ما ذكره، مثل «أنوار التنزيل» للقاضي البيضاوي^(١).

ثالثاً: إسهاب بعض المفسرين واستطراذهم في ذكر فضائل السور والآيات، فقد عقد غير واحد من المفسرين لبعض السور والآيات فصولاً، ذكر فيها كثيراً من الأحاديث والآثار الواردة في فضلها، فالحافظ ابن كثير عقد فصلاً في فضل سورة الفاتحة، وفصلاً في فضل سورة البقرة، وفصلاً في فضل آية الكرسي^(٢)، واستطرد في ذكر فضائلها واستقصى ذلك من مصادر شتى، مع حرصه على عزو الأحاديث، والكلام عنها تصحيحاً وتضعيفاً.

ومن هذا - أيضاً - تكلم بعض المفسرين عن فضائل القرآن في مقدمات تفاسيرهم، وإطالة بعضهم الحديث عن ذلك، وإفراد أبواب وفصول كثيرة خاصة بفضائل القرآن، خرج بعضها في مؤلفات مستقلة تحت مسمى «فضائل القرآن»، ومنهم من لم تحو مقدمته غير فضائل القرآن كما سيأتي.

وفي الجملة فإن المفسرين غنوا بذكر هذا الموضوع عناية لا تقل عن عنايتهم بغيره من أنواع علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرهما.

(١) هو أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي، كان إماماً مبرزاً، تولى قضاء شيراز، له مصنفات مشهورة منها: تفسيره، والمنهاج في الأصول، والطوابع، توفي سنة (٦٨٥هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٥٧/٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٢٤٨)، وشذرات الذهب (٣٩٢/٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٢/١) الفاتحة، (٥١ - ٥٥) البقرة، (٤٥٠) آية الكرسي، وانظر: فتح القدير (٥١٤/٥ - ٥١٥) الإخلاص، (٥١٨ - ٥١٩) المعوذتين.

المطلب الثاني

أنواع فضائل القرآن التي يتناولها المفسرون

يستطيع الناظر في كتب التفسير استخراج أنواع كثيرة من فضائل القرآن سواء في مقدماتها، أو في ثنايا السور والآيات، مثل: الحديث عن فضل القرآن وشرفه، وفضل قراءته وحفظه، وتعلمه وتعليمه، ومكانة أهله وحملته وشرفهم، وغير ذلك، غير أن القارئ يلحظ مزيد اهتمام المفسرين في هذا الموضوع بأمرين اثنين:

الأول: اهتمامهم بفضل التفسير والحث عليه، ووعيد من فسر القرآن برأيه من غير علم.

وكلام المفسرين عن هذا الأمر يكون غالباً في المقدمة، يخصص المفسر له فصلاً أو أكثر.

ومن المفسرين من لم يذكر غيره من فضائل القرآن في مقدمة تفسيره مثل: ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره «جامع البيان»^(١)، وابن الجوزي في مقدمة «زاد المسير»^(٢).

(١) (٣٤/١ - ٣٩)، وابن جرير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الحافظ، أحد أئمة العلماء، وأحد المجتهدين، له اختيارات فقهية، وتفرد في مسائل حفظت عنه، وله مصنفات تدل على سعة علمه وغزارة فضله، منها: تاريخ الأمم والملوك، وجامع البيان، وتهذيب الآثار، توفي سنة (٣١٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، ووفيات الأعيان (١٩١/٤)، وتذكرة الحفاظ (٧١٠/٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٨٢).

(٢) (٤/١)، وابن الجوزي هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، علامة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، له مصنفات كثيرة جداً، قال ابن خلكان: «كتبه أكثر من أن تعد»، منها: المنتظم، والموضوعات، والتحقيق، توفي سنة (٥٩٧هـ).

وحين يتحدث المفسرون عن هذا الأمر يوردون الأدلة من الكتاب والسنة على فضل التفسير وشرفه، والحض عليه، والأمر به، ويُعزّزون ذلك بنقول عن السلف وما كانوا عليه مع القرآن الكريم وتفسيره، وذمهم من قرأ القرآن ولم يفهم معانيه^(١).

يقول ابن جرير الطبري:

«وفي حث الله ﷻ عباده على الاعتبار بما في أي القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكر لنبيه ﷺ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكٌ لِيَذَّبُوا عَنِتَّهُمْ وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، وما أشبه ذلك من أي القرآن التي أمر الله عباده، وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال القرآن، والاتعاظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات...»^(٢). ثم يستطرد في تقرير هذا الأمر وبيانه غير مقتصر في ذلك على سرد الآيات والأحاديث.

والمفسرون حين يستطردون في الاستدلال لفضل التفسير، وبيان أهميته ومكانته، وحاجة المسلم إليه، يقصدون بذلك الرد على من توقف في تفسير القرآن، وبيان عدم تعارض صنيعهم مع ما جاء من تخرج بعض السلف من تفسير القرآن، وكراهية الإقدام على ذلك، ففيه تبرير لفعلهم،

= انظر: وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥)، وذيل طبقات الحنابلة (١/٣٩٩).

(١) انظر مع ما تقدم: الوسيط للواحد (١/٤٧)، المحرر الوجيز (١/١٤ - ١٩)، والجامع لأحكام القرآن (١/٢٣)، ولباب التأويل (١/٦)، والبحر المحيط (١/١٢ - ١٣)، وفتح القدير (١/١٤). وانظر ما يأتي في المطلب الرابع.

(٢) جامع البيان (١/٣٦).

وبيان شرف صنيعهم وفضله، وأن ذلك ليس داخلاً في الوعيد على تفسير القرآن.

وفيه أيضاً حث القارئ على الحرص على تفسير القرآن الكريم، وتدبره، وتفهم معانيه.

وكذلك ما يذكره المفسرون من الوعيد على من فسر القرآن برأيه، يوردون فيه الأحاديث الناهية عن ذلك، ويحملونها على من فسر القرآن برأيه من غير علم.

يقول الخازن^(١) بعد أن ذكر الأحاديث في النهي عن تفسير القرآن بالرأي: «قال العلماء: النهي عن القول في القرآن بالرأي إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه، وما هو تابع لهواه، وهذا لا يخلو: إما أن يكون عن علم أو لا، فإن كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك، لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية^(٢)،

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي، كان خازن كتب فعرف بالخازن، وكان من أهل التصوف، من مصنفاته: تفسيره المشهور، وشرح عمدة الأحكام، ومقبول المنقول. توفي سنة (٧٤١هـ).
انظر: الدرر الكامنة (٣/١٧١)، وطبقات المفسرين للدوادري (١/٤٢٦)،
وشذرات الذهب (٦/١٣١).

(٢) الباطنية فرقة ظهرت في أيام المأمون من رجلين: حمدان بن قرمط، وعبد الله بن ميمون القُداح، سُموا باطنية لقولهم بأن للكتاب باطناً، وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئة، ولذا قال البغدادي: وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام، وقد تأولوا النصوص الشريعة فوصل بهم الأمر إلى رفعها، ومن الباطنية: القرامطة، والإسماعيلية، والدروز وغيرهم، وقد حصل للمسلمين منهم بلاء عظيم.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٢، ٢٨١)، وما بعدها، ولوامع الأنوار (١/٨٣).

والخوارج^(١)، وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس، وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل، وذلك بأن تكون الآية محتملة لوجوه، فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه، فهذان القسمان مذمومان، وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك...»^(٢).

ثم أخذ يبين التفسير بالرأي الجائز، وقد عقد ابن جرير فصلاً في ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرها القول في تأويل القرآن، وأجاب عنها^(٣).

وفي اهتمام المفسرين بالحديث عن الوعيد على من فسر القرآن برأيه تحذير لأنفسهم ولغيرهم من الإقدام على تفسير القرآن دون علم وبصيرة، مما قد يوقع في القول على الله بلا علم، ولذلك يضيف المفسرون قيد «بلا علم».

الأمر الثاني: مما يوليه المفسرون عناية واهتماماً ما يتعلق بفضائل السور، فقد عُنوا بها وأكثروا الحديث عنها، ومن كُتِبَ التفسير من لم تخل سورة من سور القرآن من ذكر فضائلها.

ويأتي اهتمام المفسرين بهذا الأمر من اهتمامهم بتفسير القرآن

(١) الخوارج أول الفرق ظهوراً في الإسلام، خرجوا على عثمان وعلي رضي الله عنهما وآل بهم الأمر أن كفروهما ومن تبعهما، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد افترقوا فرقاً كثيرة من أشهرها: المحكمة، والأزارقة، والأباضية، والصفورية. من أصولهم: كفر مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار، وجوب الخروج على أئمة الجور وقتالهم.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٢٤، ٧٢) وما بعدها، والملل والنحل (١/١١٤).

(٢) لباب التأويل (٦/١).

(٣) جامع البيان (١/٣٧).

عامة، وذكر فضائل السور من متمامات تفسيرها، فمقصود المفسر بيان مراد الله، وحث المسلم على العمل بما فيه، وذكر الفضائل مما يثير الهمم، ويحفزها تجاه هذا الأمر.

ولأهمية هذا الأمر أفرد له المطلب الآتي:

المطلب الثالث

فضائل السور عند المفسرين

ويمكن إجمال حديثهم عن فضائل السور في نقطتين:

الأولى: الموضوع الذي يذكر فيه المفسرون فضائل السور.

وللمفسرين في ذلك طريقتان:

١ - من يذكر فضائل السور في أولها، وجرى على هذه الطريقة كثير من المفسرين، ووصفها الزركشي بأنها عادة المفسرين^(١).

فيبدأ المفسر أولاً بذكر فضل السورة ثم يفسرها، وممن جرى على هذه الطريقة الواحدي في «الوسيط»، وابن العربي، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني وغيرهم^(٢).

وقد التزم أكثر هؤلاء بذلك فلا يذكرون الفضيلة إلا في أول السورة

(١) البرهان (٢/٦٠)، والزركشي هو: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي، طلب العلم منذ صغره، وعُني بالفقه والأصول والحديث، كان منقطعاً إلى الاشتغال بالعلم مقبلاً على نفسه، من مصنفاته: شرح المنهاج، والنكت على مقدمة ابن الصلاح، والبحر المحيط، توفي سنة (٧٩٤هـ).

انظر: الدرر الكامنة (٤/١٧)، وإنباء الغمر (٣/١٣٨)، وشذرات الذهب (٦/٣٣٥).

(٢) مثل ابن عطية، وابن الجوزي، وابن جزي على قلة ما ذكره.

وقد يخرج بعضهم عن هذا المألوف قليلاً^(١).

وعلل بعضهم هذا الصنيع بأنه أبعث على حفظ القرآن الكريم، وفهمه والعمل بما فيه، وأدعى إلى عناية القارئ وتنشيطه، واهتمامه بهذه السور المذكور فضلها^(٢).

٢ - من يذكر فضائل السور في آخرها، فيشرع المفسر في تفسير السورة، وإذا أنهى الحديث عنها ذكر ما يتعلق بفضلها، وجرى على هذه الطريقة جماعة من المفسرين، مثل: البغوي^(٣) في «معالم التنزيل» وإن خرج عن عادته في بعض السور^(٤).

وممن تبعه على هذا الزمخشري^(٥) في «الكشاف»، والبيضاوي في

(١) مثل ما فعله القرطبي في سورة الإخلاص (٨/٧٣٣٧).

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص٣٣)، والفتح السماوي (١/١٢١)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شعبة (ص٣٠٩).

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، لقب بمحيي السنة، وقد بورك له في مؤلفاته، ورزق فيها القبول التام منها: شرح السنة والمصابيح، ومعالم التنزيل، توفي سنة (٥١٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٢٥٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٣٨).

(٤) انظر: سورة الأنعام (٣/١٢٥)، وسورة طه (٥/٢٦١)، والمؤمنون (٥/٤٠٧).

(٥) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي النحوي المتكلم، كبير المعتزلة يلقب: جار الله لمجاورته بمكة زماناً، كان رأساً في البلاغة والأدب والعربية، متظاهراً بالاعتزال داعية إليه. من مؤلفاته: الكشاف، والمفصل، وأساس البلاغة، توفي سنة (٥٣٨هـ).

انظر: إنباه الرواة (٣/٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/١٥١)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١٠٤).

«أنوار التنزيل» وغيرهم^(١).

وقد سئل الزمخشري عن صنيعة هذا، فأجاب بأن الفضائل صفات للسور والصفة تتبع الموصوف فتذكر بعده^(٢).

وهناك تعليل آخر حاصله: أن التفسير قدم على الفضيلة لأنه أهم وهو المقصود بالذكر، والفضيلة كالخادمة له، فاقضى تقديمه عليها^(٣).

وليس بين هاتين الطريقتين كبير فرق يؤثر في تفسير السورة وفهم معناها، ولكل وجهة هو موليها، والمراد هنا بيان منهجهم في عرض فضائل السور، وعلى الباحث إذا لم يجد الفضيلة في أول السورة، البحث عنها في آخرها.

ثم إن بعض المفسرين - وهذا قليل - ذكر فضائل السور في مقدمة تفسيره، مثل ابن جزى سرد عدة أحاديث في مقدمته لسبع سور هي: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف، والإخلاص، والمعوذتان^(٤)، واكتفى بذلك عن ذكرها في مواطنها، سوى ما ذكره في فضل سورة الواقعة، والملك، والإخلاص^(٥).

الثانية: الإسهاب والإيجاز في ذكر فضائل السور.

تفاوت حديث المفسرين عن فضائل السور إيجازاً وإسهاباً، وبيان ذلك بالآتي:

(١) مثل الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز»، وأبي السعود في «إرشاد العقل السليم»، والنسفي في «مدارك التنزيل» على قلة ما ذكره.

(٢) البرهان (٦٠/٢)، والانتصاف لابن المنير (٧٥/١) «بحاشية الكشف».

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (ص ٣٣).

(٤) التسهيل (١٤/١).

(٥) المصدر السابق (٨٧/٤، ١٣٣، ٢٢٣)، وذكر ما جاء في سورة الفتح لبيان سبب النزول (٥١/٤).

أولاً: الاختصار، فقد تناول بعض المفسرين فضائل السور باختصار شديد، فلم يذكر إلا فضل سور قليلة جداً بالنسبة لما يذكره غيره من المفسرين.

إما لاعتقاده أن ما صح من الأحاديث في فضائل السور قليل جداً بالنسبة لما لم يصح، ومن هؤلاء ابن العربي، فقد نص على ذلك في أول تفسيره بقوله:

«ليس في القرآن حديث صحيح في فضل السور إلا قليل سنشير إليه، وباقيها لا ينبغي لأحدكم أن يلتفت إليها»^(١).

وقد وفى بما قال، فلم يذكر إلا فضل سورة الفاتحة، والبقرة، والإخلاص، والمعوذتين، وأورد حديثاً في فضل سورة المائدة، ونبه على وضعه، وحديثاً في فضل أول سورة المؤمنون ساقه على أنه سبب نزول^(٢).

وإما أن يكون قد أثر الاختصار في هذا الباب، ومن هؤلاء:

١ - ابن عطية^(٣)، لم تتجاوز السور التي ذكر فضيلتها خمس عشرة سورة منها: الفاتحة، والبقرة، والمائدة، والأنعام، والكهف وغيرها^(٤).

٢ - ابن الجوزي، اكتفى بذكر فضل سور قليلة، مثل: سورة

(١) أحكام القرآن (٧/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٧/١، ٨، ٥٢٣/٢، ١٢٩٥/٣، ١٩٨٣/٤، ١٩٨٥).

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الفرناطي، ولي قضاء المرية، وكان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث والنحو، من أشهر مصنفاته المحرر الوجيز، توفي سنة (٥٤١هـ).

انظر: الديباج المذهب (ص ٢٧٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٥٠)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٦٥/١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦٢/١، ٩٣، ٥/٥، ١/٦، ٣٦١/١٠).

الفاتحة، والبقرة، والأنعام، وهود، والكهف، والتكوير، والإخلاص^(١).

٣ - ابن جزي، اكتفى بذكر فضل سور قليلة تقدمت الإشارة إليها قريباً، ومن مظاهر الاختصار عند هؤلاء ما يلي:

أ - قلة السور التي ذكروا فضلها بالنسبة لما يذكره غيرهم من المفسرين.

ب - الاكتفاء في فضل السور بحديث أو حديثين، مع كثرة الأحاديث في فضل بعض السور وشهرتها.

ج - عدم التعرض لذكر فضل بعض السور المشتهر فضلها، مثل ما فعله ابن العربي مع سورة الكهف، وابن الجوزي مع المعوذتين.

ومما يدخل في هذا أن بعض المفسرين لم يول فضائل السور أي اهتمام يذكر.

ومن هؤلاء: ابن جرير الطبري، فعلى طول تفسيره، وكونه من أمهات التفسير المأثور، فإنه لم يذكر من فضائل السور سوى فضل سورة الفاتحة، وسورة الفتح، وقد ساق ما جاء في سورة الفتح لبيان وقت نزولها، وأنها نزلت بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية^(٢).

ولعل ابن جرير اتخذ هذا منهجاً عاماً في تفسيره ألا يتعرض لذكر فضائل السور.

ثانياً: التوسع والإطالة في ذكر فضائل السور، ويظهر ذلك عند بعض المفسرين، فلم يترك بعضهم سورة من سور القرآن إلا ويذكر فضلها بغض النظر عن صحة ذلك، ومن هؤلاء: الثعلبي، والواحدي في «الوسيط»، والزمخشري، والبيضاوي، والفيروزآبادي.

(١) انظر: زاد المسير (١/١٠، ١٩، ١/٣، ٤/٧٢، ٥/١٠٢، ٩/٣٧، ٢٦٤).

(٢) انظر: جامع البيان (١/٨٦، ٢٦/٧٠).

وحين توسع بعض المفسرين في ذكر فضائل السور بهذه الصورة، فإنه ضيق من جهتين:

الجهة الأولى: أنه يعمد إلى السور المشتهر فضلها مما ورد فيها أحاديث كثيرة، فلا يذكر فيها إلا أحاديث قليلة، بعضها موضوع^(١).

الجهة الثانية: أنه يعمد إلى السور التي صحت الأحاديث بفضلها، فيترك الصحيح، ويعمد إلى ذلك الحديث المكذوب على أبي بن كعب فيذكره بدلاً عنها^(٢).

فليت هؤلاء المفسرين حين استوردوا في ذكر فضائل السور، فلم يتركوا سورة إلا ذكروا لها فضيلة، ليتهم إذ فعلوا ذلك، أوفوا بعض السور حقها، فذكروا الأحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة في فضلها مستغنين بها عن الأباطيل والموضوعات!!

ثالثاً: التوسط في ذكر فضائل السور، فمن المفسرين من كان وسطاً بين المستطردين والمختصرين، فلم يلتزم إيراد فضيلة لكل سورة، صحت الفضيلة أم لم تصح، ولم يختصر اختصاراً يترك بسببه سوراً جاءت الأحاديث بفضلها.

وإنما كان مع هذا المفسر فهم في هذه القضية، فذكر من فضائل

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكره الواحدي في: الوسيط في فضل سورة الإخلاص (٤/ ٥٧٠ - ٥٧١)، وفي فضل المعوذتين (٤/ ٥٧٢).

وما ذكره الزمخشري في الكشف في فضل سورة الفاتحة (١/ ٧٥)، وسورة البقرة (١/ ٤٠٩)، وسورة الإخلاص (٤/ ٢٩٩)، وما ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل تبعاً للزمخشري في هذه السور (ص ٦، ٩٥، ٧٥٣).

(٢) انظر ما ذكره الزمخشري في: الكشف في فضل سورة آل عمران (١/ ٤٩١)، والكافرون (٤/ ٢٩٣)، والمعوذتين (٤/ ٣٠٢)، وما ذكره البيضاوي تبعاً له (ص ١٣٠، ٧٥٢، ٧٥٤)، وانظر ما يأتي (ص ٢٣٧).

السور ما كان صحيحاً أو قريباً منه، أو كان فيه ضعف، لكنه محتمل في هذا الباب المتعلق بفضائل الأعمال، والترغيب والترهيب، وتجنب إيراد الموضوعات المشتهرة في هذا الباب، وممن ينطبق عليه هذا الوصف من المفسرين: القرطبي، وابن كثير، والشوكاني.

فقد ذكر هؤلاء الثلاثة فضل سور كثيرة، مع الحرص على عزو الأحاديث إلى مصادرهما^(١)، وقد يتعرضون لنقد بعض الأحاديث والكلام عنها وعن أسانيدها تصحيحاً وتضعيفاً.

وقد ذكر هؤلاء الثلاثة في تفاسيرهم فضل سور كثيرة، واتفقوا على ذكر فضل:

الفتاحة، والبقرة، وآل عمران، والأنعام، وهود، والكهف، وطه، والسجدة، ويس، والزمر، والدخان، والفتح، والواقعة، والمسبحات، والملك، والزلزلة، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين^(٢).

وانفرد كل واحد منهم عن الآخر بذكر فضل بعض السور، ولو جمعت السور التي ذكروا فضلها قاربت نصف سور القرآن الكريم.

ومما تميز به هؤلاء أنهم لا يكتفون بحديث واحد في فضل بعض السور، وإنما يوردون لبعض السور أكثر من حديث، وقد يعقدون لبعض

(١) إلا أن القرطبي يقل عنهما في عزو الأحاديث، فقد يذكر حديثاً دون عزو، ويترك بعض الأحاديث دون بيان حالها مع حاجتها لذلك لعزوها للثعلبي ونحوه.

انظر مثلاً: (٢٣٧٩/٣) «الأنعام»، (٣٩٦٣/٥) «الكهف» (٤٨٠٣/٦) «الشعراء»، (٦٤٠٥/٧) «الحديد»، (٦٧٣٥/٨) «الحاقة».

(٢) والمقصود هنا السور التي وردت الأحاديث بفضلها كاملة، دون آيات مخصوصة، فإنهم قد اتفقوا على إخراج فضل أول سورة المؤمنون، وأول التغابن، وآخر الحشر.

السور المشتهر فضلها فصولاً خاصة^(١)، وهذا له قيمته العلمية لما يفيد من تعاضد الأدلة، وتعدد مخارجها.

وبهذا يُعرف أن التفاسير يغني بعضها عن بعض في فضائل السور، فتغني تفاسير هؤلاء الثلاثة عن كثير من التفاسير في هذا الأمر؛ لأنها قد أولته عناية واهتماماً، وليس المقصود بهذه العناية كثرة إيراد الفضائل لسور دون تدقيق، وإنما المراد انتقاء الفضائل، والاعتناء بأصحبها وأجودها وأقواها، والابتعاد عن الموضوعات والأباطيل.

المطلب الرابع

فضائل القرآن في مقدمات المفسرين

لفضائل القرآن الكريم حظ وافر في مقدمات المفسرين، فقد حوى جمع منها مادة علمية غزيرة في جوانب متعددة من هذا الموضوع، وخصص بعض المفسرين لفضائل القرآن في مقدمته صفحات، وأفرد آخرون له أبواباً وفصولاً.

وقد توسع بعض المفسرين في الكلام عن فضائل القرآن في مقدمته، فخرج ما كتبه مستقلاً في كتاب كما هو حال مقدمة القرطبي، طبعت مستقلة تحت مسمى: «الوجيز في فضائل الكتاب العزيز»^(٢).

وكما هو حال مقدمة ابن كثير، طبعت مفردة تحت مسمى: «فضائل القرآن» حتى أصبحت لا تعرف إلا أنها كتاب ألفه الحافظ ابن كثير

(١) انظر أول هذا المبحث (ص ١٤٨).

(٢) نشرته دار الحديث بالقاهرة بتحقيق د. علاء الدين علي رضا، وقد نص في مقدمة تحقيقه (ص ٨) أنه مقدمة القرطبي لتفسيره «الجامع لأحكام القرآن»، وقد يوهم هذا الكتاب بكتاب القرطبي المشهور في فضائل القرآن الذي ألفه استقلاً تحت مسمى: «التذكار في أفضل الأذكار»!

استقلالاً، وهي في الأصل مقدمة لتفسيره، وقد نص هو على ذلك فقال: «ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير؛ لأن التفسير أهم، ولهذا بدأ به، ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير»^(١).

ويستطيع الناظر فيما كتبه المفسرون في مقدمات تفاسيرهم عن هذا الموضوع تسجيل الملحوظات التالية:

أولاً: يتفاوت المفسرون في حديثهم عن فضائل القرآن قلة وكثرة، إطالة واختصاراً، وبيان ذلك بالآتي:

١ - اختصر بعض المفسرين الحديث عن فضائل القرآن ومن هؤلاء:

أ - ابن جرير الطبري، تحدث في مقدمته عما جاء من الترغيب في العلم بتفسير القرآن، وما جاء من النهي عن تأويل القرآن بالرأي^(٢).

ب - ابن الجوزي، حوت مقدمته المختصرة جداً نصف صفحة فقط عن فضل علم التفسير^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١٧/١) ط. دار طيبة. وانظر: فضائل القرآن (ص ٣٣)، وجاء في بعض طبعات «فضائل القرآن» ما نصه: «آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير» ط. دار المعرفة (ص ١٨٨)، ويفيد هذا الكلام أن فضائل القرآن وضعه ابن كثير خاتمة لتفسيره، وهو ما أشار إليه الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٤٩٨)، والأظهر - والله أعلم - أن ابن كثير جعل فضائل القرآن مقدمة لتفسيره، فقد نص على ذلك كما رأيت، وعلل صنيع البخاري في صحيحه، وذكر مخالفته له، وقد ذكر الحويني محقق كتاب فضائل القرآن لابن كثير (ص ٣)، أن الحافظ ابن كثير وضع فضائل القرآن أولاً في خاتمة تفسيره مقتدياً بالبخاري في ذلك، ثم استقر رأيه بعد ذلك على جعله في المقدمة، استناداً إلى أن المخطوطات التي كتبت في آخر حياة المؤلف نصت على ذلك.

(٢) انظر: جامع البيان (١/ ٣٤ - ٣٧).

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٤).

ج - ابن جزي الكلبي، اشتملت مقدمة تفسيره على مقدمتين، الأولى في اثني عشر باباً نصيب فضائل القرآن باب واحد فقط، في صفحة واحدة^(١).

٢ - لبعض المفسرين مقدمة مختصرة لتفسيره كُُلِّها أو جُلُّها في الحديث عن فضائل القرآن، ومن هؤلاء المفسرين:

أ - أبو الليث السمرقندي^(٢)، قصر مقدمته المختصرة جداً على الحث على طلب التفسير، والعناية به، وبيان فضله وشرفه، واستشهد على ذلك بروايات رواها عن السلف بإسناده إليهم^(٣).

ب - البغوي، ساق في مقدمة تفسيره مجموعة من الأحاديث المسندة في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه، وفي الوعيد على من قال في القرآن برأيه من غير علم، واقتصر على هذا سوى ما ذكره من الأسانيد في أول المقدمة، وما ذكره من معنى التفسير في آخرها^(٤).

ج - وقريب من البغوي الخازن في تفسيره، فقد عقد في مقدمته ثلاثة فصول، اثنين منها في فضائل القرآن أصالة وهما:

(١) انظر: التسهيل (١/١٤)، ومن هؤلاء أيضاً جمال الدين القاسمي فعلى طول مقدمة تفسيره «محاسن التأويل»، إذ تزيد على ثلاثين وأربعمئة صفحة، ومع ذلك ليس فيها من فضائل القرآن سوى الفصل الأخير في صفحة واحدة (١/٣٤٩) عن شرف علم التفسير.

(٢) هو نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي، يعرف بإمام الهدى، له تصانيف مشهورة، قال الذهبي عنه: «تروج عليه الأحاديث الموضوعة» من مؤلفاته: بحر العلوم، وتنبية الغافلين، والنوازل في الفقه، توفي سنة (٣٧٥هـ) أو (٣٧٣هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣٢٢)، والجواهر المضية (٣/٥٤٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٣٤٦).

(٣) انظر: بحر العلوم (١/٧١ - ٧٣)، والتفسير والمفسرون (١/٢٢٥).

(٤) انظر: معالم التنزيل (١/٣٣ - ٤٧).

الفصل الأول: في فضائل القرآن وتلاوته وتعليمه .

الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم .

والفصل الثالث: يذكره بعض العلماء في فضائل القرآن من باب التبعية، وهو في جمع القرآن، وترتيب نزوله، ونزوله على سبعة أحرف^(١).

٣ - أطل بعض المفسرين الحديث عن فضائل القرآن في مقدمة تفسيره مع طول مقدمته مقارنة بمن تقدم ذكرهم في الفقرة السابقة، فحوت مقدمته أبواباً وفصولاً عديدة متعلقة بفضائل القرآن، ومن هؤلاء من جُلّ مقدمته في هذا الموضوع، ومن أبرزهم:

أ - القرطبي، فقد حوت مقدمته تسعة عشر باباً، ثمانية أبواب منها في فضائل القرآن، وهناك أبواب أخرى يذكرها بعض العلماء في فضائل القرآن تبعاً كالمتعلقة بجمع القرآن ونزوله، والمتعلقة بآداب التالي والتلاوة.

ومن أبواب فضائل القرآن في هذه المقدمة:

«باب في ذكر جمل من فضائل القرآن والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به».

«وباب في تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وغيره».

«وباب فيما جاء في إعراب القرآن وتعليمه، والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن معرباً».

«وباب فيما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله».

وقد أطل النفس في بعض هذه الأبواب^(٢).

(١) انظر: لباب التأويل (١/٤ - ١٤).

(٢) انظر هذه الأبواب في: الجامع لأحكام القرآن (١/٣، ١٤، ١٩ - ٣١، ٦٨).

ومما جاء في هذه المقدمة مما لا علاقة له بفضائل القرآن حديثه عن بيان السنة للقرآن، وعما ورد في القرآن من غير لغة العرب، وحديثه عن إعجاز القرآن.

ب - ابن كثير، ومقدمته لتفسيره تكاد تكون كلها في فضائل القرآن، فهي أغزر مادة في هذا الموضوع من مقدمة القرطبي، فإن الحافظ ابن كثير اختزل كتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري، وجعله مقدمة لتفسيره وشرح أحاديثه، وعلق عليها، واستبعد منه ما يتعلق بفضائل السور، ثم أضاف ما نقله عن البخاري بكتاب جامع لأحاديث متعلقة بتلاوة القرآن وفضائله، وفضل أهله.

ومما ذكره في مقدمة تفسيره مما لا علاقة له بفضائل القرآن، ما ذكره عن أحسن طرق التفسير، والرجوع إلى أقوال التابعين في تفسير القرآن، وما تكلم عنه باختصار عن عدد آي القرآن وكلماته وحروفه، ومعنى السورة والآية^(١).

ثانياً: لا تخلو الديباجة^(٢) أو الخطبة التي يفتح بها المفسر تفسيره - غالباً - من ثناء ومدح للقرآن المجيد، وبيان شرف التفسير وفضله، وميزته على غيره، يتأنق^(٣) المفسرون في رصف كلماتها، ويحرصون على عذوبة ألفاظها، وقوة معانيها، وهي جديرة بأن تكون مقطوعات أدبية في وصف القرآن العظيم، والثناء عليه، وإظهار محاسنه وفضائله، وللمفسرين أسوة بالقرآن والسنة، فقد كثر فيهما الثناء على القرآن.

ولا تخلو هذه الخطب من فوائد تتعلق بفضائل القرآن.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/١ - ١٥، ٩٨ - ١٠٠) ط. دار طيبة.

(٢) ديباجة الكتاب: فاتحته. المعجم الوسيط (ص ٢٦٩) «دبج».

(٣) تأنق في الشيء: عمله بالإتقان والحكمة. القاموس المحيط (ص ١١١٧) «الأنق».

وأكتفي من هذه الخطب بخطبة شيخ المفسرين ابن جرير الطبري التي افتتح بها تفسيره، يقول بعد حمد الله تعالى :

«فإن من جسيم ما خصّ الله به أمة محمد ﷺ من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية حفظه ما حفظ - جلّ ذكره وتقديست أسماؤه - عليهم من وحيه وتنزيله الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ﷺ دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة، وحجة بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفتر، وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد، وفرّق به بينهم وبين كل كافر ومشرّك، الذي لو اجتمع جميع مَنْ بين أقطارها من جنّها وإنسها، وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فجعله لهم في دُجَى الظلم نوراً ساطعاً... يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام... حرسه بعين منه لا تنام، وحاطه بركن منه لا يُضام، لا تَهَيّ على الأيام دعائمه، ولا تبید على طول الزمان معالمه، ولا يجور عن قصد المحجة تابعه، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه... فهو موثلهم الذي إليه عند الاختلاف يَتَلَوْنَ، ومعتلهم الذي إليه في النوازل يعتقلون...» إلخ^(١).

فهذه المقدمة الجميلة من هذا الإمام على حسن عباراتها، وانتظام كلماتها يستطيع الناظر فيها استخراج بعض الفوائد المتعلقة بفضل القرآن ومنها:

١ - أن القرآن الكريم شَرَفَ شَرَّفَ الله به هذه الأمة، ورفعها به على سائر الأمم.

٢ - أن القرآن الكريم من دلائل صدق النبي ﷺ في دعوته.

(١) جامع البيان (٤/١) باختصار.

٣ - أن القرآن الكريم معجزة للعالمين إلى قيام الساعة .

٤ - أن القرآن الكريم نورٌ وهدى يهدي به الله من اتبعه وعمل بمقتضاه، وهو مفزع المؤمن وملجأه الذي يلجأ إليه، ويعتصم به^(١).

ثالثاً: لا يذكر المفسرون في مقدمات تفاسيرهم فضائل السور والآيات، والسبب في ذلك فيما يظهر أنهم رأوا أن المكان الأنسب لذكر فضائلها هو عند تفسيرها .

ولما تكلم ابن كثير في مقدمة تفسيره عن فضائل القرآن، وساق ما أورده البخاري، في صحيحه، استبعد ما يتعلق بفضائل السور مما أورده البخاري .

يقول ابن كثير:

«ثم ذكر البخاري فَضْلَ فاتحة الكتاب وغيرها، وسنذكر فَضْلَ كل سورة عندها، ليكون ذلك أنسب»^(٢).

ولم أجد من المفسرين من ذكر فَضَائِلَ السور في مقدمته مكتفياً بذلك عن ذكرها عند تفسيرها سوى ما ذكره ابن جزي، فقد ذكر في مقدمته فضائل سبع سور، ولم يذكرها في مواضع تفسيرها، سوى سورة الإخلاص^(٣).

واكتفى القرطبي في مقدمته بالتنبيه على ما وضعه الوضاعون في فضائل السور والآيات^(٤).

(١) انظر أيضاً: خطبة تفسير الكشاف (١٥/١)، والجامع لأحكام القرآن (١/١)، وأنوار التنزيل (ص ٢)، وإرشاد العقل السليم (١/١)، وفتح القدير (١٢/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٤/١)، ط. دار طيبة.

(٣) التسهيل (٢٢٣/٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦٨/١).

رابعاً: لم يقتصر المفسرون عند حديثهم عن فضائل القرآن على سرد الأحاديث والآثار فقط، فتجد في ثنايا ذكرهم الأحاديث والفضائل بعض الفوائد، والكلام حول المسائل المتعلقة ببعض الأحاديث، وهذا الأمر ظاهر فيها، ومن أمثله:

١ - ما تقدم من كلام المفسرين حول تفسير القرآن بالرأي، والتوفيق بين النصوص الواردة في ذلك.

٢ - علّق القرطبي على بعض أحاديث الفضائل، مثل كلامه عن حديث: «زينوا القرآن بأصواتكم» وحديث: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»^(١)، وقد أطلّ في شرح الحديثين، وذكر أقوال العلماء في تفسير التّغني الوارد في الحديث^(٢). وكذلك تنبيهه على الأحاديث الموضوعة في فضائل السور والآيات.

٣ - تعرض ابن كثير في مقدمة تفسيره لأحاديث الفضائل بالشرح والبيان، وذكر أقوال العلماء حول بعض المسائل، وهذا ظاهر جداً في مقدمته.

ولنّما ذكر هذا لبيان الفرق بين منهج المحدثين المتقدّم في المبحث السابق، المعتمد على سرد الأحاديث والآثار فقط، وبين منهج المفسّرين، وقد يجري بعض المفسّرين على منهج المحدثين، فيكتفي بسرد أحاديث الفضائل دون التعليق عليها كما حصل من الإمام البغوي، في مقدمة تفسيره.

(١) سبق تخريج الحديث الأول (ص ١٣٨)، والحديث الثاني (ص ٧٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٩ - ١٣).

المطلب الخامس

توثيق فضائل القرآن عند المفسرين

ومن الجوانب المنهجية عند المفسرين في هذه القضية ما يأتي:
أولاً: من المفسرين من لم يول التوثيق أي وزن أو قدر لا في قليل ولا كثير، ومن هؤلاء المفسرين: الزمخشري والبيضاوي.
جاءت الأحاديث عند هذين خالية من أي توثيق وإن قلَّ، فلا إسناد ولا عزو إلى من يسند، ولا حكم عليها بما يليق بحالها، حتى اسم الراوي للحديث من الصحابة لم يُذكر إلا قليلاً^(١).
ثانياً: السمة الغالبة على المفسرين الاهتمام بتوثيق أحاديث الفضائل لكنهم متفاوتون في هذا تفاوتاً ظاهراً:

١ - فمنهم من اكتفى بإسناد الأحاديث التي يذكرها إلى النبي ﷺ دون الحكم عليها، أو بيان حالها، وإنما يرويها عن شيخه إلى النبي ﷺ، وهذا حال المفسرين المتقدمين أمثال: الثعلبي والواحدي ونحوهما، وسيأتي مزيد كلام عن هؤلاء ومن قبلهم في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

٢ - ومن المفسرين من يعزو الأحاديث التي يوردها إلى مصادرها الأصلية، وقد يزيد بعضهم فيتكلم عن الأحاديث التي يوردها في كتابه، ومن هؤلاء:

أ - الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم»، فإنه لا يكتفى

(١) انظر مثلاً: الكشف (٧٥/١) «الفتاحة»، (٤٥/٣) «المؤمنون»، (٤١١) «الزمر»، وأنوار التنزيل (ص٦) «الفتاحة»، (وص٦٠٨) «الزمر»، على أن العزو للصحابي فقط لا يفيد شيئاً في صحة الحديث، وقد تبعهما في هذا الأمر أبو السعود في إرشاد العقل السليم.

بالعزو، حتى يذكر إسناد من عزا الحديث إليه، وكثيراً ما يضيف إلى ذلك كلاماً حول الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً، أو نقداً لأحد رواه^(١)، وصنيعه هذا له أثر على القارئ، ولذلك قال السيوطي عن تفسيره:

«وتفسير الحافظ عماد الدين ابن كثير أجَلُّ من يعتمد عليه في ذلك [يقصد في فضائل السور] فإنه أورد غالب ما جاء في ذلك مما ليس بموضوع، وإن فاته أشياء»^(٢).

ب - الشوكاني في «فتح القدير»، فإنه كثيراً ما ينتقد الأحاديث والأسانيد، أو ينقل كلام أهل العلم فيها^(٣).

ومما يظهر عند هذا الصنف من المفسرين كثرة العزو إلى المصادر، فلا يكتفي أحدهم بذكر مصدر واحد للحديث، وإنما يذكر أكثر من مصدر، وقد يكون بعض هذه المصادر من كتب التراجم والتاريخ ونحوها.

٣ - اشترط بعض المفسرين ألا يذكر من فضائل القرآن إلا ما صحت به الأحاديث.

ومن هؤلاء:

أ - ابن العربي، فقد نص في مقدمة تفسيره أنه لم يصح في فضائل السور إلا القليل سيشير إليه^(٤).

(١) انظر مثلاً: (٢٤/١) «الفاتحة» (٥١، ٥٥) «البقرة»، (٢٣٦/٤) «هود»، (٢٩٤) «يوسف»، (١٣١/٥) «الكهف»، (٢٦٦) «طه»، (٥٤٧/٦) «يس»، (٢٠٢/٨) «الملك»، (٥٤٣، ٥٤٤)، «الإخلاص».

(٢) تدريب الراوي (٣٤١/١).

(٣) انظر مثلاً: (١٦/١) «الفاتحة»، (٢٧، ٢٨) «البقرة»، (٣١١) «آل عمران» (٢/

٤) «المائدة»، (٩٧) «الأنعام»، (٤٧٩) «هود»، (٣/٣)، «يوسف» (٣٥٤) «طه» وغيرها.

(٤) انظر ما تقدم (ص ١٥٦).

ب - ابن جزى الكلبي، عقد فصلاً في مقدمته عن فضائل القرآن وقال فيه: «وإنما نذكر منه ما ورد في الحديث الصحيح»^(١).
وأخيراً فإن الرجوع إلى ما كتبه المفسرون لا يستغني عنه باحث خاصة في فضائل السور، لغزارة مادته العلمية، واشتماله على الفوائد، والرجوع إلى ما كتبه سهل يسير، فمظانه معروفة كما رأيت.



(١) التسهيل (١/١٤).

المبحث الرابع

فضائل القرآن ضمن كتب علوم القرآن

ج وفيه مدخل ومطلبان

مدخل:

تنقسم كتب علوم القرآن من حيث عرضها لأنواع علوم القرآن قسمين:

الأول: كتب علوم القرآن العامة أو الشمولية، التي لا تختص بنوع دون آخر، وإنما يكون كلامها عاماً في الموضوع، شاملاً للعديد من أنواع علوم القرآن، وتختلف هذه الكتب في تناولها لأنواع علوم القرآن قلة وكثرة، ومن أمثلة هذا القسم: «البرهان» للزركشي، و«الإتقان» للسيوطي.

الثاني: كتب علوم القرآن المفردة في نوع خاص من أنواع علوم القرآن.

مثل: كتب النسخ والمنسوخ في القرآن، وكتب أسباب النزول، وأمثال القرآن، وغريبه ونحوها.

ولفضائل القرآن حظ ونصيب في هذين القسمين جميعاً، فقد تناولته الكتب الشمولية، والكتب المفردة في أبواب مخصوصة على حدّ سواء.

ومن خلال الاطلاع على هذه الكتب يظهر لك اهتمامها بفضائل القرآن، وهو إن كان ظاهراً إلا أنه أقل من اهتمام المفسرين به، فبعض كتب علوم القرآن الشمولية مع كثرة الأنواع التي تناولتها لم تعر هذا

الموضوع أي اهتمام يذكر، فلم تخصص له أبواباً ولا فصولاً^(١)، وبعضها حين تناوله تناوله بإيجاز شديد، مقتصر على بعض أنواعه، مستدلاً لها بأحاديث قليلة، وينطبق هذا الكلام على ابن الجوزي، في كتابه «فنون الأفنان»، فقد عقد باباً في أوائل الكتاب ذكر فيه ستة أحاديث فقط، وفي ثانيا الكتاب عقد فصلاً في ثواب قراءة ثلاثمائة آية، أورد فيه حديثاً واحداً^(٢).

وكان ابن الجوزي يريد بفعله هذا بيان أن فضائل القرآن نوع من أنواع علوم القرآن وحسب.

أما من لم يتحدث عن فضائل القرآن مطلقاً فلعله رأى أن هذا الموضوع طرُق كثيراً بشكل مستقل، وأفردت له كتب خاصة، فلا حاجة تدعو للحديث عنه.

وفي الجملة، فإن لفضائل القرآن حظاً ونصيباً في كتب علوم القرآن بقسميها، وهو ما سنعرض له في المطلبين الآتين:

المطلب الأول

فضائل القرآن في كتب علوم القرآن الشمولية

تحدث بعض المصنفين في علوم القرآن عن فضائل القرآن، ومن أبرز هؤلاء:

- ١ - علم الدين السخاوي في كتابه «جمال القراء وكمال الإقراء».
- ٢ - بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن».
- ٣ - جلال الدين السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن».

(١) مثل: كتاب «مناهل العرفان» للزرقاني، و«مباحث في علوم القرآن» للقطان.

(٢) فنون الأفنان (ص ١٤٢، ٣٣٠).

وقد توسّع السخاوي والسيوطي في الحديث عن هذا الموضوع،
بينما اختصر الزركشي الحديث بعض الشيء، وأفرد لما يتعلق بالفضائل
نوعين هما:

النوع السادس والعشرون: في معرفة فضائله.

والنوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء^(١)؟
وقد اختصر الحديث في النوع الأول، فلم يَغْدُ صفحات قليلة،
تميزت بالتجديد، فتكلم عن:

١ - المصنفات في فضائل القرآن الكريم، وذكر ثلاثة مصنفات فقط:
مصنف ابن أبي شيبة، وأبي عبيد، والنسائي.

٢ - الوضع في فضائل السور.

٣ - طريقة المفسرين في عرض فضائل السور.

ثم سرد في آخر هذا النوع ستة أحاديث فقط في فضل القرآن
الكريم وأهله، ولم يورد في فضائل السور شيئاً.

أما النوع الثاني فحديثه عنه أوسع من النوع الأول، ساق فيه
الخلافاً في مسألة تفاضل القرآن الكريم، وذكر بعض الأدلة فيها، وأكثر
النقول عن العلماء.

وقد اقتفى السيوطي أثره في النوع الثاني، وزاد عليه في النقول.

أما النوع الأول فحديثه عنه أوسع بكثير من الزركشي، تعرض فيه
للمصنفات في فضائل القرآن، وزاد على الزركشي مصنف ابن الضريس،
ومصنفه «خمائل الزهر في فضائل السور»، وعقد فصلاً فيما وضع في
فضائل السور.

(١) البرهان (٢/٥٥، ٦٦).

وفصلين آخرين طويلين:

الأول: فيما ورد في فضل القرآن جملة، ساق فيه ثلاثة وثلاثين حديثاً.

الثاني: فيما ورد في فضل سور بعينها، وتعرض في أثنائه لفصائل بعض الآيات، وساق فيه سبعة وستين حديثاً وأثراً^(١).

وحديث السخاوي أوسع من حديث السيوطي والزركشي، فقد تجاوزت الصفحات المتعلقة بفصائل القرآن مائة وستين صفحة^(٢)، اشتملت على أنواع عديدة من فصائل القرآن، ومما يلاحظ عليه في هذا الموضوع ما يلي:

- ١ - لم يرد عنده ذكر لما ذكره الزركشي والسيوطي من المصنفات في فصائل القرآن، والوضع في فصائل السور، وما ذكره الزركشي وحده من طريقة المفسرين في عرض فصائل السور.
- ٢ - طريقته في عرض الفصائل هي الطريقة الحديثية المألوفة، وقد أطال النفس في سرد الأحاديث والآثار، ولا يخلو هذا السرد - أحياناً - من بعض التعليقات والشروح^(٣).
- ٣ - أدرج آداب التلاوة مع الفصائل، بينما أفرد لها الزركشي والسيوطي نوعاً مستقلاً^(٤).
- ٤ - أكثر إكثاراً ظاهراً من الآثار الموقوفة والمقطوعة، وهي تقارب في كثرتها الأحاديث المرفوعة.

(١) انظر: الإتيان (٢/ ١٩٢ - ١٩٨).

(٢) جمال القراءة (١/ ٢١٩ - ٣٨١).

(٣) انظر مثلاً: (١/ ٢٨٨ - ٢٩٠، ٣٦٦).

(٤) انظر: البرهان (١/ ٨١)، والإتيان (١/ ١٣٦).

ومما يلاحظه القارئ في هذه الكتب الثلاثة غير ما تقدّم ما يلي :
أولاً: يستطيع القارئ استخراج بعض الأنواع والمسائل المتعلقة
بفضائل القرآن في غير الباب المخصص لها، خاصة في الأبواب المفردة
لآداب التلاوة، ومن هذه الأنواع ما يلي:

- ١ - استحباب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها^(١).
 - ٢ - استحباب القراءة بتدبر وتفهم^(٢).
 - ٣ - المفاضلة بين الجهر بالقراءة، والإسرار بها^(٣).
 - ٤ - المفاضلة بين القراءة نظراً من المصحف، والقراءة عن ظهر قلب^(٤).
 - ٥ - فضل قراءة القرآن الكريم بالتفخيم^(٥).
 - ٦ - التحذير من نسيان القرآن الكريم^(٦).
 - ٧ - فضل تفسير القرآن الكريم، وقد ذكر السيوطي هذا النوع عند حديثه
عن تفسير القرآن^(٧).
- ثانياً: اشتملت خطبة الزركشي في كتابه البرهان على الثناء والمدح
والحمد للقرآن الكريم، أردف هذا الثناء بذكر بعض النقول في فضل
علوم القرآن، وفضل تعلمها.

(١) البرهان (٢/٨٢)، والإتقان (١/١٤١).

(٢) المصدران السابقان (٢/٨٧، ١/١٤٢).

(٣) المصدران السابقان (٢/٩٥، ١/١٤٢).

(٤) المصدران السابقان (٢/٩٣، ١/١٤٠).

(٥) المصدران السابقان (٢/٩٨، ١/١٤٢).

(٦) الإتقان (١/١٣٨).

(٧) المصدر السابق (٢/٢٢٣).

ولعل من المناسب أن أنقل طرفاً من هذه الخطبة يقول، بعد حمد الله :

«فإن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار اللوائح الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، الذي تقوم به المعالم، وثبتت الدعائم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل... لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر تمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره بأوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة إلى مواظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار... فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبداع معنى، وأغرب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهمُ الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق... يملأ القلوب بشراً، ويبعث القرائح عبيراً ونشراً، يحيي القلوب بأوراده، ولهذا سماه الله روحاً فقال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فسماه روحاً لأنه يؤدي إلى حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد، فجعل هذا الروح سبباً للاقتدار، وعلماً على الاعتبار... إلخ^(١).

وللسخاوي والسيوطي، أمثال هذا الكلام، لكنه أقل من كلام الزركشي بكثير^(٢).

(١) البرهان (٩٥/١ - ٩٧) باختصار.

(٢) انظر: جمال القراء (١/١٠٠)، والإنقان (٣/١).

ثالثاً: ظهر اهتمام الزركشي والسيوطي بتوثيق الفضائل من خلال الحديث عن الوضع في فضائل السور، وتنبيه القارئ إلى وضع حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقد عقد السيوطي لذلك فصلاً، وانتقد الزركشي من روى هذا الحديث من المفسرين.

كذلك اهتم الزركشي والسيوطي بعزو أحاديث الفضائل إلى من خرجها من أصحاب الكتب المسندة، وهذا الأمر ظاهر في كتابيهما، وهو عند السيوطي أظهر، فقد عقد فصلين طويلين ساق فيهما قريباً من مائة حديث وأثر عزاها كلها إلى من خرجها، ونبه في أول ذكره للأحاديث أنه سيجتنب الموضوعات في فضائل القرآن.

ولا يعني هذا أن جميع ما ذكره صحيح، ففيه الضعيف وما هو دونه، وقد نبه هو إلى بعض ذلك^(١).

أما السخاوي فكان أقل اهتماماً في هذه القضية منهما، إذ خلت كثير من الأحاديث والآثار من العزو مطلقاً.

أضف إلى ذلك أن المصادر التي عزا إليها قليلة جداً مع كثرة ما أورده في هذا الباب، وقد أكثر النقل من ثلاثة كتب:

سنن الترمذي، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد، والنسائي.

كذلك أورد قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضل خمس سور، وهذا الحديث مما اتفق العلماء على وضعه، وقد ساقه جازماً بنسبته إلى النبي ﷺ، ولم ينبه على وضعه!^(٢)

(١) انظر: الإتقان (١٩٦/٢).

(٢) جمال القراء (١/٢٧٠).

المطلب الثاني

فضائل القرآن في كتب علوم القرآن المفردة

ويقصد بها كما تقدّم الكتب التي ألفت في نوع من أنواع علوم القرآن، كالكتب التي صنفت في أسباب النزول، أو الناسخ والمنسوخ، أو القراءات، أو المكي والمدني ونحوها.

وقد تعرض بعض هذه الكتب لفضائل القرآن، وتنقسم في كلامها عن هذا الموضوع قسمين:

الأول: من تحدّث منها عن فضل القرآن عموماً وفضل أهله وتلاوته ونحو ذلك، وقد يعقد بعضها باباً أو فصلاً في ذلك، ومن أمثله هذا القسم ما يلي:

١ - الكتب المفردة في آداب التلاوة والتالي، وعلاقة هذه الكتب بكتب فضائل القرآن قوية جداً، حتى عدها بعضهم من ضمن كتب فضائل القرآن، ومن أمثلة هذه الكتب ما يلي:

أ - كتاب «أخلاق حملة القرآن وأهله» للآجري^(١)، فقد ذكر في مقدمة كتابه الأدلة من القرآن الكريم على شرف القرآن وفضله، ثم عقد باباً في «فضل حملة القرآن»، وباباً في «فضل من تعلم القرآن وعلمه»، وباباً في «فضل الاجتماع في المسجد للدرس»^(٢).

ب - كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي، خصص الباب

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، كان عالماً عاملاً صاحب سنة واتباع، وكان مجاوراً بمكة، وله مصنفات مشهورة منها: الشريعة، والغرباء، وتحريم النرد والشطرنج، توفي سنة (٣٦٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٢/٢٤٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/٩٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١٦/١٣٣).

(٢) انظر الكتاب (ص ١٨، ٢٩ - ٣٧).

الأول في «فضيلة تلاوة القرآن وحملته»^(١)، مع ما اشتمل عليه الكتاب من مسائل عديدة متعلقة بهذا الموضوع^(٢).

ولما تقدم من العلاقة الوثيقة بين الآداب والفضائل، فقد توسّعت كتب الآداب في الحديث عن فضائل القرآن الكريم.

٢ - الكتب المفردة في القراءات، تناولت موضوع الفضائل في مقدماتها، ومن هذه الكتب:

أ - كتاب «إعراب القراءات السبع وعللها» لابن خالويه، تكلم عن فضل الاشتغال بتعلم القرآن وتعليمه^(٣).

ب - «إبراز المعاني من حرز الأمانى» لأبي شامة المقدسي، لما شرح مقدمة «حرز الأمانى» ذكر جملة من الأحاديث في فضل القرآن وأهله^(٤).

(١) (ص ١١).

(٢) انظر مثلاً: (ص ٨٦، ١١٢، ١٤١، ١٥٠)، ومن كتب آداب التلاوة التي تكلمت عن فضل القرآن كتاب «القرآن آداب تلاوته وسماعه» لحسين محمد مخلوف، أول فصل فيه عن فضل القرآن وتلاوته (ص ٤ - ٥).

(٣) انظر (١/ ٣٥ - ٤٦)، وابن خالويه هو: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي إمام في اللغة العربية، سكن حلب، واختص بصحبة سيف الدولة الحمداني، وله مع المتنبي مناظرات، من مؤلفاته: الحجة، والاشتقاق، والبديع، والمذكر والمؤنث، وغيرها. توفي سنة (٣٧٠هـ). انظر: إنباه الرواة (١/ ٣٥٩)، ووفيات الأعيان (٢/ ١٧٨)، والبلغة (ص ٩٠)، ويغية الوعاة (١/ ٥٢٩).

(٤) انظر (١/ ١١٦)، وما بعدها، وأبو شامة هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي الشافعي، المعروف بأبي شامة، أحد الأئمة في عصره مقرئ نحوي فقيه، كثير العلوم والفنون، من مصنفاته: الروضتين، وإبراز المعاني، والوجيز. توفي سنة (٦٦٥هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٦٠)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨/ ١٦٥)، وغاية النهاية (١/ ٣٦٥).

ج - «النشر في القراءات العشر»، تحدّث ابن الجزري في مقدمته عن فضل القرآن وحملته، مورداً بعض الأحاديث في ذلك^(١).

٣ - ويلحق بكتب القراءات الكتب المفردة في: أحكام التجويد، تحدّث كثير منها عن فضائل القرآن، وتوسع بعضها في الحديث، فأفردت أبواباً وفصولاً خاصة بفضائل القرآن، ومن هذه الكتب:

أ - كتاب «القطع والائتناف» لأبي جعفر بن النحاس، عقد فصلاً في أول كتابه «في ذكر أشياء من فضل القرآن وأهله»^(٢).

ب - كتاب «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة» لمكي بن أبي طالب^(٣)، عقد في أول كتابه بابين يتعلّقان بفضائل القرآن: الأول: في ذكر جملة من فضل القرآن وفضل قارئه.

والثاني: في التحذير من الرياء في القرآن. سرد في هذين البابين جملة من الأحاديث والآثار^(٤).

(١) انظر (١/١ - ٦).

(٢) انظر (١/٥ - ١٠) وأبو جعفر هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري النحوي الشهير بابن النحاس. كان واسع العلم غزير الرواية، كثير التأليف إذا خلا بقلمه جود وأحسن، من مؤلفاته: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، وشرح المعلقات السبع. توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٢٢٠)، وإنباه الرواة (١/١٣٦)، ووفيات الأعيان (١/٩٩).

(٣) هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي المغربي القيرواني ثم الأندلسي، الإمام المقرئ أستاذ القراء والمجودين، كثير التأليف في علوم القرآن، من مؤلفاته: الكشف والتبصرة، والموجز. توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٥/٢٧٤)، ومعرفة القراء الكبار (١/٣٩٤)، وغاية النهاية (٢/٣٠٩).

(٤) انظر (ص ٥٥ - ٧٦).

ج - الكتب الحديثة المؤلفة في أحكام التجويد، وحديثها عن فضائل القرآن في مقدماتها ظاهر جداً، وفي بعضها إطناب في هذا الموضوع^(١).

القسم الثاني: كتب علوم القرآن المفردة التي تحدثت عن فضل العلم الذي أفردته بالتأليف؛ مبينة مزيته وشرفه، وفضل تعلمه ومعرفته، والحاجة إلى ذلك. ومن أمثلة هذه الكتب:

١ - الكتب المفردة في الناسخ والمنسوخ مثل:

أ - كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد القاسم بن سلام، تكلم في أول باب عن فضل علم ناسخ القرآن ومنسوخه^(٢).

ب - كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر بن النحاس، عقد باباً في مقدمة كتابه في «الترغيب في تعلم الناسخ والمنسوخ»^(٣).

وقد ساق كلُّ من أبي عبيد وأبي جعفر بعض الآثار عن الصحابة عليهم السلام في هذا الأمر.

٢ - ما تقدم عن بعض المفسرين في المبحث السابق وحديثهم عن فضل التفسير وشرفه في مقدمات تفاسيرهم^(٤).

وكان هؤلاء وأولئك بهذا الصنيع يريدون بيان أهمية ما كتبوه وسطروه، وجدارته بأن يفرد في كتاب.

(١) انظر مثلاً: غاية المرید لعطية نصر (ص ٩ - ١٤)، والتسهيل في علم التجويد لعلي حسين (ص ١٠)، والوسيط في علم التجويد لمحمد خالد منصور (ص ٩ - ١٦)، والمرشد في علم التجويد للعقرباوي (ص ١٠ - ١٣)، والنبع الريان لمحمد مطر (ص ١٣ - ١٧) وغيرها.

(٢) (ص ٤).

(٣) (ص ٣)، ومثل هذين ما فعله ابن الجوزي في كتابه «ناسخ القرآن ومنسوخه»، عقد باباً (ص ١٢٥) في «فضيلة علم الناسخ والمنسوخ والأمر بتعلمه».

(٤) انظر (ص ١٤٩).

وكانهم بذلك - أيضاً - يحثون القارئ على العناية والاهتمام بهذا العلم الذي تكلموا عنه، والإفادة منه.

وليس بالضرورة ألا تتحدث هذه الكتب عن شيء من فضائل القرآن سوى العلم الذي تتحدث عنه، وإنما المقصود بيان مزيد اهتمامها وعنايتها ببيان فضله وشرفه، وشدة الحاجة إليه.



الفصل الثاني

الوضع في فضائل القرآن

وفيه تمهيد وستة مباحث:

المبحث الأول: كثرة الوضع في فضائل القرآن.

المبحث الثاني: أسباب الوضع في فضائل القرآن.

المبحث الثالث: المشتهر من الموضوعات في فضائل القرآن

المبحث الرابع: الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير، وفضائل القرآن.

المبحث الخامس: الطريق إلى معرفة الموضوعات في فضائل القرآن.

المبحث السادس: حكم رواية الموضوعات في فضائل القرآن، والآثار السيئة المترتبة على روايتها، وسبل مقاومتها.

تمهيد

يكتسب الحديث عن الوضع في فضائل القرآن أهمية خاصة من جهة تعلقه بالذبح عن القرآن الكريم، وحمايته والدفاع عنه، ونفي الدخيل عليه مما قد يشوهه، ويذهب بجماله، ويقلل الانتفاع به، ولما فيه من كشف حركة الوضع في فضائل القرآن وخطورتها، ومدى تغلغلها في كتب التفسير، وفضائل القرآن، وقبول تلك الكتب أو رفضها لهذه الحركة، وبيان جهود العلماء في مقاومتها وكشف زيفها.

ومما يبرز أهمية الحديث عن هذا الموضوع ما فيه من الذبح عن سنة رسول الله ﷺ، والدفاع عنها، وهذا فيه حماية للإسلام، وفضح من حاول تشويه صورته، والدس عليه بذكر الأباطيل والموضوعات.

والحديث عن هذا الموضوع جزء من الحديث عن الوضع في الحديث النبوي عامة الذي نال اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، فأكثروا الحديث عنه، وكثرت مصنفاتهم فيه.

وقد اقتصر بعض المصنفين على بيان الصحيح من الأحاديث، واكتفوا بها عن ذكر الضعيف والموضوع، واهتم آخرون ببيان الموضوع فقط، فتجد مؤلفات كثيرة اقتصرت على بيانه، وبيان الوضاعين؛ تحذيراً ونصحاً للأمة، وحيطة للحديث النبوي أن يلصق به ما ليس منه.

وهذه الطريقة لها أصل في الشرع المطهر فقد قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون

رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...»
الحديث (١).

وقد أحسن من قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه (٢)

تعريف الحديث الموضوع:

أصل الوضع في اللغة يُراد به معان منها:

١ - الحط والإسقاط من وضع الشيء يضعه وضعاً، إذا حطه وأسقطه.

٢ - الإلصاق.

والحديث الموضوع في اصطلاح المحدثين: «المختلق المصنوع

المكذوب على النبي ﷺ».

فهو ساقط ومنحط في رتبته، كما أنه ملصق بالنبي ﷺ وليس من

كلامه (٣).

وعلى هذا فالمراد بالوضع في فضائل القرآن: ما اختلقه الكذابون

في فضائل القرآن، واصطنعوه من عند أنفسهم، ونسبوه زوراً إلى

النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/

١٧٨)، وأخرجه مسلم في كتاب الإمامة (٣/١٤٧٥).

(٢) البيتان لأبي فراس الحمداني كما في ديوانه (ص ٣١٤).

(٣) انظر في تعريف الحديث الموضوع لغة واصطلاحاً: معجم مقاييس اللغة (٦/

١١٧)، والقاموس المحيط (ص ٩٩٦ - ٩٩٧) «وضع»، ومقدمة ابن الصلاح

(ص ٢٧٩)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٣٨) وفتح

المغيث للسخاوي (١/٢٩٤)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (١/٥)، والوضع في

الحديث د. عمر فلاته (١/١٠٧ - ١١٠).

المبحث الأول

كثرة الوضع في فضائل القرآن

اتسم الوضع في باب الفضائل عموماً بسمتين:

الأولى: تقدم وضع الأحاديث فيه .

الثانية: كثرة الأحاديث الموضوعة فيه .

أما الأولى فإن الدلائل التاريخية تشير إلى أن أول باب طرقة
الوضاعون، واختلقوا فيه الأحاديث باب الفضائل، خاصة فضائل
الأشخاص، وذلك عند حدوث الفتنة في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه
حينما قامت فئة من أصحاب الأهواء تؤلب الناس عليه، مثيرة عدم
أحقيته بالخلافة، وأن هناك من هو أولى بالخلافة منه - يعنون علي بن
أبي طالب رضي الله عنه - ولإغواء الناس بهذه الفكرة اختلقت هذه الفئة أحاديث
في فضل علي وتقدمه، وأحقيته بإمامة المسلمين^(١).

وبهذا يكون الوضع في الفضائل هو البوابة التي دخل منها
الوضاعون إلى اختلاق الأحاديث وافترائها^(٢).

وأما الثانية وهي كثرة الكذب فأمر مشهور بين أهل العلم.

(١) وكان الذي تولى كبر هذا الأمر الروافض، ومن أولهم عبد الله بن سبأ، فقد
نقل ابن حجر في لسان الميزان (٣/٣٥٩) عن الشعبي أنه قال: «أول من كذب
عبد الله بن سبأ».

(٢) انظر في هذا: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٥٧)، والإسرائيليات
والموضوعات في كتب التفسير لأبي شعبة (ص ٢٠)، والحديث والمحدثون
(ص ٤٨٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما باب فضائل الأعمال والأشخاص، والأماكن والزمان، والقبور، فباب اتسع فيه الكذب والبهتان»^(١).

ولما نقل الحافظ ابن حجر كلمة الإمام أحمد، المشهورة:

«ثلاثة كتب ليس لها أصول: التفسير والمغازي والملاحم»^(٢).

عقب بقوله: «ينبغي أن يضاف إليها الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة... أما الفضائل فلا يحصى كم وضع الرافضة»^(٣) في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية والشيخين وقد أغناهما الله، وأعلى مرتبتهما عنها»^(٤).

والوضع في فضائل القرآن كثير ومتشعب، فلم يقتصر على نوع دون نوع، أو على جزئية دون أخرى، فقد اختلق الوضاعون أحاديث في فضل قراءة القرآن وتلاوته، وفي شرف أهله وحملته، وفي فضل سورة وآياته، وهذا الأخير أكثر الأنواع تعرضاً لاختلاق الأحاديث.

وما تقدم عن الإمام أحمد، من قوله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول... إلخ».

(١) الرد على البكري (ص ١٤).

(٢) أسند هذه المقولة عن الإمام أحمد الخطيب البغدادي في كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٦٢).

(٣) الرافضة من فرق الشيعة سمو بذلك، لأنهم بايعوا زيد بن علي بن الحسين، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين، فأبى، وقال: كانا وزيرى جدي، فتركوه، ورفضوه وارفضوا عنه، وهم فرق يجمعهم الإنفراط في حب علي بن أبي طالب، وبغض الصحابة وسبهم، ومن عقائدهم: الإمامة، والعصمة، والتقبة. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٦)، والفرق بين الفرق (ص ٢١، ٢٩)، والقاموس المحيط (ص ٨٣٠) «رفض».

(٤) لسان الميزان (٢٤/١) باختصار.

لا يفهم منه أنه لم يصح شيء في هذه الثلاثة مطلقاً، وإنما مراده ما غلب عليها من عدم اتصال الأسانيد، فتكثر فيها المراسيل ونحوها، وقد صحت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في التفسير، وهي مما لا تخفى على الإمام أحمد، فليس مراده نفي الصحة مطلقاً عن جميع الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ في التفسير، وإنما مراده بيان كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا الباب^(١).

دلائل كثرة الوضع في فضائل القرآن:

يدل على كثرة الوضع في فضائل القرآن أمور منها:
أولاً: تنصيب بعض العلماء على كثرة الوضع في هذا الباب عامة، وفي فضائل سورة وآياته خاصة.
يقول القرطبي:

«ولا التفات لما وضعه الوضّاعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال، وقد ارتكبتها جماعة كثيرة، وضعوا الحديث حسبة كما زعموا»^(٢).

ويقول السيوطي:

«ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة»^(٣).

ثانياً: أفرد كثير من المصنفين في الأحاديث الباطلة والموضوعة

(١) انظر: الإتيان (٢/٢٢٧)، ومناهل العرفان (١/٤٩٣)، والتفسير والمفسرون (١/٤٧ - ٤٨).

(٢) التذكار (ص ٢٢٥). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٦٨).

(٣) الإتيان (١/١٩٢). وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص ٣٠٧)، والتحديث بما قيل لا يصح فيه حديث (ص ١٠).

للموضوعات في فضائل القرآن أبواباً وفصولاً خاصة، استطرد بعضهم في إيراد المكذوبات في هذا الباب، مثل كتاب «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة»^(١).

ثالثاً: لم تخل سورة من سور القرآن الكريم من وضع أحاديث في فضلها، وليس هذا مقتصرأ على حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل السور، وإنما هناك غيره من الأحاديث التي تروى في فضائل السور، ومنها حديث يروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام في فضل سور القرآن سورة سورة يختلف عن حديث أبي وهو أسمع منه، وعلامات الوضع أظهر فيه من حديث أبي^(٢).

كما اختصت بعض سور القرآن بكثرة الموضوعات في فضلها كما سيأتي.

هذا عدا الأحاديث الكثيرة الموضوعة في فضل القرآن الكريم وتلاوته، وفضل أهله وحملته، وفضل آياته، مما يدل بوضوح على مبالغة الوضاعين في افتراء الأحاديث واختلاقها في هذا الباب^(٣).

(١) انظر: الجزء الأول من (ص ٢٨٥ - ٣٠٩)، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه الكتب إن شاء الله تعالى.

(٢) أورد غالبه الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز في المجلد الأول في نهاية كل سورة. وصدر فضل كل سورة بقوله «يا علي...»، ولم أعر عليه في غير هذا الكتاب، وليس له ذكر في وصايا النبي ﷺ لعلي المطبوعة (طبعة المكتبة الأدبية بحلب)، ولم يذكره المصنفون في الموضوعات عند ذكرهم لوصايا النبي ﷺ لعلي الموضوعة. انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٤٤٨/٣)، وموضوعات الصغاني (ص ٢٧)، واللائل المصنوعة (٣٧٣/٢)، وتنزيه الشريعة (٢٣٩/٢)، وقد نص الفيروزآبادي على وضعه في أكثر من موضع. انظر: بصائر ذوي التمييز (١/١٦٨، ١٧٧، ٣٨١).

(٣) وقد جمعت الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الكريم، فزادت على مائة =

رابعاً: لكثرة الموضوعات في فضائل القرآن، وفشو الضعيف فيه، حدا ذلك بعض العلماء إلى الوقوف موقف الحذر من أحاديث فضائل القرآن، خاصة فضائل السور، فلم يصحح منها إلا نزراً يسيراً، وقد تقدم عن ابن العربي قوله: «إنه ليس في القرآن حديث صحيح في فضل السور إلا قليل سنشير إليه، وباقيها لا ينبغي لأحدكم أن يلتفت إليها»^(١).

ويقول أيضاً: «ومما يجب أن تحصلوه وتدخروه وتبلغوه أنه ليس في سور القرآن حديث صحيح إلا في الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والملك، والصمد»^(٢).

ومن هذا ما يذكره بعض العلماء من أنه لم يصح في فضائل السور إلا سورة كذا وكذا. ويختلف هؤلاء في عدد السور قلة وكثرة، ويُعدُّ السيوطي أكثرهم في ذلك.

فقد ذكر قريباً من عشرين سورة، ثم قال: «وما عداها لم يصح فيها شيء»^(٣)، وهذا العدد قليل جداً بالنسبة لعدد سور القرآن الكريم.

أما غير السيوطي فقد ذهب إلى أقل من هذا العدد، ومن ذلك ما أشار إليه السيوطي نفسه مما قد يُفهم من قول الدارقطني^(٤): «أصح ما

= وخمسين حديثاً، ولم أستقص الجمع، واستبعدت في هذا الجمع حديث أبي بن كعب وعلي رضي الله عنهما اللذين لو فُرقا أصبحا مجموعة برأسها.

(١) أحكام القرآن (٧/١).

(٢) عارضة الأحوزي (٢٢/١١)، وقارن هذه السور الخمس بما تقدم (ص ١٥٦).

(٣) تدريب الراوي (٣٤١/١ - ٣٤٢).

(٤) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي من أهل محلة دار القطن ببغداد، الإمام الحافظ قال عنه الحاكم: «أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع»، من مصنفاته: السنن، والعلل وهما أعظم كتبه، توفي سنة (٣٨٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٤/١٢)، ووفيات الأعيان (٢٩٧/٣)، وتذكرة الحفاظ (٩٩١/٣).

ورد في فضائل القرآن فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١). فيفهم من كلامه أنه لم يصح إلا فضل هذه السورة.

يقول السيوطي: «ولولا خشية الإطالة لأوردت ذلك هنا [يقصد أحاديث فضائل السور] لثلاثتهم أنه لم يصح في فضائل السور شيء خصوصاً مع قول الدارقطني» ثم ساق كلامه الآنف الذكر^(١).

على أن لكلام الدارقطني محملاً آخر - هو الأظهر والله أعلم - إذ يريد أن أصح الأحاديث في فضائل السور ما جاء في فضل سورة الإخلاص، لا أن غيرها من السور لم يصح في فضلها شيء.

وممن نص على قلة الأحاديث الصحيحة في فضائل السور أبو حفص الموصلي^(٢)، فقد ذكر أنه لم يصح إلا فضل سورة كذا وكذا، وعدّ سبع سور هي: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف، والإخلاص، والفلق، والناس^(٣).

وقريب منه ابن القيم^(٤)، فقد ذكر السبع التي ذكرها الموصلي وزاد

(١) تدريب الراوي (١/٣٤١).

(٢) هو عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي محدث فقيه، كان حسن السمات، طيب المحاضرة مشتغلاً بالتأليف والعبادة، من مصنفاته: الجمع بين الصحيحين، والعقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة. توفي سنة (٦٢٢هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٧)، والجواهر المضية (٢/٦٣٩)، وتاج التراجم (ص ١٦٠).

(٣) انظر: المغني عن الحفظ والكتاب (ص ٣٢ - ٣٣).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي، «ابن قيم الجوزية» الفقيه الأصولي المفسر، من أشهر تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، قال ابن حجر: «كان جريء الجنان واسع العلم، عارفاً بالخلاف، ومذاهب السلف»، له: تهذيب سنن أبي داود، وإعلام الموقعين، توفي =

عليها ثلاث سور هي: الملك، الزلزلة، والكافرون، ثم قال: «ثم سائر الأحاديث بَعْدُ كقوله: «من قرأ سورة كذا أعطي كذا». فموضوعة على رسول الله ﷺ»^(١).

ومما تقدّم يتضح كثرة الموضوعات في فضائل القرآن لأنه ما من سورة من سور القرآن إلا وقد جاء فيها أحاديث، ومنها ما جاء فيها أحاديث كثيرة، وإذا كان الصحيح في فضل سور القرآن هو هذا العدد المذكور، أو قريب منه، فالذي لم يصح من الضعيف والموضوع كثير جداً.

وكلام هؤلاء العلماء محصور في فضائل السور فقط، ويبقى من فضائل القرآن: فضل تلاوته، وفضل أهله، وفضل حفظه، وغير ذلك مما لا يريد هؤلاء بكلامهم^(٢).



= سنة (١٧٥١هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧)، والدرر الكامنة (٤/

(٢١)، والمقصد الأرشد (٢/٣٨٤).

(١) المنار المنيف (ص ١١٣ - ١١٤).

(٢) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد مقدمة محققه محمد تجاني جوهرى (ص ٨٩).

المبحث الثاني

أسباب الوضع في فضائل القرآن

يذكر العلماء أسباباً كثيرة تدفع الوضّاعين لاختلاق الأحاديث، مصدرها معتقد الواضع وفكره ومشربه، وتعدد بتعدد الأفكار والمعتقدات، فمنهم من دافعه ديني، ومنهم من دافعه دنيوي: إما عصبية، وإما حباً في المال والشهرة، ونحو ذلك^(١).

ونريد هنا تسليط الضوء على الأسباب التي لها ارتباط قوي بفضائل القرآن، وأهمها سبيان:

السبب الأول:

ما جاء عن عبد الله بن المبارك^(٢)، أنه قال في الحديث الطويل

(١) وقد تذكر هذه الأسباب تحت مسمى «أصناف الوضّاعين»، ولذلك لما ساقهم الحافظ العراقي في فتح المغيث (ص ١٢٢) قال: «الواضعون للحديث على أصناف بحسب الحامل لهم على الوضع». انظر عن هذه الأصناف: المجروحين لابن حبان (٥٨/١)، والمدخل إلى الإكليل (ص ٤٥)، والموضوعات لابن الجوزي (١٨/١)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٥٠)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٢٢٩)، وغيرها.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي الحنظلي مولاهم، الإمام الحافظ القدوة، قال الخطيب: «كان من الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ»، ومع اشتهاره بالعلم اشتهر بالجهد والكرم، من مؤلفاته: كتاب الزهد. توفي سنة (١٨١هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١٠/١٥٢)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٧٤)، وتهذيب التهذيب (٢/٤١٥).

المروي في فضائل سور القرآن: «أظنُّ الزنادقة وضعته»^(١).

والزنادقة فئة تظهر الإسلام وتبطن الكفر، وتكُنُّ الكراهية والحقْد للإسلام والمسلمين، ويكثر فيهم الاستهزاء والاستخفاف بالدين^(٢). وحتى يروج إلحادهم، وتنتشر أفكارهم بين عامة الناس، لا يجاهرون بها خوفاً من السيف، وإنما يلبسون ألبسة متعددة تخفي وجههم القبيح، وتُجمل صورتهم لدى المسلمين، فكان من هؤلاء الزنادقة من يتظاهر بالعلم والفقه^(٣)، ومنهم من يتظاهر بالتشيع وموالاته أهل البيت، والذب عنهم، ومنهم من يتظاهر بالصلاح والعبادة والزهد والتصوف^(٤).

اندس هؤلاء جميعاً بين المسلمين بهذه الألبسة المزيفة، يثيرون القلاقل والفتن بين المسلمين، ولأن السبب في قوة المسلمين تمسكهم بالكتاب والسنة، فقد حرص هؤلاء على زعزعة ثقة المسلمين، وإضعاف يقينهم بهذين المصدرين المهمين، ولأنه قد حيل بينهم وبين تحريف

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي (١٥٦/١).

(٢) انظر في تعريفهم: لسان العرب (٣/١٨٧١)، والمجروحين (١/٥٨)، ودائرة المعارف الإسلامية (١٠/٤٤٠).

(٣) انظر: المجروحين (١/٥٨)، والمدخل إلى الإكليل (ص ٤٥).

(٤) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٨٤)، والحديث والمحدثون (ص ٣٣٧ - ٣٣٨)، والوضع في الحديث (١/٢٢٠ - ٢٢١).

والتصوف يُراد به السعي لتهديب النفس والراقي بها في درجات الكمال، وتخليصها من شوائب الشرك والشهوات، وذلك عن طريق التعبد لله والمجاهدة، وقد اختلف في سبب تسمية الصوفي بهذا الاسم على أقوال أظهرها: أنه نسبة للباس الصوف، والصوفية في بادئ أمرها كانت على منهج صحيح سوى بعض الانحرافات في التعبد والسلوك، ثم أخذت في الانحراف شيئاً فشيئاً إلى أن وصل الأمر ببعض الصوفية إلى الزندقة والإلحاد.

انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥ - ٤٣)، ومقدمات في الأهواء والافتراق د. ناصر العقل (ص ١٣٦).

القرآن الكريم، فقد جمعوا قواهم الفكرية والعقلية ضد السنة النبوية، وكان من أساليبهم الخبيثة في القضاء عليها، وإضعاف ثقة المسلمين بها، وإثارة الشكوك حولها بثُّ الأكاذيب والمختلقات من الأحاديث بين الناس^(١)، حتى اعترف بعضهم بأنه وضع أحاديث كثيرة تجول في أيدي الناس، وقصة عبد الكريم بن أبي العوجاء^(٢) في ذلك مشهورة، لما أرادوا قتله قال: «والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم»^(٣).

والسؤال الذي يرد هنا ونحن نتحدث عن الوضع في فضائل القرآن: ما هدف الزنادقة من اختلاق الأحاديث وافترائها في ترغيب الناس في تلاوة القرآن، وحثهم عليه؟! إذ الهدف واضح من اختلاق الأحاديث في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وتغيير الأحكام، لما لها من أثر واضح في إثارة الشكوك، وإضعاف يقين المسلمين بدينهم والتلبس عليهم، وإيقاعهم في المحرمات والموبقات، لكن الهدف قد يبدو غامضاً في الأحاديث التي ترغب المسلم في كتاب ربه، وتزيد من تعلقه به وإقباله عليه، والالتزام بتعاليمه!!

وقد يبدو هذا الإشكال قوياً عند إلقاء نظرة عابرة حول مقاصد هؤلاء الزنادقة، أما عند إلقاء نظرة متأنية حول مقاصدهم فسيزول الإشكال، وتظهر بعض المقاصد الخبيثة لهذه الفئة.

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) هو خال معن بن زائدة، زنديق، قتله على الزندقة محمد بن سليمان العباسي، أمير البصرة للمهدي بعد الستين ومائة.

انظر: ميزان الاعتدال (٣/٣٥٨)، ولسان الميزان (٤/٦١).

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٨).

فمن مقاصد هؤلاء إشاعة الكذب على الرسول ﷺ، والعمل على ذبوعه وانتشاره، بغض النظر عن الموضوع التي تتحدث عنه هذه الأكاذيب، خاصة إذا كانت تستهوي طائفة عريضة من الناس، فيتلقفونها من غير روية ولا تأني، وفي إشاعة الكذب على الرسول ﷺ بين الناس مفسد ظاهرة: من إغرائهم به، وتشجيعهم عليه، وتسهيل الوقوع فيه، وبإشاعة الكذب عليه ﷺ يضعف يقين الناس بالأحاديث، وتختل ثقتهم بها.

ومن أهدافهم الخبيثة في هذا الأمر الاستخفاف بالدين، وعيب الإسلام وتهجينه بدس الأحاديث المستشعة، كتلك الأحاديث المشتملة على المجازفات والمبالغات المفرطة في تقدير الثواب وتصويره، فيقال: إن هذا الدين دين خرافة يقبل المستحيلات ويصدق بها، ولذلك لما أورد ابن الجوزي الحديث الموضوع في فضل سورة البقرة: «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت البقرة مع الناس» أعقبه بقوله: «هذا حديث موضوع لا عفا الله عن من وضعه، لأنه قد قصد عيب الإسلام بهذا»^(١).

ثم إن أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب داخله في أحاديث الأحكام، فإن الترغيب والترهيب من جملة الأحكام الشرعية، ففي الكذب في الترغيب والترهيب إفساد لهذه الأحكام، وفي هذه الأحاديث إخبار عن الله تعالى بوعده على عمل بثواب لم يرد عنه جل وعلا^(٢).

ومما تقدّم يمكن وضع مقاصد الزنادقة وأهدافهم في اختلاق أحاديث فضائل القرآن وغيرها في أربعة مقاصد:

(١) الموضوعات (١/٣٩٤ - ٣٩٥). وانظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٢٤٥)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٥١). وانظر عن هذا الحديث ما يأتي (ص ٢٢١).

(٢) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٥٤)، ونزهة النظر (ص ٩٢).

- ١ - إشاعة الكذب على الرسول ﷺ، وترويجه بين الناس.
- ٢ - تسهيل وضع الأحاديث في نظر العوام وإغراؤهم بذلك.
- ٣ - الاستخفاف بالدين وعيب الإسلام.
- ٤ - إفساد الأحكام الشرعية المترتبة على فضائل القرآن.

السبب الثاني:

تسهيل الكذب ووضع الأحاديث في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب، وتجويزه واعتباره من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله، وقد وقع في هذا المزلق جهلة المتعبدین والمتصوفة وغيرهم^(١). وقد زعم هؤلاء أنهم يكذبون للرسول ﷺ، والوعيد إنما جاء في حق من يكذب عليه لا له!!

وقالوا: إن الكذب المنهي عنه، والمتوعد عليه في الحديث ما قصد به إضلال الناس وإغواؤهم، أما إذا قصد بالكذب، ووضع الأحاديث هداية الناس، وإرشادهم وحثهم على الخير وترغيبهم فيه، فليس من الكذب المنهي عنه!!^(٢)

ولما كانت هذه نظرتهم للكذب ووضع الأحاديث، أصبحوا من أعظم المنابع، وأوسع المصادر التي تخرج منها الأحاديث الموضوعة في الفضائل والترغيب والترهيب.

وقد ذهبوا إلى أبعد من هذا إذ رووا أحاديث عن النبي ﷺ تشعر

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٨٠)، وشرح النووي على مسلم (٧٠/١)، ونزهة النظر (ص ٩١).

(٢) انظر في هذه الشبه وردّها: شرح النووي على مسلم (٧٠/١)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٨٥٣/٢)، وفتح المغيث للسخاوي (٣٠٦/١)، وتوضيح الأفكار (٨٤/٢).

بجواز العمل بالموضوعات في فضائل الأعمال، وأن من عمل بفضيلة مكذوبة رجاء ثوابها، أعطي ذلك الثواب المكذوب!!

روى ابن حبان^(١)، في ترجمة بزيع بن حسان^(٢) - أحد الرواة المتهمين بحديث أبي بن كعب - أنه أسند حديثاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من بلغه عن الله ﷻ أو عن النبي ﷺ فضيلة، كان مني أو لم يكن فعمل بها؛ رجاء ثوابها أعطاه الله ﷻ ثوابها»^(٣).

وقد جرأ هذا الحديث الوضّاعين على وضع الأحاديث إذا كان العامل بها سوف يناله ثوابها، وتساهل آخرون فروجوا الموضوعات لهذا السبب.

وقد صرح غير واحد من الوضّاعين أنه ما وضع أحاديث فضائل القرآن إلا احتساباً وطلباً للأجر والثواب، وحثاً للناس ليقبلوا على

(١) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، أحد أوعية العلم لغة وحديثاً وفقهاً تولى قضاء سمرقند، وصنف التصانيف، منها: التقاسيم والأنواع، والثقات، وشعب الإيمان، وغيرها، توفي سنة (٣٥٤هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٩٢٠)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/١٣١)، وشذرات الذهب (٣/١٦).

(٢) هو أبو الخليل بزيع بن حسان البصري الخصّاف، يروي عن هشام بن عروة، والأعمش، قال ابن حبان: «يأتي عن الثقات بأشياء موضوعات كأنه المتعمد لها»، وقال الحاكم: «يروي أحاديث موضوعة، يرويها عن الثقات».
انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (١/١٥٦)، والمجروحين (١/٢٢٧)، والمدخل إلى الصحيح (ص ١٢٣)، وميزان الاعتدال (١/٣٠٦).

(٣) المجروحين (١/٢٢٨). وانظر عن هذا الحديث: جامع بيان العلم وفضله (١/٢٢)، والموضوعات لابن الجوزي (٣/٤٠١)، واللائئ المصنوعة (١/٢١٤)، المقاصد الحسنة (ص ٤٠٥)، والفوائد المجموعة (ص ٢٨٣)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١/٤٥٣)، وذكر الأثر السيئ لهذا الحديث (ص ٤٥٦).

القرآن، وأصبح التمثيل بهم من الأمثلة المشهورة جداً بين علماء مصطلح الحديث.

وصنيع هؤلاء المتصوفة والزهاد من الجهل العظيم، وانقلاب المفاهيم، فكيف تستجلب هذه المصلحة المظنونة بمفسدة عظيمة متحققة الوقوع، أجمع العلماء قاطبة على أنها من أكبر الكبائر، وأقبح الذنوب^(١).

وقد اشتد نكير العلماء على هذا الصنف من الوضاعين، ونالهم النصيب الأكبر من اللوم والتعنيف، حتى قال يحيى بن سعيد القطان^(٢):

«لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث»^(٣). وقال غيره: «ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث»^(٤).

ويقول النووي ردّاً عليهم فيما تعلقوا به من أنهم يكذبون للرسول ﷺ، ويقصدون بذلك هداية الناس:

«وهذا الذي انتحلوه وفعلوه، واستدلوا به غاية الجهالة، ونهاية الغفلة، وأدل الدلائل على بعدهم من معرفة شيء من قواعد الشرع، وقد جمعوا فيه جملاً من الأغاليط اللائقة بعقولهم السخيفة، وأذهانهم البعيدة الفاسدة، فخالفوا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

(١) انظر ما يأتي (ص ٢٦٣).

(٢) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان البصري الأحول، الإمام العلم سيد الحفاظ، سمع من بعض التابعين، وهو شيخ الإمام أحمد قال عنه: «ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد»، توفي سنة (١٩٨هـ).
انظر: تاريخ بغداد (١٤/١٣٥)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٩٨)، وتهذيب التهذيب (٤/٣٥٧).

(٣) روى هذه الكلمة مسلم في مقدمة صحيحه (١/١٨)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/١٤)، والبغدادى في الكفاية (ص ٢٤٧).

(٤) الكفاية (ص ١٤٤).

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وخالفوا صريح الأحاديث المتواترة والأحاديث الصريحة المشهورة في إعظام شهادة الزور، وخالفوا إجماع أهل الحل والعقد، وغير ذلك من الدلائل القطعية في تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي؟! وإذا نُظر في قولهم وجد كذباً على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٣﴾ [النجم: ٣، ٤].

ومن أعجب الأشياء قولهم: هذا كذب له، وهذا جهل منهم بلسان العرب، وخطاب الشرع، فإن كل ذلك عندهم كذب عليه^(١).

ومن شدة نكير العلماء على هذا الصنف من الناس أن جعلوهم أعظم ضرراً، وأشد خطراً على الأمة من الملاحدة والزنادقة وغيرهم.

وإنما كانوا كذلك لأمرين:

الأول: أن الملاحدة والزنادقة أمرهم ظاهر، وعداؤهم مستبين فيقع الحذر منهم، فلا تقبل أخبارهم، ولا يوثق بأحاديثهم. أما الزهاد والعباد فأمرهم خفي يلتبس على بعض الخاصة فضلاً عن العامة لما اشتملوا عليه من الصلاح والعبادة والزهد، ولذلك يعتمد الناس عليهم، ويقتدون بأفعالهم، ويعتنون بنقل أقوالهم، فيعظم الضرر بهم.

وأيضاً فإن المفترض فيهم أن يكونوا أبعد الناس عن الكذب والتحديث به لأن الصلاح يمنع من ذلك.

الثاني: أنهم يحتسبون في وضع الأحاديث، ويروونه قرينة وطاعة، يرجون به الثواب، ولذلك أسرفوا في وضع الأحاديث^(٢).

(١) شرحه على مسلم (٧٠/١ - ٧١) بتصرف يسير.

(٢) انظر في هذين الأمرين: مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٧٩)، وفتح المغيث للعراقي (ص ١٢٤)، ولقط الدرر في شرح نخبة الفكر (ص ٨٤)، والوضع في الحديث (٢٦٣/١).

هذا عن خطورة هؤلاء، أما كيف وقع الوضع منهم، وهم بهذه
الصفة من الزهد والعبادة والصلاح؟

والجواب أن هناك أسباباً دفعتهم لمثل هذا التصرف يجمعها:

غلبة الجهل عليهم، وعدم تمييزهم بين ما يجوز وما لا يجوز،
ومن جهلهم اعتقادهم جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب
وفضائل الأعمال؛ بل عدوه من الفضائل والمناقب التي يتقربون بها
إلى الله في أحلك الظروف، وأصعب المواقف، فإنه لما حضرت أحمد
غلام خليل^(١) الوفاة - وكان يتزهد ويترك الشهوات - قيل له: حَسِّنْ
ظنك، فقال: «كيف لا، وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثاً»^(٢).

وما دام الأمر كذلك فلا عجب أن يبالغوا في وضع الأحاديث،
ويروجوا لها، ويتفننوا في اختراع الأسانيد وتعدد الطرق، حتى يظن من
لا بصيرة له بهذا العلم أن تلك الأحاديث من أصح الأحاديث، وهي مما
عملته أيديهم!!

وإذا أردت معرفة مدى الجهل العظيم الذي وصل إليه هؤلاء
فتجروا هذه الجرأة العظيمة، فانظر في حال السلف الصالح - من
الصحابة والتابعين - مع حديث رسول الله ﷺ من حذرهم وتوقيهم،
وإقلالهم الشديد من التحديث عنه، خوفاً من الكذب عليه، والوقوع
تحت طائلة الوعيد الشديد في ذلك، ومنهم من يعلوه الهم والغم والقلق

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن غالب الباهلي، من كبار الزهاد ببغداد، وكان
يتقشف، قال أبو داود: «أخشى أن يكون دجال بغداد»، وقال الحاكم: «روى
عن جماعة من الثقات أحاديث موضوعة»، توفي سنة (٢٧٥هـ).

انظر: المجروحين (١/١٦٥)، والمدخل إلى الصحيح (ص ١٢١)، وميزان
الاعتدال (١/١٤١)، ولسان الميزان (١/٢٩٨).

(٢) تدريب الراوي (١/٣٣٣).

عند إرادة التحديث، ومنهم من يترك التحديث بحديث أثبت وأتقنه، إذا رأى من هو أثبت منه حدث بخلاف ما روى^(١).

ومن جهل الزهاد والمتصوفة عدم تمييزهم للصحيح من الأحاديث من الضعيف والموضوع، والمرفوع من الموقوف والمقطوع، والموصول من المرسل، فيروون الجميع على وجه واحد جازمين بنسبته إلى النبي ﷺ.

وبعضهم عنده حسن ظن بالناس، وسلامة صدر، فيحمل ما سمعه على صدق راويه مع كذبه في هذا الخبر، ولا يهتدي لتمييز من يقبل حديثه ممن يرد، فيحدث عن أقبل وأدبر، ودب ودرج، من غير تمييز للمخطئ من المصيب، وبهذا فُسرَت كلمة يحيى بن سعيد القطان الآنف الذكر، قال الإمام مسلم بعد سياقها: «يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب»^(٢).

ويقول الإمام مالك: «لقد أدركت في هذا البلد - يعني المدينة - مشيخة لهم فضل وصلاح وعبادة يحدثون، ما سمعت من أحد منهم حديثاً قط، قيل له: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لم يكونوا يعرفون ما يحدثون»^(٣)، وعنه قال: «لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين»^(٤)، وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ يقولون: قال رسول الله ﷺ، فما أخذت

(١) انظر في هذا: سنن ابن ماجه «باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ» (١٠/١)، والمحدث الفاصل (ص ٥٤٩، ٥٥٣)، ومقدمة ابن عدي للكامل (٨٠/١، ٨٨، ٩٢) وما بعدها، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص (١٤٩) - (١٦١).

(٢) صحيح مسلم (١٨/١). وانظر: فتح المغيث للعراقي (ص ١٢٤)، وتدريب الراوي (٣٣٢/١).

(٣) الضعفاء الكبير للعقيلي (١٣/١ - ١٤).

(٤) هي السواري. القاموس المحيط (ص ١٥٥٥) «أسطوانة».

عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مالٍ لكان به أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب^(١)، وهو شاب فتزدهم على بابهِ^(٢).

وبهذا تعرف أن الزهاد وأهل الصلاح الذين وقع منهم الكذب قسمان:

الأول: من تعمد الوضع معتقداً جوازه محتسباً الأجر في اختلاق الأحاديث وافترائها، وهؤلاء شر القسمين وأعظمهما إثماً ووزراً، وقد وقع فيه مشاهير الوضاعين في فضائل القرآن كما سيأتي.

الثاني: من يروي الموضوعات، ويحدث بها عن غيره، من غير أن يكون له دور في وضعها، وإنما يحدث بما سمع بناء على حسن ظنه بمن حدثه، فيقع الكذب في حديثه ولا يشعر، وهذا القسم أخف كثيراً ممن تعمد الكذب، لكنه أخفى منه، فلا يهتدي لاستخراج الكذب في حديث هؤلاء إلا الأئمة النقاد^(٣).

ومن خلال عرض أسباب الوضع في فضائل القرآن يظهر لك - أخي القارئ - أمران:

الأول: أن دور الزنادقة برز في اختلاق الأحاديث وافترائها، وبرز دور بعض الزهاد والعباد في إذاعة الموضوعات، وإشاعتها والتحديث بها، ورواها عنهم من قلَّ إمامه بعلم الحديث.

(١) الزهري المدني «أبو بكر» الإمام العلم، أحد حفاظ زمانه، حفظ القرآن في ثمانين ليلة، حدث عن صفار الصحابة، وكبار التابعين، وروى عنه جماعة من الأئمة كمالك والثوري، توفي سنة (١٢٤هـ).
انظر: وفيات الأعيان (١٧٧/٤)، وتذكرة الحفاظ (١٠٨/١)، وتهذيب التهذيب (٦٩٦/٣).

(٢) الكفاية (ص ٢٤٨).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٨٥٨/٢).

ولا يعني هذا أن الزهاد، وأهل الصلاح والعبادة لم يكن لهم دور في الوضع، فقد اعترف غير واحد منهم بوضع أحاديث في فضائل القرآن.

الثاني: يظهر بوضوح الأثر السيء والخطير على السنة النبوية من هؤلاء الزنادقة، وجهلة الزهاد والعباد، وكيف سخر الشيطان الزنادقة للفساد على الإسلام في أهم مصادره؟! وكيف أغوى هؤلاء الجهلة، فتقربوا إلى الله تعالى بوضع الأحاديث وترويجها!!

والصنف الثاني من الوضاعين أعظم خطراً، وأكثر ضرراً، إذ راجت أكاذيبهم على بعض المسلمين، وانخدعوا بها، ولكن الله قيض لهذا الدين حماة وأنصاراً: من حملة السنة وحفاظها، ونقاد الحديث والأثر، ولما قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: «تعيش لها الجهابذة»^(١).



(١) الكامل في ضعفاء الرجال (١/١٩٢)، والجهابذة: جمع جهيد وهو النقاد الخبير، القاموس المحيط (ص ٤٢٤) «الجهيد».

المبحث الثالث

المشتهر من الموضوعات في فضائل القرآن

ع وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول

شهرة حديث أبي بن كعب في فضل سور القرآن الكريم

لم ينل حديث موضوع في فضائل القرآن من الشهرة والذیوع ما ناله حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الذي ينتظم سور القرآن سورة سورة، فيذكر لكل سورة ما يناسبها من الثواب، وفاقت شهرة هذا الحديث وذيوعه بعض الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، ومن شهرته انصراف الذهن إليه - أحياناً - عند الحديث عن الوضع في فضائل القرآن.

وسبب شهرة هذا الحديث وذيوعه أمور، من أهمها:

أولاً: اغترار كثير من الناس به، وروايتهم له في كتبهم ودواوينهم جازمين بصحته أحياناً، فقد ذكره كثير من المفسرين، وقطعه بعضهم على سور القرآن، واكتفى به آخرون عن غيره من الأحاديث الصحيحة والضعيفة.

ثانياً: وجود هذا الحديث في بعض التفاسير التي قُدر لها الانتشار والذیوع في أيدي الناس، مثل تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل»^(١).

(١) لا يوجد تفسير كثرت حواشيه كهذا التفسير، ذكر له حاجي خليفة قريباً من =

وحيثما يوجه النقد لكتب التفسير لإيرادها الموضوعات في فضائل القرآن، فإن النصيب الأكبر من هذا النقد يتجه لهذا الحديث.

ثالثاً: تعدد مخارج هذا الحديث وطرقه وأسانيده، ولذلك يرد في تراجم كثيرة.

رابعاً: كثرة من نبه على هذا الحديث من العلماء، تحذيراً منه وبياناً لوضعه، فلا يكاد يذكر موضوع فضائل القرآن إلا ويأتي الكلام عن هذا الحديث، فهو قُطْبُ الرّحى الذي تدور عليه تنبيهات العلماء في هذا الموضوع، وقد حذر منه - كثيراً - المصنفون في مصطلح الحديث، وأوردوه مثلاً في موضعين:

الأول: عند الحديث عن العلامات والأمارات التي يعرف بها الحديث الموضوع، ويمثلون به لما أقر الواضع بوضعه^(١).

الثاني: عند الحديث عن أصناف الوضاعين، ويمثلون به لما أحدثه الزهاد والعباد والمتصوفة من أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال^(٢).

وممن نبه عليه كثيراً المصنفون في الأحاديث الموضوعية، فقد ابتدأ الصغاني في موضوعاته بالتنبيه على هذا الحديث^(٣)، وجعله بعض المصنفين في الموضوعات أول حديث في الباب المتعلق بما وضعه الوضاعون في فضائل القرآن^(٤).

= أربعين حاشية. انظر: كشف الظنون (١/١٨٨)، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي «التفسير وعلومه» (١/٣٢٠ - ٣٤٣).

(١) انظر: فتح المغيث للسخاوي (١/٣١٤)، وتدريب الراوي (١/٣٢٣).

(٢) انظر: فتح المغيث للعراقي (ص ١٢٥)، وتدريب الراوي (١/٣٣٣).

(٣) موضوعاته (ص ٢٦).

(٤) انظر: موضوعات ابن الجوزي (١/٣٩٠)، واللائل المصنوعة (١/٢٢٦).

لأجل هذا أصبح من المناسب تسليط الضوء عليه، وقبل الشروع في ذلك يحسن إيراد طرف منه .

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقرأ علي القرآن في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي مات فيها، أتاه جبريل صلوات الله عليه فقال له: اقرأ القرآن على أبي مرتين، وهو يقرئك السلام، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي، فلما قرأ علي القرآن قلت: يا رسول الله كما كانت خاصة لي قراءة القرآن، فخصني بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعك عليه، قال: «نعم، يا أبي أيما مسلم قرأ فاتحة القرآن أعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة البقرة أعطي من الأجر كالمرباط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته»، وقال: «يا أبي مَرِ المسلمين أن يتعلموا سورة البقرة فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»، قلت: يا رسول الله، وما البطلة؟ قال: «السحرة»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النساء أعطي من الأجر كأنما تصدق على كل من يرث ميراثاً، وكان له من الأجر بقدر من اشترى محرراً فأعتقه، وبرئ من الشرك، وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا»، وقال رسول الله ﷺ: «أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة شيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد، من قرأ سورة الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك، بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالى بينه يوم القيامة وبين إبليس - لعنه الله - سترأ، وكان آدم صلوات الله عليه شفيعاً له يوم

القيامة»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة، شاهد أنه برئ من النفاق، وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة، وكان العرش وحملة العرش يستغفرون له أيام حياته في الدنيا»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة يونس أعطي عشر حسنات بعدد من كذب بيونس وصدقه، وبعدد من غرق مع فرعون»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح، وكذب به، وبهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم، وكان يوم القيامة إن شاء الله من الشهداء»، وقال رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما امرئ مسلم تعلم سورة يوسف وعلمها ما ملكت يمينه وأهله هَوْنٌ الله عليه سكرات الموت، وأعطاه من القوة ألا يحسد مسلماً»، وقال ﷺ: «من قرأ سورة الرعد كان له من الأجر بوزن كل سحاب مضى، وكل سحاب يكون عشر حسنات، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى يوم القيامة بما أنعم عليه في دار الدنيا، فإن مات يوم تلاها أو ليلة تلاها كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية»، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة بني إسرائيل فَرَّقَ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة، القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية، والأوقية خير من الدنيا وما فيها...»^(١).

(١) هكذا أورده بتمامه المستغفري في فضائل القرآن ورقة (١٧٨ - ١٨٥ ب)، وأورده بتمامه أيضاً صاحب كتاب المباني في نظم المعاني. انظر: مقدمتان في علوم القرآن (ص ٦٤ - ٧٤).

وهكذا يمضي الحديث مستعرضاً سور القرآن الكريم كلها، وسيأتي التمثيل منه إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني

أشهر الرواة لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه

تفنن الوضاعون في تعديد مخارج حديث أبي، وتكثير طرقه؛ تعمية لأمره وتلبساً على الرواة، حتى يظن بعض الناس أنه ينجبر بهذه الطرق الكثيرة، ويكون صالحاً للاحتجاج به في فضائل الأعمال.

وقد أخرج الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» جميع طرقه الآتية^(١)، ورواه عن أبي بن كعب عدد من الصحابة والتابعين، وسأذكر أشهر رواته عن أبي، ثم أتبع ذلك ببيان بطلانه، والمتهمين بوضعه.

وأشهر رواته عن أبي كما افترى ذلك الوضاعون ثلاثة:

الأول: عبد الله بن عباس رضي الله عنه ^(٢).

(١) وقد ساق الزيلعي أسانيد الثعلبي في تخريجه لأحاديث وآثار الكشف، وسوف تكون الإحالة إليه لأنه أيسر تناولاً.

(٢) أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من طريقين:

الأول: من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن زيد العمي عن أبي نضرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشف (٤٥٠/١) «الأنعام» (٨٨/٣) «السجدة» (٢٨/٤) «الجمعة»، (٩٠) «المعارج»، (٣٣٧) «المعوذتين».

الثاني: من طريق سعيد بن حفص عن معقل بن عبيد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه.

انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشف (١٩٥/٢) «الرعد»، (١٨٦/٤) «البروج»، (٢٠١) «الغاشية»، (٢٨٥) «الهمزة».

الثاني: أبو أمانة صُدي بن عجلان رضي الله عنه (١)(٢).
الثالث: زر بن حبیش (٣)(٤).

(١) هو صدي بن عجلان بن الحارث الباهلي بايع النبي ﷺ تحت الشجرة، وشهد معه حجة الوداع وعمره ثلاثون سنة، وشهد مع علي صفين، ثم سكن الشام، ومات بها سنة ست وثمانين، وعمره مائة وست سنين.
انظر: أسد الغابة (١٦/٦)، والإصابة (١٣٣/٥).

(٢) أخرجه من طريق هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمانة عن أبي بن كعب:

أ - ابن مردويه في تفسيره بطوله كما في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٢٦٨/١).

ب - الثعلبي في تفسيره مقطعاً في سور كثيرة كما في المصدر السابق (٣٧٢/١) «النساء»، (٤٣٠) «المائدة»، (٤٨٢) «الأعراف»، (٤٣/٢) «الأنفال»، (١٤٢) «يونس»، (١٧٩) «يوسف»، (٢٠٥) «إبراهيم»، (٢٥١) «النحل»، (٢٩٦) «الإسراء» وغيرها.

ج - الواحدي في تفسيره الوسيط مقطعاً في بداية كل سورة.

د - ابن عدي في الكامل في موضعين (٤٤٠/٨، ٤٨٣).

هـ - أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٣٢٨/٢)، واكتفى ابن عدي وأبو نعيم بالإشارة إليه عن ذكره مفصلاً وأخرجه من طريق أبي معشر عن زيد بن أسلم به خلال في فضائل سورة الإخلاص (ص ٦٦) فيما يخص سورة الإخلاص فقط.

(٣) هو أبو مريم أو أبو مطرف زر بن حُبيش بن حُباشة الأسدي الكوفي، مخضرم أدرك الجاهلية. قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وقال: كان زر من أعرب الناس، كان ابن مسعود يسأله عن العربية، عمر طويلاً فعاش مائة وعشرين سنة، توفي سنة (٨٢هـ)، وقيل غير ذلك.

انظر: تذكرة الحفاظ (٥٧/١)، وغاية النهاية (٢٩٤/١)، وتهذيب التهذيب (٦٢٧/١).

(٤) أخرجه من طريق بزيع بن حسان أبي الخليل البصري عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة عن زر عن أبي: العقيلي في الضعفاء الكبير (١/١٥٦) مكتفياً بالإشارة إليه، وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٩٠)، =

المطلب الثالث

بطلان هذا الحديث، والإجماع على ذلك

حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على بطلان حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وأنه حديث موضوع مختلق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم»^(١).

= وذكر طرفه. وأخرجه الثعلبي كما في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٢٢١/٢) «الحجر».

وأخرجه من طريق شعبة بن سوار عن مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء به: أبو بكر بن أبي داود في فضائل القرآن، وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (٣٩٠/١)، والمستغفري في فضائل القرآن ورقة (١١٧٨) مطولاً كما سبق، والثعلبي كما في تخرج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٣٧٢/٢) «الأنبياء»، (٤٠٨) «المؤمنون»، (٣٦/٣) «القصص»، (٢٢٣)، «غافر»، (٨/٤) «الصف» وغيرها.

وأخرجه من طريق مخلد بن عبد الواحد عن الحجاج عن عبد الله عن أبي الخليل البصري عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء به: ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٢٦٨/١). والثعلبي كما في المصدر السابق (٣٧٢/٢) «الأنبياء»، (٤٠٨) «المؤمنون»، (٣٦/٣) «القصص» (٢٢٣) «غافر» (٨/٤) «الصف»، (٣٧) «المنافقون».

ولحديث أبي طريق آخر أخرجه الثعلبي من طريق مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثوري عن أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن أبي كما في المصدر السابق: (٣٧٤/٣) «الطور»، (١١٢/٤) «المزمل» (٢١٩) «الشمس»، (٢٩٩) «الماعون».

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٤). وانظر: منهاج السنة (١٢/٧).

ويقول الشوكاني :

«ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث أبي بن كعب هذا موضوع»^(١).
فهذا الإجماع من أقوى الأدلة على بطلان هذا الحديث، وبه تعرف
أن ما سبق من الطرق الكثيرة لا تجدي عنه شيئاً، مع أن العلماء حكموا
على طريقه كلها بالسقوط.

يقول السخاوي^(٢): «وعلى كل حال فهو موضوع، وإن كان له عن
أبي طرق»^(٣).

ولو تتبعنا كلام العلماء في حكمهم على هذا الحديث بالوضع لطلال
المقام جداً، فإن الكلام عنه والتنبيه عليه ملازم للكلام عن فضائل
القرآن.

المطلب الرابع

الواضع لهذا الحديث

تباينت الروايات وأقوال العلماء فيمن وضع الحديث الطويل في

(١) الفوائد المجموعة (ص ٢٩٦)، وممن حكى الإجماع على بطلانه الفيروزآبادي
في خاتمة سفر السعادة (ص ٢٨٠)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥٦٥)،
والشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (٣/ ٩٥)، والتافلاتي في
الرقم في محاسن الصور (ص ١٢٧)، ومحمد حسين الذهبي في التفسير
والمفسرون (١/ ٣٤٩).

(٢) هو أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي القاهري الشافعي، حفظ القرآن
في صغره، وتعلم على ابن حجر ولازمه أشد الملازمة، وأخذ عنه أكثر
تصانيفه، من مصنفاته: الجواهر والدرر، والضوء اللامع، والمقاصد الحسنة،
والإعلان بالتوبيخ. توفي سنة (٩٠٢هـ).

انظر: الضوء اللامع (٢/ ٨)، وشذرات الذهب (٨/ ١٥).

(٣) فتح المغيث (١/ ٣٠٥). وانظر: الكافي الشاف لابن حجر (ص ٣) بخاتمة
الجزء الرابع من تفسير الكشاف ط دار المعرفة.

فضل سور القرآن سورة سورة، بعد اتفاقها على وضعه واختلاقه، فقد جاء في الروايات اعتراف ثلاثة أشخاص بوضعه:

الأول: شيخ مجهول بعبادان^(١)، وقد جاء ذكر هذا الشيخ في قصة مؤمل بن إسماعيل^(٢) المشهورة، حينما حدثه شيخ بحديث أبي بن كعب رضي الله عنه فقال له مؤمل: «من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: حدثني شيخ بالمدائن^(٣) وهو حي فصرت إليه، فقلت: من حدثك؟ فقال: حدثني شيخ بواسط^(٤) وهو حي فصرت إليه، فقال: حدثني شيخ بالبصرة فصرت إليه، فقال: حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً، فإذا فيه قوم من المتصوفة، ومعهم شيخ فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن»^(٥).

(١) عبادان: بفتح العين وتشديد الباء المفتوحة، جزيرة قرب البصرة يحيط بها نهر دجلة، معجم البلدان (٧٤/٤).

(٢) هو أبو عبد الرحمن مؤمل بن إسماعيل البصري مولى آل عمر بن الخطاب، قال أبو حاتم: «صدوق شديد في السنة كثير الخطأ» وقال الذهبي: «حافظ عالم يخطئ»، وقال ابن حجر: «صدوق سيء الحفظ». توفي سنة (٢٠٦هـ).
انظر: الجرح والتعديل (٣٧٤/٨)، وميزان الاعتدال (٣٥٣/٥)، وتقريب التهذيب (ص ٥٥٥).

(٣) المدائن: مدينة ملوك الفرس قريبة من بغداد، فتحت في عهد عمر بن الخطاب سنة ست عشرة، معجم البلدان (٧٤/٥).

(٤) واسط: مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة، وهي واسط الحجاج بن يوسف بناها في عامين. معجم البلدان (٣٤٧/٥).

(٥) الموضوعات لابن الجوزي (٣٩٣/١). وانظر: الكفاية (ص ٥٦٧)، وقال الصغاني: «وضعه رجل من عبادان». انظر: تذكرة الموضوعات للفتنى (ص ٨٢).

الثاني: ميسرة بن عبدربه^(١)، سأله عبد الرحمن بن مهدي^(٢)، من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: «وضعتها أرغب الناس فيها»^(٣).

وقال ابن حبان في ترجمته: «وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل من قرأ كذا فله كذا»^(٤).

الثالث: أبو عصمة نوح بن أبي مريم^(٥).

(١) هو ميسرة بن عبد ربه الفارسي ثم البصري الملقب بالثراس، قال البخاري: «يُرمى بالكذب»، وقال أبو داود: «أقر بوضع الحديث»، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات على الثقات»، وقال مسلمة بن قاسم: «كان ينتحل الزهد والعبادة، فإذا جاء الحديث جاء شيء آخر»، وقال الحاكم: «يروي الموضوعات».

انظر: التاريخ الكبير (٣٧٧/١/٤)، والمجروحين (٣٤٤/٢)، والمدخل إلى الصحيح (ص ٢١١)، وميزان الاعتدال (٣٥٥/٥)، ولسان الميزان (١٦٢/٦).

(٢) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري الإمام الحافظ العلم. سمع من الأئمة الكبار كمالك والثوري وشعبة، قال ابن المديني: «أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي»، توفي سنة (١٩٨هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٢٤٠/١٠)، وتذكرة الحفاظ (٣٢٩/١)، وتهذيب التهذيب (٥٥٦/٢).

(٣) المجروحين (٦٥/١). وانظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (٢٦٤/٤).

(٤) المجروحين (٣٤٥/٢).

(٥) هو نوح بن أبي مريم يزيد بن عبد الله المروزي لُقّب بنوح الجامع لجمعه عدة علوم، تولى قضاء مرو، وكان شديداً على الجهمية، توفي سنة (١٧٣هـ).

قال البخاري: «ذاهب الحديث جداً»، وقال ابن حبان: «لا يجوز الاحتجاج به بحال»، وقال الحاكم: «ولقد كان جامعاً، رزق من كل شيء حظاً إلا الصدق فإنه حرمه»، وقال ابن حجر: «أجمعوا على تكذيبه».

انظر: التاريخ الكبير (١١١/٢/٤)، والمجروحين (٣٩٠/٢)، والمدخل إلى الصحيح (ص ٢١٧)، وميزان الاعتدال (٤٠٤/٥)، ولسان الميزان (٢٠٧/٦).

أسند الحاكم إليه أنه سئل: من أين لك عن عكرمة^(١) عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: «إني قد رأيت الناس، قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة، ومغازي محمد بن إسحاق^(٢)، فوضعت هذا الحديث حسبة»^(٣).

فهؤلاء الثلاثة اعترفوا صراحة بوضع هذا الحديث وافتراءه، وهناك آخرون اتهمهم العلماء بوضعه، ومنهم:

١ - الزنادقة: وقد تقدم قول ابن المبارك في حديث أبي بن كعب: «أظن الزنادقة وضعته»^(٤).

٢ - بزيع بن حسان البصري: روى العقيلي هذا الحديث في ترجمته^(٥).

(١) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني الهاشمي مولى ابن عباس، أخذ عن ابن عباس وأفتى في حياته، قال عن نفسه: «طلبت العلم أربعين سنة»، وقال عنه الشعبي: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة»، توفي سنة (١٠٧هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ (٩٥/١)، وتهذيب التهذيب (١٣٤/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٨٦/١).

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي مولاهم، من أعلم الناس بالمغازي والسير، قال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق» توفي سنة (١٥١هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٢١٤/١)، وتذكرة الحفاظ (١٧٢/١)، وتهذيب التهذيب (٥٠٤/٣).

(٣) المدخل إلى الإكليل (ص ٤٨). وانظر: الإرشاد للخليلي (٩٠٣/٣)، والموضوعات لابن الجوزي (٢٤/١)، ومقدمة ابن الصلاح (ص ٢٨١).

(٤) انظر (ص ١٩٤).

(٥) الضعفاء الكبير (١٥٦/١)، والعقيلي هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي عداؤه في أهل الحجاز، ثقة جليل القدر، عالم بالحديث مقدم في الحفظ، توفي سنة (٣٢٢هـ).

واتهمه ابن الجوزي في الموضوعات بوضعه^(١).
 ٣ - مغلد بن عبد الواحد^(٢): اتهمه ابن الجوزي^(٣)، وقال الذهبي
 بعد أن ساق هذا الحديث من طريقه: «فما أدري من وضعه إن لم يكن
 مغلد افتراه؟»^(٤).

٤ - هارون بن كثير^(٥): روى ابن عدي^(٦) هذا الحديث في ترجمته
 وقال: «وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم^(٧) غيره،

= انظر: تذكرة الحفاظ (٨٣٣/٣)، وطبقات الحفاظ (ص٣٤٨).
 (١) (٣٩٢/١).

(٢) هو أبو الهذيل مغلد بن عبد الواحد البصري يروي عن حميد الطويل، قال ابن
 حبان: «منكر الحديث جداً، ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه حديث الثقات يبطل
 الاحتجاج به فيما وافقهم من الروايات».
 انظر: المجروحين (٣٨٥/٢)، وميزان الاعتدال (٢٠٨/٥)، ولسان الميزان
 (٩/٦).

(٣) الموضوعات (٣٩٢/١).

(٤) ميزان الاعتدال (٢٠٨/٥).

(٥) انظر عن هذا الشيخ المجهول: التاريخ الكبير (٢٢٦/٢/٤)، والجرح والتعديل
 لابن أبي حاتم (٩٧/٩)، والكامل (٤٤٠/٧)، وميزان الاعتدال (٤١١/٥)،
 ولسان الميزان (٢١٨/٦).

(٦) هو أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، يعرف بابن القطان مع شهرته بابن
 عدي، إمام حافظ بصير بعلم الرجال، والجرح والتعديل، من مصنفاته:
 الكامل، والانتصار على مختصر المزني. توفي سنة (٣٦٥هـ).
 انظر: تذكرة الحفاظ (٩٤٠/٣)، وطبقات الحفاظ (٣٨٠)، وشذرات الذهب
 (٥١/٣).

(٧) هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، كان من العلماء
 العاملين، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، له تفسير يرويه عنه ابنه
 عبد الرحمن. توفي سنة (١٣٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٦/٥)، وتهذيب التهذيب (٦٥٨/١)، وطبقات
 المفسرين للداودي (١٨٢/١).

وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد^(١)، وروى هذا الحديث في ترجمة أخرى وقال: «وهارون مجهول لا يعرف»^(٢).

فهؤلاء أربعة اتهموا بوضع حديث فضل القرآن سورة سورة، وقبلهم ثلاثة صرحوا بذلك.

وقد يتساءل بعض الناس: كيف يجتمع هؤلاء جميعاً على وضع حديث واحد مع ما بين بعضهم من التنافر، فيبعد أن يجتمعوا كلهم على وضعه؟!

ويزول الإشكال إذا قلنا إن هذا التعدد راجع إلى الإسناد، فالحديث واحد، لكن كل واحد من هؤلاء اختلق له إسناداً، فحدث به فعرف من طريقه فاتهم به.

والوضاع قد يسمع الحديث فيعجبه فيضع له إسناداً ليروج بين الناس، وهذا من طرق الوضاعين، فقد قال أحد كبارهم: «لا بأس إذا كان كلام حسن أن يضع له إسناداً»^(٣).

وقد جرت لابن حبان قصة مع أحد الوضاعين، سمعه يحدث في المسجد، ويقول: «حدثنا أبو خليفة، فلما فرغ من كلامه دعاه، وقال له: رأيت أبا خليفة؟ قال: لا، قال ابن حبان: فقلت: فكيف تروي عنه وأنت لم تره؟! فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة، أنا أحفظ هذا الإسناد الواحد، فكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد فرويت، قال: فقممت وتركته»^(٤).

(١) الكامل (٧/٤٤٠).

(٢) المصدر السابق (٨/٤٨٣). وانظر: اللآلئ المصنوعة (١/٢٢٧).

(٣) الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/٧١)، والمجروحين (٢/٢٥٧)، والكامل (٧/٣١٧).

(٤) المجروحين (١/٨١).

ومما يدل على أن الوضع متعلق بالإسناد لا بالمتن أن بعض هؤلاء
الوضاعين يرويه من طريق واحد، فبزيع بن حسان، ومخلد بن عبد الواحد
يرويان هذا الحديث الطويل من طريق زر بن حبیش عن أبي عليه السلام ^(١)،
ولذلك جمع السيوطي بين اتهام ابن الجوزي لبزيع ومخلد بقوله: «فكأن
أحدهما وضعه، والآخر سرقه، أو كلاهما سرقه من ذلك الشيخ
الواضع» ^(٢).

أي: فكأن أحدهما وضع الإسناد والآخر سرقه منه لأن الإسناد
عندهما واحد.

وقد يفهم بعض الناس من الروايات والأقوال السابقة في واضح
حديث فضل القرآن سورة سورة أن ذلك راجع إلى تعدد الأحاديث في
فضل القرآن سورة سورة، واشتهر حديث أبي من بينها لتداول الرواة له.

وقد يُعزّزُ هذا الفهم ما يرد عن بعض العلماء، مثل ما ذكره ابن
الصلاح ^(٣) في قصة أبي عصمة نوح بن أبي مريم، ووضعه حديثاً عن ابن
عباس عليهما السلام في فضل القرآن سورة سورة، ثم قال ابن الصلاح عقب
ذلك:

«وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن

(١) انظر ما سبق (ص ٢١٠).

(٢) تدريب الراوي (١/ ٣٤٠).

(٣) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الشافعي، المعروف
بابن الصلاح، إمام حافظ فقيه مفتي، قال ابن خلكان: «كان أحد فضلاء
عصره في التفسير والحديث والفقه، وكانت فتاويه مسددة» من مؤلفاته: مقدمته
الموسومة بعلوم الحديث، توفي سنة (٦٤٣هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٣٠)، وطبقات
الشافعية للسبكي (٨/ ٣٢٦).

النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة»^(١).

فيشعر كلامه أن حديث ابن عباس غير حديث أبي ﷺ.

وقد ذكر السيوطي قريباً مما ذكره ابن الصلاح، فتكلم عن وضع حديث أبي بن كعب من طريق زر بن حبیش ثم قال:

«ومن الباطل أيضاً في فضائل القرآن سورة سورة حديث ابن عباس... وحديث أبي أمامة»^(٢).

وكلامهما محمول على تعدد الروايات الموضوعة لحديث أبي المتداول بين المفسرين وغيرهم، فهو وإن جاء من طريق ابن عباس أو طريق أبي أمامة ﷺ فهو موضوع، ولا يجدي تعدد الصحابة الرواة لهذا الحديث عنه شيئاً، وقد تقدم في الرواة لحديث أبي بن كعب أن ابن عباس وأبا أمامة يرويان عن أبي ﷺ فاكتفى ابن الصلاح والسيوطي بابن عباس وأبي أمامة عن ذكر من روياه عنه.

وقد ذكر السخاوي بعض طرق هذا الحديث ومنها طريق ابن عباس، ثم عقب بقوله:

«وعلى كل حال فهو موضوع، وإن كان له عن أبي طرق»^(٣).

ولا يعني هذا أنه لا يوجد حديث في فضل القرآن الكريم سورة سورة غير حديث أبي بن كعب بطرقه المتعددة، فقد تقدم أن علي بن أبي طالب ﷺ يروي عنه حديث موضوع في فضل القرآن سورة سورة، وهو مختلف تماماً عن حديث أبي ﷺ.

والمراد بيانه في هذا المطلب أن تعدد الاعترافات والانتهاكات

(١) مقدمته (ص ٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) تدريب الراوي (١/٣٤١).

(٣) فتح المغيث (١/٣٠٥).

بوضع حديث أبي راجع إلى تعدد وضع الطرق والأسانيد.
وعلى كل فحديث أبي بن كعب غير صحيح من أي طريق أتى،
وحيثما دار دار على الوضاعين، والمتروكين، والمجاهيل وأهل الغفلة،
ولذلك لا تجد له ذكراً في دواوين السنة المشهورة كالصحيح، والسنن،
والمسانيد، كمسند أحمد ونحوه، وإنما يذكره من يولع بذكر الأباطيل
والموضوعات، ولا يبالي بروايتها، أو تروج عليه ولا يمحسها.

هذا ولم يكتف العلماء بنقد سند هذا الحديث، وكشف زيفه
واضطرابه، بل جاوزوا ذلك إلى النظر في متن الحديث، فرأوا فيه من
العلامات والأمارات ما تقف شاهدة بطلانه واختلاقه، ولعلنا نرجئ
الكلام عنها إلى المبحث الخامس عند الحديث عن الطريق إلى معرفة
الموضوعات في فضائل القرآن.

وبما أن الكلام موصول عن الموضوعات المشتهرة في فضائل
القرآن، فإن الناظر في الأحاديث الموضوعية يلحظ اختصاص بعض
السور بكثرة الوضع فيها؛ وبخاصة السور التي اشتهر فضلها.

ومن ذلك: سورة الفاتحة، والإخلاص، وضع فيهما أحاديث
كثيرة، أحصيت لسورة الإخلاص قريباً من ثلاثين حديثاً موضوعاً، وفي
ظني أن العدد يزيد على الثلاثين كثيراً.

وهناك سور اختلفت في صحة الأحاديث في فضلها كسورة يس^(١)،
ومع ذلك كثر فيها الوضع والاختلاق.
ومن الآيات التي وضع فيها ما لم يوضع في غيرها: البسملة، وآية
الكرسي.

(١) حتى قال الدارقطني: «لا يصح في هذا الباب حديث». انظر: تلخيص الحبير
(١٠٤/٢).

المبحث الرابع

الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير وفضائل القرآن

c وفيه مدخل وأربعة مطالب

مدخل:

الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الكريم قسمان:

الأول: أحاديث ظاهرة الوضع، وعلامات الوضع ظاهرة فيها لمن له أدنى بصيرة بحديث النبي ﷺ، مثل الحديث المروي عن أبي بن كعب في فضل سور القرآن الكريم، وحديث علي بن أبي طالب في ذلك، ومثلهما حديث: «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت البقرة مع الناس»^(١). ونحوها من الأحاديث مما يأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني: أحاديث ليست ظاهرة الوضع، وقد تخفى على بعض العلماء، ولا يعرفها إلا المتخصصون في علم الحديث، وهذه الأحاديث تختلف فيها آراء العلماء واجتهاداتهم، فيحكم بعضهم بوضعها، ويحكم

(١) انظر عن هذا الحديث: الموضوعات لابن الجوزي (٣٩٤/١)، وتلخيص الموضوعات (ص ١٠٤)، واللالئ المصنوعة (٢٢٨/١)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (٢٨٥/١)، والمتهم بوضعه يعقوب بن الوليد المدني، قال عنه الإمام أحمد: «كان من الكذابين الكبار يضع الحديث»، وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث على الثقات لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». المجروحين (٤٩١/١)، وميزان الاعتدال (١٢٩/٦).

آخرون بضعفها، ولا يصلون بها إلى درجة الوضع، فيكون ذكرها عند من يحكم بضعفها فقط له ما يبرره؛ لتسامح كثير من العلماء في ذكر الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.

وهذا القسم الثاني من الأحاديث يصعب الاحتراز منه مطلقاً، فيقع ذكره عند كثير من المفسرين والمصنفين في فضائل القرآن خاصة من يستطرد منهم في ذكر أحاديث الفضائل.

وقد يأتي ذكره عند من يحذر من الموضوعات في فضائل القرآن، إما لعدم تنبيه لوضعه، أو للاختلاف فيه هل هو من قبيل الموضوع، أو من قبيل الضعيف؟

فالقراطي نبه على قضية الوضع، وحذر منها في كتابه «التذكار»، ومع ذلك ذكر عدة أحاديث حكم عليها بعض العلماء بالوضع^(١).

أما القسم الأول فالاحتراز من أحاديثه سهل لوضوحها عند عامة العلماء، ولذا وقع الاحتراز منها من كثير من المفسرين والمصنفين في فضائل القرآن كما سيأتي.

ولوم العلماء وتعنيفهم يقع على من يورد أحاديث القسم الأول، وحديثنا في هذا الفصل يدور بالدرجة الأولى عليهم.

المطلب الأول

الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير

وُصفت كتب التفسير بإكثارها من الأحاديث الموضوعية في فضائل القرآن، وذكر بعض العلماء أنه قل كتاب من كتب التفسير خلا من

(١) انظر: مثلاً (ص ٢٧٤، ٢٨٢). وانظر: التعليقات الحافلة (ص ١٣٨).

حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الموضوع إلا من عصمه الله تعالى^(١).

وعند تطبيق هذا الوصف على كتب التفسير نجده يحكي شيئاً من الواقع، لكن ليس بهذه الصورة المبالغ فيها، فكثير من كتب التفسير - أيضاً - تجنبت إيراد الموضوعات في فضائل القرآن، وبعضها نبه على هذا الأمر وحذر منه.

والناظر في كتب التفسير التي ذكرت الموضوعات في فضائل القرآن يلاحظ الآتي:

أولاً: لم يقتصر إيراد الأحاديث الموضوعية في الفضائل على كتب التفسير المأثور، انطلاقاً من أن فضائل القرآن ألصق بالتفسير المأثور من التفسير بالرأي، فالموضوعات في فضائل القرآن ترد بكثرة عند المفسرين بالرأي.

ومن التفاسير بالمأثور التي أوردت الموضوعات في هذا الباب: تفسير ابن مردويه^(٢)، وتفسير الثعلبي والواحدي.

ومن التفاسير بالرأي: تفسير الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود^(٣).

(١) تذكرة الموضوعات (ص ٨١). وانظر: موضوعات الصغاني (ص ٢٦)، والتفسير والمفسرون (١/ ٢٣٣).

(٢) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، الحافظ العلامة محدث أصبهان، قال الذهبي: «كان بصيراً بهذا الشأن [يقصد الحديث] بصيراً بالرجال، طويل الباع مليح التصانيف». من مصنفاته: التفسير، والمستخرج على صحيح البخاري، والتاريخ. توفي سنة (٤١٠هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٥٠)، وطبقات المفسرين للدودي (١/ ٩٤)، وشذرات الذهب (٣/ ١٩٠).

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، تولى القضاء ثم صار مفتياً بقسطنطينية، من مصنفاته تفسيره «إرشاد العقل السليم»، توفي سنة (٩٨٢هـ).

ثانياً: يشترك المفسرون متقدموهم ومتأخروهم في إيراد الموضوعات، إلا أن المتقدمين يفارقون المتأخرين في أنهم يوردون الموضوعات بأسانيداً، وقد يكثر بعضهم من طرق وأسانيد الحديث الواحد، مثل إكثار الثعلبي من طرق حديث أبي كما تقدم^(١).

أما المتأخرون فإنهم يوردون الأحاديث الموضوعية بلا سند، جازمين بنسبتها إلى النبي ﷺ، مما جعل خطأهم أشد وأفحش من المتقدمين، والأمثلة في الفقرة السابقة تنطبق تماماً على هذه الفقرة.

ثالثاً: الغالب على المفسرين متقدميهم ومتأخريهم عند إيراد حديث أبي بن كعب رضي الله عنه تقطيعه على سور القرآن الكريم، فيوردون لكل سورة ما يخصها، سوى ما ذكر عن أبي بكر بن مردويه من روايته الحديث بكامله في آخر تفسيره^(٢).

رابعاً: المفسرون في إيرادهم لحديث أبي بن كعب بين مقل ومكثر.

فمنهم من التزم ذكره في كل سورة إلا ما ندر، ومن هؤلاء: الثعلبي، والواحدي في تفسيره «الوسيط»، والزمخشري، والبيضاوي، والفيروزآبادي، وأبو السعود.

ومنهم من يورده حيناً ويتركه أحياناً كثيرة، ومن هؤلاء: السمرقندي^(٣)،

= انظر: شذرات الذهب (٣٩٨/٨)، والبدر الطالع (٢٦١/١)، والفوائد البهية (ص ٨١).

(١) انظر: الروايات المتقدمة لحديث أبي بن كعب.
(٢) انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في: تفسير الكشاف (٣٤٥/٤)، والالآء المصنوعة (٢٢٧/١).

(٣) انظر: بحر العلوم (٥٢٩/٢) «القصص»، (٣٤/٣) «السجدة»، (٢٥٩) «الفتح»، (٣٠٣) «القمر»، (٥٠٧) «التكاثر».

وابن عطية^(١)، والنسفي^(٢) (٣).

خامساً: يكاد يقتصر بعض المفسرين المشهورين بذكر الموضوعات في فضائل القرآن على ذكر حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ذلك أنه متعلق بفضائل السور، والمفسرون غنوا بهذا النوع أكثر من غيره.

ومع تركيز المفسرين على حديث أبي، فقد يوردون غيره من الموضوعات، ومن أمثلة ذلك:

١ - ما ذكره أبو الليث السمرقندي في فضل سورة البقرة من الحديث الموضوع: «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت البقرة مع الناس»^(٤).

٢ - ما ذكره الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي في فضل سورة الفاتحة من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: «الحمد لله رب العالمين»، فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم

(١) انظر المحرر الوجيز: (١٥٨/١٥) «ق»، (٤٣٤) «المجادلة»، (١٦/١٢٠) «نوح».

(٢) هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد، وصاحب التصانيف، منها: المنار في أصول الفقه، وكنز الدقائق، والعمدة في أصول الدين، توفي سنة (٧١٠هـ).

انظر: الجواهر المضية (٢/٢٩٤)، والدرر الكامنة (٢/٣٥٢)، والفوائد البهية (ص ١٠١).

(٣) انظر: مدارك التنزيل (٢/١٨٥) «يوسف»، (٣/٢٢) «الكهف»، (٤/١٢) «يس»، (١١٣) «الأحقاف» وقول د. الذهبي في التفسير والمفسرون (١/٣٠٥): «إنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور» ليس على إطلاقه، فلعله يريد في الأعم الأغلب.

(٤) بحر العلوم (١/٢٤٢)، وتقدم هذا الحديث قريباً.

بذلك العذاب أربعين سنة»^(١).

٣ - ما ذكره الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» في نهاية كل سورة من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام الموضوع سوى سور قليلة.

المطلب الثاني

الموضوعات في فضائل القرآن

في كتب فضائل القرآن

لم يقع على المصنفين في فضائل القرآن من النقد والتعنيف لإيرادهم الموضوعات ما وقع على المفسرين، مع أنهم ليسوا أحسن حالاً منهم.

فقد وقع جماعة منهم في ذلك، ومنهم:

أولاً: ابن أبي داود السجستاني، في كتابه «فضائل القرآن»، قطع حديث أبي بن كعب عليه السلام على سور القرآن الكريم^(٢).

ثانياً: جعفر بن محمد المستغفري، وصفه الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» بأنه: «صدوق في نفسه، لكنه يروي الموضوعات في الأبواب ولا يوهيها»^(٣).

-
- (١) انظر في هذا الحديث: الكافي الشاف (ص ٣)، والفتح السماوي (١/ ١١٩ - ١٢٠). والحديث فيه دجالان هما: أحمد بن عبد الله الجوباري، قال عنه ابن حبان: «دجال من الدجاجلة كذاب»، وذكر أنه مشهور عند المحدثين قاطبة بالوضع على الثقات، وقال الذهبي: «ممن يضرب المثل بكذبه». انظر: المجروحين (١/ ١٥٣ - ١٥٤) وميزان الاعتدال (١/ ١٠٦ - ١٠٨).
- والثاني: مأمون بن أحمد الهروي، قال ابن حبان: «كان دجالاً من الدجاجلة» انظر: المجروحين (٢/ ٣٨٣)، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٤٩).
- (٢) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٩٢)، واللائل المصنوعة (١/ ٢٢٧).
- (٣) (١١٠٢/٣).

وصدق، فقد أورد حديث أبي بن كعب بتمامه في موضع واحد^(١)، واكتفى بالقول في أوله: «في إسناده مقال!!» وهذه العبارة سهلة لا تستخدم مع مثل هذا الحديث المكذوب، وذكر أجزاء منه في بعض السور^(٢).

والمتتبع لكتاب المستغفري يجد فيه موضوعات أخرى غير حديث أبي بن كعب^(٣).

ثالثاً: أبو الحسن بن صخر الأزدي، وكتابه «فضائل القرآن» مفقود، لكن أكثر النقل عنه الغافقي في «لمحات الأنوار»^(٤)، ومن خلال تتبع أحاديثه في كتاب الغافقي يتضح أنه ممن يروي الموضوعات.

ومن الأحاديث الظاهرة الوضع التي رواها في كتابه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يعم الميم والهاء استغفر له سبعون ألف ملك ما دام ذلك الكتاب»^(٥).

قال ابن حبان: «هذا شيء موضوع لا يشك فيه»، وقال: «عندي أن المتبدئ في صناعة الحديث يعلم أن هذا بهذا الإسناد موضوع، فكيف الممعن في الصناعة؟!»^(٦).

وقال الشوكاني: «لا يقدم على وضع مثل هذا إلا متلاعب بالدين،

(١) فضائل القرآن ورقة (١٧٨ - ١٨٥ ب).

(٢) انظر ورقة (١٢٤ ب، ١٣٧ أ، ١٤٤).

(٣) انظر ما أورده في: سورة الإخلاص ورقة (١٥٦ - ١٥٩).

(٤) ورمز له بحرف «ص».

(٥) لمحات الأنوار (١/٤٦٩).

(٦) المجروحين (٢/١٨٣).

فلعن الله الكذابين»^{(١)(٢)}.

رابعاً: الحسن بن محمد الخلال في كتابه «فضائل سورة الإخلاص»، أورد فيه عدداً من الأحاديث الموضوعة في فضل سورة الإخلاص ومنها:

١ - قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: «من قرأ قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، وكُتِبَ له من الحسنات عدد من أشرك بالله وآمن به»^(٣).

٢ - روى حديثاً من نسخة يغنم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه الموضوعة^(٤)، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ قل هو الله أحد ثلاثين مرة كتب الله له براءة من النار، وأماناً من العذاب، والأمان يوم الفرع الأكبر»^(٥).

خامساً: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي في كتابه «فضائل القرآن وتلاوته» يورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، أما الأحاديث الضعيفة فهي ظاهرة جداً في هذا الكتاب.

ومما أوردته من الأحاديث الظاهرة الوضع حديث علي بن أبي

(١) الفوائد المجموعة (ص ٢٧٧). وانظر في وضعه: موضوعات ابن الجوزي (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨)، واللائئ المصنوعة (١/ ٢٠٢)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٢٥٥)، والمتهم بوضعه العباس بن الضحاك البلخي، قال عنه ابن حبان: «شيخ دجال يضع الحديث» المجروحين (٢/ ١٨٣). وانظر: ميزان الاعتدال (٩٧/ ٣).

(٢) انظر أمثلة أخرى لما أوردته ابن صخر الأزدي في: لمحات الأنوار (١/ ١٥٠)، (٢/ ٨٢٧، ٨٦٢، ٨٧٢، ٨٧٧).

(٣) فضائل سورة الإخلاص (ص ٦٦).

(٤) يأتي الحديث عن هذه النسخة قريباً.

(٥) المصدر السابق (ص ٨٧). وانظر أحاديث أخر في (ص ٤٠، ٥٢، ٥٨، ٧٥).

طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن فله في بيت مال المسلمين مائتا دينار، إن أخذها في الدنيا، وإلا أخذها في الآخرة، فقليل يا رسول الله ﷺ: أو في الآخرة دنائير؟ فقال: لا، ولكن حسنات وسيئات»^(١).

قال الشوكاني: «لا يشك في وضعه المتبدئ في هذا الفن»^{(٢)(٣)}.
وكتاب أبي الفضل الرازي صغير الحجم مقارنة بالكتب الكبيرة، فوجود مثل هذه الأحاديث فيه مما يؤخذ عليه.
سادساً: أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاح في كتابه «لمحات الأنوار».

ولئن عُذَّ هذا الكتاب أوسع كتب فضائل القرآن عرضاً للموضوع، وأكثرها تناولاً، فهو أوسعها وأكثرها ذكراً للموضوعات والأباطيل!!
ولئن نقل هذا الكتاب عن كتب السنة المشهورة كالصحيحين والسنن الأربع، فقد أكثر النقل عن كتب طفحت بالأباطيل والموضوعات!!، ونقل عن نسخ حديثة اشتهرت بين علماء الحديث بوضعها وبطلانها، ولم يجيزوا العلماء روايتها والتحديث بها، أو النقل منها إلا مع بيان بطلانها وزيفها.

(١) (ص ١٠١).

(٢) الفوائد المجموعة (ص ٣٠٨). وانظر في وضع هذا الحديث: موضوعات ابن الجوزي (٤١٦/١)، واللائل المصنوعة (٢٤٦/١)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (٢٨٧/١).

والمتهم بوضع هذا الحديث جوير بن سعيد البلخي، وعمر بن جميع، وهما متروكان انظر عن الأول: المجروحين (٢٥٧/١)، وميزان الاعتدال (٤٢٧/١). وعن الثاني: المجروحين (٤٣/٢)، وميزان الاعتدال (١٧١/٤).

(٣) انظر أحاديث آخر في كتاب الرازي (ص ٩٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨)، ومقدمة محقق الكتاب د. عامر صبري (ص ١٨).

وحتى يكون الكلام دقيقاً يمكن إبراز ما ذكره الغافقي، من الموضوعات في الآتي:

١ - أورد حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وقطعه على سور القرآن الكريم، وأورد له في كثير من السور روايات متعددة بحسب اختلاف المصادر التي ينقل منها.

كما ذكر في كتابه أحاديث مشهورة بالوضع، ومنها الأحاديث التي تقدم ذكرها، كحديث: «لو أن سورة البقرة بلغت ثلاثمائة آية لتكلمت»^(١).

وحديث: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يعم الميم والهاء استغفر له سبعون ألف ملك...» وقد تقدم^(٢).

٢ - يذكر في كتابه بعض الأحاديث دون عزوها لمصادرها، ويكتفي بأنه وجدها في ظهر كتاب فنقلها كما هي! وفي بعض هذه الأحاديث نكارة شديدة، وأمارات الوضع ظاهرة فيها^(٣).

٣ - نقل في كتابه من بعض النسخ الحديثية التي حكم عليها علماء الحديث بالوضع، وهذه النسخ هي:

أ - نسخة جعفر بن نسطور الرومي عن النبي ﷺ^(٤).

قال الذهبي عن هذا الرجل:

«الإسناد إليه ظلمات، والمتون باطلة، وهو دجال، أو لا وجود له»^(٥).

(١) لمحات الأنوار (٢/٢٠٨).

(٢) انظر (ص ٢٢٧).

(٣) انظر مثلاً (٣/١٠٣٢، ١٠٤٤، ١٠٤٧، ١٠٥٦).

(٤) رمز لنسخته ب «جع». وانظر إسناده إليها في (٣/١٣٩٣).

(٥) تجريد أسماء الصحابة (ص ٨٥)، وقال عنه في الميزان (١/٤١٩): «لم أر له =

ومما رواه الغافقي عن هذه النسخة: عن جعفر بن نسطور الرومي قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ كل يوم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات والمعوذتين كذلك كفاه الله تعالى أمر الدنيا والآخرة»^(١).

ب - نسخة خراش بن عبد الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٢).

قال ابن حبان عن صاحب هذه النسخة «أتى عن أنس عن النبي ﷺ بنسخة فيها أشياء مستقيمة، وفيها أشياء موضوعة لا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على جهة الاعتبار»^(٣).

ج - نسخة سمعان بن مهدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٤)، قال الذهبي عن هذا الرجل ونسخته:

= ذكرأ في كتب الضعفاء هو أسقط من أن يشتغل بكذبه»، وقال في (٣٠٨/٥): «والظاهر أن جعفر بن نسطور لا وجود له». وقال ابن حجر: «أحد الكذابين الذين ادعوا الصحبة بعد النبي ﷺ بمئين من السنين». الإصابة (١٣٨/٢). وانظر عن نسخته الموضوعة: موضوعات الصغاني (ص ٣٠)، واللائئ المصنوعة (١٩٥/١)، والفوائد المجموعة (ص ٤٢٤).

(١) لمحات الأنوار (٣/١١٥٠).

(٢) ورمز لها بحرف «خ». وانظر إسناده إليها في: (١٣٩٧/٣)، ولم أجد عزوا لهذه النسخة في ثانيا الكتاب.

(٣) المجروحين (١/٣٥١)، وقال: «شيخ كان يزعم أنه خدم أنس بن مالك»، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/١٧٤): «ساقط عدم ما أتى به غير أبي سعيد العدوي الكذاب، ذكر أنه لقيه سنة بضع وعشرين ومائتين». وانظر: لسان الميزان (٢/٤٨٣).

وانظر عن نسخته: موضوعات الصغاني (ص ٣٠)، والأسرار المرفوعة (ص ٣٩٠)، والفوائد المجموعة (ص ٤٢٤).

(٤) ورمز لها بحرف «ن». وانظر إسناده إليها (٣/١٤٠١).

«حيوان لا يعرف، ألصقت به نسخة مكذوبة، رأيتها قبح الله من وضعها»^(١).

وقال ابن حجر عنها:

«وهي أكثر من ثلاثمائة حديث أكثر متونها موضوعة»^(٢).

ومما رواه الغافقي عن هذه النسخة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم أعطاه الله في الجنة مثل صنعاء وتهامة»^(٣).

د - نسخة يغنم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٤).

قال ابن حبان: «شيخ يضع على أنس بن مالك الحديث، روى عنه نسخة موضوعة لا يحل الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار»^(٥)، وقال العقيلي: «عنده عن أنس نسخة أكثرها مناكير»^(٦).

ومما رواه الغافقي عن هذه النسخة عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت

(١) ميزان الاعتدال (٢/٤٢٤).

(٢) لسان الميزان (٣/١٣٥). وانظر عن نسخته الموضوعية: موضوعات الصغاني (ص ٢٩)، والالآئع المصنوعة (١/٤١)، والأسرار المرفوعة (ص ٣٩٠).

(٣) لمحات الأنوار (١/٤٧٧). وانظر أيضاً: (١/٢٣٨، ٣/١١١١، ١١١٢).

(٤) ورمز لها بحرف «يغ». وانظر إسناده إليها في (٣/١٤١٣).

(٥) المجروحين (٢/٤٩٨).

(٦) الضعفاء الكبير (٤/٤٦٦)، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/١٣٣):

«يغنم بن سالم بن قنبر مولى علي رضي الله عنه أتى عن أنس بعجائب، وبقي إلى زمان مالك»، وقال ابن حجر عنه في لسان الميزان (٦/٢٠٢) في ترجمة نعيم بن سالم: «مشهور بالضعف، متروك الحديث»، وترجم له في نفس الجزء (ص ٣٨٥).

وانظر عن هذه النسخة الموضوعية: موضوعات الصغاني (ص ٤٠)، والأسرار المرفوعة (ص ٣٩٠)، والفوائد المجموعة (ص ٤٢٤).

رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿٢﴾ مائة مرة على طهارة كطهر الصلاة، يبدأ بفاتحة الكتاب، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وبني له مائة قصر في الجنة، ورفع له من العمل في يومه مثل عمل نبي، وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة... إلخ^(١).
 ٤ - نقل في كتابه، وأكثر النقل عن كتب طفحت بالأباطيل والموضوعات ومنها: تفسير الثعلبي «الكشف والبيان»^(٢)، وكتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الكتاب الثاني: «مع أن في قوت القلوب أحاديث ضعيفة وموضوعة، وأشياء كثيرة مردودة»^(٤).

(١) لمحات الأنوار (٥٨٣/٢). وانظر أيضاً (١٠٩٠/٣)، (١١١٥)، (١١٢٥).
 وقد فات محقق الكتاب الإشارة إلى وضع هذه النسخ، سوى ما ذكره من وضع نسخة خراش، ذكر وضعها تحت نسخة سمعان بن مهدي (٤٧٧/١).
 تنبيه: لا يعني الحكم بوضع هذه النسخ أن يكون كل ما جاء فيها موضوع، فقد يكون بعض متونها صحيحاً، قد روي من جهات أخرى، والوضع أحياناً يسرق المتن، ويضع له إسناداً، وقد ذكر ابن حبان كما تقدم أن نسخة خراش بن عبد الله فيها أشياء مستقيمة، وإنما الخطأ واللوم الذي يتجه إلى المؤلف نقله من تلك النسخ وهذه حالها!!.

(٢) وقد رمز له بحرف «ث».

(٣) ورمز له بحرف «ق»، وأبو طالب المكي هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الصوفي الواعظ كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة، قدم بغداد، فوعظ الناس فخلط في كلامه فهجروه وبدعوه، وله مصنفات في التوحيد، امتنع عن الوعظ سنة (٣٨٦هـ)، وفيها توفي.

انظر: تاريخ بغداد (٨٩/٣)، ووفيات الأعيان (٣٠٣/٤)، وميزان الاعتدال (١٠١/٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٥٥١/١٠). وانظر عن هذا الكتاب: تاريخ بغداد (٨٩/٣)، وميزان الاعتدال (١٠١/٥)، والبداية والنهاية (٣٥٧/١١).

٥ - ذكر في آخر كتابه^(١) أبواباً متعلقة ببعض الصلوات التي خصت بقراءة بعض السور والآيات فيها، وهذه الصلوات مقيدة بصفات وأوقات معينة كصلوات أيام الأسبوع أو أيام الشهور ونحوها، وقد نبه عليها العلماء وحذروا منها^(٢).

وأكثر ما أورده الغافقي فيها منقول من كتاب «قوت القلوب» المتقدم، وكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، وقد سمى هذه الصلوات أوراداً، واستهلها بصلاة تُروى عن النبي ﷺ، وهي أربع ركعات يُقرأ في كل ركعة: الفاتحة وآية الكرسي، والقواقل الأربع، عشرات مرات، وإذا سلم استغفر الله سبعين مرة.

ثم شرع هذا الحديث المكذوب في ذكر ثواب هذه الصلاة فقال: «ما من عبد يصلي هذه الصلاة إلا رفع الله عنه شر أهل الدنيا والآخرة، والجن والأنس، وشر كل سلطان جائر، وشيطان مارد، ثم قال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو كان مصلي هذه الصلاة عاقاً لوالديه إلا غفر الله ذنوبه، وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدنيا، وسبعين حاجة من حوائج الآخرة، وإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة يُعتق بكل ساعة من ذلك اليوم والليل لكرامته على الله سبعين ألفاً من الموحدين ممن قد استوجب النار، ولو كلم أهل القبور لأجابوه لكرامته على الله تعالى... إلى أن قال: ويعطى بعدما يصلي هذه الصلاة بكل قطرة تنزل من السماء إلى الأرض إلى يوم القيامة، وعدد كل نبات في الأرض حسنة، ويُعطى من الثواب ثواب إبراهيم خليل الرحمن،

(١) في الجزء الثالث من (ص ١٢٧٥) وما بعدها.

(٢) نبه عليها عبد الحي اللكنوي في مؤلف خاص سماه «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، ونبهت عليها كتب الموضوعات في الأبواب الخاصة بالصلاة.

وموسى كلیم الرحمن، وعيسى روح الله، ويحيى محب الله... إلى أن قال:

«والذي بعثني بالحق إنه إذا صلى هذه الصلاة، قرأ هذه القراءة إن الله تبارك وتعالى ينظر إلى خلقه^(١) ثلاثاً وسبعين مرة، وهو أول من ينظر الله إليه...» الحديث^(٢).

قال ابن الجوزي:

«هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، فلا بارك الله فيمن وضعه»^(٣).

ويقول السيوطي: «ولا شك في وضعه»^(٤).

فليت الغافقي إذ نقل هذه الأباطيل والموضوعات الكثيرة نبه عليها في محلها، أو تنبهاً عاماً في أول الكتاب!!

ومن خلال ما تقدم عن كتب فضائل القرآن يتضح للقارئ أنها ليست أحسن حالاً من كتب التفسير، سوى أنها تمتاز عنها بإبراز الإسناد على ما فيه من قصور أحياناً، كما هو الحال في كتاب الغافقي، إذ يكتفي بالعزو إلى الكتب دون التعرض لذكر أسانيد مؤلفيها إلى من روا عنه.

(١) يقصد خلق مصلي تلك الصلاة.

(٢) لمحات الأنوار (٣/ ١٢٧٥ - ١٢٧٨).

(٣) الموضوعات (٢/ ٤١٧).

(٤) اللآلئ المصنوعة (٢/ ٣٧). وانظر: تلخيص الموضوعات (ص ٢٤٢)، وتنزيه

الشرعية المرفوعة (٢/ ٨٢ - ٨٣)، وفي هذا الحديث الموضوع مجاهيل، قال

الذهبي في تلخيصه: «وضعه على الفضيل بن عياض».

المطلب الثالث

نقد هذه الكتب

والكلام عنه في أمور خمسة:

الأول: اشتدت حملة النقاد - وبخاصة المحدثين - على من أورد الموضوعات في فضائل القرآن، وبالع بضعهم في التشنيع عليهم، فوصفهم بالجهل والغفلة، والتساهل والتهاون والشره.

وقد تقدم قريباً في أول المطلب السابق أن الذين نالهم القسط الأكبر من هذا النقد هم المفسرون.

ولم أرَ فيما اطلعت عليه من كتب الموضوعات، وكتب مصطلح الحديث نقداً لكتب فضائل القرآن لإيرادها حديث أبي بن كعب رضي الله عنه سوى ما نقد به ابنُ الجوزي ابن أبي داود^(١).

ولعل السبب في تخصيص المفسرين بهذا النقد الشديد أمران:

١ - أن كتب التفسير أوسع انتشاراً، وأكثر ذيوماً بين الناس من كتب فضائل القرآن، وقد تقرأ عليهم في المساجد والمجامع العامة، فافتضى ذلك الاهتمام بها أكثر.

٢ - أن بعض المفسرين ساق تلك الموضوعات بلا إسناد ولا عزو، ولا إحالة، مع الجزم بنسبة الحديث إلى النبي ﷺ، بخلاف المصنفين في فضائل القرآن، فإنهم يحرصون على سياق الأسانيد، أو عزو الأحاديث إلى من رواها بالإسناد.

الأمر الثاني:

من خلال النظر في تخطيط العلماء للمفسرين ومن تبعهم يتبين أنهم

(١) انظر ما يأتي (ص ٢٤٥).

ليسوا على درجة واحدة في الخطأ، فهم متفاوتون فيه بحسب عرضهم للأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الكريم، ومحل هذه المراتب آخر المطلب الآتي إن شاء الله.

الثالث: مما يبين فحش خطأ بعض المفسرين وقبحه، أنه يعتمد إلى السور التي اشتهر فضلها، وكثرت فيها الأحاديث الصحيحة أو ترددت الأحاديث في فضلها بين الصحة والضعف، لكنها لم تصل إلى درجة الحديث الموضوع، يعتمد إلى هذه السور في طرح أحاديثها تلك، ويأتي بذلك الحديث المتفق على وضعه، أو غيره من الأحاديث البينة الوضع، فيذكره بدلاً عنها، وقد يذكر حديثاً واحداً صحيحاً، ثم يعقبه بحديث موضوع، ويزداد فحشه حينما يروي تلك الأحاديث الموضوعة بلا خطام ولا زمام، مع الإيهام بأنها صحيحة بنسبتها جزماً إلى النبي ﷺ. وهذا الأمر له أمثلة:

١ - ما فعله السمرقندي في سورة الكهف ويس، ترك الأحاديث الصحيحة، أو المترددة بين الصحة والضعف، وعمد إلى حديث أبي المتفق على وضعه، فساقه بدلاً عنها^(١).

وفي سورة البقرة أورد حديثاً واحداً صحيحاً في فضلها مع كثرتها، ثم أعقبه بالحديث الباطل: «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت مع الناس»^(٢).

٢ - ما فعله الزمخشري وتبعه البيضاوي في فضل سورة «يس» و«الملك»، أتيا بحديث أبي بن كعب الموضوع، وترك الأحاديث الصحيحة الواردة فيهما^(٣).

(١) بحر العلوم (٢/٣١٦ و ٣/١٠٧).

(٢) المصدر السابق (١/٢٤٢). وانظر عن هذا الحديث ما تقدم (ص ٢٢١).

(٣) انظر: الكشف (٣/٣٣٢، ٤/١٤٠)، وأنوار التنزيل (ص ٥٨٢، ٧٠٦).

وفي سورة الفاتحة أورد الزمخشري حديثاً صحيحاً في فضلها، وأعقبه بحديث موضوع: «إن القوم ليعث الله عليهم العذاب..» الحديث وقد تقدم^(١)، مع أن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضلها كثيرة، وفيها غنية عن مثل هذا الحديث الموضوع، والله أعلم.

الأمر الرابع: تفاوت نقد العلماء للمفسرين ومن تبعهم ليناً وغلظة، وإن كان الموقف العام والأغلب هو إغلاظ القول فيهم، ووصفهم بالأوصاف الشديدة.

وممن وقف موقفاً متسامحاً مع المفسرين جمال الدين القاسمي^(٢)، وذلك في معرض حديثه عن الثعلبي، وكان حديثه عن إيراد الثعلبي للإسرائيليات في تفسيره، إلا أنه ينطبق تماماً على ما نحن بصدده، يقول القاسمي: «وقد رأيت ممن يدعي الفضل الحط من كرامة الإمام الثعلبي - قدس الله سره العزيز - لروايته الإسرائيليات، وهذا - وأيم الحق - من جحد مزايا ذوي الفضل، ومعاداة العلم، على أنه - قدس الله سره - ناقل عن غيره، وراوٍ ما حكاه بالأسانيد إلى أئمة الأخبار، وما ذنب مسبوق بقول نقله باللفظ أو عزاه لصاحبه؟! فمعاذاً بك اللهم من هزيمة السلف» إلى قال: «والقصد أن الصالحين كانوا يتقبلون الروايات على علاقتها للملاحظة المارة؛ لصفاء سريرتهم فلا ينبغي إلا تفنيد الموضوع منها، لا الحط من مقامهم، وقرض أعراضهم»^(٣).

(١) الكشف (٢٧٥/١)، وتقدم هذا الحديث (ص ٢٢٥).

(٢) هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره في علوم الدين وفنون الأدب، انقطع في آخر عمره للتصنيف وإلقاء الدروس، له نحو اثنين وسبعين مصنفاً، منها: دلائل التوحيد، وموعظة المؤمنين، وإصلاح المساجد. توفي سنة (١٣٣٢هـ).

انظر: الأعلام (١٣٥/٢)، ومعجم المفسرين (١/١٢٧).

(٣) محاسن التأويل (١/٤١ - ٤٢).

والحق أن العلماء النقاد حينما يتكلمون في الشخص - خاصة المستقيم في دينه - ويغلظون القول فيه، لا يقصدون ذاته بالدرجة الأولى، وإنما قصدهم التحذير من مرويّاته، وقد يشنعون عليه في النقد تحذيراً مما يرويه، وعلى هذا جرى أئمة الجرح والتعديل، فتجدهم يصفون الشخص بالصفات الحسنة التي يتصف بها، فشيخ الإسلام ابن تيمية حينما تكلم عن الثعلبي أغلظ القول فيه، ووصفه بأنه حاطب ليل، ولا خبرة له بالصحيح والسقيم، ومع ذلك كله أثنى عليه بما اتصف به من الصلاح والدين والخير. فقال: «مع أن الثعلبي فيه خير ودين، ولكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث»^(١).

الخامس: لم يقع جميع المفسرين في إيراد الموضوعات في هذا الباب، فكثير منهم احترز منها فلم يذكرها. ومنهم من نبه عليها وانتقد من ذكرها، ولعل هذا من نتائج كثرة التحذير منها.

وممن نبه على الموضوعات في فضائل القرآن:

١ - القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»، عقد باباً في مقدمة تفسيره في «التنبية على أحاديث وضعت في فضائل السور»^(٢).

٢ - الفيروزآبادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز»، يورد الأحاديث الموضوعية وينبه عليها، وقد ينص في بعض المواضع أنه لم يذكرها إلا تنبيهاً على وضعها^(٣)، ويؤخذ عليه أنه قد يذكرها ويسكت عنها^(٤)، أو

(١) منهاج السنة (١٢/٧).

(٢) (٦٨/١).

(٣) انظر مثلاً: (٣٥٨/١) «القصص»، (٣٨١/١) «الأحزاب».

(٤) انظر: (١٣٢/١) «الفتاحة»، (١٥٧) «البقرة»، (٢٠٢) «الأنعام»، (٣٦٥) «العنكبوت».

يحكم بضعفها فقط، وهذا قصور في الحكم عليها^(١).

٣ - الخطيب الشربيني^(٢)، فقد قال عن حديث أبي بن كعب رضي الله عنه:
«فليتنبه لذلك، ويحذر منه، وقد نبه أئمة الحديث قديماً وحديثاً على ذلك، وعابوا من أورده من المفسرين في تفاسيرهم»^(٣).

وهو كثير التعقب للزمخشري والبيضاوي فيما يوردانه من حديث أبي الموضوع، فيحكم بوضعه.

٤ - الشهاب الخفاجي^(٤) في حاشيته على تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل» نقد حديث أبي، وحكى الإجماع على بطلانه، وقال: «وقد خطؤوا من أورده من المفسرين وشنعوا عليه»^(٥).

هؤلاء بعض المفسرين الذين نبهوا على حديث أبي وغيره من الموضوعات.

(١) وهذا يرد عنده كثيراً انظر مثلاً: (١٦٨/١) «آل عمران»، (١٨٥) «المائدة»، (٢٢١) «الأعراف»، (٢٣٧) «براءة» (٢٤٥) «يونس»، (٣٠٨) «مريم»، (٣٣٩) «النور»، (٣٥٢) «النمل» وغيرها.

(٢) هو شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي الفقيه المفسر، أجازة أشياءه بالإفتاء، أفنتى في حياتهم، من مصنفاته: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ومغني المحتاج، ومناسك الحج. توفي سنة (٩٧٧هـ).

انظر: الكواكب السائرة (٣/٧٢)، وشذرات الذهب (٨/٣٨٤)، والأعلام (٦/٦).
(٣) السراج المنير (١/٢٧٧).

(٤) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، قاضي القضاة، اتسعت رحلته وطال عمره له مصنفات في الأدب واللغة، من مؤلفاته: نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض، وريحانة الألبا، وشرح درة الغواص. توفي سنة (١٠٦٩هـ).

انظر: خلاصة الأثر (١/٣٣١)، وفهرس الفهارس (١/٣٧٧)، والأعلام (١/٢٣٨).

(٥) (٣/٩٥).

أما من أهمل الموضوعات وتجنب إيرادها فكثير جداً، ولو تتبعنا هذه التفاسير لطال المقام جداً، وبذلك تعلم أن مقولة: «قل من سلم من المفسرين من ذكر حديث أبي بن كعب» مبالغ فيها وليست على إطلاقها^(١).

والكلام عن المؤلفين في فضائل القرآن الكريم لا يختلف كثيراً عن المفسرين، فكما أن من المصنفين في فضائل القرآن من توسع في ذكر الأباطيل والموضوعات، فمنهم من نبه عليها وحذر منها.
ومن هؤلاء:

١ - القرطبي في كتابه «التذكار في أفضل الأذكار»، عقد باباً في «التنبية على الأحاديث الموضوعة في فضل سور القرآن وآيه»^(٢).

٢ - الصغاني له رسالتان في التنبية على الوضع في فضائل القرآن.

٣ - التافلاتي في كتابه: «الرقم في محاسن الصور»، خصص أحد فصلي الكتاب وهو الفصل الثاني في الكلام على أحاديث السور التي أوردها البيضاوي تبعاً للزمخشري، ونبه على الموضوع منها^(٣).

وفي الفصل الأول سرد ما ثبت عنده من أحاديث في فضل سور القرآن وآياته^(٤).

٤ - محمد موسى نصر في كتابه «فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة»، عقد في آخر الكتاب فصلاً في التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل القرآن^(٥).

(١) وانظر ما تقدم عن: التوثيق لفضائل القرآن عن المفسرين (ص ١٦٨).

(٢) (ص ٢٢٥).

(٣) من (ص ١١٣ - ١٢٦).

(٤) من (ص ٩٩ - ١١٢).

(٥) من (ص ١٣٤ - ١٣٦).

أما من تحاشى الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، واعتنى بالأحاديث الصحيحة فقط، فقد تقدم الحديث عنهم^(١).

المطلب الرابع

أسباب ذكر المفسرين، والمؤلفين في فضائل القرآن للموضوعات والاعتذار عنهم في ذلك

يذكر العلماء أسباباً أوقعت المفسرين والمصنفين في فضائل القرآن في ذكر الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن ويذكرها العلماء إما لبيان كيف وقع الخطأ من هؤلاء؟ وبيان فحش هذا الخطأ، وإما للاعتذار عن صنيعهم، وإسقاط الإثم عنهم، وقد تصل هذه الاعتذارات إلى حد تبرير فعلهم وتسويغهم.

والكلام في هذا المطلب ليس مقتصراً على ذكر الأسباب فقط، وإنما يُذكر معها ما هو من قبيل الاعتذارات المحضه، وسأعرض في خلال ذلك إلى نقد ما يحتاج إلى نقد.

وقد تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل ذكر أسباب الوضع في فضائل القرآن الكريم، وهي تخالف الأسباب هنا، فالكلام في هذا المطلب عن أسباب ذكر المفسرين وغيرهم وروايتهم للأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن في كتبهم، فهي متعلقة بالنقل والرواية. أما الأسباب هناك فتتعلق بالوضع والاختلاق وصنع الأحاديث.

والأسباب الآتية لا يمكن تنزيلها على المفسرين والمصنفين في فضائل القرآن بأجمعهم، بل منها ما ينطبق على قوم دون قوم:

السبب الأول: أن وقوع المفسرين وغيرهم في رواية الموضوعات

(١) انظر ما تقدم (ص ٧٤، ٧٩).

في فضائل القرآن راجع إلى الجهل بعلم الحديث، وعدم التمكن من علم الرجال، وقلة النظر في أقوال العلماء المحدثين على الأحاديث، وبيان صحيحها من سقيمها، فنشأ عن ذلك عدم التمييز بين الحديث الصحيح والضعيف.

وهذا السبب أورده كثير من النقاد، فابن الجوزي حينما انتقد الثعلبي والواحدي، لإيرادهما حديث أبي بن كعب قال: «ولم أعجب منها فليسا من أهل هذا الشأن»^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع»^(٢).

ويقول أيضاً: «مع أن الثعلبي فيه خير ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث»^(٣).

وقد أنشد أبو حيان لنفسه في انتقاد الزمخشري:

فيثبت موضوع الأحاديث جاهلاً ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقاً^(٤)

وممن ينطبق عليه هذا الوصف صاحب كتاب «المباني في نظم المعاني»^(٥)، فقد أورد في مقدمته حديث أبي بن كعب بإسناده إليه، أورده كاملاً واستدل به على أربعة أمور:

(١) الموضوعات (١/٣٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٤).

(٣) منهاج السنة (٧/١٢). وانظر: الرد على البكري (ص ١٤).

(٤) البحر المحيط (٧/٨٥). وانظر في وصف بعض المفسرين بالجهل: الفوائد المجموعة (ص ٢٩٦)، والرسالة المستطرفة (ص ٧٩)، والتفسير والمفسرون (١/٢٣٤).

(٥) طبعت مقدمة هذا التفسير مع مقدمة ابن عطية لتفسيره «المحرر الوجيز»، ونالت =

١ - الترغيب في قراءة كل سورة على حياها.
٢ - بيان أن النبي ﷺ قرأ القرآن على أبي مرتين في السنة التي قبض فيها، وذلك يدل على أنه كان مجموعاً في حياته، وليس بعد موته.

٣ - أن سور القرآن ترتيبها على ما كتبه زيد في المصحف.

٤ - بيان عدد سور القرآن الكريم^(١).

وكلامه هذا يدل بوضوح على عدم معرفته بوضع حديث أبي واختلافه، وإلا لما استدل به.

وهذا الجهل الذي وصف به هؤلاء المفسرون لا يعني تشبيههم بعامة الناس، وأنهم جهلة في كل باب، وإلا لما أقدموا على تفسير كتاب الله، وإنما المراد عدم تمكنهم من علم الحديث والإسناد.

ولهذا السبب نفسه، اختلطت الأوراق على بعض الناس، فوقع في وضع الأحاديث واختلافها من حيث لا يشعر، فرغ الموقوفات، ووصل المراسيل والمنقطعات، وحدث عن الوضاعين والكذابين دون تمييز بين من يقبل حديثه ممن يُرد.

وقد يكون جهل هؤلاء المفسرين ناشئاً عن عدم التفطن لوضع أحاديث بعينها، فرووها في كتبهم ظناً منهم أنها لا تصل إلى درجة الموضوع الذي لا تجوز روايته إلا مع بيان حاله والتحذير منه.

= شهرة واسعة، وبقي اسم مؤلف تفسير «المباني» مجهولاً، وذكر الدكتور غانم قدروي الحمد أن مؤلفه هو أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام، بناءً على أدلة ذكرها في مقال له بعنوان «مؤلف التفسير المسمى كتاب المباني لنظم المعاني»، انظره في مجلة الرسالة الإسلامية العراقية العددان (١٦٤)، ١٦٥ عام ١٤٠٤هـ)، (ص ٢٤٣ - ٢٥٥).

(١) مقدمتان في علوم القرآن (ص ٧٤).

السبب الثاني: أن حُبَّ الرواية والتحديث، والإكثار من جمع الروايات والطرق حداً ببعض العلماء إلى التوسع في ذكر الأحاديث المنكرة والمستبشعة.

وقد اشتد نكيرُ ابن الجوزي - لهذا السبب - على ابن أبي داود لإيراده حديث أبي - حتى وُصِفَ ابن الجوزي بالمبالغة^(١)، يقول ابن الجوزي بعد أن أبدى تعجبه من فعل ابن أبي داود: «ولكن شرُّ جمهور المحدثين، فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم»^(٢).

وبعض الكتب في فضائل القرآن توسعت في جمع الأحاديث، فوقعت في ذكر الموضوعات والأباطيل، سواء منها من توسع في الموضوع عموماً «كفضائل القرآن» للمستغفري، أو من توسع في جزئية من جزئياته، كتوسع الخلال في جمع الأحاديث المتعلقة بفضائل «قل هو الله أحد».

على أن هناك محملاً آخر لصنيع هؤلاء العلماء لا يتعلق بمجرد الإكثار والجمع وتعدد الطريق، وإنما يقصد المؤلف جمع الأحاديث في الباب الواحد مع ذكر أسانيدها، ليُعرف الصحيح من السقيم بعد النظر في أسانيدها، فيجمع المؤلف ما يقع تحت يده، ويجعل العهدة على من بعده للنظر والتنقيح^(٣)، وهذا الظنُّ اللائق بهم، والله أعلم.

السبب الثالث: أن بعض المصنفين اعتمد على من قبله في نقل الموضوعات وروايتها، دون أن يكون له رأي فيها، أو نقد لها: إما ثقة

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢٩٦/١).

(٢) الموضوعات (٣٩٢/١).

(٣) انظر: الإكسير في علم التفسير (ص ١٥ - ١٦).

بمن نقلها عنه، وإما هيبه مخالفته^(١)، وإما عدم علم ببطلانها وزيفها، ويظهر هذا في تقليد البيضاوي للزمخشري واتباعه في إيراد أحاديث فضائل السور حذو القذة بالقذة، وفي تقليد أبي السعود لهما.

ومما يدخل في هذا أن بعض هؤلاء اعتمد في نقل هذه الفضائل الموضوعية على كتب التفسير، وهذا قصور في النقل، ولو اعتمد في نقله على كتب الحديث المشهورة لسلم من أكثر الموضوعات^(٢).

السبب الرابع: أن تساهل المفسرين ونحوهم في رواية الموضوعات في فضائل القرآن، مرده أن تلك الأحاديث تدور حول الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال، وهي مما يتساهل العلماء في روايتها، كما جاء عن الإمام أحمد رحمته الله أنه قال: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»^(٣).

وأحاديث فضائل القرآن من هذا الباب، فليس فيها تزييف للإسلام، ولا هدم لقواعده، ولا إفساد لشريعته، غاية ما فيها أنها تدفع المسلم وتحثه على الإقبال على كتاب الله، والإكثار من قراءته، والحرص على تدبره والعمل به^(٤).

(١) ولذلك يبرر إسماعيل حقي في تفسير روح البيان (٥٤٨/٣) أن العلماء والمفسرين لم يدونها في كتبهم إلا بعد التصفح الكثير!!

(٢) انظر: الثعلبي ودراسة كتابه «الكشف والبيان» (١/٣٣٦).

(٣) الكفاية (ص ٢١٣)، ونحو هذه العبارة جاءت عن عبد الرحمن بن مهدي كما في المدخل إلى الإكليل (ص ٢٥).

(٤) انظر: روح البيان (٥٤٨/٣)، ومن عجيب أمر مؤلفه أنه احتج في هذه الصفحة لتسويغ رواية الموضوعات في فضائل القرآن بحجة أحد الوضعيين: أنه ما وضع الأحاديث إلا ليرغب الناس في القرآن!! وانظر: تعليق د. أبي غدة على كلامه في التعليقات الحافلة (ص ١٣٤).

وهذا السبب بمثابة الاعتذار عن المفسرين وتسويغ فعلهم،
والحقيقة أنه عذر غير مقبول، فالتسامح في رواية أحاديث الفضائل،
إنما هو للأحاديث الضعيفة بشروط وقيود ذكرها العلماء، وهو رأي
جمهور العلماء وعليه تحمل كلمة الإمام أحمد^(١). أما الأحاديث
الموضوعة فلا يجوز لأحد روايتها لا في الفضائل ولا في غيرها، ثم
إن هذا الاعتذار هو الذي جرأ الوضاعين والأفاكين على اختلاق
الأحاديث وصنعها؛ زاعمين أنها ترغب الناس في عمل الخير، وتدفعهم
إليه.

وهذا الاعتذار عيّنُ اعتذار الكَرَامِيَّةِ^(٢) وجهلة المتعبدة والمتصوفة
في تجويزهم وضع الأحاديث في الفضائل والترغيب والترهيب، وقد رد
عليهم العلماء ذلك، وجعلوهم وشنعوا عليهم.

وقريب من هذا اعتذار حاجي خليفة في كشف الظنون عن
البيضاوي في إيراد الأحاديث الموضوعة في أواخر السور، يقول: «فإنه
لكونه ممن صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربه، تسامح فيه، وأعرض
عن أسباب التجريح والتعديل، ونحا نحو الترغيب والتأويل، عالماً بأنها

(١) انظر تفصيل هذه المسألة في: مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٨٦)، والنكت على
كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٨٨٧)، وتدريب الراوي (١/ ٣٥٠)،
والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص ٢٧٥).

(٢) الكرامية هم أتباع محمد بن كرام السجستاني، اختلفوا إلى عدة فرق، من
عقائدهم: القول بالتشبيه، وأن الله تعالى جسم له حد ونهاية، وأن الحوادث
تحل فيه، وأن الإيمان قول اللسان فقط لا يدخل فيه اعتقاد القلب، ولهم في
الفقه أقوال منكرة، قال البغدادى: «وفضائح الكرامية على الأعداد كثيرة
الأمداد».

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٤١)، والفرق بين الفرق (ص ٢١٥ - ٢٢٥)،
والمحل والنحل (١/ ١٠٨).

مما فاه صاحبه بزورٍ ودَلَى بغرور، والله عليم بذات الصدور»^(١).

وهذا الاعتذار المستقى من منطق الصوفية لا يجدي شيئاً، فهل أوقع الزهاد، وجهلة المتعبدین في افتعال الأكاذيب، ونقلها وروايتها إلا سلامة الصدور، وحسن الظن المفضي إلى تلقي الأخبار، وأخذها عن دَبٍّ ودَرَجٍ، وعدم التمحيص والتدقيق فيها، والتريث في نقلها؛ زاعمين أنها من فضائل الأعمال؟!!

ثم إن الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف بسلامة الاستدلال، ولا أرى أيَّ مسوغ للكذب على رسول الله ﷺ بوضع الأحاديث حتى ولو كان ممن صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربه، فهو داخل تحت وعيد من كذب عليه ﷺ، نسأل الله الهداية إلى الحق والثبات عليه.

السبب الخامس: وهو خاص بمن روى الأحاديث الموضوعة بأسانيدھا إلى النبي ﷺ، وهذه طريقة المتقدمين من أمثال أبي بكر بن أبي داود، وابن مردويه، والمستغفري، والثعلبي، والواحدي، ونحوهم - رحمهم الله تعالى - فقد أسندوا ما روه، وعزوه لقائله، ولم يخترعوا الأحاديث من عند أنفسهم، فلا لوم عليهم في ذلك، وإنما اللوم على الواضع، وعند النظر في الأسانيد التي ذكروها تتبين حالة الحديث صحةً وضعفاً ووضعاً، فذكر الإسناد يُعَدُّ بياناً لحالة الحديث، لكنه ليس بياناً صريحاً بل ضمناً، والاكتفاء بسياق الإسناد عن التصريح بحكم الحديث طريقة معروفة عند العلماء المتقدمين، يعتقدون أن ذمهم تبرأ بذلك؛ لأن سياق الإسناد من جملة البيان.

وقد اشتهر عند المحدثين: من أسند لك فقد أحالك، ومعناه: أن من روى لك الحديث بإسناده فقد خرج عن العهدة؛ لأنه بذلك أحالك

(١) كشف الظنون (١/١٨٨)، وقريب منه أيضاً إسماعيل حقي حيث جوز العمل بتلك الأحاديث بناء على حسن الظن بالأكابر!! روح البيان (٣/٥٤٨).

على الإسناد، وطلب منك البحث فيه لمعرفة درجته إن أردت .
ولذلك رأى العلماء أن هؤلاء أخف خطأً ، وأبسط عذراً ممن روى
الأحاديث الموضوعية مجردة من أسانيدها^(١).

ولكن هل يسقط عنهم اللوم كلياً أو يبقى عليهم شيء منه؟
والظاهر أنهم ملومين لأجل تقصيرهم في البيان من وجوه:
١ - أن ذكر الإسناد فقط دون التصريح بالحكم على الحديث لا يكفي،
ولا يزيل الإشكال، فلا بد من التصريح بالحكم حتى ذهب بعض
العلماء إلى أنه لا يكفي أن يقول: موضوع فقط، لوجود من لا
يعرف هذا الاصطلاح، وإنما يقول: باطل وكذب، ونحوهما من
العبارات الواضحة الصريحة^(٢).

٢ - أنه ليس كل أحد يتمكن من النظر في الإسناد ومعرفة حاله، فإن
هذا الأمر يقل في المتخصصين فكيف بغيرهم؟
٣ - أن هؤلاء المصنفين يوردون الأسانيد في الأحاديث الصحيحة
وغيرها، ولا يخصصون الموضوعات بسياق الإسناد فيلمح القارئ
أنهم أسندوه لوجود علة فيه، فيتوقف في قبوله^(٣).

السبب السادس: أن بعض المصنفين يورد الأحاديث الموضوعية
بصيغة التمريض الدالة على عدم ثبوت الخبر، مثل قوله: رُوي ويُروى
ونحوهما، فإذا رأى القارئ هذه العبارات عرف ما تدل عليه، فتوقف في
قبول ما صُدِّرت به .

(١) انظر في هذا: البرهان (٥٩/٢)، وفتح المغيـث للعراقي (ص ١٢٥)، والنكت
على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٦٢ - ٨٦٣)، ولسان الميزان (٣/٩٠)،
وفتح المغيـث للسخاوي (١/٢٩٦).

(٢) فتح المغيـث للسخاوي (١/٢٩٥).

(٣) انظر في هذا الوجه والذي قبله: توضيح الأفكار (٢/٨٣).

لكن هذا الأمر لا يكفي مع الأحاديث الموضوعة؛ لأنه قد ينقدح في ذهن القارئ أن الحديث ضعيف لأنها تستعمل معه^(١)، والحديث الضعيف مما يُتسامح في روايته في فضائل الأعمال.

وأيضاً فمعرفة هذه العبارات، والتفطن لدلالاتها ليس ميسوراً لكل أحد من الناس.

ومما سبق يتبين أن المفسرين ومن تبعهم ليسوا على درجة واحدة في رواية الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، فبعضهم أشد خطأ من بعض، وهم في ذلك على مراتب:

المرتبة الأولى: من أورد الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن عارية من الإسناد أو العزو، خالية من أي بيان أو إشارة إلى وضعها، ونسبها إلى النبي ﷺ بصيغة الجزم، مثل: قال أو عن، وهذه المرتبة هي أشد المراتب وأفحشها خطأ.

وقد يدخل في هذه المرتبة الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود.

المرتبة الثانية: من أورد تلك الأحاديث بلا سند أو عزو، لكنه صدرها بصيغة التمريض المفيدة عدم ثبوت الحديث وصحته.

وهذه المرتبة أخف من التي قبلها، وممن فعل ذلك من المفسرين السمرقندي في مواضع قليلة جداً من تفسيره^(٢).

المرتبة الثالثة:

من روى تلك الأحاديث بأسانيدھا مع علمه بوضعها، ورأى أن الإسناد كاف في البيان، وهذا شأن المصنفين المتقدمين الذين يروون

(١) انظر عن هذه الصيغ: مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٨٧)، وفتح المغيث للسخاوي (٣٣١/١).

(٢) انظر: بحر العلوم (١/٢٤٢) «البقرة»، (٣/٢٥٩) «الفتح».

بالإسناد إلى النبي ﷺ من أمثال: ابن مردويه والواحدي من المفسرين، وابن أبي داود والمستغفري من المصنفين في فضائل القرآن، وهؤلاء أخف ممن قبلهم.

وهل يدخل في هذه المرتبة من اكتفى بالعزو فقط إلى الكتب التي تروي بالإسناد دون ذكر أسانيد هذه الكتب إلى من تروي عنه؟، وممن فعل هذا الغافقي في «المحات الأنوار»، فإنه يسوق الحديث بصيغة الجزم إلى النبي ﷺ؛ مكتفياً بعزوه مثلاً إلى تفسير الثعلبي دون أن يذكر إسناد الثعلبي إلى النبي ﷺ.

الأظهر أنه أشد خطأ؛ لأن العلة التي خف بها اللوم عن أهل هذه المرتبة لا توجد فيه، فإنه لم يبرز إسناد الحديث الموضوع ليعلم وضعه، والاكتفاء بالعزو إلى الكتب التي روته مسنداً دون ذكر الإسناد لا يفيد شيئاً في معرفة حال الحديث.

المرتبة الرابعة:

وهي عامة فيمن يروي الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن جاهلاً بوضعها وافترائها على النبي ﷺ، سواء رواها بالإسناد أو دونه.

فأهل هذه المرتبة أخف إثماً ممن يرويها مع علمه بوضعها؛ لأن الجهل يسقط الإثم، وإن كان قد قصر في البحث عن الحديث. وقد وُصِفَ بعض من تقدم في المراتب السابقة بأنه يروي الموضوعات جاهلاً بوضعها كالزَمَخْشَرِي، ووصف به أيضاً الثعلبي.

وبعد هذا كله فليست رواية الأحاديث الموضوعة خاصة بالمفسرين والمصنفين في فضائل القرآن، وإنما هي من الأمور المشتركة عند أهل كل فن، فالفقهاء يستدلون في كتبهم بأحاديث باطلة موضوعة على بعض الأحكام الشرعية، وقد جوز بعض المتفقهة نسبة الحكم الذي دل عليه

القياس إلى النبي ﷺ نسبة قولية، فيقول: قال رسول الله ﷺ^(١)، ولو نظرت في كتب السير والمغازي والملاحم لوجدت فيها من الموضوعات شيئاً كثيراً، فالتحرز من الموضوعات إنما يخضع للعالم نفسه، فإن كان ملماً بعلم الحديث، وما تجوز روايته وما لا تجوز، مميزاً بين الصحيح وغيره، انتقى الأحاديث التي يرويها، وإن روى منها شيئاً نبه عليه.



(١) المفهم للقرطبي (١/١١٥)، وفتح المغيـث للعراقي (ص ١٢٧)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٨٥٢)، ولا شك في دخول هذا الفعل تحت الوعيد الوارد فيمن كذب على النبي ﷺ.

الطريق إلى معرفة الموضوعات في فضائل القرآن

لمن يريد معرفة الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن طريقان:

الطريق الأول: طريق إجمالي، يتمثل في معرفة العلامات والأمارات التي يُستدل بها على الحديث الموضوع وهي كثيرة^(١).

وهذه الأمارات يستدل بها العلماء على وضع الحديث، مع نظرهم في إسناده، وأحوال رجاله، وهي لا تستقل في الحكم على كل حديث بالوضع دون النظر في الإسناد، فمن الأحاديث من لا يتمكن من معرفة وضعها بالنظر إلى متونها فقط إلا الجهابذة النقاد «المتضلعون في معرفة السنن الصحيحة، حتى أصبحت معرفة الأحاديث ملكة من الملكات التي أوتوها دون غيرهم، وصار لهم اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه أو يدعو إليه، ويحبه ويكرهه ويشعره للأمة، كأنهم مخالطون للرسول الله ﷺ كبعض أصحابه»^(٢).

وقد اشتملت بعض الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن على ما يشهد بوضعها واختلاقها، وسنأخذ من العلامات والأمارات ما يمكن تطبيقه على هذا الموضوع، ومن ذلك:

(١) انظر فيها: تدريب الراوي (١/٣٢٣ - ٣٢٨)، والوضع في الحديث (١/٢٨٤ - ٣٠٦).

(٢) المنار المنيف (ص ٤٤) بتصرف.

أولاً: إقرار الواضع بوضع الحديث، وقد أقر غير واحد من الدجالين بالوضع في فضائل القرآن الكريم، كما تقدم عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم، وميسرة بن عبد ربه.

ثانياً: الركاة الواقعة في بعض الأحاديث، مما يرجح بطلانها، وبعد صدورهما عن أفصح الخلق ﷺ.

وتشمل أمرين:

١ - ركاة لفظ الحديث، وسماجته وردائه، بحيث يمجّه السمع، ويدفعه الطبع، فيدرك الملم باللغة العربية، أن هذه الألفاظ في هذا الحديث لا يمكن أن تصدر من النبي ﷺ، وليست من أسلوب من أوتي جوامع الكلم، وتفجرت له ينابيع الحكمة، وأفصح من نطق بالضاد ﷺ.

٢ - ركاة معنى الحديث بأن يكون تافهاً، مشتملاً على ما يدل على بطلانه، وركاة المعنى أهم من ركاة اللفظ؛ لأن ركاة اللفظ قد لا تدل وحدها على وضع الحديث، لاحتمال أن يكون الراوي روى الحديث بالمعنى فغيره بألفاظ غير فصيحة^(١).

وقد ظهرت الركاة بنوعيها في كثير من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن مما يبعد صدورهما عن النبي ﷺ.

يقول الربيع بن خثيم^(٢):

(١) انظر في الركاة: النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/٨٤٤)، وتدريب الراوي (١/٣٢٥)، والأسرار المرفوعة (ص ٤٤١)، والوضع في الحديث (١/٣٠٢).

(٢) هو أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري الكوفي الإمام القدوة العابد، أدرك زمن النبي ﷺ، وأرسل عنه، وهو قليل الراوية كبير الشأن، من عقلاء الرجال، له أخبار مشهورة في الزهد والعبادة، قال له ابن مسعود: «لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك» توفي قبل سنة (٦٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٨)، وتهذيب التهذيب (١/٥٩١).

«إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها»^(١).

ومن الركافة الواقعة في بعض أحاديث الفضائل ما جاء في بعضها من الطول المفرط، والإطناب الممل المنافي لفصاحة النبي ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - حديث أبي بن كعب الطويل، فقد استغرق سور القرآن كلها، وذكر لكل سورة ثواباً وفضيلة، وقد وصف ابن الجوزي هذا الحديث بأنه «كلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسبه كلام الرسول ﷺ»^(٢).

٢ - حديث علي بن أبي طالب الطويل في فضل سور القرآن الكريم سورة سورة، فقد استغرق سور القرآن كلها كحديث أبي، وهو أسمح من حديث أبي، وسيأتي قريباً بعض الأمثلة منه.

٣ - الحديث الذي ذكره الغافقي في فضل صلاة الضحى، وأن من قرأ فيها كذا وكذا، كان له من الأجر كذا وكذا، وأخذ يعدد من الأجور بكلام طويل ركيك^(٣)، علق السيوطي عليه بقوله: «ولا شك في وضعه، ويشهد لذلك ركافة ألفاظه، وما فيه من التراكيب الفاسدة، ومخالفة مقتضى الشرع في مواضع»^(٤).

ثالثاً: أن يكون الحديث مشتملاً على المجازفات والمبالغات في

(١) معرفة علوم الحديث (ص ٦٢).

(٢) الموضوعات (١/٣٩٢).

(٣) انظر ما تقدم (ص ٢٣٤).

(٤) اللآلئ المصنوعة (٢/٣٧)، ومن أمثلة الأحاديث المفرطة في الطول ما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٤١٠)، والغافقي في لمحات الأنوار (٢/٨٢٧ - ٨٣٥)، (٣/١١٠٢، ١١٣٦، ١٢٧٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (ص ٧٨ - ٧٩) ذكر حديثاً في فضل سورة القدر، وقال: «إنه في نحو ورقتين».

تقدير الأجر والثواب، سواء كان الثواب دنيوياً أم آخروياً، فيفطر الحديث في تقدير الثواب إفراطاً يصل إلى حد ثواب الأنبياء، وبعض الأحاديث جعل ثواب قراءة سورة أو آية يعدل ثواب نبي من الأنبياء، والإفراط في تقدير الثواب من الأمور الظاهرة جداً في أحاديث فضائل القرآن الموضوعة.

يقول ابن القيم معلقاً على حديث فيه مبالغات في الثواب: «وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين:

إما أن يكون في غاية الجهل والحمق، وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول ﷺ بإضافة مثل هذه الكلمات إليه»^(١).
ومن الأمثلة على هذا الأمر:

١ - حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مليء بالمبالغات، والإفراط في تقدير الثواب، ومن ذلك:

أ - ما جاء في فضل سورة الأنفال والتوبة: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة، شاهد أنه برئ من النفاق، وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة، وكان العرش وحملة العرش يستغفرون له أيام حياته في الدنيا».

ب - ما جاء في فضل سورة هود: «من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح، وكذب به، وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم، وكان إن شاء الله من الشهداء».

ج - ما جاء في فضل سورة طه: «من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين».

(١) المنار المنيف (ص ٥١).

فجعل هذا الكذاب ثواب قراءة سورة يعدل ثواب المهاجرين كلهم! وكأنه لم يسمع بقول النبي ﷺ لخالد بن الوليد حينما خاصم عبد الرحمن بن عوف ؓ وهو من العشرة: «لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

د - ما جاء في فضل سورة الحج: «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها، وعمره اعتمرها من حج واعتمر فيما مضى، وفيما بقي».

هـ - ما جاء في فضل سورة الأحقاف: «من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بكل رملة في الدنيا».

و - ما جاء في سورة الحجرات: «من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه».

ز - ما جاء في سورة الحشر: «من قرأ سورة الحشر لم تبق جنة، ولا نار ولا عرش، ولا كرسي، ولا الحجب، ولا السموات السبع والأرض والهواء والريح والطير والجمال والشجر والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات من يومه وليلته كان شهيداً»^(٢).

٢ - حديث علي بن أبي طالب ؓ يشبه حديث أبي في المبالغات، وفي بعض الأحيان أعظم منه، ومما جاء فيه:

أ - ما جاء في فضل سورة التوبة وأن القارئ لها له بكل آية قرأها مثل ثواب زكريا ؑ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٤/١٩٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة (٤/١٩٦٧) كلاهما عن أبي سعيد الخدري ؓ.

(٢) تقدمت الإشارة إلى حديث أبي (ص ٢٠٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/٢٣٧).

ب - ما جاء في فضل سورة إبراهيم: «يا علي من قرأ سورة إبراهيم كان في الجنة رفيق إبراهيم، وله مثل ثواب إبراهيم، وله بكل آية قرأها مثل ثواب إسحاق بن إبراهيم»^(١).

وفي هذا الحديث من هذه المبالغات والمجازفات شيء كثير^(٢).

٣ - حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة أعطي قلوب الشاكرين وثواب النبيين، وأعمال الصالحين...» الحديث^(٣).

٤ - ما تقدم من الحديث الذي ذكره الغافقي في فضل صلاة الضحى وفيه: «وإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة يعتق بكل ساعة من ذلك اليوم والليلة لكرامته على الله سبعين ألفاً من الموحدين ممن قد استوجب النار، ولو كلم أهل القبور لأجابوه... إلى أن قال: ويعطى من الثواب ثواب إبراهيم خليل الرحمن، وموسى كلیم الرحمن، وعيسى روح الله، ويحيى محب الله... إلى أن قال: إن الله تبارك وتعالى ينظر إلى خلقه ثلاثاً وسبعين مرة...»^(٤).

وقد علق ابن القيم على حديث موضوع في فضل صلاة الضحى: «من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبياً» بقوله: «وكان هذا الكذاب الخبيث لم يعلم أن غير النبي لو صلى عمر نوح عليه السلام لم

(١) المصدر السابق (١/٢٧١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٥٧) «البقرة»، (١٨٥) «المائدة»، (٢٥٤) «هود»، (٣٠٩) «مريم»، (٣١٦) «طه»، (٣٣٣) «المؤمنون» وغيرها.

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/٣٩٧)، واللائل المصنوعة (١/٢٣٢)، وتنزيه الشريعة (١/٢٨٩)، وذكر ابن الجوزي أن في سنده مجاهيل، وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات (ص ١٠٥): «سند مظلم».

(٤) انظر (ص ٢٣٤).

يعط ثواب نبي واحد»^(١).

رابعاً: ومما يشهد ببطلان الحديث ووضعه مع بطلان إسناده، اشتماله على المتناقضات التي تشهد بوضعه وبعد صدوره عن النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

١ - ما رواه ابن الجوزي في فضل سورة العلق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «اكتبها يا معاذ»، فلما بلغ ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْتَجِبْ وَأَقْرَبْ﴾ [العلق: ١٩] سجد اللوح وسجد القلم، وسجدت النون، قال معاذ: سمعت اللوح والقلم والنون، وهم يقولون: اللهم ارفع به ذكراً، اللهم احطط به وزراً، اللهم اغفر به ذنباً، قال معاذ: وسجدت، وأخبرت رسول الله ﷺ، وأخذ معاذ اللوح والقلم والنون، وهي الدواة فكتبها معاذ».

علق ابن الجوزي على هذا الحديث بقوله: «ما أبرد هذا الوضع، وما أبعد واضعه عن العلم، فإن هذه السورة نزلت بمكة، ومعاذ إنما أسلم بالمدينة»^(٢).

٢ - ما اشتمل عليه حديث أبي بن كعب من المناقضة للحقائق التاريخية، فإن السور فيه رتبت على الترتيب المألوف الآن، وهذا الترتيب لم يستقر إلا بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه^(٣).

(١) المنار المنيف (ص ٥٠).

(٢) الموضوعات (١/ ٤٠٥ - ٤٠٦). وانظر: اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٣٦)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٢٨٦)، وواضع هذا الحديث إبراهيم بن محمد الخواص، قال ابن طاهر: «أحاديثه موضوعة». انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٦٢)، ولسان الميزان (١/ ٩٧).

(٣) مقاييس نقد متون السنة (ص ٢٠١).

ومن خلال العلامات السابقة نجد بعض الأحاديث الموضوعة
مشملة على أكثر من علامة ودلالة على وضعها واختلاقها.

ومن ذلك حديث أبي بن كعب رضي الله عنه فقد اشتمل على ثلاث
علامات:

١ - ركافة ألفاظه.

٢ - اشتماله على المجازفات والمبالغات في تقدير الثواب.

٣ - اشتماله على المتناقضات.

ومن كيد الوضاعين وخبثهم، ولبسهم الحق بالباطل، وتلبيسهم
على الناس أنهم يخلطون الأحاديث الثابتة الصحيحة في فضائل القرآن
مع ما يضعونه من أحاديث؛ تعمية لأمرها، وإظهاراً لقوتها، فيظن بعض
الناس أن ما وضعوه من تنمة تلك الأحاديث الثابتة^(١).

وهذا كما تقدم من تلبيسهم في إسناد حديث أبي بن كعب حيث
جعلوه يُروى عن أبي من طريق أكثر من صحابي كعبد الله بن عباس وأبي
أمامة رضي الله عنه، ومن أمثلة هذا الأمر ما يلي:

١ - ما جاء في حديث أبي بن كعب الموضوع في فضل سورة
البقرة: «من قرأ سورة البقرة أعطي من الأجر كالمرباط في سبيل الله سنة
لا تسكن روعته»، ثم قال لي يا أبي: «مر المسلمين أن يتعلموا سورة
البقرة، فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تطبيقها البطلة» قلت: يا
رسول الله، وما البطلة؟ قال: «السحرة»^(٢). فمن قوله: «فإن تعلمها
بركة...»، روى نحوه مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه
ولفظه «... اقرؤا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا

(١) انظر: مناهج المفسرين القسم الأول د. مصطفى مسلم (ص ١٥٦).

(٢) انظر هذا الحديث (ص ٢٠٧).

تستطيعها البطلة»^(١).

٢ - ما جاء في هذا الحديث أيضاً في فضل سورة الإخلاص: «من قرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلث القرآن، وأعطي عشر حسنات بعدد من أشرك بالله، ومن آمن به»^(٢).

فالشرط الأول من الحديث مأخوذ من أحاديث ثابتة صحيحة، مثل حديث: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»^(٣).

الطريق الثاني: طريق تفصيلي يتمثل في الرجوع إلى مظان الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، ومنها ما يلي:

أولاً: كتب فضائل القرآن التي أكثرت من رواية الأحاديث الموضوعة في هذا الباب، مثل كتاب «لمحات الأنوار» للغافقي.

ثانياً: كتب التفسير التي أكثرت من الموضوعات في فضائل القرآن كتفسير «الكشف والبيان» للثعلبي وغيره.

ثالثاً: ومن مظانها الأحاديث الموضوعة في فضل صلوات مخصوصة، مقيدة بأحوال وصفات وأوقات معينة مثل صلوات أيام الأسبوع والشهور ونحوها، وهذه الصلوات قل أن تسلم من ذكر ما يقرأ فيها من سور وآيات قرآنية، وتُحَدِّد القراءة فيها بعدد معين كقراءة الفاتحة عشر مرات مثلاً.

ويُذكر لهذه الصلوات أجر مترتب على فعلها بهذه الصفة المخصوصة، وهناك صلوات لا تحدد بوقت، وإنما تذكر مطلقة، ويذكر

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/٥٥٣).

(٢) تقدمت الإشارة إليه (ص ٢٠٧).

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث.

ما يقرأ فيها من سور وآيات، وقد جرى بعض المصنفين في فضائل القرآن الكريم على ذكرها في كتبهم.

ولا شك أن تعيين تلك السور والآيات، وتحديد عدد قراءتها، دال على أن الواضع قصدها لفضلها، وغالب السور المذكورة في هذه الصلوات من السور المشتهر فضلها كسور الفاتحة، والإخلاص، والمعوذتين ونحوها، والوضّاع حينما يذكر أمثال هذه السور يريد تشريف الصلاة وتفضيلها بما يقرأ فيها.

رابعاً: ومن مظانها الكتب التي اعتنت بجمع الأحاديث الموضوعة وبيانها، فقد خصص كثير منها أبواباً وفصولاً لما وضعه الواضعون في فضائل القرآن، وبرجوع القارئ إليها يحصل على مجموعة كبيرة مما وضع في فضائل القرآن.

ومن هذه الكتب:

- ١ - الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٩٠ - ٤١٨).
- ٢ - المقاصد الحسنة، وهو كتاب مرتب على الأحرف الهجائية، لكن في آخر الكتاب أعاد ترتيب الأحاديث على الأبواب فخصص (ص ٤٩٣) لما يتعلق بفضائل القرآن الكريم.
- ٣ - اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٢٦ - ٢٤٨).
- ٤ - تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٢٨٥ - ٣٠٩).
- ٥ - تذكرة الموضوعات من (ص ٧٦ - ٨٢).
- ٦ - الفوائد المجموعة من (ص ٢٩٦ - ٣١٩).



حكم رواية الموضوعات في فضائل القرآن، والآثار السيئة المترتبة على روايتها، وسبل مقاومتها

ج وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

حكم رواية الأحاديث الموضوعية

من الأمور المتفق عليها بين المسلمين - سوى من لا يعتد بخلافه - أن وضع الأحاديث، واختلاقها لا يجوز بحال من الأحوال، لا في الأحكام الشرعية، ولا في الفضائل والترغيب والترهيب، وأن متعمد ذلك مرتكب لذنوب من أكبر الكبائر، ومعرض نفسه للوعيد الشديد الوارد في الحديث المتواتر: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^{(١)(٢)}.

وأما رواية الموضوعات، ونقلها في الكتب، فهو - أيضاً - محرم إلا لمن يبين وضعها، ويحذر منها، يقول الخطيب البغدادي: «من روى حديثاً موضوعاً على سبيل البيان لحال واضعه، والاستشهاد على عظيم

(١) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (٣٥/١)، ومسلم في مقدمة صحيحه (٩/١)، روي عن غير واحد من الصحابة، منهم علي، وأبو هريرة، وأنس رضي الله عنهم.

(٢) انظر حكاية الإجماع في: شرح النووي على مسلم (٧٠/١)، ونزهة النظر (ص ٩١)، وتدريب الراوي (٣٣٥/١).

ما جاء به، والتعجب منه، والتنفير عنه ساغ له ذلك، وكان بمثابة إظهار جرح الشاهد في الحاجة إلى كشفه، والإبانة عنه^(١).

وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على هذا^(٢).

وقد ورد الوعيد الشديد في حق من روى حديثاً يعلم أنه موضوع، فعن النبي ﷺ قال: «من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»^(٣).

وقد يقع في رواية الأحاديث الموضوعة في الفضائل والترغيب والترهيب لبس عند بعض الناس، من جهة أن كثيراً من العلماء والمصنفين - ومنهم أئمة كبار - قد رووها ودونها في كتبهم ومصنفاتهم، ولم ينهوا عليها، ولا يتصور أن يقع هؤلاء الأكابر فيما هو مجمع على تحريمه^(٤).

والإجابة عن هذا الإشكال: أن الاحتجاج بفعل العلماء ليس بحجة، وقد تقدم الاعتذار عن العلماء بما يقتضي سقوط الإثم عن

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩٩/٢).

(٢) انظر: نزهة النظر (ص ٩٢)، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص (ص ١٣٣)، والأسرار المرفوعة (٧٢)، والآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص ١٥).

(٣) أخرجه من حديث المغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب رضي الله عنهما: مسلم في مقدمة صحيحه (٩/١)، وابن ماجه في مقدمة سننه في باب «من حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً وهو يُرى أنه كذب» (١٤/١ - ١٥)، وأحمد في المسند (٤/٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ١٤/٥، ٢٠)، ورواه الترمذي من حديث المغيرة في كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يروي حديثاً وهو يُرى أنه كذب، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأشار إلى حديث سمرة. انظر: سننه (٧/٣٠٨ - ٣٠٩).

(٤) انظر: روح البيان (٣/٥٤٨).

بعضهم، ومنهم الذين جهلوا حكم تلك الأحاديث، ومن روى حديثاً موضوعاً جاهلاً بوضعه فلا إثم عليه، وإن كان قد قصر في البحث عنه، وتهجم على ما لا ينبغي للمسلم أن يتهجم عليه^(١).

أضف إلى ذلك أن المتقدمين من العلماء رَوَوْا تلك الأحاديث بأسانيدها، ورأوا أن ذلك يغني عن التصريح بوضعها وكذبها.

المطلب الثاني

الآثار السيئة المترتبة

على رواية الأحاديث الموضوعة

إشاعة الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، وروايتها في الكتب والمصنفات عارية من التنبيه عليها له آثار سيئة، منها:

أولاً: إشاعة الكذب على الرسول ﷺ، وتسهيله بين الناس.

ثانياً: ارتكاب النهي الوارد في الحديث، ومن ثم الوقوع في الإثم، والتعرض للوعيد الوارد في ذلك بأن يصبح أحد الكاذبين على الرسول ﷺ.

ثالثاً: أن روايتها في الكتب، وتدوينها في المصنفات أدى إلى مزاحمتها الأحاديث الثابتة الصحيحة في فضائل القرآن، فإذا ذُكِرَ فضل سورة أو آية ذكر الحديث الموضوع في ذلك، وتُركَ الصحيح، كما وقع من بعض المفسرين، وهذا له نظير في السنن والبدع، فإنه ما أحدث بدعة إلا ترك من السنة ما هو خير منها كما جاء عن السلف^(٢)، بخلاف ما إذا أشيعت السنن والأحاديث الصحيحة، وحوربت البدع والأحاديث الموضوعة.

(١) توضيح الأفكار (٧٣/٢) حاشية محيي الدين عبد الحميد، وانظر الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به (ص ١٤٥).

(٢) انظر: كتاب ابن وضاح القرطبي ما جاء في البدع (ص ٨٣ - ٨٧).

رابعاً: أن بعض الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن تحدد القراءة بوقت معين أو صفة معينة، وترتب الأجر على ذلك، وهذا كثير خاصة الأحاديث الموضوعة في فضائل بعض الصلوات، فيرد فيها أن سورة كذا تقرأ كذا مرة، وأن سورة كذا تقرأ في وقت كذا وأن من قرأها في هذا الوقت، فله أجر وثواب معين^(١)، وهذا يؤدي إلى الابتداع في الدين، مع أن القراءة في ذاتها فضيلة وفيها أجر، لكن تحديدها بوقت معين وعدد محدد لم يثبت يُعد ابتداءً في الدين مثل الصلاة هي في ذاتها فضيلة، لكن لو حددها أحد من الناس بوقت معين لم يشرعه الله ولا رسوله، ورتب على فعلها أجراً وثواباً كان هذا ابتداءً في الدين^(٢)، والأحاديث الضعيفة في فضائل القرآن فضلاً عن الموضوعة إذا تضمنت تحديد عمل من الأعمال بعدد أو وقت أو صفة معينة لم يجز أن يعمل بها؛ لأن ذلك يتضمن استحباب العدد والوقت والصفة المعينة بما لم يثبت، وهذا بخلاف تقدير الثواب على عمل قد ثبتت مشروعيته، فلا يضر مجيئه من طريق ضعيف^(٣).

أضف إلى ذلك أن الاشتغال بتلك التحديدات والتقديرات، والأوصاف المحددة قد يشغل عما هو مشروع في هذه الأوقات. خامساً: في ذكر الموضوعات تسويد الصفحات، وإضاعة الأوقات بما لا طائل تحته.

وبهذا الأخير يتبين أن رواية الأحاديث الموضوعة لا تقتصر أضرارها على الأضرار الدينية من إشاعة الكذب، وارتكاب النهي، والوقوع في الإثم، ونشر البدع، وإماتة السنن، وإنما يتعداه إلى الأضرار الدنيوية،

(١) انظر في أمثلة هذا: لمحات الأنوار (٣/١٢٧٥) وما بعدها.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ١٠٦) وما بعدها.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٨/٦٥ - ٦٨)، ثم (١٠/٤٠٨).

وهذا مما يؤكد وجوب الابتعاد عن الأحاديث الموضوعية، والحذر والتحذير منها.

المطلب الثالث

مقاومة الموضوعات في فضائل القرآن

للعلماء المتقدمين جهود مشكورة في مقاومة الأحاديث الموضوعية عامة، وفي فضائل القرآن خاصة، من مثل: وضع الأمارات التي يستدل بها على الحديث الموضوع، وتصنيف المصنفات الخاصة ببيان الموضوعات، والتحذير من بعض الكتب التي تروي الأحاديث الموضوعية في فضائل القرآن. ولمواصلة الجهود، والانتفاع بما كتبه أولئك ينبغي الأخذ بالأمور الآتية:

أولها: العناية بتحقيق التفاسير التي تذكر الموضوعات في فضائل القرآن، مع التركيز على هذه الموضوعات ببيانها، والتحذير منها، وقد خرج كثير من التفاسير عارٍ عن التخريج وطبع بعضها عدة طبعات، ومنها ما زعم ناشروها أنهم حققوها، ومع ذلك خلت الأحاديث الموضوعية من التنبيه عليها^(١).

ثانيها: العناية بنشر التخريجات التي قام بها بعض العلماء لبعض التفاسير، مثل «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» تصنيف الحافظ الزيلعي^(٢)، و«الكافي الشاف في تخريج أحاديث

(١) مثل تفسير أبي الليث السمرقندي «بحر العلوم» خلت غالب الأحاديث الموضوعية في فضائل القرآن من التنبيه عليها.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي، من طبقة زين الدين العراقي لازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرَّج أحاديث الهداية في كتابه «نصب الراية» وخرَّج أحاديث الكشاف، توفي سنة (٥٧٦٢هـ).

الكشاف» تصنيف الحافظ ابن حجر، و«الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي» تصنيف عبد الرؤوف المناوي^(١)، وقد طبعت هذه الكتب مستقلة، ولو طبعت ضمن حواشي كتبها لكان نفعها أعم.

ثالثها: نشر الأحاديث الصحيحة في فضائل القرآن، وإشاعتها بين الناس، والعناية بنشر كتب فضائل القرآن التي عنيت بذكر الصحيح من الأحاديث وما يقاربه، مثل كتاب الحافظ ضياء الدين المقدسي، وكتاب الحافظ ابن كثير ونحوهما، وهذا يؤدي إلى ضعف انتشار الموضوعات.



= انظر: الدرر الكامنة (٤١٧/٢)، وطبقات الحفاظ (ص ٥٣٥)، والبدر الطالع (٤٠٢/١).

(١) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي، من كبار علماء عصره في الحديث، وأكثرهم فيه تصنيفاً له نحو ثمانين مصنفاً في غالب العلوم، منها: فيض القدير، وكنوز الحقائق، واليواقيت والدرر، توفي سنة (١٠٣١هـ).

انظر: خلاصة الأثر (٤١٢/٢)، وفهرس الفهارس (٥٦٠/٢)، والأعلام (٦/٢٠٤).

الفصل الثالث

تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على تفضيل القرآن الكريم على
الكتب السابقة من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: أوجه تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

تمهيد

قبل الحديث عن فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة يحسن التنبيه على أمرين:

الأمر الأول: يتجه الحديث في هذا الفصل للمسلمين، فهم المعنيون به أولاً قبل غيرهم، ولذلك لن يأخذ الحديث هنا طابع المناظرة مع اليهود والنصارى، في عرض الشبه والمطاعن، ثم ردها وتفنيدها، وإن جاء شيء من ذلك فيأتي عرضاً.

ولأن الخطاب موجه للمسلمين فسيكون في حديثنا ما لا يؤمن به أهل الكتاب أصلاً، كالاستدلال بالكتاب والسنة، وأقوال علماء المسلمين.

وفي توجيه الحديث للمسلمين فوائد مهمة، منها:

أولاً: إبراز المكانة العالية، والشرف العظيم الذي بوأه الله تعالى هذه الأمة، حتى علت به الأمم قاطبة، وتتجلى هذه المكانة بإظهار شرف القرآن الكريم، وعلو قدره ومنزلته عند الله تعالى، وهيمنته على الكتب السابقة، وهذا له أثره الواضح على المسلمين من حيث اعتزازهم بدينهم، وتشرفهم بالانتساب إليه، واحترامهم وتعظيمهم للقرآن الكريم، وإقبالهم عليه تعلماً وتعليماً.

ثانياً: إظهار محاسن الدين الإسلامي، وشريعته الغراء، بإبراز فضل القرآن وشرفه، إذ هو الأصل الأصيل لهذا الدين، وعمدته التي يرتكز عليها، ومنبعه الصافي الذي يستقي منه، وسر خلوده وبقائه إلى أن يشاء الله تعالى.

وقد حرص العلماء قديماً وحديثاً على إظهار محاسن الدين الإسلامي والكتابة عنها؛ لأثرها في تمسك المسلمين بدينهم، وثقتهم واعتزازهم به، وأثرها في دعوة غير المسلمين للدخول في دين الإسلام.

ثالثاً: تثبيت قلوب المؤمنين على الدين الحق، وغرس محبة القرآن الكريم في قلوبهم، ويدعو إلى ذلك الهجمة العقدية والفكرية التي يتعرض لها المسلمون اليوم في شتى البقاع من قبل اليهود والنصارى والملحدين ونحوهم، مستعينين بوسائل الإعلام المختلفة، التي غزت كل قطر ومُضر، وتغلغلت في بيوت المسلمين ودورهم، من مرئي ومقروء ومسموع، وأضحى المسلمون ودينهم عند أعدائهم حمىً مستباحاً، ومجالاً للنقد والتشكيك، مما أثر في بعض المسلمين ممن قل علمه، وضعف إيمانه بدينه وكتاب ربه، فلم يستطع رد تلك الهجمات، وحماية قلبه من تلك الشبهات.

وما أحوج المسلمين إلى التثبيت في هذا العصر الذي توسعت فيه وسائل الاتصال، وتنوعت فيه أساليب الدعاية، فأضحت كل أمة تفخر بما لديها من دين محرف، وشرع مبدل صاغته أفكار بشرية ضالة، وافتخرت فيه أمم الكفر والإلحاد بقيمها ومبادئها التي هي من حثالات الأفكار، وصارت كلمات عظمائهم، وساداتهم شرعاً متبعاً، لا يحيدون عنها ولا يعترضون عليها.

رابعاً: حماية المسلمين من الدعوة الضالة المعاصرة التي تبناها اليهود والنصارى وتلقفها عنهم بعض المنتسبين للإسلام ممن ضعف إيمانهم، وأظلمت بصائرهم، واستولى الإعجاب بالغرب الكافر وحضارته على قلوبهم، فأخذوا ينفخون في هذه الدعوة، ويزينونها لأبناء المسلمين.

وهذه الدعوة هي ما يُسمى بوحدة الأديان، والتقريب بينها،

والتعايش السلمي بين أبناء الأديان الثلاثة: الإسلام، واليهودية، والنصرانية. وكان من نتائج هذه الدعوة، الدعوة إلى إقامة المسجد والمعبد والكنيسة في سور واحد، والدعوة إلى طبع القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل المحرفتين في غلاف واحد^(١).

وهذه الدعوة ظاهرها الإخاء والسلام والمحبة، وباطنها القضاء على عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين، وطمس هويتهم الدينية، وإضعاف يقينهم بدينهم وكتابهم، والاعتقاد بأن ما عند الأمم الأخرى من الدين والكتب مساوٍ لما عندهم!!

ولعل في هذا الفصل ما يكشف زيف دعاوى أهل الكفر، ويحيي في قلوب المسلمين العزة والاعتزاز بدينهم وكتابهم الحق، والله على ذلك قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأمر الثاني:

المقصود بالكتب السابقة: الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله، والمفاضلة بينها وبين القرآن لا يراد به ما حُرف منها كالتوراة والإنجيل الموجودين بأيدي اليهود النصارى الآن، فهذه لم تبق على حالها التي أنزلها الله تعالى عليها، بل غلب عليها التبديل والتحريف، فهي إذًا ليست قابلة للمفاضلة والمقارنة، وإنما المراد الكتب السابقة كما أنزلها الله تعالى، مع تركيز الحديث عند المفاضلة على التوراة والإنجيل، إذ هما أعظم الكتب بعد القرآن، وقد أكثر الله تعالى من ذكرهما في القرآن، ولا يزال أتباعهما يتمسكون ويعتزون بهما، حتى بالغوا في طبعهما ونشرهما، فصارت خاصة عند النصارى وسيلة من وسائلهم في دعوة الناس للدخول في دينهم.

(١) انظر: كتاب الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (ص ٢٢

وإذا كان القرآن العظيم أفضل من الكتب السابقة، وهي على حالها
كما أنزلت لم يدخلها التحريف، فكيف الحال بمن يريد جعل القرآن
العظيم مساوياً لما عند اليهود والنصارى اليوم، مما عبثت فيه أيديهم
تحت شعار: «وحدة الكتب السماوية»؟!



المبحث الأول

الأدلة على تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة من الكتاب والسنة

c وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول

مكانة الكتب السابقة، ومنزلتها في القرآن الكريم

وهنا قضيتان:

الأولى: الإيمان بالكتب المنزلة:

من أصول الإيمان وأركانه التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، فيجب على العبد أن يؤمن بها جميعاً، ما سُمي منها كالطوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وما لم يُسم مما أنزل على المرسلين.

والإيمان ببعض الكتب المنزلة، والكفر ببعضها الآخر كفر بالجميع كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، وهو متواتر تواتراً ظاهراً^(١).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٠٦/١)، وشرح الطحاوية (ص ٢٩١).

وإذا كان هذا شأنها في الدين، فلا ريب أن منزلتها عند الله تعالى عظيمة وقدرها كبير.

وقد تكاثرت النصوص القرآنية على الأمر بالإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى، ومن هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَدَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَاَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَاَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

وفي هاتين الآيتين أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإيمان بما أنزل على الأنبياء من غير تفريق بينهم، وفيه إشارة إلى ذم من آمن ببعض ما نُزل دون بعض، كما تفعل اليهود والنصارى، أما المسلم فيجب أن يؤمن إيماناً كلياً بجميع من أرسله الله، وجميع الكتب التي أنزلها^(١).

ويقول الله تعالى مؤكداً هذه الحقيقة: ﴿فَلِلَّهِ الْقَادِرُ فَادْعُ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَاَمَنْتُ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٥٨)، وفتح القدير (١/٣٥٧).

اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الشورى: ١٥].

أي: آمنت «بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض»^(١).

كما بين - جل وعلا - حال من كفر بكتبه التي أنزلها على رسله، وأنه ضل ضلالاً بعيداً أي: خرج عن طريق الحق والهدى، وبعد عنهما كل البعد^(٢).

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فهذه الآيات وغيرها تؤكد أن الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل من قضايا الإيمان الكبرى التي لا يقوم إسلام العبد إلا بالإيمان بها، وأن من جحد شيئاً منها فهو كافر وإن آمن ببعضها.

وهذا يؤكد منزلة هذه الكتب عند الله جل وعلا، وأنها بمنزلة عظيمة؛ إذ جعل الإيمان بها فيصلاً بين الإسلام والكفر، وفرقاً بين المؤمن والمبطل.

الثانية: الثناء على الكتب السابقة:

وثناء القرآن الكريم على الكتب المنزلة، وتمجيدها ومدحها، ووصفها بالصفات العظيمة الجليلة، أمر ظاهر جداً لمن ألقى أدنى نظرة فيه، وهو على قسمين:

الأول: ثناء عام على الكتب جميعاً، لا يختص به كتاب دون آخر، مثل وصف الكتب المنزلة بأنها واضحة جلية، أنزلت للفصل بين الناس والقضاء بينهم فيما يختلفون فيه، ومن الآيات في ذلك:

(١) فتح القدير (٤/٥٣١)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٧/١٨٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨٦).

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر: ٢٥]، والكتاب: يراد به جنس الكتاب المنزل كالنوراة، والإنجيل، والمنير: هو الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا اختلاف^(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ففي هذه الآيات بيان شرف الكتب المنزلة ومنزلتها؛ إذ جعلت الحَكَمَ بين الناس، والفَيْصَلَ في منازعاتهم، يرجعون إليها، ويأتمرون بأمرها، وينتهون عن نهيها، وهذه الكتب لن يكون حكمها إلا عدلاً، ولن يكون أمرها ونهيها إلا بما فيه الخير؛ لأنها كتب واضحة جلية أنزلت من لدن حكيم خبير.

وما تقدم من الأمر بالإيمان بالكتب الإلهية داخل في عموم الثناء عليها.

الثاني: ثناء خاص ببعض الكتب المنزلة؛ ذكرت بأسمائها،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/١٥٣٨)، وتفسير القرآن العظيم (٢/١٥٤)، ومدارك التنزيل (١/١٥٤).

إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ أَرْجُلُهُمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٦].

وانظر كيف جعل إقامة هذين الكتابين والعمل بما فيهما سبباً للسعادة في الدنيا ورغد العيش، وسعة الرزق ويسره، وقرب مأخذه^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَاتِبُ لِسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال متوعداً اليهود إن لم يحكموا بما جاءت به التوراة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولولا أن هذين الكتابين، وما فيهما من الهدى والنور والموعظة بهذه المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، ما جاء هذا الوعيد الشديد في حق المعرضين عنهما.

٣ - خُصت التوراة بمزيد ثناء على الإنجيل، وقرنت وحدها مع القرآن الكريم في بعض المواضع؛ ذلك أنها الأصل، وعيسى عليه الصلاة والسلام إنما جاء بالإنجيل تنمة لها^(٢).

ومما جاء في الثناء على التوراة وحدها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ

(١) انظر: فتح القدير (٢/٥٨).

(٢) الجواب الصحيح (١/٣١١ - ٣١٢).

وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ
الْفَنَاقِينَ ﴿٧٥﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُشْخَتِهَا
هَٰذِي وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والذي في
الألواح إنما هو التوراة نفسها^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا
أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا
بِكُلِّ كَفْرٍ لَّكِنَّا ﴿٧٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٤٨، ٤٩].

والضمير في قوله: «منهما» عائد إلى القرآن والتوراة بدلالة
السياق.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ
لِّسَانًا عَرَبِيًّا يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

والضمير في «قبله» عائد إلى القرآن الكريم المذكور في الآيات
السابقة من قوله: ﴿وَإِذَا نُنَاقِلُ عَنْهُمْ ۖ إِنَّمَا يَنْتَدِي قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧٨﴾﴾
الآيات^(٢) [الأحقاف: ٧، ٨].

وقد وصفت التوراة في الآيات السابقة بعدة صفات:

١ - أن فيها تفصيل كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل.

٢ - أنها هداية لمن اتبعها وآمن بها.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٧١٧).

(٢) انظر فيما خصت به التوراة: سورة هود آية «١٧»، وسورة السجدة آية «٢٣».

٣ - أنها رحمة للمؤمنين، وقد جاءت الهدى والرحمة منكراً «هدى» ورحمة» لتعم، وجاء التأكيد على أن الهداية والرحمة إنما هي للذين يخافون ربهم.

٤ - وصفت التوراة بأنها إمام، ليقترن بها ويُتبع ما فيها. ومن هذه الصفات تظهر المنزلة العظيمة التي تبوءتها التوراة بين الكتب المنزلة.

وبعد بيان مكانة هذه الكتب ومنزلتها في القرآن الكريم ينبغي التنبيه للآتي:

أولاً: ما جاء أولاً من وجوب الإيمان بالكتب السابقة، وأنه لا يصح إسلام العبد حتى يؤمن بها جميعاً من غير تفريق، ومن مميزات هذا الإيمان وجوب الإيمان بأن ما يوجد من هذه الكتب - غير القرآن - قد دخله التحريف والتبديل كما أخبر الله تعالى عن التوراة والإنجيل.

وكما لا يصح إيمان من كفر بواحد من الكتب المنزلة على الأنبياء، فلا يصح إيمان من اعتقد أن التوراة والإنجيل الموجودة بأيدي أهلها اليوم لم يدخلها التحريف والتغيير، وأنها مساوية للقرآن الكريم في ذلك كما ينادي به دعاة التقريب بين الأديان، أو ما يُسمى بوحدة الأديان!

وقد تكاثرت النصوص القرآنية في بيان تحريف التوراة والإنجيل، واعتداء أهلها عليها بالتحريف والتغيير تارة، والكتمان والإخفاء تارة أخرى، وستأتي بعض هذه النصوص في محلها إن شاء الله تعالى.

ثانياً: لا يمكن تنزيل ما جاء من الثناء على الكتب السابقة على الكتب المحرفة الموجودة في أيدي اليهود والنصارى، والثناء الوارد إنما هو للأصول المنزلة قبل وقوع التحريف فيها، وهي التي أنزلها الله لهداية الناس وبيان الحق، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، أما هذه المحرفة

ففيها من الضلال والفساد الشيء الكثير، ثم إنها تناقض أصولها في أصل دعوتها، وهو أفراد الله تعالى بالعبادة، وتنزيهه عما لا يليق به ﷺ كما ستأتي الإشارة إليه.

ثالثاً: أن المدح والثناء لهذه الكتب المنزلة - التوراة والإنجيل - لا يلزم منه مدح أهلها من اليهود والنصارى المكذبين بالرسول ﷺ، المبدلين لأحكام التوراة والإنجيل^(١).

وإنك لتلمح في آيات الثناء والمدح للتوراة والإنجيل، النعي على أهلها، وذمهم وتقريعهم على تحريفهم لكتبهم وتبديلهم لها، وتوبيخهم على إعراضهم وتركهم الاحتكام إليها، وكتمان ما فيها من الحق، من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْمَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿سَامِرُفٌ عَنْ ءَابَتَيْ الَّذِينَ يَنْكَبُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥، ١٤٦]، وهذه الصفات المذكورة هنا تنطبق تماماً على اليهود، هذا عدا الآيات الكثيرة التي أفردت لذم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولعنهم، والإخبار

(١) الجواب الصحيح (١/٣١٧).

بغضب الله وسخطه عليهم، وبيان زيغهم، وضلالهم، وفسقهم، وتعديهم لحدوده، ووقوعهم في الموبقات العظيمة من الشرك بالله، وتنقصه، وقتل الأنبياء، وغير ذلك مما لو أخذنا في تتبعه والاستدلال عليه لم تحتمله هذه الصفحات!

وأكتفي من هذه الآيات باليسير جداً:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٨٩﴾ بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ۝٩٠﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠].

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا يُحِبِّلِي مِنَ اللَّهِ وَحِبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بِمِثْقَاهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝١٥٦﴾ [النساء: ١٥٥، ١٥٦].

وقال تعالى عنهم أيضاً: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بِمِثْقَاهُمْ لَعْنُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يَحْمِرُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝١٦٠﴾ ... [المائدة: ٦٠ - ٦٤].

وهذه العقوبات التي حلت بأهل الكتاب المذكورة في الآيات

السابقة كافية في بيان عظيم العقوبة، وعظيم سخط الله تعالى وغضبه عليهم، وبيان الحالة التي وصل إليها هؤلاء المبدلون المحرفون من الزيف والضلال والكفر!!

ولم يُمدح من أهل الكتاب إلا أهل الإيمان منهم، المستقيمون على شرع الله الذي أنزله على رسله، وهؤلاء أسلموا حينما علموا ببعثة النبي ﷺ، وآمنوا بالقرآن كما آمنوا بالتوراة والإنجيل، ومن الآيات التي أثنت على هؤلاء:

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتَ اللَّهِ فَإِذَا دُئِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ۖ﴾ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُدْعَوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١١٥﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ فِي اللَّهِ سَرِيعَ الْحِسَابِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَٰذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وكان الله تعالى حينما يشي

على هؤلاء، ويصفهم بالصفات الحسنة الكريمة يحرض غيرهم ممن هو على ملتهم ودينهم للاقتداء بهم، واقتفاء أثرهم في الإيمان بالرسول ﷺ والقرآن الكريم.

وقد جاء في الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»^(١).

رابعاً: أن الكلام في هذا المطلب مقدمة لما يأتي من المطالب، حتى لا يُظن أن في تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة انتقاص من قدرها، وخط من منزلتها التي أنزلها الله فيها، بل هذه الكتب لها شرفها، وقدرها العظيم عند الله - جلّ وعلا - وقد جعلَ القرآن الكريم خاتمة ما وأشرفها وأفضلها.

المطلب الثاني

الأدلة من القرآن الكريم

على فضله على الكتب السابقة

من الأمور المقررة عند العلماء أن القرآن الكريم له فضل وشرف على ما سبقه من الكتب المنزلة، وتجد في كلام العلماء حديثاً عن الوجوه والمزايا التي امتاز بها القرآن على الكتب السابقة، حتى من العلماء المنكرين لتفضيل بعض القرآن على بعض، يصرح بعضهم بفضل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله (٣٢/١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١٣٤/١)، كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظ الحديث لمسلم.

القرآن الكريم على ما قبله من الكتب^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن عقيدة السلف في هذا الأمر: «والآثار الماثورة في ذلك عن السلف تدل كلها على ذلك، وعلى أنهم كانوا يعتقدون أن القرآن أفضل من سائر الكتب»^(٢).

وفي القرآن الكريم أدلة صريحة على فضل القرآن على ما سواه من الكتب:

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

يقول القرطبي: «ومهيماً عليه» أي: عالياً عليها ومرتفعاً، وهذا يدل على تأويل من يقول بالفضل أي: في كثرة الثواب»^(٣).

وسياتي الكلام عن وجوه الهيمنة ومدلولاتها في آخر مطلب من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

ففي الآية إخبار من الله تعالى بأن القرآن أحسن الحديث، فيدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة»^(٤).

(١) انظر (ص ٤٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٩/١٧). وانظر (ص ١٨) من الجزء نفسه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠٧/٣). وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٣/١٧)، وتفسير القرآن العظيم (١١٩/٣).

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/١٧). وانظر (ص ١٨) من الجزء نفسه.

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلَ﴾ ﴿٢﴾ [يوسف: ٣].

وهذه الآية كالأية التي قبلها تخبر بأن القرآن أحسن القصص، كما أنه أحسن الحديث، فمن أراد الحديث فالقرآن أحسن الأحاديث، ومن أراد القصص فالقرآن أحسن القصص^(١).

قال قتادة: «﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم»^(٢).

والقصص في هذه الآية عام، فالقرآن الكريم أحسن القصص كلها، ما قصه الأنبياء ﷺ في كتبهم، وما قصه غيرهم، وليس المراد من الآية أن قصة يوسف - عليه الصلاة والسلام - هي وحدها أحسن القصص دون غيرها مما يقصه الله ويخبر به، بل كل ما في القرآن الكريم من القصص والأخبار - ومنها قصة يوسف ﷺ - أحسن القصص^(٣).

ويدل على أن القصص هنا عام في كل ما قصه الله في القرآن وأخبر به ما جاء في سبب نزول الآية، فإن الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ: لو قصصت علينا، فأنزل الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله ﷺ لو حدثتنا، فأنزل الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]^(٤).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٤٣/١).

(٢) جامع البيان (١٥/١٢).

(٣) انظر في تقرير هذا المعنى وما يأتي من الاستدلال له: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٩/١٧ - ٤٢).

(٤) عزا ابن حجر هذا الحديث لإسحاق بن راهويه في مسنده، وحسن إسناده كما في المطالب العالية (٣/٣٤٣)، وعزاه أيضاً لأبي يعلى والبزار، وأخرجه =

ومما يؤكد هذا المعنى ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدل بهذه الآية على رجل نسخ بعض كتب الأنبياء ليقراها، فدعا به عمر وعنفه وضربه، وقرأ عليه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، وبين له أن قصص القرآن الكريم أحسن مما نسخه من كتب الأنبياء، فعن خالد بن عُرْفُطَةَ^(١)، قال: «كنت جالساً عند عَمْرٍ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ،

= ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٣١/٨)، والحاكم في المستدرک (٢/٣٤٥) من طريق إسحاق بن راهويه، عن عمرو بن محمد العنقزي القرشي، عن خلاد بن مسلم الصفار، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٨٧/٢) من طريق الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي عن أبيه به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩/١٠): «رواه أبو يعلى والبخاري نحوه، وفيه الحسين بن عمرو العنقزي، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح»، والحسين لم ينفرد برواية هذا الحديث عن أبيه عمرو بن محمد، بل تابعه إسحاق بن راهويه - وهو ثقة إمام - وذلك في رواية ابن حبان والحاكم كما تقدم، ورجال إسناده الحديث رجال الصحيح سوى خلاد بن مسلم الصفار، ولا بأس به كما في تقريب التهذيب (ص ١٩٦). وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوداعي (ص ٨٧)، وجاء هذا السبب من طريق عون بن عبد الله بن عتبة من قوله بنحوه، وهو تابعي. أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٤٣/١)، والطبري في جامع البيان (١٥٠/١٢)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٠٣)، من حديث سعد وعون بن عبد الله كليهما، وقد ذكر ابن الجوزي سبباً قريباً من هذا عن سعيد بن جبیر قال: «اجتمع أصحاب محمد ﷺ إلى سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإنها حَسَنٌ ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني قصص القرآن أحسن مما في التوراة» زاد المسير (١٧٩/٤).

(١) هو خالد بن عرفطة بن أبرهة العذري حليف بني زهرة، كان مع سعد بن أبي وقاص في فتوح العراق، وولاه القتال يوم القادسية، وله صحبة، روى عن النبي ﷺ وعمر، مات سنة (٦١هـ)، وقيل غير ذلك.

انظر: أسد الغابة (١٠٢/٢)، والإصابة (٦٤/٣)، وتهذيب التهذيب (٥٢٦/١).

فقال له عمر: أنت فلان العبدى؟!، قال: نعم، فضربه عمر بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟، قال: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الرَّيَّةُ لَكَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ﴾ إلى قوله: ﴿لَمِنَ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ١ - ٣]، فقرأها عليه ثلاثاً، فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال^(١)؟! قال: مرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم، والصوف، ثم لا تقرأه، ولا تقرأه أحداً من الناس، فلتن بلغني أنك قرأته، أو أقرأته أحداً من الناس لأنهلك عقوبة^(٢).

وقد استدلل بعض العلماء بهذا الأثر عن عمر رضي الله عنه على فضل القرآن الكريم على ما سواه من الكتب^(٣).

(١) أحد أنبياء بني إسرائيل كان صغيراً حين غزا بختنصر بيت المقدس، فأخذ مع من أخذ، وأقام ببابل، ثم انتقل عنها ودفن بالسوس من بلاد خوزستان. انظر في أخباره: الكامل في التاريخ (١/٢٦٥ - ٢٦٨)، والبداية والنهاية (٤٣/٢).

(٢) روى هذه القصة الخطيب البغدادي في تقييد العلم (ص ٥١)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١/٢١٥)، وعزاها السيوطي في الدر المنثور (٣/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ونصر المقدسي والضياء المقدسي المتقدم ذكره، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٢): «رواه أبو يعلى، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، ضعفه أحمد وجماعة»، وقال البخاري عن خليفة بن قيس راوي القصة عن خالد بن عرفطة: «لم يصح حديثه»، التاريخ الكبير (١/١٩٢)، وضعف هذه القصة البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١/٣١٧ - ٣١٨)، وقال بعد سياقها: «هذا إسناد ضعيف لضعف خليفة بن قيس»، وضعفها الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٦)، ولها شاهد منقطع عن إبراهيم النخعي أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/١١٤)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٤١ - ٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٩٦).

والآية بهذا المعنى، والآثار الواردة فيه تدل على أن القرآن الكريم أحسن وأفضل من غيره قصصاً وأخباراً.

الدليل الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّكُمْ فِي أَكْثَرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤]، والضمير في «إنه» يعود إلى القرآن الكريم المذكور في أول السورة: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ - ٣]، وقد استدل القرطبي بهذه الآية على تفضيل القرآن الكريم على ما قبله من الكتب؛ لما فيها من الإخبار بعلو القرآن ورفعته^(١).

وفي «البحر المحيط» تعليقاً على هذه الآية: «وهذا فيه تشريف للقرآن وترفع بكونه لديه عالياً على جميع الكتب، وعالياً عن وجوه الفساد وحكيماً، أي: حاكماً على سائر الكتب»^(٢).

وفي «أنوار التنزيل» «لعلي»: «رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها، «حكيم» ذو حكمة بالغة، أو محكم لا ينسخه غيره»^(٣).

الدليل الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧]^(٤).

وفي هذه الآية امتنان من الله تعالى على نبيه ﷺ بهذه المنة العظيمة، وتخصيصه بإنزال السبع المثاني والقرآن العظيم عليه، وقد

(١) التذكار (ص ٤٣).

(٢) (٥/٨).

(٣) (ص ٦٢٩).

(٤) استدل بها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٧/١١).

جاءت الآية في سياق الامتنان تسليية له ﷺ؛ لما كان يلقاه من أذى قومه، وترفعهم عليه، واستهزائهم به، كما هو ظاهر من سياق الآيات، وقد جاء أن السبع المثاني لم يعطهن أحد من الأنبياء قبل نبينا عليهم جميعاً صلوات الله وتسليمه^(١).

وبعد سياق الأدلة يتضح دلالتها جميعاً على التفضيل، فدليلان من الأدلة الخمسة اشتملا على صيغة التفضيل «أحسن»، مع اشتمال المضاف إليها على ما يفيد العموم والاستغراق، حيث جاء الحديث والقصص معرفين بـ «أل» الدالة على الاستغراق لجميع الأحاديث والقصص، فالقرآن الكريم أحسن من كل حديث، وأحسن من كل قصص جاء به الأنبياء وغيرهم.

وفي الأدلة الثلاثة الأخرى جاء وصف القرآن بما يقتضي علوه ورفعته وعظمته، فقد وُصف بالعلو والعظمة والهيمنة على غيره، ولم توصف الكتب السابقة بهذه الصفات في القرآن الكريم مع تعدد أوصافها.

(١) انظر: جامع البيان (٥٢/١٤)، وما يأتي (ص ٢٩٩).

وقد اختلف في المراد بالسبع المثاني: هل هي الفاتحة أو السبع الطوال؟.

والذي في صحيح البخاري عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنها الفاتحة. صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم». (٢٢٢/٥)، وهذا لا ينافي وصف السبع الطوال بالمثاني، فقد جاءت الأدلة بهذا وهذا، وهذا شبيه بالخلاف في المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى هل هو مسجد الرسول ﷺ أو مسجد قباء؟ ولا مانع من تسميتهما جميعاً بذلك، فقد جاءت الأحاديث بهذا وهذا. والله أعلم.

انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩٩/١، ٤/٣٦٧٠)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٦٤ - ٤٦٥).

وقد اشترك القرآن الكريم معها في صفاتها، وزاد عليها في الصفات الثلاث المذكورة.

المطلب الثالث

الأدلة من السنة

على فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة

الدليل الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(١).

ومعلوم أن الأنبياء السابقين - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قد أنزلت عليهم كتب، ولم يكن لها هذه الخاصية المذكورة في الحديث، وهي الإعجاز وكثرة التابع بسببها، وإنما أريد أولئك الرسل بمعجزات أخرى تناسب حال أقوامهم، فامتاز القرآن الكريم على الكتب قبله بهاتين الخاصيتين: الإعجاز، وكثرة التابع بسببه.

يقول الحافظ ابن كثير معلقاً على هذا الحديث: «وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطي - أي: من المعجزات - ما آمن عليه البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه، وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ، فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل؟ (٩٧/٦)، وهذا لفظه، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١٣٤/١).

إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته»^(١).

الدليل الثاني:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر، ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثّل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟^(٢)، فعملت اليهود فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عمالاً، وأقل عطاء! قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من أشياء»^(٣).

أورد البخاري هذا الحديث في كتاب فضائل القرآن، وبالتحديد في باب «فضل القرآن على سائر الكلام»، والحديث إنما يتكلم عن تفضيل الأمة المحمدية على اليهود والنصارى، وأن أجرها ضعف أجر من قبلها، ووجه الاستدلال بهذا الحديث هنا: أن هذه الأمة إنما حازت هذا الفضل ومضاعفة الأجر والثواب بسبب الكتاب الذي أنزل إليها، مع أن

(١) فضائل القرآن لابن كثير (ص ٤٢).

(٢) القيراط: جزء من أجزاء الدينار يساوي نصف عشر الدينار. النهاية في غريب الحديث (٤/٤٢)، وهذا التعريف بالنسبة للمتعارف عليه بين الحُساب، ويرد في بعض النصوص الشرعية ويراد به جزء من الثواب معلوم القدر عند الله كما في هذا الحديث وغيره. انظر: شرح النووي على مسلم (٧/١٤)، وفتح الباري (٣/١٩٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام (٦/١٠٧).

اليهود والنصارى قد أنزلت إليهم كتب، أنزلت التوراة على اليهود، والإنجيل على النصارى، وهذا يدل على أن للقرآن الكريم مزيد فضل وشرف؛ إذ كان سبباً في مضاعفة أجر هذه الأمة على غيرها من الأمم، والاستدلال بهذا الحديث فيه شيء من الخفاء.

ويزول هذا الخفاء إذا أضفنا إلى هذا الحديث رواية أخرى له، رواها البخاري نفسه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس، فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطينا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنا أكثر عملاً! قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتي من أشياء»^(١).

ففي هذه الرواية أضاف الأمم إلى كتبها التي أنزلت عليها، فأضاف اليهود إلى التوراة، والنصارى إلى الإنجيل مما يدل على أن المضاف إليه مقصود بالذكر، وأن شرف الأمة الإسلامية ورفعتها وأجرها العظيم مع قلة عملها بالنسبة للأمم قبلها إنما نالته بسبب اتباعها وعملها بهذا القرآن العظيم الذي فضل سائر الكتب.

ويظهر لك من هذا جلالة الإمام البخاري، وعظيم فقهه، ودقة استنباطه، ولا عجب!! فهو فقيه المحدثين، ومحدث الفقهاء، وإمام الأئمة.

(١) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (١/١٣٩)، ورواه أيضاً في كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٨/١٩١).

وقد بين الحافظ ابن حجر المناسبة التي من أجلها أورد البخاري حديث ابن عمر في باب فضل القرآن على سائر الكلام بأن الفضل الذي ثبت للأمة المحمدية على غيرها من الأمم إنما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به^(١).

ونضيف إلى كلامه بأن الأمم المذكورة في الحديث قد أنزلت عليها كتب، وأمرت بالعمل بها، لكن لما كان القرآن أفضلها حازت الأمة التي أنزل عليها الفضل على سائر الأمم، مع قلة عملها بالنسبة لمن قبلها.

وعلق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله:

«وإنما فازوا بهذا [يقصد الأمة المحمدية] ببركة الكتاب العظيم، القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله، وجعله مهيماً عليه وناسخاً له، وخاتماً له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به، وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة»^(٢).

الدليل الثالث:

عن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل

(١) فتح الباري (٩/٦٧).

(٢) فضائل القرآن (ص ١٧٥).

(٣) هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي، اختلف في كنيته ف قيل: أبو الأسقع، وقيل غير ذلك، أسلم والنبي ﷺ يتجهز لتبوك فخرج معه إليها، وكان من أهل الصفة سكن البصرة، ثم الشام، وبها توفي سنة (٨٥هـ).
انظر: أسد الغابة (٥/٤٢٨)، والإصابة (١٠/٢٩٠).

المثاني، وُضِلت بالمفصل»^{(١)(٢)}.

ففي الحديث تصريح بفضل القرآن الكريم على الكتب السابقة، إذ

(١) المراد بالسبع: السبع الطوال، وهي من البقرة إلى براءة، وعن سعيد بن جبير يونس بدل الأنفال وبراءة.

والمئين: السور التي تلي الطوال، سميت بذلك لأن آياتها تزيد على مائة أو تقاربها.

والمثاني: السور التي تلي المئين.

والمفصل: السور التي تلي المثاني، سميت بذلك لكثرة الفصل بين السور بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، وفي تحديد بداية المفصل اثنا عشر قولاً، أشهرها قولان: أنه يبدأ من سورة الحجرات، والآخر أنه يبدأ من سورة ق، وهذا هو الراجح. رجحه ابن كثير والزركشي.

انظر في ذلك: جامع البيان (٤٥/١)، وجمال القراء (١٨٥/١)، وتفسير القرآن العظيم (٣٧١/٧)، والبرهان (٣٤٢/١)، وفتح الباري (٢٤٩/٢، ٢٥٩، ٩/٤٣)، ومناهل العرفان (٣٤٥/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤) وهذا لفظه، والطيالسي في مسنده (ص١٣٦)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٩/٢)، والطبري في مقدمة تفسيره (٤٤/١)، والطبراني في الكبير (٧٥/٢٢)، وأروده الهيثمي في المجمع (٧/٤٦) وقال: «رواه أحمد وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان، وضعفه النسائي وغيره، وبقيه رجاله ثقات».

وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦٩/٣) برقم ١٤٨٠.

وجاء بهذا اللفظ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير (٣٠٨/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨/٧): «فيه ليث بن أبي سليم، وقد وضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقيه رجاله رجال الصحيح».

وجاء عن أبي قلابة مرسلاً عند ابن الضريس في فضائل القرآن (٨٢)، والطبري في مقدمة تفسيره (٤٤/١)، وجاء موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه عند الدارمي في سننه (٩١٠/٢)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٥٥٤/١٠)، والطبري في مقدمة تفسيره (٤٥/١)، وللحديث شواهد أخرى. انظرها في موسوعة فضائل سور وآيات القرآن «القسم الصحيح» (١٢٩/١).

هو شامل لما فيها وزيادة، وقد ذكر القرطبي من أوجه تفضيل القرآن على الكتب السابقة زيادته عليها في السور^(١).

الدليل الرابع:

لفضل القرآن وشرفه وعلوه على سائر الكتب نُهي المسلمون عن اتباع ما سواه من الكتب، فمن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال: «أمتهوكون»^(٢) فيها يا بن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٣).

(١) التذكار (ص ٤٣).

(٢) متهوكون أي: متهورون من التهوك وهو التهور والوقوع في الأمر بغير روية، وقيل معنى التهوك التحير. النهاية في غريب الحديث (٥/٢٨٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٣٨٧) وهذا لفظه، ونحوه في (ص ٣٣٨) من الجزء نفسه، ورواه الدارمي في سننه (١/١٢٢)، وابن أبي شيبه في المصنف (٩/٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٤٢)، وفي إسناده الحديث مجالد بن سعيد الهمداني، وليس بالقوي تغير في آخر عمره كما في تقريب التهذيب (ص ٥٢٠)، وانظر: مجمع الزوائد (١/١٧٤)، وقد صحح إسناده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١/٢١٥)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٤).

وجاء هذا الحديث من رواية عبد الله بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٧٠)، (٤/٢٦٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٦/١١٣)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٤)، وفيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (ص ١٣٧)، وقال الهيثمي عن حديث عبد الله بن ثابت: «رجال رجال الصحيح إلا أن فيه جابراً الجعفي، وهو ضعيف». مجمع الزوائد (١/١٧٣). وانظر: فتح الباري (١٣/٣٣٤)، وأشار البخاري في التاريخ الكبير =

وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].
أي: أن القرآن العظيم كاف ومغني عما سواه لأنه أحسن الكلام،
ففيه خبر ما قبلنا، ونبا ما بعدنا، وحكم ما بيننا، فلا تحتاج هذه الأمة
لكتاب آخر سواه^(١).

وقد روي في سبب نزول الآية ما يشهد لهذا المعنى؛ ذلك أن ناساً
من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود،

= (٣/١/٣٩) إلى عدم صحة إسناده، والحديث له شاهد عند ابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٤) عن الحسن البصري أن عمر بن الخطاب فذكر نحوه، وشاهد عند عبد الرزاق في المصنف (١١٢/٦) عن أبي قلابة أن عمر فذكر نحوه، وهذا الشاهدان فيهما انقطاع بين عمر وبين الحسن وأبي قلابة، وله شاهد في مصنف عبد الرزاق (١١٣/٦) عن الزهري أن حفصة جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص يوسف فذكر نحوه، وفيه انقطاع بين الزهري وحفصة. والخلاصة: أن الحديث لا تخلو أسانيده من ضعف، لكنه ليس بالضعف الشديد، وهو منجبر بتعدد طرقه وشواهد، كما أنه داخل تحت عموم النهي عن سؤال أهل الكتاب، وقد بوب البخاري في صحيحه باباً في قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» في كتاب الاعتصام بالسنة (٨/١٦٠)، وذكر ابن حجر أن البخاري يشير للحديث الذي ذكرناه، ثم أورده ابن حجر وقال: «واستعمله في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح». فتح الباري (١٣/٣٣٤).

يقول الألباني: «وجملة القول: إن مجيء الحديث في هذه الطرق المتباينة، والألفاظ المتقاربة لما يدل على أن مجالد بن سعيد قد حفظ الحديث، فهو على أقل تقدير حديث حسن» إرواء الغليل (٦/٣٧).

وقد ساقه شيخ الإسلام ابن تيمية محتجاً به في هذه القضية في مجموع الفتاوى (١٧/٤١)، وعزاه للنسائي ولم أجده فيه. والله أعلم.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٢٩٦ - ٢٩٧)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/٤١).

فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: «كفى بها حماقة قوم، أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم» فنزلت هذه الآية^(١).

الدليل الخامس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي: «أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» قال: نعم يا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كيف تقرأ في الصلاة؟» قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنما السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(٢).

(١) روى هذا السبب الدارمي في سننه (١٣١/١)، وأبو داود في المراسيل (ص ١٤٩)، والطبري في جامع البيان (٧/٢١) وهذا لفظه عن يحيى بن جعدة مرسلًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٨/٥) للإسماعيلي في معجمه وابن مردويه عن يحيى بن جعدة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو كذلك في معجم الإسماعيلي المطبوع (٧٧٢/٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب (٨/٩١ - ٩٢)، وقال عقبه: «حديث حسن صحيح»، ورواه في كتاب التفسير من سننه (٨/٢٨٢) عن أبي هريرة عن أبي ﷺ، وقال: إن الرواية [التي سقناها] أصح. ورواه عن أبي هريرة عن أبي: النسائي في سننه في كتاب الافتتاح، باب فضل فاتحة الكتاب (١٣٩/٢)، وأحمد في المسند (١١٤/٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٢/١)، وابن حبان كما في الإحسان (٧٥/٢)، والحاكم في المستدرک (٥٥٧/١)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧٤/٢)، ورواه الإمام مالك في الموطأ (١٣٤/١) من حديث أبي سعيد مولى عامر بن كريز أن النبي ﷺ نادى أياً، والحاكم في المستدرک (٥٥٧/١).

ومثل هذا الحديث حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ =

وهذا الدليل صريح في أن من القرآن الكريم ما هو أفضل مما في التوراة والإنجيل، وأنه لا يوجد في التوراة والإنجيل مثل لأم القرآن.

وقد قال ابن العربي في شرحه لهذا الحديث: «قوله: «ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها»، وسكت عن سائر الكتب كالزبور والصحف لأن هذه أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل كان أفضل الكل، كقولك: زيد أفضل العلماء، فهو أفضل الناس»^(١).

الدليل السادس:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهتك العلم أبا المنذر»^(٢).

قال القاضي عياض^(٣): «قوله لأبي فيه: «أي آية من كتاب الله

= «أعطيت هذه الآيات من آخر البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي» رواه أحمد في مسنده (٣٨٣/٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٤٧١) برقم (١٤٨٢).

(١) القبس (١/٢٣٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (١/٥٥٦)، ومعنى قوله: «ليهتك العلم» أي: ليكن العلم هنيئاً لك، عون المعبود (٤/٣٣٤).

(٣) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي السبتي المالكي، ولي القضاء مدة طويلة، قال ابن خلكان: «كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة»، من مصنفاته: إكمال المعلم، والشفاء والإلماج. توفي سنة (٥٤٤هـ).

انظر: بغية الملتمس (ص ٣٨٣)، ووفيات الأعيان (٣/٤٨٣)، والديباج المذهب (ص ٢٧٠).

معك أعظم؟» وذكر آية الكرسي فيه حجة للقول بتفضيل بعض القرآن على بعض، وتفضيل القرآن على سائر كتب الله عند من أجازها^(١).

وعلى هذا فيمكن الاستدلال على تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة بسائر الأدلة التي يستدل بها القائلون بتفضيل بعض القرآن على بعض وهي كثيرة؛ لأن كلا المسألتين مبنية على الخلاف في كلام الله تعالى هل يفضل بعضه بعضاً أو لا؟

وكذلك يستدل القائلون بتفاضل سور القرآن وآياته بأدلة تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة على ما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

ومن خلال الأدلة السابقة نجد منها ما هو صريح الدلالة على التفضيل، مثل الدليل الأخير جاء بصيغة التفصيل «أعظم»، ومثله حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، نص فيه النبي ﷺ بأنه فُضِّلَ بالمفصل كله، كما بيّن أن السبع السور الطوال - وهي تزيد على ثلث القرآن قليلاً - تعدل التوراة كلها، وأنه أعطيها مكان التوراة، والباقي من القرآن زائد على التوراة، كما بين أن السور المئين تعدل الإنجيل، والمثاني تعدل الزبور، فيكون القرآن شاملاً لأعظم الكتب وزيادة.



(١) إكمال المعلم (١٧٧/٢)، وانظر: المفهم للقرطبي (٤٣٥/٢)، وشرح النووي على مسلم (٩٣/٦).

المبحث الثاني

أوجه تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة

ج وفيه مدخل وثمانية مطالب

مدخل :

الكلام في هذا المبحث متمم للمبحث السابق في التدليل على فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة، فهو يتكلم عن الأوجه التي فُضِّلَ بها القرآن الكريم على الكتب السابقة وهي مستنبطة من الأدلة الشرعية: الكتاب والسنة، وهي - أيضاً - عديدة ومتنوعة، وذكر بعض العلماء أن القرآن الكريم فُضِّلَ على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن في غيره^(١).

ويجد القارئ هذه الأوجه والخصال مبثوثة في كلام أهل العلم عن مزايا القرآن وفوائده على الكتب السابقة^(٢).

وقبل الشروع في الكلام عن هذه الأوجه يحسن التنبيه على أمرين: الأول: أن الأوجه المذكورة في هذا المبحث انتقائية، والمراد منها إظهار شرف القرآن وفضله، ولذا سأذكر من الأوجه أبرزها وأظهرها في التفضيل، وقد تختلف وجهات النظر حول بعضها.

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٣١٧).

(٢) وقد عد منها القرطبي في التذكار (ص٤٣) ثلاثة أوجه، وعد منها يوسف عثمان جبريل خمسة أوجه في مقدمة تحقيقه لفوائد القرآن للفريابي (ص١٣).

والمعيار في ذكر هذه الأوجه والخصائص إشعارها بالتفضيل، فقد يختص القرآن بشيء عن الكتب السابقة، لكن لا يدل على تفضيله عليها، كما لو دُكر أن من خصائصه أن له رسماً خاصاً به فإن هذا - وإن كان حقاً - فليس في خصوصية القرآن بهذا الرسم ما يدل على تفضيله على الكتب السابقة.

الثاني: أن هذا المبحث له ارتباط قوي بما يتكلم عنه أهل العلم في خصائص القرآن الكريم، إلا أن الكلام هنا أخص، فهو متعلق بما يختص به القرآن عن الكتب السابقة فقط، أما البحث في خصائص القرآن عامة فيشمل ما يختص به عن الحديث بقسميه: القدسي والنبوي، وما يختص به عن الكتب السابقة، وما يختص به عن سائر كلام البشر^(١)، وعليه فيوجد في هذه الخصائص ما يقع الاشتراك فيه بين القرآن الكريم، والكتب السابقة، مثل عدم نسبة القرآن إلى غير الله تعالى، ومثل التعبد لله بتلاوته، والاستشفاء به^(٢).

-
- (١) انظر: مقدمة الدكتور فهد الرومي لكتاب خصائص القرآن الكريم (ص ١٤)، ويُعد كتابه من أوسع الكتب حديثاً عن خصائص القرآن الكريم.
- (٢) انظر هذه الخصائص في: المصدر السابق (ص ١١٠، ١٣٢، ١٣٣).

ومما جاء في السنة مما يدل على أن الكتب السابقة يتعبد بتلاوتها ما حدث به أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوايه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوايه» رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (١٣٣/٤). وقراءته للقرآن وهو الزبور إنما هو على سبيل التعبد بتلاوتها لما فيها من الأذكار والمواعظ.

ومما يدل على الاستشفاء بالكتب السابقة ما جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقئها، فقال أبو بكر: «ارقيها بكتاب الله».

رواه مالك في الموطأ (٥٣٢/٢)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان =

المطلب الأول

حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التحريف

من سنة الله تعالى الشرعية في خلقه بعث الرسل لإنذار الناس، وإنزال الكتب عليهم، توضح للناس معالم دينهم، وتكون حكماً بينهم عند الاختلاف كما قال تعالى: ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أُمَّةً وَاحِدَةً قَبَعَتْ اللَّهُ النَّبِيَّاتِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهناك ارتباط بين بقاء الدين الذي يبعث به الرسول، وبقاء الكتاب المنزل عليه، فبقدر ما يلقي من الحفظ والرعاية بقدر ما يبقى الدين، وإذا تعرض الكتاب للضياع أو التحريف فإنه ينعكس سلباً على الدين، فالكتاب هو المرجع والأصل للأحكام والتشريعات الدينية.

ولأنه قد جرت حكمة الله ورحمته - وهو الرحيم الكريم - أن يكون الإسلام خاتم الأديان، ورسوله خاتم الرسل - عليهم جميعاً صلوات الله وتسليمه - وكتابه خاتم الكتب المنزلة، فقد حفظ هذا الكتاب من أن تناله يدٌ بتحريف أو تبديل، ليكون هذا الدين باقياً إلى أن يشاء الله تعالى، وقد كانت الرسائل السابقة خاصة بأقوام معينين، كما في الحديث: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة»^(١).

= (٦٣٢/٧ - ٦٣٣)، ويقصد أبو بكر بكتاب الله التوراة، فإن المرأة يهودية، وكتابها الذي تؤمن به هو التوراة.

انظر: المتقى شرح الموطأ (٢٦١/٧)، وفتح الباري (١٩٧/١٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (١١٣/١) وهذا لفظه، وأخرجه أيضاً في كتاب التيمم، الباب الأول (٨٦/١)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧٠/١) كلاهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فكانت الكتب التي تنزل على الأنبياء خاصة بهم تبعاً لخصوصية البعثة، فلم يكتب لها البقاء والخلود، فدخلها التحريف والتبديل، ومنها ما ضاع واندثر، ولما كان القرآن عاماً للخلق كلهم جاء ساداً مسد تلك الكتب، جامعاً لحقائقها وزيادة، فحفظه الله تعالى من التحريف والتبديل ليكون حجة على الناس إلى قيام الساعة^(١).

فأصبح بذلك حفظ القرآن الكريم ميزة ميزه الله تعالى، وشرفه بها على سائر الكتب المنزلة^(٢).

وقد دلت الأدلة القرآنية والدلائل التاريخية على أن القرآن المجيد محفوظ من التبديل والتحريف إلى قيام الساعة.

الأدلة القرآنية:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ٩]^(٣)
قال قتادة رحمته الله: «أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً أو ينقص منه حقاً، حفظه الله من ذلك»^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبِتٌ ﴿١﴾ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، وأي باطل أعظم من التعرض له بالزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل؟

(١) انظر: النبأ العظيم (ص ١٣ - ١٤)، وعقيدة ختم النبوة (ص ٧٩ - ٨٠).

(٢) خصائص القرآن الكريم (ص ١٥٧)، وهذا القرآن (ص ٦٥).

(٣) في مرجع الضمير في قوله «له» قولان: الأول: أنه يرجع إلى القرآن، والثاني: أنه يرجع إلى الرسول ﷺ، والصحيح الأول وهو الظاهر من السياق، وقد رجحه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤٥)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ١٢٢)، والشنقيطي في أضواء البيان (٣/ ١٠٧).

(٤) جامع البيان (٨/ ١٤).

وقال تعالى مطمئناً نبيه ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]، وكان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك شفثيه معه؛ خشية أن ينسى منه شيئاً فيضيع، فطمأنه بأنه سيتولى جمعه، وأكد ذلك بأداة التوكيد «إن»، وأسند الجمع إليه؛ دلالة على الاهتمام به^(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥) [الأنعام: ١١٥].

وقد استدلل بعض العلماء بهذه الآية على حفظ القرآن الكريم وبقائه بلا تحريف أخذاً من قوله في الآية «لا مبدل لكلماته».

يقول البيضاوي: «لا مبدل لكلماته، لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن، فيكون ضماناً لها من الله ﷻ كقوله: ﴿وَلِئَلَّا لَمْ يُحَفَظُونَ﴾»^(٢).

وقول البيضاوي «على أن المراد بها القرآن» أي: على أن المراد بالكلمات في الآية القرآن الكريم، وتأمل النفي المطلق للتبديل، فيشمل ما ذكره البيضاوي، وما لم يذكره.

الدلائل التاريخية:

وقد دلت الدلائل التاريخية خلال أربعة عشر قرناً من لدن إنزاله إلى وقتنا أن هذه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم هي كما قررها. ومن الدلائل والشواهد ما يلي:

(١) انظر في سبب نزولها: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)، وجامع البيان (٢٩/١٨٧ - ١٨٨).

(٢) أنوار التنزيل (ص ٢١٣ - ٢١٤). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٥٠٧).

أولاً: أنه كتب في حياة النبي ﷺ، وبإشراف مباشر منه، فما إن ينزل عليه قرآن حتى يدعو كتبة الوحي، ويأمرهم بكتابة ما أنزل إليه مع تحديد مكان الآية في السورة، ولذا أصبحت كتابة القرآن الكريم قريبة جداً من نزوله، وكان هذا من الرسول ﷺ زيادة في التوثيق والضبط، ومبالغة في التقييد، وإلا فهو محفوظ في صدره كما أخبر الله تعالى، وكان الذي يتولى كتابة الوحي ثلثة من خيرة الصحابة، منهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، مما يؤكد حرص النبي ﷺ على توثيق الكتابة وضبطها.

ثانياً: كتابته وجمعه بين دفتين بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان الدافع لهذا الجمع خوف ضياعه، لاستشهاد كثير من القراء في حروب الردة، وتختلف كتابته في عهد أبي بكر رضي الله عنه عن كتابته في عهد الرسول ﷺ، إذ كانت في عهده مفرقة في الجلود والألواح والحجارة وغُسب النخيل، أما في عهد أبي بكر فقد رُتبت فيه الآيات في سورها، ووضعت بين دفتين، وحفظت في بيت أبي بكر رضي الله عنه، وقد حظي هذا الجمع بإجماع الصحابة وموافقتهم واستحسانهم رضي الله عنهم جميعاً.

ثالثاً: كتابته وجمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الدافع لهذا الجمع الحفاظ عليه من الضياع والتحريف والاختلاف فيه؛ نتيجة تنازع بعض الناس ممن قل علمهم وقصر نظرهم، وكان عثمان رضي الله عنه يعتمد في جمعه على جمع أبي بكر رضي الله عنه فقد طلب المصحف الذي جمعه أبو بكر، ونسخ منه عدة نسخ أرسلها إلى الأقطار الإسلامية، وقد حظي هذا الجمع - أيضاً - بإجماع الصحابة واستحسانهم، حتى عُدَّ هذا الجمع من حسنات عثمان العظام.

وكان يُراعى في كلا الجمعين - جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما - التحري والدقة في كتابة القرآن، ففي جمع أبي بكر اشترطوا ألا يكتبوا

شيئاً في المصحف إلا بعد ثبوت كتابته بين يدي النبي ﷺ، ويشهد على ذلك شاهداً عدل، فلم يكتفوا بالحفظ وحده، وفي جمع عثمان تواضع الصحابة ﷺ على ألا يكتبوا إلا ما تحققوا أنه قرآن، وكان على رأس من تولى الجمع في عهد أبي بكر وعثمان زيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - جميعاً - وهو من هو: ذكاء وفهماً وفطنة وصلاحاً، إضافة إلى ملازمة كتابة الوحي لرسول الله ﷺ^(١).

رابعاً: أن الصحابة - رضوان الله عليهم - توقفوا بعض الشيء عن تدوين الحديث وكتابته، وقد همَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته بكتابته، فطفق يستخير الله شهراً، ثم استقر رأيه على العدول عن ذلك، وقال: «إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكَّبُوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً»^(٢).

وجاء عن غيره من الصحابة النهي عن الكتابة مطلقاً حرصاً على الحفاظ على القرآن الكريم، وعدم الاشتغال عنه بغيره.

فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه نهى عن الكتابة وقال: «إنما أهلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأسأفتهم، وتركوا كتاب ربهم»، أو قال: «تركوا التوراة والإنجيل حتى درسا، وذهب ما فيهما من الفرائض والأحكام»^(٣).

(١) انظر في جمع القرآن في مراحل الثلاث: المرشد الوجيز (ص ٤٨ - ٧٦)، والبرهان (٣٢٦/١ - ٣٣٤)، والإتقان (٧٦/١ - ٨٠)، ومناهل العرفان (١/٢٣٣ - ٢٥٦).

(٢) رواه عن عمر الخطيب البغدادي في تقييد العلم (ص ٤٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٤/١).

(٣) تقييد العلم (ص ٥٦).

وأبعد من ذلك ما جاء في بعض الأحاديث من النهي عن كتابة شيء غير القرآن، فقد قال الرسول ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه»^(١)، وقد عارض هذا الحديث أحاديث أخرى تدل على جواز الكتابة، وكان أحد المحامل التي حمل عليها النهي في الحديث السابق خشية اختلاط غير القرآن بالقرآن^(٢).

والمقصود هنا بيان الحيلة والحذر التي كان عليها العصر الأول، والخوف على القرآن الكريم أن يختلط بغيره، وما كان لهذه الحيلة من أثر بالغ في توحيد الجهود نحو حفظ القرآن الكريم، وضبطه وإتقانه. ولما أُنِمن على القرآن أن يختلط بغيره، واحتاج الناس لتدوين السنة ونُحشي ضياع الحديث، شرع الناس في تدوينه وكتابته.

وفي التاريخ لهذا العمل الميمون المبارك ما ذكره البخاري في صحيحه. قال: «وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم^(٣): انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فأني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء، ولا يُقبل إلا حديث النبي ﷺ وليُفُشوا العلم، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً»^(٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد (٢٢٩٨/٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر في هذه المسألة: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٢٥٠)، وتقييد العلم (ص ٤٩ - ٥٧)، وشرح النووي على مسلم (١٣٠/١٨)، وفتح الباري (٢٠٨/١)، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٥٩ - ٦١).

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي النجاري، تولى إمارة المدينة، ثم قضاءها، وهو أحد الأئمة الأثبات، ومن أعلم أهل زمانه بالقضاء، كثير العبادة والتهجد. توفي سنة (١٢٠ أو ١١٧هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٣/٥)، وتهذيب التهذيب (٤٩٤/٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (٣٣/١).

وقد استقر العملُ على قول عمر رضي الله عنه وأصبحت كتابة السنة وتدوينها من الحاجات الضرورية، ولولا ذلك لدرس الحديث وضاع.

ومما يدخل في حرص السلف على حفظ القرآن وصيانه أن يختلط غيره به أنهم أمرو بتجريد المصاحف عند كتابتها من أي شيء غير القرآن الكريم، حتى أمرو بتجريدها من النقط والشكل، وأسماء السور، ونحو ذلك؛ «مبالغة منهم في حفظ القرآن وأدائه كما رسمه المصحف، وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى التغيير فيه»^(١).

خامساً: أن الله تعالى قيض لهذا القرآن بعد الصحابة رضي الله عنهم أئمة ثقات، وعلماء مخلصين، وحفاظاً متقنين، نقلوا القرآن عن قبلهم، وتلقاه من بعدهم عنهم، وهكذا إلى أن وصل إلينا، وقد تجرد هؤلاء الأئمة الحفاظ للقرآن الكريم، وعُرِفُوا به، وذُبُوا عنه، وأتقونه حرفاً حرفاً، ولم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولم يتعرضوا له بزيادة أو نقص، ولم يدخل عليهم فيه شك ولا وهم، ولا يزال هؤلاء الأئمة يتعاقبون جيلاً بعد جيل، ودهراً بعد دهر.

وبعدُ فإن من أصدق الدلائل التاريخية على حفظ القرآن الكريم وبقائه، بقاءه هذه القرون المتتالية، والأزمان المتطاولة على حالته الأولى التي كُتِبَ عليها في عهد عثمان رضي الله عنه، وعلى الرسم الذي رسمه لم يتغير منه شيء مع شدة الحملة عليه من قبل أعداء الله وحرصهم على تحريفه

(١) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ٢٣٠ - ٢٣٣)، والتبيان في آداب حملة القرآن (ص ٢٧٥)، ومناهل العرفان (١/ ٣٩٩ - ٤٠٢)، وما بين القوسين منه، وقد تغير الزمان وظهرت العجمة، فاحتاج الناس إلى النقط والشكل خوفاً من قراءة الآيات خطأ، فزالت الكراهة، وأيضاً فقد أمن على القرآن أن يلتبس بغيره، والمقصود بيان عناية السلف بالقرآن الكريم.

وتبديله، وانشغال المسلمين بالفتن التي عصفت بهم في أحيان كثيرة، فأضعفتهم عن مقاومة عدوهم وجهاده، لكن بقي القرآن الكريم رغم هذا كله هو كما أنزل على النبي ﷺ.

عوامل أخرى:

وهناك عوامل أخرى هيأها الله تعالى، وكان لها أثر بارز في حفظ القرآن الكريم من التحريف، ومن أهمها:

أولاً: تيسير حفظ القرآن للناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم، وتفاوت قدراتهم، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من ذلك الحظ الأوفر من قوة الحفظ، ووفور الذهن، وحضور الذاكرة، وحدة الذكاء؛ فكان لتيسير حفظه أثر كبير في حفظ القرآن، واتصال سنده إلى يومنا هذا.

ثانياً: ترغيب الشارع الحكيم في حفظ القرآن وقراءته وتلاوته، وإجزال الأجر لمن فعل ذلك، وبالمقابل الوعيد الشديد على هجر القرآن والإعراض عنه، وترك تدبره والعمل به؛ مما كان له أثر في إقبال الناس على القرآن بالحفظ، والتلاوة والمدارسة.

وقارن هذين الأمرين بما عليه حال التوراة، فإن عامة بني إسرائيل كانوا ممنوعين منها، فقد وَكَّلَ موسى عليه السلام حفظها إلى عشيرته وبني قومه الأقربين، خوفاً من اختلاف اليهود فيها، والموكلون بحفظها هم الذين يقرؤونها ويشرحونها لبني إسرائيل، ولم يؤذن لعامة بني إسرائيل إلا في حفظ سورة، أو نصف سورة فقط^(١).

ثالثاً: ما أودعه الله تعالى في قلوب المسلمين من محبة القرآن

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل (١/١٤٩ - ١٥٠)، وذكر نص السورة، وهداية الحيارى (ص ٢٠٥)، وكتاب: «التوراة دراسة وتحليل» د. محمد شتيوي (ص ١٧ - ١٨).

وتعظيمه واحترامه، وليس هذا مقتصرًا على العلماء دون العامة، أو الكبار دون الصغار، ولذا تجد غضبة المسلمين شديدة إذا أراد أحد الإساءة للقرآن الكريم^(١).

التحريف في الكتب السابقة:

من الأمور المتفق عليها بين المسلمين واليهود والنصارى أن الكتب الموجودة بأيدي أهل الكتاب قد دخلها التبديل والتحريف، وأنه لم يبق منها كتاب صحيح من كل وجه على وجه الأرض^(٢).

وهذا الأمر قرره القرآن الكريم بأوضح صورة، وأجلى بيان، فقد أكثر الله - تعالى وتقدس - من تقريع أهل الكتاب وتوبيخهم على اعتدائهم على كتبهم بالتحريف والتبديل تارة، والكتمان تارة أخرى، وزاد من تقريع اليهود بسبب عدوانهم على الكتب التي بأيديهم.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٨]، وتأمل كثرة المؤكدات في هذه الآية!! ومعنى يلوون: يحرفون، ومن

(١) انظر فيما تقدم من الدلائل والعوامل: النشر في القراءات العشر (٤/١)، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (ص ٦٧ - ٦٩، ٧٣)، ومناهل العرفان (١/ ٢٨٢ - ٣٢٧)، وهذا القرآن (ص ٦٧) وما بعدها، وخصائص القرآن الكريم (ص ١٥٧) وما بعدها، وعقيدة ختم النبوة (ص ٨٣)، وفي ظلال القرآن (٤/ ٢١٢٧ - ٢١٢٩).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٢٦٤).

ضلالهم وقبحهم وشناعتهم نسبتهم ما حرفوه وبدلوه إلى الله تعالى^(١).

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَارْعِنَا لَيْتَ بِاللَّسَنِih وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ﴾ [النساء: ٤٦].

وقال تعالى: . ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِدَلِيلٍ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُحْفَوْنَ كَثِيراً وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

وقد بين تعالى أنه وكل حفظ التوراة إلى أهلها في قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَسْتَرُوا يَتَايَعُوا بَيْنَهُمْ فِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وجاء في الآيات الأخرى التي سبق بعضها أنهم لم يمثلوا ما أمرهم الله به، فلم يحفظوا ما أمر به بحفظه^(٢).

والآيات السابقة تبين أن التبديل والتحريف الذي وقع في كتب القوم لم يكن نتيجة الإهمال والنسيان فقط، وإنما تعمد أهلها تحريفها وتبديلها لتناسب أهواءهم، وتتفق مع ما هم عليه من الكفر والضلال.

وبه يتضح الفرق الكبير بين هذه الأمم المعتدية على كتبها، وبين

(١) انظر: جامع البيان (٣/٣٢٢٣).

(٢) أضواء البيان (٢/٨٩).

الأمة المحمدية التي حافظت على كتابها، وحفظته ودافعت عنه، فبقي عزيزاً منيعاً، غصاً طرياً كما أنزل.

دلائل التحريف:

تنطق الدلائل الكثيرة بصدق ما قرره القرآن الكريم من تحريف أهل الكتاب لكتبهم، وذكر هذه الدلائل مفيد في إظهار شرف القرآن وفضله وعلو قدره، وما هيا الله تعالى لحفظه من الأسباب التي لم تكن لكتاب قبله قط.

ومن هذه الدلائل ما يأتي:

أولاً: فقدان السند المتصل إلى من أنزلت عليه هذه الكتب، فليس للتوراة والإنجيل سند متصل، أو رواية ثقات، أو غير ثقات!! يروونها عن قبلهم، ومن قبلهم عن قبلهم إلى أن ينتهي السند إلى موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - وإنما هي صحف موجودة عندهم يزعمون أنها المنزلة على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

أما التوراة فإن موسى - عليه الصلاة والسلام - قد نسخها، ووكل حفظها من بعده لكبراء بني إسرائيل، وأمرهم بحفظها، وأمر جميع بني إسرائيل بحفظها والعمل بها، وأخذ عليهم العهد في ذلك، وتأكيداً لحفظها وضعها في التابوت، وسلمه إلى عشيرته الأقربين وأمرهم بحفظه، وبقيت الطبقة الأولى منهم على العهد، ثم جرت لبني إسرائيل أمور وحوادث فقدت التوراة بسببها سندها المتصل إلى موسى ﷺ، وأهم الأسباب سبيان رئيسان:

الأول: داخلي، تمثل في ردة بني إسرائيل السريعة عن دينهم، وانكبابهم على عبادة الأوثان والأصنام، وتخليهم عن العمل بالتوراة جملة وتفصيلاً، وما جرى بين علمائهم وأحبارهم وملوكهم من التنازع والاختلاف والاقتتال، وهذا أثر في ضياع التوراة ونسيانها،

وإهمالها وعدم الاهتمام بها، فضلاً عن حفظها وصيانتها.
ومن قرأ تاريخ القوم وجد فيه من هذا شيئاً كثيراً، وبه استحققت
هذه الأمة الغضب واللعن والمسوخ، وتسليط الأعداء عليهم بالقتل
والتشريد والسبي.

ولما ساق ابن حزم^(١) ما وقع فيه بنو إسرائيل من هذه الفظائع،
وأفاض في ذلك، قال مستفهماً متعجباً:
«فأيُّ كتاب، أو أيُّ دين يبقى مع هذا؟!»^(٢).

الثاني: خارجي تمثل في تسلط الأعداء عليهم، وغزوهم بلادهم،
واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وتتبع كتبهم بالإحراق والإتلاف.
وقد سجل التاريخ أعنف تلك الهجمات، وأشدّها ضراوة وقسوة
فيما يعرف بالغزو البابلي لبلادهم، فقد قُتل من اليهود في هذا الغزو
العنيف المدمر مئات الآلاف، وأُحرق بيت المقدس، وبيوت بني إسرائيل
ومعابدهم، وسُبوا سبيّاً عاماً، وأصبحت ديارهم خاوية على عروشها ليس
فيها داع ولا مجيب^(٣).

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، من العلماء
الحفاظ، كان شافعي المذهب ثم تحول إلى مذهب أهل الظاهر. قال
الحميدي: «ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس
والتدين» مؤلفاته كثيرة جداً منها: المحلى، والفصل، توفي سنة (٤٥٦هـ).
انظر: جذوة المقتبس (ص ٢٧٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥)، ونفح الطيب
(٧٧/٢).

(٢) الفصل في الملل والنحل (١/ ١٤٧).

(٣) وكان قائد هذا الغزو ملك العراق في وقته بختنصر. وانظر تفصيلات أكثر عما
تعرضت له التوراة من الضياع في: إظهار الحق (١/ ٤٨٨ - ٤٩٥)، والتوراة
دراسة وتحليل د. محمد شتيوي (ص ١٥) وما بعدها، وذكر أسباب انقطاع سند
التوراة في (ص ٤٠ - ٤٥)، والأسفار المقدسة د. صابر طعيمة (ص ٥٣ - ٩٤).

وقد حمى الله تعالى الأمة المحمدية من هذا والله الحمد!
فقد سأل نبيها ﷺ ربه - جل وعلا - ألا يسلط على أمته عدواً من
سواها فيستبيح بيضتهم.

قال رسول الله ﷺ: «وإن سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة،
وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم»^(١)، وإن ربي
قال: يا محمد إنني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا
أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح
بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال: من بين أقطارها؛ حتى
يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»^(٢).

وقد شهد التاريخ بإجابة هذه الدعوة، فلم يحدث - والله الحمد -
طيلة هذه القرون العديدة أن استؤصل المسلمون واستبيحوا كلهم.

أضف إلى ذلك أن موسى ﷺ قد بعث لقوم مخصوصين هم بنو
إسرائيل، وعددهم محدود، ومكانهم محدود، أما محمد ﷺ فقد بعث
للناس كافة في أقطار الأرض كلها، وليست دعوته خاصة بقوم دون قوم،
أو أرض دون أخرى، ونتيجة لهذه الرسالة العامة عمَّ الإسلام أقطار
الأرض، واتسعت رقعته اتساعاً عظيماً، فإذا استبيحت بعض البلاد
الإسلامية بقيت بلاد أخرى عزيزة منيعة: إسلامها ظاهر، ودينها قائم،
وصدى قرآنها يملأ الآفاق.

والكلام عن الإنجيل لا يختلف كثيراً عن التوراة، بل عوامل
انقطاع سنده بعيسى ﷺ أظهر من عوامل انقطاع سند التوراة بموسى ﷺ.

(١) بيضتهم: مجتمعهم وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم، والمراد: استئصالهم
ولأهلكهم جميعاً. النهاية في غريب الحديث (١/١٧٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢١٥) عن
ثوبان رضي الله عنه.

فإن التوراة كتبت في عهد موسى - عليه الصلاة والسلام - وبقيت بعده دهرًا محفوظة. أما الإنجيل فإن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يكتبه بنفسه ولم يكتب في عهده، وإنما كُتب بعده بزمان، وأناجيل النصارى عديدة، وأشهرها أربعة: اثنان منها كتبهما اثنان من أصحاب عيسى عليه السلام^(١)، والآخران كتبها اثنان من أصحاب أصحابه^(٢).

ولم يكن للنصارى دولة ومملكة مثلما كان لليهود، وابتلوا ثلاثمائة عام أو تزيد بأنواع من البلاء والفتن والتشريد والقتل، لم يكونوا فيها متفرغين لتحرير الإنجيل وضبطه، فلم يكن للنصارى في بادئ أمرهم دولة تحميهم وتحامي عن كتابهم.

ولما سئل بعض النصارى عن سبب فقدان الإسناد المتصل للإنجيل قال: «إن سبب فقدان الإسناد عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة»^(٣).

ولئن تعرضت التوراة للتحريف والضياع مع أنها كتبت في عهد موسى عليه الصلاة والسلام، وقامت دولة بني إسرائيل بحمايتها دهرًا، فضياع الإنجيل وهو ليس بهذه الحال أولى وأولى! أضف إلى ذلك أن الإنجيل تعرض لحالة من الإحراق، والإتلاف شبيهة بما تعرضت له التوراة^(٤).

ثانيًا: مناقضة التوراة والإنجيل لما جاء في القرآن الكريم مناقضة صريحة وهذا مما يشهد بدخول التحريف والتبديل فيها؛ لأن كلام الله

(١) وهما: متى ويوحنا.

(٢) وهما: لوقا ومرقس.

(٣) إظهار الحق (١/٥٠٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٤٩٥ - ٥٠٨)، والأسفار المقدسة د. صابر طعيمة (ص ٢٥٢ - ٢٦٦).

تعالى لا يتناقض، ولا يختلف: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اٰخْتِلَافًا كَثِيْرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومن أمثلة ذلك: ما يُذكر في التوراة والإنجيل من قصص الأنبياء
مما يخالف كثير منه ما جاء في القرآن الكريم^(١).

ثالثاً: وجود التناقض والاختلاف بين النسخ المتعددة للتوراة
والإنجيل، فنسخ التوراة بينها اختلاف، ونسخ الإنجيل كذلك بما لا
يمكن الجمع بينها إلا بتكذيب بعضها، فهي متناقضة ومتضادة في معانيها
ودلالاتها، متباينة في ألفاظها، بل إن النسخة الواحدة يوجد فيها
الاختلاف والتناقض، وقد طفحت كتب العلماء - رحمهم الله - في بيان
تناقضات نسخ التوراة والإنجيل، وشهد بذلك أهل الكتاب أنفسهم، حتى
وصل بهم الأمر أن كذبوا بعضها^(٢).

أما القرآن الكريم فهو باق على حالته الأولى حين جُمع في عهد
عثمان برسمه وحروفه، لم يغير ولم يبدل مع مخالفة الرسم الذي كُتب
به بعض الشيء للرسم الإملائي المعروف، كل هذا حفاظاً عليه وصيانة
له. أما معانيه ودلالاته فهي متفقة يصدق بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها
بعضاً، وما يوجد في القرآن مما يوهم الاختلاف والتناقض أجاب عنه
العلماء أجوبة كافية شافية، بينوا محاسن القرآن وبلاغته وفصاحته من

(١) للاستزادة انظر: منحة القريب المجيب (ص ٦٧)، والشرائع السابقة ومدى
حجيتها في الشريعة الإسلامية (ص ١١٩)، والإسرائيليات لنعناعه (ص ٤٧ -
٤٩)، ورد افتراءات المبشرين د. محمد جمعة (ص ١٢٣).

(٢) لتفصيل ذلك انظر: الفصل في الملل والنحل (١/ ٩٣)، والجواب الصحيح
(٣٩٣/ ١)، وهداية الحيارى (ص ٩٩)، وإظهار الحق (١/ ١٤٧ - ٢٠٠)، (٢/ ١٣٤ - ١٥٢)، ومنحة القريب المجيب (ص ٦٦)، والنبوة والأنبياء لأبي الحسن
الندوي (ص ٢٠٠ - ٢٠٤)، وكتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس
بوكاي (ص ٦٦، ١٢١).

خلال تلك الأجوبة^(١).

رابعاً: أن التوراة والإنجيل المحرقتين اشتملتا على قبائح وشنائع لا تليق بالله العظيم، ولا برسله - صلى الله عليهم وسلم - فقد وُصِفَ الله تعالى في هذين الكتابين المحرقتين بما يتنزه عنه، وفيهما تشبيه له بالمخلوقات تشبيهاً كاملاً، وأما انتقاص الأنبياء والرسل في هذين الكتابين المبدلين فأمر ظاهر مشهور، مثل اتهامهم بشرب الخمر والزنا والاعتصاب، والاحتيال والكذب، وغير ذلك مما لا يليق بأدنى المؤمنين فضلاً عن أكملهم إيماناً^(٢).

وأخيراً فقد أراد أحد اليهود اختبار الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن في هذه القضية - قضية التحريف والتبديل - فعمد إليها، ونسخ من كل كتاب ثلاث نسخ، وزاد فيها ونقص، ثم أدخل التوراة على اليهود فابتاعوها، وأدخل الإنجيل على النصارى فابتاعوه، وأدخل المصاحف على المسلمين - ورَاقِيهم - فتصفحوها، فلما وجدوا ما فيها من التحريف والتبديل امتنعوا من شرائها، فعلم أن القرآن محفوظ؛ مما كان سبباً في إسلامه^(٣).

المطلب الثاني

إحكامه وعدم نسخه

يطلق الإحكام في أحد مدلولاته الاصطلاحية على ما يقابل النسخ، فيقال لما لم ينسخ: «محكم»، ويقال للمنسوخ: «متشابه».

(١) انظر مثلاً: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ٦٥ - ٨٥) باب التناقض والاختلاف، والبرهان (١٨٦/٢)، والإتقان (٣٥/٢)، وكتاب الشنقيطي دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

(٢) للاستزادة انظر: هداية الحيارى (ص ٢٠١ - ٢٠٥)، وإظهار الحق (٤٤٨/٢) - (٤٩١)، والشرائع السابقة (ص ١٢١ - ١٢٦)، والإسرائيليات لنعناع (ص ٤٩).

(٣) انظر القصة مفصلة مسندة في: الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢١/٤).

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] «المحكمات التي هي أم الكتاب: الناسخ الذي يُدان به ويعمل به، والمتشابهات: هن المنسوخات التي لا يُدان بهن»^(١).

والكلام عن إحكام القرآن الكريم، وعدم تطرق النسخ إليه له ارتباط بالمطلب السابق، إلا أن بينهما فرقاً من حيث إنَّ المراد هنا بقاء القرآن الكريم على حالته الأولى التي أنزل عليها من غير أن يأتي كتاب بعده من عند الله تعالى ينسخه، ويبطل العمل به، أما المطلب السابق فهو متعلق بحفظه من أيدي المحرفين والمبدلين أن يحرفوه أو يبدلوه، فالنسخ حكم من الله برفع العمل بشريعة أو كتاب، أما التبديل والتحريف فيأتي من عبث المخلوقين واعتدائهم، والقرآن في كلا الحالتين محفوظ، فلا يطرأ عليه تحريف ولا نسخ.

وقضية نسخ الشرائع السابقة والكتب المنزلة من القضايا الكبرى التي حصل فيها نزاع وخلاف مع الملل الأخرى خاصة أهل الكتاب، وهي - أيضاً - من القضايا التي احتلت مكان الصدارة في المناظرات مع أهل الكتاب، وحينما يتعرض العلماء لهذه القضية في مناظراتهم معهم، فإنهم يتناولون فيها ثلاثة جوانب مهمة:

الجانب الأول:

إثبات النسخ في الشرائع السابقة، وأنه موجود في شرائعهم كما هو في الشريعة الإسلامية، فهو أمر أقرته الشرائع. وهم بذلك يردون على اليهود المنكرين للنسخ مطلقاً؛ لئلا يقولوا بأن الشريعة الإسلامية نسخت

(١) جامع البيان (١٧٢/٣)، وللإحكام معانٍ أخرى غير ما ذكر. انظرها في المصدر السابق، وفي البرهان (١٩٩/٢).

الشرعية الموسوية، أو أن القرآن نسخ التوراة، وهذا مكابرة منهم، وإلا فالنسخ واقع في شريعتهم، وقد أطال العلماء في إثبات ذلك من القرآن الكريم، ومن التوراة نفسها^(١).

الجانب الثاني:

إثبات نسخ القرآن الكريم للكتب السابقة، ونسخ الشريعة الإسلامية للشرائع السابقة.

الجانب الثالث:

إثبات بقاء القرآن الكريم والشرعية الإسلامية بلا ناسخ ينسخها، فلا كتاب ينزل بعد القرآن الكريم، ولا شريعة تأتي بعد الشريعة الإسلامية، وسيقتصر الحديث هنا على الجانبين الأخيرين خاصة الثالث؛ إذ هو المرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا المطلب.

دلائل بقاء القرآن الكريم بلا ناسخ:

اتفق المسلمون جميعاً على أن القرآن الكريم آخر الكتب، وأنه لا كتاب من عند الله ينزل بعده، وهذا مثل اتفاقهم على أن الرسول ﷺ خاتم المرسلين لا نبي بعده، والشرعية الإسلامية آخر الشرائع لا شريعة تأتي بعدها، وهذا الأمر من المعلوم من الدين بالضرورة لا يتم إسلام العبد إلا به.

وقد دلت الدلائل على ختم القرآن لما قبله من الكتب، وأنه لا ناسخ له يأتي بعده، ومن هذه الدلائل:

أولاً: التلازم بين ختم النبوة، وبقاء القرآن الكريم بلا ناسخ، فكما

(١) توسع رحمة الله الهندي في هذا الجانب في إظهار الحق في الباب الثالث (١/ ٥٠٩). وانظر أيضاً: كتاب «نظرية النسخ في الشرائع السماوية» (ص ٤٤ -

أن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء لا نبي بعده، فالقرآن هو آخر الكتب لا كتاب بعده ينسخه، وكما أن هذه النبوة باقية إلى قيام الساعة، فالقرآن كذلك باقي إلى قيام الساعة، إذ بقاء النبوة والدين الخاتم صحيحاً سليماً من التحريف والتغيير مرتبط ببقاء القرآن الكريم، وقد دلت الأدلة الكثيرة على أن النبوة ختمت بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنَصَرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^(١).

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيي بعدي»^(٢).

فمن أقر بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده كما نطقت به النصوص السابقة وغيرها، فيلزمه الإقرار بأن القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم النبيين هو خاتم الكتب وآخرها، لا كتاب ينزل بعده.

ثانياً: عموم رسالة القرآن الكريم للناس كلهم، فليست خاصة بأمة دون أمة، ولا بقوم دون آخرين، وهذا مما اختص به القرآن عن سائر

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (١٢٩/٥) وهذا لفظه، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة (٤/١٨٧٠) كلاهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وانظر في أدلة ختم النبوة: كتاب عقيدة ختم النبوة (ص ١٧ - ٧٠)، فقد أكثر المؤلف الأدلة من القرآن والسنة والإجماع بما لا مزيد عليه.

الكتب المنزلة، فهو إذاً ليس بحاجة إلى التجديد؛ لأنه يخاطب الناس بجميع فئاتهم وطوائفهم، واختلاف أماكنهم وأزمانهم.

ثالثاً: شمولية القرآن، ووفاءه بحاجات البشر جميعاً، وصلاحيته تشريعاته لكل زمان ومكان وأمة، فهو كتاب متجدد على مر العصور، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلى محاسنه، ولا يخلق عن كثرة الرد، وهذا يقتضي صلاحيته للاستمرار والعطاء أزمنة متتالية^(١).

وسياتي مزيد تقرير لهذين الأمرين في المطلب الرابع إن شاء الله تعالى.

رابعاً: ومن دلائل بقاء القرآن على حالته التي نزل عليها إلى آخر الزمان أن عيسى ﷺ حينما ينزل في آخر الزمان يحكم بالقرآن الكريم، ولا يحكم بالإنجيل، ولا بكتاب جديد ينزل عليه، وإنما يحكم بالقرآن وشريعته، حتى إنه لا يرضى أن يكون إماماً لهذه الأمة في الصلاة كرامة من الله تعالى لهذه الأمة.

قال ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟!»^(٢).

وفي بعض روايات مسلم: «فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»^(٣).

وقد بوب النووي على أحاديث نزول عيسى ﷺ «باب بيان نزول

(١) انظر في هذه الدلائل الثلاث:

النبوة والأنبياء (ص ٢٣٥)، وكتاب عقيدة ختم النبوة (ص ١٩ - ٢٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم (٤/ ١٤٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/ ١٣٦)، كلاهما عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان (١/ ١٣٧) من حديث جابر رضى الله عنه.

عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، وإكرام الله تعالى هذه الأمة زادها الله شرفاً، وبيان الدليل أن هذه الملة لا تنسخ^(١).

خامساً: ومن الدلائل على بقاء القرآن بلا ناسخ ينسخه، أنه يبقى إلى الزمن الذي يأذن الله برفعه من بطون الكتب، وصدور الرجال، حتى لا يبقى منه آية، حين لا تبقى فائدة من بقائه، نتيجة إعراض الناس عنه كلية، قراءةً وتلاوةً وعملاً، وهذا يقع في آخر الزمان عند اندراس الدين وذهابه، والرفع هنا لا يُعد نسخاً بالمعنى الاصطلاحي للنسخ، فإنه لا يأتي كتاب ينسخه ويبطل العمل به، وإنما يُمحى من الكتب وصدور الرجال.

ودل على هذا حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب»^(٢)، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة، وليُسرَى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية» الحديث^(٣).

ولا يفهم من إحكام القرآن وعدم نسخه، أنه لا نسخ في القرآن، فإن النسخ في القرآن جائز عقلاً وواقع شرعاً، وهو الذي صنفت فيه المصنفات، وألفت فيه الكتب، وإنما الكلام هنا عن مجيء كتاب منزل من عند الله بعد نزول القرآن ينسخه، ويبطل العمل به، ويبطل تلاوته والتعبد بها، فإن هذا ممتنع، والله الحمد.

(١) شرح النووي على مسلم (٢/١٨٩).

(٢) أي: يعنى ويذهب كما يذهب نقش الثوب. انظر: لسان العرب (٢/١٣٥٩) مادة «درس»، و(٤٨٤٦/٦) مادة «وشي».

(٣) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٢/١٣٤٤)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٢٥٤): «إسناده صحيح رجاله ثقات»، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/٤٧٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٢٧) برقم ٨٧.

نسخ الكتب السابقة:

والناسخ لها القرآن الكريم، وهذا من الوضوح بحيث لا يلتبس على مسلم يؤمن بالقرآن، فإن من لوازم الإيمان به، الإيمان بنسخه الكتب قبله جميعاً.

ومن لوازم الإيمان بهذا الدين الإيمان بأن كتابه ناسخ لكتب الأديان قبله.

ومن الأحكام المتعلقة بنسخ القرآن الكريم للكتب قبله ما يلي:
أولاً: أن الاتباع الواجب إنما هو للقرآن الكريم فقط، فلم يتبعنا الله تعالى باتباع الكتب قبله.

ولا يرد على هذا ما يذكره الأصوليون من الخلاف في شرع من قبلنا إذا لم يرد في شرعنا ما يخالفه: هل هو شرع لنا أو لا؟

فإن كلامهم مقيد بشرع من قبلنا الوارد في شرعنا، وليس مرادهم أن جميع ما في كتب القوم وغيرها مما فيه أنه شرع لهم، ولم يأت شرعنا بما يخالفه فهو شرع لنا، وإن لم يرد في شرعنا أنه شرع لهم، وعلى هذا نص كثير من الأصوليين والفقهاء، وبنوا عليه تفرعاتهم في هذه المسألة^(١).

يقول القاضي أبو يعلى: «وإنما يثبت كونه شرعاً لهم بمقطوع عليه: إما الكتاب، أو الخبر من جهة الصادق، أو بنقل متواتر، فأما الرجوع إليهم وإلى كتبهم فلا»^(٢).

(١) الشرائع السابقة (ص ٢٦٢).

(٢) العدة (٧٥٣/٣)، وأبو يعلى هو محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي، قاضي القضاة، من كبار علماء الحنابلة في عصره، تميز في علم الفقه مع معرفته بالقرآن وعلومه والحديث. مصنفاته كثيرة منها: أحكام القرآن، وإبطال التأويلات، والمعتمد، توفي سنة (٤٥٨هـ).

ويقول أبو محمد بن حزم: «وإنما الاختلاف الذي ذكرنا فيما كان من شرائع الأنبياء ﷺ موجوداً نصه في القرآن أو عن النبي ﷺ، وأمّا ما ليس في القرآن ولا صح عن النبي ﷺ، فما نعلم من يطلق إجازة العمل بذلك، إلا أن قوماً أفتوا به في بعض مذاهبهم» ثم رد عليهم^(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه مبني على ثبوت «أن ذلك شرع لهم بنقل موثوق به، مثل: أن يخبرنا الله في كتابه، أو على لسان رسوله، أو يُنقل بالتواتر، ونحو ذلك، فأما مجرد الرجوع إلى قولهم، أو إلى ما في كتبهم، فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ﷺ وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة، فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم، بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون، كما قد أخبره بكذبهم غير مرة، وأمّا نحن فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب، فيكون فاسق، بل كافر قد جاء بنبأ فاتبعناه»^(٢).

وخلاصة الكلام: أنه لا حاجة لنا في تتبع كتب القوم، واستخراج الأحكام منها، فحسبنا كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، فإن جاء فيهما، أو في أحدهما شيء من شرائع السابقين، ولم يرد في شرعنا ما يخالفه، فهنا يجري الخلاف: هل هو شرع لنا أو لا؟.

ثانياً: أن ما خالف القرآن الكريم مما في هذه الكتب فهو مردود؛ لأنه إما حق منسوخ لا يجوز العمل به، وإما أنه محرف مبدل لا يُعَوَّل عليه.

= انظر: طبقات الحنابلة (١٩٣/٢)، والمقصد الأرشد (٣٩٥/٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٩٤٣/٥ - ٩٤٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٦٤/١). وانظر: كتاب الشرائع السابقة (ص ٢٦٢ - ٢٦٨).

ثالثاً: لا ينبغي قراءة الكتب السابقة كالطورا والإنجيل ودراستها، أو الاحتفاظ بها إلا في حدود ضيقة، مثل: الاحتجاج على أهل الكتاب، والرد عليهم بما فيها، أو الاستدلال بما فيها من الحق على صدق الرسول ﷺ، وصدق أخبار القرآن، طمعاً في إيمان من شاء الله تعالى أن يؤمن من أهل الكتاب، ولizard الذين آمنوا إيماناً.

وقد تقدم غضب النبي ﷺ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما رآه يقرأ في صحيفة من الطورا.

وليس للمسلمين مصلحة في بقاء هذه الكتب، بل المصلحة في ذهابها وزوالها، ليزول اعتداد أهلها واستغناؤهم بها؛ مما قد يضطرهم للدخول في الإسلام^(١).

رابعاً: لا يجوز التعبد لله بقراءة الطورا والإنجيل وتلاوتها وحفظها.

خامساً: لا يجوز طباعتها ونشرها منفردة، وأعظم من ذلك ما ينادي به دعاة «وحدة الأديان» من طباعتها مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فإن ذلك «من الضلال البعيد والكفر العظيم؛ لما فيه من الجمع بين الحق والباطل؛ لما في الطورا والإنجيل من التحريف والتبديل، وأن ما فيهما من حق فهو منسوخ»^(٢).

ولا يفهم من نسخ القرآن الكريم للكتب قبله، أنه قد جاء بتكذيبها، وإبطال ما جاء به، بل إنه يتفق معها في أمور كثيرة، ولذلك وصفه الله تعالى بأنه مصدق لما قبله من الكتب.

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٣٢٤)، والمعيار المعرب (١٢/٤٨).
(٢) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (ص ٩٤) بتصرف يسير.

فهو يتفق مع الكتب السابقة فيما جاءت به من قضايا الإيمان: كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والحث على الإخلاص وتجريد التوحيد، والنهي عن الشرك والتحذير منه.

ويتفق القرآن الكريم مع الكتب السابقة في قضايا الأخلاق العامة: كالأمر بالعدل والإحسان، ومكارم الأخلاق، ومثل النهي عن الظلم والعدوان، ومساوئ الأخلاق، فهذه الأمور اتفقت عليها جميع الكتب.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعامة السور المكية، كالأنعام والأعراف وآل حم وآل طس وآل الرهي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل، والإخلاص، وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم»^(١).

ويتفق القرآن مع الكتب السابقة في الأخبار، فالقرآن لا ينسخ ما جاء في التوراة والإنجيل من قصص الأنبياء والمرسلين ونحوهم.

وما جاء فيهما أو غيرهما من القضايا السابقة التي اتفقت عليها الكتب مخالفاً لما جاء في القرآن، فهو مما عبث به أيدي المحرفين والمبدلين، وليس لأن القرآن قد نسخ ذلك، ولذا يؤخذ من هذه الكتب ما وافق القرآن ويرد ما خالفه لتحريفه، وما لا يكذبه القرآن ولا يردّه يتوقف فيه، فلا يصدق ولا يكذب مع جواز التحديث به، كما ورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ^(٢).

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر فيما تقدم: المصدر السابق (٣/ ٢٦٣)، وإظهار الحق (١/ ٥١١ - ٥١٢)، ومناهل العرفان (٢/ ١٠٩).

وكون القرآن الكريم ناسخاً لما قبله من الكتب يدل على شرفه،
وفضله عليها؛ لأن الناسخ مهيمن على المنسوخ وعالٍ عليه^(١).

وبقاء القرآن الكريم هذه الأزمنة المديدة دون مجيء ما ينسخه
يسهلُ الانتفاع به، والاهتداء بهديه، وتحكيمه في الأمور الخاصة
والعامة، وبذلك أصبح نفع القرآن عميماً، وخيره عظيماً، وعطاؤه متجدداً
متواصلاً، لا ينتهي عند زمن، ولا يقف عند حد، فالحمد لله على نعمة
القرآن.

المطلب الثالث

كونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة

جاء في بعض التعريفات الاصطلاحية للقرآن الكريم^(٢) إضافة قيد
«الإعجاز» فقيل في تعريفه:

«الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه».

وخرج بهذا القيد: الكتب السابقة، كالتوراة والإنجيل والزيور
ونحوها؛ لأنها لم تنزل للإعجاز، وعلى فرض أنها معجزة، فإن الإعجاز
متعلق بمجموع الكتاب لا بسورة منه، بخلاف القرآن الكريم فإن السورة
الواحدة منه معجزة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ
عَبْدِنَا فَاتَّبُوا فِي سُورَةِ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
[البقرة: ٢٣] هذا ما قرره بعض الأصوليين^(٣).

والأظهر - والله أعلم - أن الإعجاز والتحدي خاص بالقرآن الكريم

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٩٧).

(٢) تقدم التعريف بالقرآن الكريم في التمهيد (ص ٣٢).

(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (١/١٨٩)، والبحر المحيط للزركشي (١/٤٤٢).

دون ما سواه من الكتب المنزلة، ولا يعني هذا عدم اشتغالها على شيء من وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن، بل فيها بعض الوجوه المعجزة المذكورة للقرآن، مثل: الإخبار عن المغيبات: الماضية والمستقبل، وكاشتمالها على التشريعات الملائمة لمن أنزلت عليهم.

وإنما المقصود هنا أن هذه الكتب لم تنزل على الأنبياء معجزة تؤيدهم في دعوتهم، وإنذار قومهم، مثل المعجزات الأخرى التي أُيدوا بها كقلب العصا حية، وفلق البحر، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك، وإنما كانت كتب الأنبياء قبلنا تنزل للهداية والتعبد بأوامرها ونواهيها والاسترشاد بها، والاحتكام إليها عند التنازع والاختلاف. أما القرآن الكريم فإنه مع هذه كلها تحدى الله به الثقيلين جميعاً - إنسهم وجنهم - وأعجزهم أن يأتوا بمثل القرآن.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

يقول الإمام المفسر ابن جرير الطبري لما ذكر أن التوراة والإنجيل والزيور أنزلت ببعض المعاني التي نزل بها القرآن قال: «لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق»^(١).

والقول بأن الإعجاز خاص بالقرآن الكريم هو ما قرره أبو بكر

(١) جامع البيان (١/ ٨٥).

الباقلاني^(١) في كتابيه: «إعجاز القرآن» و«تمهيد الأوائل»، وستأتي الإشارة إلى ذلك قريباً، ونسب ابن كثير القول به لكثير من العلماء^(٢).

ونص عليه القاضي البيضاوي في تفسيره^(٣)، وإليه يشير كلام شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤).

وإنما لم تكن الكتب السابقة معجزة لما يلي:

أولاً: أنه لم يقع التحدي بها، فلم يرد أن موسى - عليه الصلاة والسلام - تحدى بالتوراة - وهي أعظم الكتب بعد القرآن - قوم فرعون كما تحداهم بالمعجزات الأخرى، ومما يؤكد هذا أن التوراة لم تنزل عليه إلا بعد إهلاك فرعون وقومه، ونجاة بني إسرائيل منهم، حينما واعده الله تعالى، واستخلف موسى على قومه أخاه هارون عليهما جميعاً صلوات الله وتسليمه.

قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِائَةِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٤) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري المالكي، المتكلم الأصولي، اشتهر بالرد على الرافضة والجهمية والمعتزلة، من مؤلفاته: الانتصار، وشرح اللمع، والتقريب والإرشاد. توفي سنة (٤٠٣هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، وترتيب المدارك (٥٨٥/٤)، ووفيات الأعيان (٢٦٩/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٠١/١) ط. دار طيبة، وسيأتي كلامه قريباً.

(٣) أنوار التنزيل (ص ٦٢٩)، ونص على ذلك أيضاً الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان (٢٤٥/٢) قال عن القرآن: «وإنه من حيث الإعجاز حجة النبي ﷺ المبعوث به، وتلك الكتب لم تكن معجزة، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء، بل كانت دعوتهم، والحجج غيرها».

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٧٨/٤ - ٧٩)، ومجموع الفتاوى (٤٥/١٧).

أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ... ﴿ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاكِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَمِينَهُ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَخْسِنَ سَآوِرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٢ - ١٤٥]. ويزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤٦﴾ [القصص: ٤٣]، وهذه الآية صريحة في أن موسى ﷺ لم تنزل عليه التوراة وهي «الكتاب» إلا بعد إغراق فرعون وقومه، فهي إذاً نزلت على قوم موافقين لا معاندين^(١)، والإنجيل كذلك لم يقع به التحدي، وإنما جاء مكملًا للتوراة.

ومما يشير إلى أن الكتب الإلهية لم يقع الإعجاز والتحدي بها مثل القرآن الكريم أن الله تعالى ذكر في كتابه قصص الأنبياء مع أقوامهم، ومحاورتهم لهم، وما أيدوا به من الآيات، وأفاض القرآن في ذكرها، مثل قصة نوح وموسى - عليهما الصلاة والسلام - ولم يرد في موضع واحد أنهم حاجوا أقوامهم بكتبهم المنزلة، وتحذوهم وأعجزوهم عن الإتيان بمثلها.

أما القرآن الكريم فقد ذكر التحدي به أكثر من مرة، حتى في السور المدنية كسورة البقرة.

ثانياً: قوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٠٠٧/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٨/٦). وجزم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات (ص ١٥٧) أن التوراة لم تنزل على موسى إلا بعد إهلاك فرعون وقومه، واستدل بالآيات المذكورة.

أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١).

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي ﷺ غاير معجزته عن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخص معجزته بكونها وحياً أوحى إليه - وهو القرآن - وقد أنزل على طائفة من الأنبياء كتب مثل النبي ﷺ، ولم يكن لها خاصية الإعجاز كما يلحح إليه الحديث، فعلم أن الإعجاز والتحدي إنما هو من خصائص القرآن الكريم.

يقول ابن كثير معلقاً على هذا الحديث:

«وقوله: «وإنما كان الذي أوتيته وحياً» أي: الذي اختصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء»^(٢).

ثالثاً: أن القرآن الكريم وصف بصفات متعددة، منها الإعجاز والتحدي، وهذا الوصف ضمنى من خلال آيات التحدي الواردة في القرآن الكريم، وهذا الوصف لم يرد للكتب السابقة، مع وصفها بصفات متعددة تقدمت الإشارة إليها، واشترك القرآن معها في صفاتها، وانفرد به عنها بوصف الإعجاز.

رابعاً: أن اللسان الذي نزل به القرآن الكريم هو اللسان العربي المبين، ويتأتى فيه من وجوه الفصاحة والبلاغة ما يصل إلى حد الإعجاز، بخلاف الألسنة الأخرى^(٣)، وسيأتي مزيد كلام عن فصاحة اللسان العربي.

(١) تقدم الحديث (ص ٢٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٠١/١) ط. دار طيبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾ [البقرة: ٢٣].

(٣) انظر فيما سبق من الأوجه: تمهيد الأوائل (ص ١٨٠)، وإعجاز القرآن للباقلاني (١/٥٤ - ٥٦) «بحاشية الإتيان للسيوطي»، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٠).

ومما يؤكد اختصاص القرآن الكريم بالإعجاز أن بعض وجوه الإعجاز التي يذكرها العلماء لا يمكن تطبيقها على الكتب السابقة كما سترى، فالقرآن مشتمل على وجوه من الإعجاز لا توجد في غيره من الكتب.

وتأكيداً لما سبق فإن المراد بالإعجاز المنفي عن الكتب السابقة كونها نزلت لتحدي وإفحام من أنزلت إليهم من المكذبين لرسلم، وأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أيدوا بتلك الكتب الألوية المنزلة عليهم تماماً كما أيدوا بالمعجزات الأخرى، وأنهم قالوا لأقوامهم ومكذبيهم كما قال النبي ﷺ لقومه: إيتوني بقرآن مثل هذا، وأن هؤلاء الرسل اكتفوا بكتبهم المنزلة حجة على أقوامهم كما اكتفى نبينا ﷺ بالقرآن حجة على قومه، وحينما طلبوا منه أن يدعو ربه بإنزال الآيات كما أنزلت على الأولين أجاب الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥١). [العنكبوت: ٥١].

وأن موسى ﷺ حاج فرعون واستدل على صدق نبوته ورسالته بالتوراة، وتلاها عليه، كما حاجه بعصاه ويده ونحو ذلك، وأن عيسى ﷺ حاج بني إسرائيل واستدل على صدق نبوته ورسالته بالإنجيل وتلاه عليهم وقال لهم: إيتوني بمثله، كما حاجهم بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ونحو ذلك.

فإن هذا كله مما ينفية العلماء، ويجعلون التحدي وإفحام المعارضين مختصاً بالقرآن الكريم وحده دون الكتب السابقة، فإن النبي ﷺ تحدى به قريشاً والعرب جميعاً، وقال لهم: إيتوا بمثله، أو عشر سور منه، أو سورة واحدة، تماماً كما قال صالح ﷺ لقومه: إيتوا بناقاة مثل الناقاة التي خرجت عليكم من الصخرة، وكما قال موسى

لقومه: افعلوا فعلي مع العصا، وكما قال عيسى لقومه: أبرئوا الأكمه والأبرص وأحيوا الموتى كما أفعل بإذن الله، لكنَّ قريشاً عجزت وانقطعت كما انقطع أولئك.

وبهذا تعرف أن ما قرره العلماء من نفي الإعجاز عن الكتب السابقة بهذا المعنى لا محيد عنه، وأن اختصاص القرآن وحده بذلك يدل على اشتماله على خصائص ومزايا لا توجد في غيره من الكتب الإلهية.

أوجه إعجاز القرآن الكريم:

اجتهد العلماء في تحديد الأمر الذي أعجز الثقلين عن الإتيان بمثل القرآن، وتباينت أراؤهم في ذلك، فبينما يحصره بعض العلماء في أمر ووجه واحد، يزيد بعضهم في أوجه إعجاز القرآن، ومنهم من يرى أن لا نهاية لأوجه إعجازه^(١).

والحق أن كل ما ذكره العلماء من أوجه الإعجاز، وصدق عليه وصف الإعجاز، فإنه يُعدُّ من وجوه إعجاز القرآن؛ لأن العالم قد يتنبه إلى ما لا يتنبه له غيره، وبحسب براعة العالم في فن من الفنون يستطيع استنباط أوجه غفل عنها غيره، ولذا يصعب حصر الأوجه وتحديدها بحدٍ معين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر بعض أوجه إعجاز القرآن: «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك [يقصد ما ذكره من وجوه الإعجاز] بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»^(٢).

(١) انظر: معترك الأقران (٥/١)، ومباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مسلم (ص ١٢١).

(٢) الجواب الصحيح (٧٥/٤)، ونبه إلى أن أضعف الأقوال قول من قال بالصرفة، وقد اشتد تكبير العلماء على هذا القول!

ويقول الزركشي بعد أن ذكر أحد عشر قولاً في تحديد وجه الإعجاز في القرآن: «الثاني عشر: وهو قول أهل التحقيق أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع كَلَّه فلا معنى لنسبته إلى واحدٍ منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق»^(١)، ثم عدد بعض الأوجه.

وعند تأمل الأوجه التي يذكرها العلماء يظهر للمتأمل تداخل بعضها، ولذا حاول بعض العلماء حصرها في أوجه محدودة^(٢).

ولأن هذا المبحث معقود لبيان الأوجه والخصائص التي امتاز بها القرآن عن غيره من الكتب المنزلة، فسوف أذكر من وجوه إعجاز القرآن ما نص العلماء على أنه من وجوه إعجازه، ونصوا على تميز القرآن به عن غيره من الكتب.

وبناءً على هذا فقد يوجد من وجوه الإعجاز - مما لم أذكره - ما هو أظهر من بعض ما سأذكره.

ومن هذه الأوجه:

الأول: أن الإعجاز والتحدي بالقرآن الكريم باقٍ إلى قيام الساعة، فمعجزة القرآن كتب لها الخلود والبقاء، وليس التحدي والإعجاز خاصاً بالمعاصرين لنزوله، وإنما هو عام للثقلين، من عاصر منهم نزوله، ومن أتى بعدهم إلى قيام الساعة، وإذا عجز أهل الفصاحة والبلاغة والبيان عن معارضته وقت نزوله، فغيرهم ممن هو دونهم بمراحل أولى وأولى. ولعل هذا هو السرُّ في بقاء الإعجاز والتحدي بالقرآن الكريم حيث جاء بأفصح لغة، وكانت وقت نزوله في أوج عزها، وأزهى عصورها،

(١) البرهان (٢/٢٣٧).

(٢) انظر: مباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مسلم (ص ١٢١).

وتحدى الله به أفصح العرب وهم قريش، فعجزوا فغيرهم أولى بالعجز، ومن مظاهر بقاء هذه المعجزة سلامتها من التحريف والتبديل، فهي باقية كما أنزلت لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها^(١).

الثاني: مجيء القرآن الكريم بهذا الأسلوب الفريد، والنظم العجيب، والتأليف المتناسق على أرقى أنواع البلاغة، مع مغايسته لما ألفه العرب مما يطربون له كالشعر والسجع ونحوهما، حتى حاروا فيه وبهتوا أمامه، يقول القرطبي في تعديد أوجه تفضيل الله تعالى القرآن على الكتب المنزلة: «والثالث: أن جعل نظمه وأسلوبه معجزاً، وإن كان الإعجاز في سائر كتب الله من حيث الإخبار عن المغيبات، والإعلام بالأحكام المبينات، وسنن الله المشروعات وغير ذلك، وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود»^(٢).

ويقول ابن جرير الطبري عن نظم القرآن:

«ومن أشرف تلك المعاني التي فَضِّلَ بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمه العجيب، ووصفه الغريب، وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت قصوراً عن أن تأتي بمثله أفهام الفهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم، والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمر وزجر، وقصص، وجدل، ومُثُل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء»^(٣).

(١) انظر في هذا الوجه: الشفا للقاضي عياض (٣٨٨/١)، ومعترك الأقران (٢٢/١)،

ومنحة القريب المجيب (ص ١٨١، ١٩٣)، ومناهل العرفان (٢٣٢/٢ - ٢٣٤).

(٢) التذكار (ص ٤٣). وانظر: الشفا (٣٥٨/١)، ومعترك الأقران (٢٣/١).

(٣) جامع البيان (٨٥/١).

والكلام في هذا الوجه يطول، فقد أفردت فيه مؤلفات، وحصر بعض العلماء الإعجاز والتحدي فيه^(١).

الثالث: إحتواؤه لما جاءت به الرسل جميعاً وزيادة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ولذلك استغنى القرآن الكريم عن الكتب السابقة، ولم تستغن هي عنه، ولما استغنى عنها استغنت به الأمة عن كتاب آخر غيره، كما استغنت برسولها ﷺ عن الأنبياء غيره^(٢).

الرابع: ومن وجوه إعجاز القرآن أن الله تعالى يسر حفظه لمن أراد ذلك وسهله، وهذا مما اختص به القرآن عن الكتب السابقة^(٣). وسيأتي تخصيص مطلب لهذا الوجه إن شاء الله تعالى.

الخامس: أن القرآن لا يكل قارئه، ولا يمل سامعه، فتلتذ الأنفس لسماعه، وتشغف له القلوب، فلا يزداد بتلاوته إلا حلاوة، ولا يزداد التالي له إلا محبة، ولا يزال غصاً طرياً كما أنزل، وهذه الخاصية فيه ولو لم يرتل بخلاف غيره من الكتب، ولذلك أحدث لها أهلها اللحن؛ لينشطوا لقراءتها بتلك اللحن المحدث^(٤).

هذه بعض أوجه إعجاز القرآن، والوجه الأول والثاني أظهرها وأقواها في الإعجاز، فإن مجيء القرآن الكريم بهذا الأسلوب الفريد، والنظم العجيب مما لم تعهد العرب مثله في كلامها ومخاطباتها، بحيث

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣٨/١).

(٢) انظر عن هذا: الشفا (٣٩٠/١)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٥/١٧) - (٤٦)، والبرهان (٢٣٧/٢).

(٣) انظر: أعلام النبوة (ص ٦٩)، والشفا (٣٩٤/١)، ومعتك الأقران (١٨٥/١).

(٤) انظر: أعلام النبوة (ص ٦٥)، والشفا (٣٨٩/١)، والبرهان (٢٣٦/٢)، ومعتك الأقران (١٨٤/١).

عجزت عن الإتيان بمثله، ويقاؤه هذه القرون المتطاولة كما هو يوم أنزل لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل، ولم يقدر أحد على معارضته هو في حد ذاته من أعظم الإعجاز.

وفي اختصاص القرآن بوصف الإعجاز من بين الكتب المنزلة كلها ما يدل على فضله وعلو قدره.

ومن فضل هذه المعجزة العظيمة وشرفها أن كثر المهتدون بسببها، فإن من مقاصد إنزال المعجزات وتأييد الرسل بها أن يهتدي الناس ويذعنوا للحق ويسلموا له، ولما كانت معجزة النبي ﷺ مختصة من بين معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بكونها حياً كان المهتدي بها أكثر؛ لأن بالوحي حياة القلوب، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»، ولذلك لا يحصى كم أسلم بسبب القرآن العظيم من أقوام في القديم والحديث.

المطلب الرابع

شموليته

ومن فضائل القرآن ومزاياه التي امتاز بها على الكتب السابقة اتصافه بالشمولية والعموم في جوانب عديدة، ومنها:

الجانب الأول وهو أهم الجوانب وأعظمها: شمولية رسالته، وعموم دعوته للثقلين إنساً وجنباً على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وتفاوت طبقاتهم، وتباعد أزمانهم، وتفرق أقالميهم وبلدانهم، فالقرآن كتاب عالمي لأهل الأرض كلهم، والإيمان به واجب على جميع الناس، كما هو الشأن في رسالة النبي ﷺ وعموميتها.

وقد تكاثرت الأدلة القرآنية المقررة لعالمية القرآن الكريم، وهي بذلك ترد على اليهود والنصارى في زعمهم تخصيص الرسالة المحمدية

بالأمة العربية؛ لأن القرآن الكريم بزعمهم نزل بلسان العرب، فهو خاص بهم دون سواهم.

ومن الأدلة على شمولية رسالة القرآن وعالمية دعوته للناس كلهم ما يأتي:

أولاً: ألفاظ العموم في القرآن الكريم، وهي كثيرة جداً سواء عند الأمر بالإيمان به، أو بيان أنه نزل للناس كلهم ومن الآيات في ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَتَذْكُرَ بِهِ وَمَنُ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، والمعنى: ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة^(١).

وجاء في آيات أخرى بيان أن القرآن منزل للعالمين جميعاً وهذا اللفظ يشمل الجن والإنس:

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِي هَدَىٰ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ أَفَتَدِّقُ قُلُوبَهُمْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [٨٧] وَلَعَلَّكَ نَبَأُ بَعْدِ حِينٍ [ص: ٨٨، ٨٧].

ولفظ العالمين في «هذه الآيات عام للإنس والجن ممن عاصر الرسول ﷺ أو جاء بعده»^(٢).

ومن الألفاظ في القرآن الكريم الدالة على عموم دعوة القرآن، وشمولية رسالته لفظ «الناس»، يرد هذا اللفظ في القرآن كثيراً، ويأتي

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/١٣٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/٤٨٠).

معرفاً بالألف واللام التي تفيد استغراق الجنس، حيث يعم الناس كلهم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن الألفاظ المفيدة لعموم القرآن الكريم وشموليته ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ لِّيُنذَرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]، وهذا اللفظ «حيًّا» لفظ عام يشمل كل حي مكلف مهما كان جنسه أو لسانه أو لونه، وفي أي مكان أو زمان عاش هذا

ولم يأت في آية من الآيات تخصيص العرب بالخطاب، بل غاية ما في القرآن الكريم الإخبار بأنه نزل بلسان عربي^(١).

فالقرآن الكريم يتعدى في دعوته وخطابه «الحدود»، ويتجاوز الفوارق المميزة بين الناس حين ينادي المكلفين الذين اتخذهم القرآن له مخاطبين، فيناديهم بتلك التراكيب، والتعبيرات العالمية الواسعة الدلالات والمفاهيم على الرغم من ضيق الدائرة البشرية التي نزل القرآن فيها، فيأتي الخطاب بألفاظ عامة مثل: «يا أيها الذين آمنوا»، «يا أيها الناس»، «يا بني آدم»، «يا أيها الكافرون» مما يعم كل فرد من غير فرق، ومن المستطاع تخصيص تلك الدائرة الضيقة بالنداء، وهو المتبادر

(١) انظر: في جواب شبهة عربية القرآن: الجواب الصحيح (١/١٩٤)، والشرائع السابقة (ص ١٧٩ - ١٨٥).

المألوف للخطابات البشرية التي تقع في قطاع خاص، أو بين جماعة خاصة^(١).

ثانياً: أن القرآن الكريم خاطب أهل الكتاب، وأوجب عليهم الإيمان بدعوته، وتهدهم وتوعدهم إن هم كفروا به مع كونهم قد خُصُوا بالكتب، وأنزلت إليهم التوراة والإنجيل والزيور، ويدل هذا على أن دخول غيرهم ممن لم ينزل عليهم كتاب أولى وأولى. ومن الآيات التي خاطبت أهل الكتاب للإيمان بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارَهَا ءَأَنْ لَّنَا أَعْيُنٌ لَّا نَسْبُتُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۖ﴾ [النساء: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوْنَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۖ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اذْكُرُوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ اَلَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِوَعْدِىْ اَوْ اَنْتُمْ تَكُوْنُوْنَ ۚ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١].

وتأمل!! كيف جمعت هذه الآيات الكريمة بين الترغيب والترهيب في دعوة أهل الكتاب للإيمان بالقرآن المنزل؟

فالترغيب يشمل ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات، وامتن به على بني إسرائيل من النعم العظيمة، ومن واجب شكرهم لهذه النعم الإيمان بما أنزله الله تعالى على أنبيائه جميعاً من غير تفريق.

(١) عالمية القرآن. مقال للدكتور محمد خليل جبيجك في مجلة البيان عدد (١٥٥).

رجب ١٤٢١ (ص ٢١) بتصرف يسير.

ومن الترغيب ما ذكره الله تعالى من أن هذا القرآن الذي أمروا بالإيمان به مصدق لما جاءت به أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن ذلك أن النبي الذي أمروا بالإيمان به جاء بالعفو الكثير عن ظلمهم وبغيهم، والكتاب الذي أنزله عليه فيه الهدى والنور والبيان، فكأن القرآن يخاطب اليهود والنصارى ويقول: لماذا هذا التأخر والصدود والإعراض عن هذا النبي المرسل إليكم، والكتاب المنزل عليكم، مع أنهما لم يأتيا إلا بالخير والصدق والفلاح، وما فيه سعادتكُم في الدنيا والآخرة؟!

ومن التهريب الوارد في الآيات السابقة، ما جاء فيها من توعّد أهل الكتاب إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم بطمس الوجوه وردّها على أدبارها، والمراد بذلك: ألا يبقى في وجوههم سمع ولا بصر ولا أثر، وتُرد مع ذلك إلى ناحية الأدبار^(١).

وهذه العقوبة شديدة شنيعة! ولم يكتف الله تعالى بها، وإنما توعدهم بالللعن كما لعن أصحاب السبت ومسّخهم قردة وخنازير، ولعن أصحاب السبت ومسّخهم مما لا ينكره أحد من أهل الكتاب، ولا يزالون إلى الآن يعظمون هذا اليوم بسبب ما حصل لأسلافهم.

وقد دعا هذا الوعيد الشديد، والتهديد الفظيع أحد رؤساء اليهود وأحبارهم الكبار إلى الإسلام.

فقد دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب الأحبار^(٢) إلى الإسلام فأبى،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٨٥).

(٢) هو أبو إسحاق كعب بن ماته الحميري اليماني، العلامة الحبر، جالس الصحابة، وكان يحدث من الكتب الإسرائيلية، سكن الشام وتوفي بحمص سنة (٣٢ أو ٣٤هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٤٨٩)، وتهذيب التهذيب (٣/٤٧١).

ثم مر بعد ذلك برجل يقرأ هذه الآية: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ الآية.

فقال كعب: «يا رب آمنت، يا رب أسلمت». وفي رواية أخرى عنه قال: «فبادرت الماء فاغتسلت، وإنني لأمسح وجهي مخافة أن أطمس، ثم أسلمت»^(١).

ثالثاً: ما جاء في القرآن من أمر الناس ودعوتهم للإيمان بالرسول ﷺ، ودعوة أهل الكتاب خاصة إلى ذلك.

وقد تقدم التلازم بين الإيمان بالنبي ﷺ والإيمان بالقرآن، وأن الأمر بالإيمان بالرسول ﷺ هو أمر بطريق اللزوم بالإيمان بالكتاب المنزل عليه.

ومن الآيات التي دعت أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسول ﷺ:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مَدَّ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلُمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَمُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِعَمِيرٍ بِالْعَبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصَرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرها:

«لم يبعث الله ﷺ نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦). وانظر: جامع البيان (٥/ ١٢٤).

لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه»^(١).

وقد أكد النبي ﷺ وجوب إيمان أهل الكتاب، وأن من لم يؤمن برسالته منهم فهو من أهل النار، فقال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٢).

علق النووي على هذا الحديث بقوله:

«وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم»^(٣).

وجاء في القرآن الكريم الإشارة إلى إيمان أهل الكتاب بالرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِنَّا قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، ولشلا يُظن أن دعوة هذا النبي الأمي ﷺ خاصة بهؤلاء فقط، أكد الله تعالى عموم رسالته للناس جميعاً بعد هذه الآية مباشرة فقال:

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

(١) جامع البيان (٣/٣٣٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/١٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرحه على مسلم (٢/١٨٨).

وانظر: في عالمية الرسالة المحمدية كتاب رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم (ص ١٢٩ - ١٤٤).

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الجانب الثاني:

حوى القرآن الكريم على ما في الكتب السابقة جميعاً، وزاد عليها، فهو أعظمها وأشملها، وقد جاء في الحديث المتقدم: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»^(١).

وجاء عن بعض السلف أن علوم الكتب المنزلة أودعت أربعة كتب: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وأودعت علوم الثلاثة في الفرقان^(٢).

وهذا من هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة - كما سيأتي - ولو لم يحو القرآن الكريم محاسن الكتب السابقة لما كان ناسخاً لها؛ لأنه حينئذ يكون مثلها فلا فائدة من نسخه لها^(٣).

الجانب الثالث:

احتواؤه واشتماله على علوم كثيرة جداً يصعب حصرها، حتى صار عمدة لأهل العلوم يُوثَّقون به علومهم، ويستدلون لها بالقرآن الكريم، وليس القرآن مقتصرأ على الوعظ والتذكير فقط، فيستطيع العالم استنباط علوم كثيرة منه، مع تحريض القرآن الكريم في ذلك كله على ارتباط المسلم بربه.

ومن العلوم التي أكثر القرآن الكريم من تقريرها علم العقائد أو علم

(١) تقدم (ص ٢٩٥).

(٢) انظر: الدر المنثور (٥/١).

(٣) الشرائع السابقة (ص ٢١٠).

أصول الدين، وهو أفضل العلوم وأعظمها، وقد اشتمل القرآن الكريم على بيانه بياناً شافياً دون لبس أو غموض، مع الاستدلال عليه بالأدلة المتنوعة، اليسيرة الفهم، بعيداً عن تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين، فقرر الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وقرر أمور المعاد والبعث والنشور.

كما اشتمل القرآن على بيان العلوم الدينية الفرعية، ويعد القرآن الأصل الأول عند الفقهاء في استنباط الأحكام والاستدلال عليها، كما اشتمل على علوم أخرى كثيرة يطول المقام بذكرها، وقد استطرده السيوطي في ذكرها في كتابه «معترك الأقران في إعجاز القرآن»^(١).

«ولا يعرف التاريخ كله كتاباً درسه الدارسون، وألف في علومه المؤلفون، وصنف فيه المصنفون، مثل القرآن الكريم، فهذا أمر خاص بالقرآن الكريم لا يشترك معه فيه كتاب لا من قبله ولا من بعده»^(٢).

ويقرر هذه الحقيقة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ يقول: «إذا أردتم العلم فاثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين»^(٣)، ويقول مسروق بن الأجدع^(٤) رحمه الله تعالى: «ما يُسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه»^(٥)، ويوضح هذا القاضي عياض فيذكر أن القرآن الكريم «جمع علوماً ومعارف لم تعهد

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥ - ٢٢).

(٢) خصائص القرآن الكريم (ص ٧٢).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٧٦/١).

(٤) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي، الفقيه العابد، رأى الخلفاء الراشدين الأربعة. قال الشعبي: «ما رأيت أحداً كان أطلب للعلم منه»، توفي سنة (٦٣هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٤٩)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٥٩).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٧٦/١).

العربُ عامة، ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة بمعرفتها، ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فُجِّعَ فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج العقلية، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية، وأدلة بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون^(١) بعدُ أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها... إلى أن قال: فَجُمِعَ فيه مع وجازة ألفاظه، وجوامع كلمه أضعافُ ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات^(٢).

وما قرره القاضي عياض في آخر كلامه من عجيب أمر القرآن الكريم، فيستطيع العالم استنباط مسائل كثيرة من آية قصيرة^(٣).

وكل ما تقدم ذكره تصديق لقوله تعالى: ﴿وَزَكَّا عَلَيْنَا أَلْكِتَبَ تَيْنَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي أَلْكِتَبِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]^(٤).

ولم تكن التوراة والإنجيل والزبور بهذه الصفة، فقد كانت التوراة مواعظَ وأحكاماً، والإنجيل تمجيداً ومحامداً، ومواعظَ وأمثالاً، وحثاً على العفو والصفح والإعراض، وكانت الزبور تذكيراً ومواعظ^(٥).

(١) المتحذلق من يظهر الحذق، ويدعي أكثر مما عنده، القاموس المحيط (ص ١١٢٨) «حذلق».

(٢) الشفا (١/ ٣٩٠ - ٣٩٤). وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/ ٤٥)، وإظهار الحق (٢/ ٩٥)، ومنحة القريب المجيب (ص ١٨٧).

(٣) انظر: معترك الأقران (١/ ١٩).

(٤) هذا أحد التفسيرين «للكتاب» أنه القرآن، والتفسير الآخر أنه اللوح المحفوظ، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٤١٧)، وفتح القدير (٢/ ١١٤).

(٥) انظر: جامع البيان (١/ ٣١، ٨٥)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٩)، وفتح الباري (٦/ ٤٥٥).

الجانب الرابع:

شمولية القرآن الكريم في الإصلاح والتربية، ووفاءه بحاجات البشر جميعاً، فقد اهتم القرآن بإصلاح فئات المجتمع كلها، فلم يهتم بإصلاح الفرد ويهمل الجماعة، أو يخاطب الرجال ويهمل النساء، وإنما جاء بإصلاح الجميع رجال ونساء، كبار وصغار، أفراد وجماعات، فاهتم بإصلاح الفرد من حيث علاقته بربه، وعلاقته بالمجتمع، وإرشاده إلى ما يصلح به دنياه وآخره.

ونظم حياة الأسرة من الزواج إلى الطلاق، أو الفراق بالوفاة وما يتبع ذلك من أحكام الإرث، ونظم حياة المجتمع: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

ومما يلاحظ هنا أن الإصلاح لم يقتصر على المجتمع الأول الذين نزل القرآن في وقتهم، وإنما شمل ذلك المجتمع والمجتمعات المتعاقبة التي أتت بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم يختص الإصلاح بالعرب الذين نزل القرآن بلسانهم، بل شمل جميع الأمم على اختلاف ألسنتها، وأجناسها، وأقطارها، واختلاف أفكارها وثقافتها^(١).

وقد يرد إشكالٌ على هذا الجانب والذي قبله، فقد جاء وصف التوراة بأن فيها تفصيلاً لكل شيء في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبُيَاءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الاعراف: ١٤٥]، والجواب عن هذا الإشكال: أن المراد بقوله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: يحتاجه بنو إسرائيل، فالتوراة منزلة إليهم دون غيرهم من الأمم، وبعثة موسى ﷺ خاصة بهم، وهذا بخلاف القرآن فقد جاء عاماً للناس كلهم، فجاء وافياً بحاجاتهم.

(١) انظر في هذا الجانب: مناهل العرفان (٢/٢٤٧)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص ٢٨٤ - ٢٨٩)، وخصائص القرآن الكريم (ص ٧٢).

يقول القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ «أي: لكل شيء أمروا به من الأحكام، فإنه لم يكن عندهم اجتهاد، وإنما خص بذلك أمة محمد ﷺ»^(١).

الجانب الخامس:

شمولية خطابه، فلم يترك القرآن الكريم للعلماء دون العامة، أو الكبار دون الصغار، أو الرجال دون النساء، وليست قراءته حكراً على أحد، وإنما يقرؤه العالم والعامي والكبير والصغير، والرجال والنساء على حد سواء، وكل يأخذ ويستقي منه بحسب ما آتاه الله من الفهم والعلم، ولذلك وصف القرآن بأنه لا يعلو على أفهام العامة، ولا يقصر عن أفهام الخاصة، فالعلماء يرونه أوفى الكلام، وأجمله وأقواه، مع شعورهم بأنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام، والعامة يرونه أحسن الكلام وأقربه إلى قلوبهم وأفهامهم، ويفهمون منه ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ﴾ [القمر: ١٧]، وقوله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، والقرآن قرأه العرب الأوائل المنزل في عصرهم، واهتدوا به وتلاحقت بعدهم أجيال وأجيال إلى وقتنا، ولا يزال الإقبال على تلاوته وقراءته، ولم يستعص على المتأخرين فهمه، أو يصعب عليهم تفسيره^(٢).

هذه بعض جوانب شمولية القرآن، ولم تقتصر الشمولية على شمولية العلوم، أو شمولية الإصلاح، وإنما جاءت في جوانب كثيرة، ولذلك نستطيع القول: إن القرآن شامل في شموليته.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٧١٧). وانظر: فتح القدير (٢/٢٤٤).

(٢) انظر في هذا الجانب: مناهل العرفان (٢/٢٠٩)، والنبأ العظيم (ص ١١٣)، وخصائص القرآن الكريم (ص ٣٤).

المطلب الخامس

نزوله بأشرف لغة على أشرف مُرْسَل لأشرف أمة

لم يكتسب القرآن الكريم الفضل والشرف ورفعة المنزلة على الكتب السابقة لأجل هذه الأمور الثلاثة، فالقرآن الكريم له شرف وقدر من دون هذا كله، فهو كلام الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿وَرِئَاءُكُمْ فِي الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وإنما المراد هنا أنه لشرف القرآن الكريم، وعلو منزلته عند الله اختار له - وهو العليم الحكيم - أفضل اللغات، وأنزله على أفضل الرسل وأفضل الأمم، فتخصيص القرآن الكريم بهذه الأمور المذكورة دليل على مزيد عناية الله تعالى به، وإلا فإن العلماء يستدلون على فضل الأمور المذكورة بالقرآن الكريم، فيستدلون على فضل اللغة العربية بنزول القرآن بلسانها، ويستدلون على تفضيل الرسول على الرسل - عليهم جميعاً صلوات الله وتسليمه - بتخصيصه بالقرآن من بينهم، ويستدلون على فضل الأمة المحمدية على الأمم بتشريفها بالقرآن الكريم كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

شرف اللغة العربية:

قال القرطبي في أوجه تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة:
«الأمر الثاني: أن جعله الله قرآناً عربياً مبيناً، وكل نبي قد بين لقومه بلسانه كما أخبر الله ﷺ، ولكن للسان العرب مزية في البيان»^(١).
ولأجل شرف اللغة العربية ومزيتها في البيان اختارها لأفضل كتبه، وأشرفها، ويظهر فضل العربية وشرفها من وجوه:

(١) التذكار (ص ٤٣).

الأول: أن الله تعالى وصف القرآن الكريم في أكثر من آية بأنه عربي، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وفي آيات أخر وصف الله تعالى القرآن بأنه عربي مبين، وجاء هذا الوصف في معرض الثناء على القرآن ومدحه، والرد على المشككين في صحته.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِيْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنُفِخُ فِي النُّفُوسِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

ومعنى ﴿عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ في الآيتين: واضح ظاهر على أفصح ما يكون من العربية^(١).

والوصف بالبيان هو أعلى وأجل ما يوصف به الكلام، فوصف اللغة العربية بهذا الوصف وتخصيصها به دون سائر اللغات يدل على قصورها عن اللسان العربي، وعدم بلوغها مبلغه في تمام البيان والإيضاح عن المرادات^(٢).

وقال تعالى مثنياً على القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٧٩٦/٥)، وتفسير القرآن العظيم (١٧٢/٦).

(٢) انظر: الصاحبى في فقه اللغة (ص ٤٣ - ٤٤)، والصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (ص ٢٣٥ - ٢٣٦).

والعوج المذكور في الآية عام يشمل أي عوج في القرآن سواء في ألفاظه أو في معانيه ومدلولاته، وقد نفى الله تعالى هذا العوج كله نفياً عاماً.

وفي هذا ثناء ضمنى على اللسان العربي الذي نزل به القرآن المستقيم الواضح الذي لا عوج فيه ولا اختلاف^(١).

الثاني: من شرف اللغة العربية وفضلها على غيرها اختصاصها بوجوب تعلمها من بين سائر اللغات، مما يدل على شرفها، ووجوب وجودها في كل قلب عبد مسلم.

وإنما كان تعلم العربية واجباً؛ لأنها من الدين، واللسان العربي هو شعار الإسلام وأهله، وفهم الكتاب والسنة واجب، ولا يمكن فهمهما إلا بفهم اللغة العربية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا الوجوب كفائي من حيث العموم إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقيين.

وقد يكون وجوب تعلم العربية عينياً على كل فرد فرد^(٢)، مثل: من وجبت عليه الصلاة، يجب عليه قراءة القرآن فيها، ولا تتم صلاته إلا بذلك، وقراءة القرآن بغير العربية لا تجوز مطلقاً، فمن لم يحسن قراءة القرآن وجب عليه أن يتعلم من العربية ما تقوم صلاته به^(٣).

الثالث: لشرف العربية ومنزلتها في الإسلام، حث السلف الصالح على تعلمها ورغبوا في ذلك، حتى قرنوا تعلمها مع التفقه في الدين، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية،

(١) انظر: الصعقة الغضبية (ص ٢٣٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٧)، والصعقة الغضبية (ص ٢٣٦).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٥٨ - ١٥٩).

وأعربوا القرآن فإنه عربي»^(١).

وقال أيضاً: «عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العبارة»^(٢).

والنصوص عن عمر وغيره في ذلك كثيرة^(٣).

ومن حث السلف على تعلم العربية، وترغيبهم في إتقانها أنهم جعلوا ذلك مما يزين الرجل ويجمله ويرفع من قدره بين الناس.

ولذلك قال بعضهم: «إذا أردت أن تعظم في عين من كنت عنده صغيراً، ويصغر في عينك من كان عندك كبيراً فتعلم العربية»^(٤).

وفي عصرنا الحاضر تغير الحال، وتبدلت المفاهيم؛ فأصبح إتقان لغة الأعاجم، وفهم رطانتهم مما يتجمل به بعض المسلمين، ويحوزون بسبب ذلك ما لا يحوزه غيرهم!!

وهذا نتيجة حتمية لما أصاب المسلمين من ضعف وهوان، وترفع أعدائهم عليهم، وريادتهم في كافة المجالات العلمية والاقتصادية والإعلامية؛ مما أدى إلى اعتزاز لغتهم، وهيمتها في الساحة العالمية.

ويوم أن كان المسلمون أقوياء أعزة ما إن يفتحوا بلداً حتى ينشروا العربية فيه، ويجعلوها لغة البلد السائدة، حتى يضطر من لا يعرفها إلى تعلمها، فانتشرت العربية في كثير من بلاد الأعاجم^(٥).

ومما تقدم يتبين أن تفضيل اللغة العربية على غيرها تفضيل شرعي، ونستفيد من ذلك فائدتين:

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٤٥٧/١٠).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٧٩/٢).

(٣) انظر بعضها في: الصعقة الغضبية (ص ٢٤٣ - ٢٦٠).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٥٠).

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٢٦/١).

١ - أن دافع المسلم في تفضيل اللغة العربية هو دينه وولائه لكتاب ربه، ومنطلقه في ذلك مقتضى الأدلة الشرعية، وعليه تفضيل اللغة العربية مما يدين به المسلمون كلهم عربهم وعجمهم.

وليس الدافع لهذا التفضيل التعصب للعرب، أو الانسياق لدعوات القوميين العرب المتعصبين للجنس العربي، فإن مذهبهم مذهب جاهلي مبني على تمجيد كل ما هو عربي بغض النظر عن الدين، ودون إقامة أي وزن لعقيدة العربي وفكره.

٢ - بهذا القول نقطع الطريق أمام المعترضين على من فضل اللغة العربية بناءً على النظر في خصائصها ومزاياها، وادعى هؤلاء المعترضون أن التفضيل على هذا الأساس قاصر؛ فكيف يفضل الشخص لغته التي يتقنها على أخرى يجهلها، ولو اطلع على ما في الأخرى من مزايا وأسرار لتغير رأيه، وربما دعاه ذلك إلى تفضيلها على لغته؟^(١).

ويقال لهؤلاء: إن تفضيل اللغة العربية شرعي قبل أن يكون شخصي وإذا ثبت أنه شرعي، فإن الشارع الحكيم لم يفضل العربية إلا لما فيها من خصائص وفضائل امتازت بها على غيرها، وإلا كان تفضيلاً بين أمرين بلا سبب، وترجيحاً بين متساويين بلا مرجح، وهذا من العبث الذي ينزه عنه الشارع الحكيم.

الرابع: لما ثبت شرف العربية وفضلها على غيرها، اجتهد العلماء في إبراز خصائصها ومميزاتها التي امتازت بها على غيرها من اللغات الأخرى.

ومما ذكره العلماء في ذلك ما يوجد في ألفاظ اللغة العربية من

(١) انظر: كتاب الدكتور عبد الرؤوف مخلوف «الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن» (ص ١٤٣ - ١٥٣).

السعة والكثرة بحيث لا يشاركها فيه لغة أخرى، حتى إن الناظم أو الناثر إذا لم يتمكن من وضع لفظ في مكانه المناسب تخير ألفاظاً كثيرة تشاكله وتؤدي معناه، ولا يجد في ذلك عناءً أو مشقة.

ومن الأمثلة على ذلك أن بعض المسميات يوجد لها أسماء كثيرة جداً مثل: السيف والأسد، يحمل كل واحدٍ من أسمائهما معنى ونعتاً لمسماه يختلف عن غيره.

ومع سعة اللغة العربية إلا أنها من أخصر اللغات وأجزها في إيصال المعاني، والدلالة عليها، وهذا غريب حقاً!!

والسبب في إيجازها واختصار هو سعتها؛ فليست اللغة العربية محصورة في ألفاظ معدودة، وأساليب محدودة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن لسان العرب:

«ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني جمعاً وفرقاً، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع، ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر».

ثم مثل لذلك بأن العرب تعبر عن الأشياء المشتركة بين جنس الحيوان باسم مشترك كأولاد الحيوان، ثم يميزون ولد كل نوع من أنواع الحيوان باسم خاص به يميزه عن غيره من الحيوانات، فيضعون اسماً لولد الفرس، واسماً لولد الناقة وهكذا، ومثل ذلك: أصوات الحيوان ومساكنه.

ثم قال: «إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا يستراب فيها»^(١).

ومما امتازت به اللغة العربية اشتمالها على ضروب مختلفة من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٤٧).

البلاغة مثل: الاستعارة، والتشبيه، والتقديم والتأخير ونحو ذلك، وقد حوى القرآن الكريم من ضروب البلاغة أرقاها، وأعلاها وأجملها، وأقواها في الدلالة على المراد، ومن ثم استحال ترجمته إلى لغة أخرى، لعجز غير اللغة العربية احتواء تلك الضروب المختلفة^(١).

شرف المرسل صلى الله عليه وسلم:

ذكر الله تعالى التفضيل بين الأنبياء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ويلاحظ في هاتين الآيتين ذكر ما يشعر بسبب التفضيل، وفي الآية الثانية ذكر تعالى تخصيص داود - عليه الصلاة والسلام - بإتيائه الزبور^(٢)، وقد أشار النبي ﷺ إلى ما يشعر بتفضيله على الأنبياء كلهم - صلى الله عليهم وسلم - بالوحي والقرآن، حيث قال في الحديث المتقدم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطني ما مثله آمن عليه البشر، وكان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(٣).

وقد ثبت فضل النبي ﷺ وشرفه على ولد آدم كلهم بمن فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا مما يجب اعتقاده لأن الله تعالى ذكر المفاضلة بين الأنبياء في الآيات السابقة.

(١) انظر في خصائص ومزايا العربية مما تقدم وغيره في: تأويل مشكل القرآن (ص ١٢ - ٢٢)، والصاحبي في فقه اللغة (ص ٤٤ - ٤٩)، وسر الفصاحة (ص ٤٩ - ٥٢).

والترجمة المستحيلة هنا هي الترجمة المعنوية، والمراد بها: التعبير عن معاني ألفاظ القرآن ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع المعاني والمقاصد. انظر: مناهل العرفان (٢/ ٣٩ - ٤٩).

(٢) الرسل والرسالات (ص ٢١٧ - ٢١٨). وانظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٦٩).

(٣) تقدم الحديث (ص ٢٩٢).

يقول النووي عند كلامه عن المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: «ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾»^(١).

وقد أجمعت الأمة على أن النبي محمد ﷺ أفضل الخلق قاطبة^(٢). وقد دل على هذا الإجماع النصوص الشرعية الكثيرة، ومنها: قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»^(٣).

وولد آدم لفظ عام يشمل الأنبياء وغيرهم ممن يدخل تحت هذا المسمى، وقوله في الحديث: «وأول من ينشق عنه القبر...» بيان لبعض خصائصه التي خصه الله تعالى بها دون سائر الأنبياء، وليست محصورة في هذا الحديث فقط، بل هي كثيرة جداً، وقد استوفى العلماء الحديث عنها^(٤)، وجعلوها من الأدلة على تفضيله على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومن أعظم خصائصه وفضائله على غيره إنزال القرآن العظيم عليه. وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة

(١) شرحه على مسلم (٣٨/١٥).

(٢) حكي الإجماع القاضي عياض في الشفا (١/٢١٥، ٣٠٦)، والحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٨٥/٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل (٤/١٧٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مثل القاضي عياض في الشفا في الباب الرابع (١/٣٤١)، والسيوطي في الخصائص الكبرى.

وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»^(٢).

وقد جاء في بعض الأحاديث النهي عن المفاضلة بين الأنبياء كما في حديث: «لا تخيروا بين الأنبياء»^(٣)، وفي حديث آخر: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»^(٤).

فظاهرها النهي عن التفضيل بين الأنبياء، وقد أجاب العلماء عنها؛ لأن النصوص من القرآن والسنة صريحة جداً في أن الأنبياء متفاضلون في منازلهم، متفاوتون في درجاتهم. ومن أجوبتهم عنها:

١ - أن التفضيل المنهي عنه هو الذي يؤدي إلى التنازع والخصام، وفي سبب الحديث المتقدم ما يدل على ذلك، فإن يهودياً قال: «والذي اصطفى موسى على البشر»، فسمعه أحد الصحابة فلطمه، وقال: «أي خبيث!! على محمد ﷺ؟»، فقال النبي ﷺ عند ذلك ما قال^(٥).

(١) انظر تخريجه (ص ٣٠٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب (٤٧/٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل (١٨٤٥/٤) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُؤْخَرْ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٢/٤ - ١٣٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل (١٨٤٣/٤ - ١٨٤٤) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هذه القصة وردت في حديث أبي هريرة المشار إليه في الحاشية السابقة.

- ٢ - أن النبي ﷺ قال ذلك من باب التواضع والتأدب مع الأنبياء .
- ٣ - أن التفضيل المنهي عنه هو الذي يكون بمجرد الهوى والتعصب .
- ٤ - أن التفضيل المنهي عنه هو الذي يؤدي إلى انتقاص الأنبياء والخط من قدرهم^(١) .

شرف الأمة :

وفضل الأمة المحمدية وشرفها أمر ثابت بالكتاب والسنة، وهو محل اتفاق بين المسلمين عامة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومعنى «وسطاً» عدولاً خياراً، ومن عدالة هذه الأمة أن جعلها الله تشهد على الناس كلهم، تشهد بأن الأنبياء والرسل بلغوا أمهم ما أمروا ببلاغه^(٢) .

وقال تعالى مبيناً خيرية هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»^(٣) .

«قال العلماء: معناه الآخرون في الزمان والوجود، السابقون

(١) انظر في هذه الأجوبة: الشفا (١/٣٠٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢/١٠٦٩)، وتفسير القرآن العظيم (١/٤٤٩)، وفتح الباري (٦/٤٥٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/٧ - ١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة (١/٢١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجمعة (٢/٥٨٥ - ٥٨٦) واللفظ له، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بالفضل ودخول الجنة»^(١).

وقال ﷺ: «ألا إنكم توفون يوم القيامة سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ﷻ»^(٢).

وتخصيص الأمة المحمدية بهذا الكتاب دليل على شرفها وفضلها ومكانتها، وقد قامت به حق القيام - في قرونها المفضلة - لا من حيث تلاوته وحفظه والعمل به، ولا من حيث العناية به وجمعه وحفظه من الضياع.

وإذا أردت معرفة قيام الأمة في عصورها الأولى بهذا الكتاب فقارن حالها بحال أهل الكتاب - خاصة اليهود - كيف أضاعوه؟ وقد أمروا بحفظه، ونكلوا عن أوامره، ولم تردعهم زواجه، بل عدوا على كتبهم فحرفوها وكتموها!!

لما أمر اليهود - ونبيهم ﷺ بين أظهرهم - بقبول التوراة المنزلة وما فيها من حلال وحرام، قالوا: لا، حتى ننظر ما فيها، فإن كانت الفرائض يسيرة قبلناها، فقليل لهم: اقبلوها، فأبوا، وراجعوا موسى عليه الصلاة والسلام في ذلك مراراً، فأمر الله تعالى حينئذ الجبل فارتفع في السماء بين رؤوسهم والسماء، وقيل لهم: إن لم تأخذوا ما في التوراة رميتم بهذا الجبل، فلما رأوا الجبل خروا سجداً، سجد كل واحد منهم

(١) شرح النووي على مسلم (١٤٣/٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران (٨/١٨٣)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢/١٤٣٣)، وأحمد في المسند (٣/٥) واللفظ له، والدارمي في سننه (٢/٧٦٩)، والحاكم في المستدرک (٤/٨٤)، وقال: «حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وقد أخرجه كلهم من حديث معاوية بن حيدة القشيري رحمه الله، وحسن الحديث الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٣/١٧٧٢).

على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل خشية أن يسقط عليه^(١).

ولما نزلت هذه الآية على الصحابة عليهم السلام ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، وهي قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] شقت عليهم مشقة عظيمة فأتوا رسول الله ﷺ، وبركوا على الركب وقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطبق، الصلاة والصيام، والجهد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا: «سمعنا وأطعنا غفرناك ربنا وإليك المصير» فقالوها، وألقى الله الإيمان في قلوبهم، ورحمهم وخفف عنهم ذلك بعد هذه الآية مباشرة في قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخر السورة [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]^(٢)، فانظر إلى تسليم الصحابة عليهم السلام لأمر الله، وكثرة مراجعة بني إسرائيل نبيهم، ورفضهم أخذ الكتاب حتى رأوا العذاب، وامتنال الصحابة عليهم السلام لأوامر القرآن ومسارعتهم إلى تنفيذها ولو خالفت أهواءهم ورغباتهم.

وبعد: فالأمر كله راجع لفضل الله، ورحمته وتوفيقه ﴿لَيْتَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

وقبل أن أختم هذا المطلب أسوق كلاماً للحافظ ابن كثير يتعلق به، ثم أعلق عليه.

يقول الحافظ: «فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على

(١) جامع البيان (٩/١٠٩)، والبداية والنهاية (١/٣١٨ - ٣١٩).

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فأكمل من كل الوجوه^(١).

ذكر ابن كثير اثنين مما تقدم الكلام عنهما، وهما شرف اللغة، وشرف المرسل، وزاد عما ذكر سابقاً، شرف السفير وهو جبريل عليه السلام وشرف الزمان والمكان.

أما شرف السفير فقد جاء في الأدلة أنه كان ينزل على الأنبياء قبل النبي - عليهم جميعاً صلوات الله وتسليمه - ففي حديث بدء الوحي بالنبي ﷺ قال ورقة بن نوفل^(٢) للنبي حينما أخبره خبر ما رأى، قال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى»^(٣)، وقد فُسر الناموس بأنه جبريل عليه الصلاة والسلام^(٤).

وأما شرف الزمان وهو شهر رمضان، فقد جاء ما يدل على أن صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل أنزلت في شهر رمضان.

فعن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، ذكره غير واحد في الصحابة، قال ابن حجر: «وفي إثبات الصحبة له نظر» وقد بشر بنبوة النبي ﷺ، ومات قبل أن يدعوه النبي ﷺ إلى الإسلام.

انظر: البداية والنهاية (٣/١٠ - ١٣)، والإصابة (١٠/٣٠٤).

(٣) صحيح البخاري، باب بدء الوحي (٣/١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، (١٤٢/١) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/٢٠٣)، وحكى الاتفاق على أنه جبريل عليه السلام، وفتح الباري (١/٢٦).

خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان^(١)».

وعلى هذا الحديث لا يكون في إنزال القرآن في خير الشهور خصوصية؛ لنزول الكتب قبله في هذا الشهر.

والظاهر أن ابن كثير أراد بيان وجوه الكمال في القرآن الكريم، لا أن جميع ما ذكره مما اختص به القرآن عما سواه، وقد علق هو على قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥].

بقوله: «يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء»^(٢)، ثم أورد الحديث المتقدم.

وأما شرف المكان وهو مكة المكرمة فهو حق، فإن مكة أفضل بقاع الأرض، والقرآن الكريم ابتدأ نزوله على النبي ﷺ فيها، والخلاف قائم في أيهما أفضل: مكة أم المدينة؟

والذي عليه جمهور العلماء أن مكة أفضل، والأدلة في تفضيلها

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وكذلك أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٥/٢)، والطبراني في الكبير (٧٥/٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٨/٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٩٧): «فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقي رجاله ثقات»، ثم أورد له شاهداً من حديث جابر بن عبد الله موقوفاً عليه، وقال: «فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف». وانظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥٣٣/١٠)، فقد ساق آثاراً عن السلف في ذلك، وقد حسن الألباني حديث واثلة في السلسلة الصحيحة (١٠٤/٤)، وقال عن القطان: فيه كلام يسير، وذكر له شاهداً من حديث ابن عباس مرفوعاً بنحوه.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٠٩/١).

على المدينة أصح وأصرح من أدلة تفضيل المدينة عليها^(١).
ومن أصرح الأدلة قوله ﷺ في مكة: «والله إنك لخير أرض الله،
وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»^(٢).

المطلب السادس

يسر شريعته

من حكمة الله تعالى في تشريعاته للخلق أنها تنزل لهدايتهم
وإصلاحهم وتربيتهم، فتأتي الشرائع ملائمة لمن أنزلت عليهم، وكانت
الشرائع السابقة - ممثلة في كتبها المنزلة - مختصة بأقوام معينين، فجاءت
تشريعاتها وأحكامها لهداية وإصلاح أولئك القوم بأعيانهم، فلم يكن لها
طابع العموم والعالمية، وإنما تختص بأفرادها في حقبة زمنية محدودة.

(١) انظر في هذه المسألة: التمهيد لابن عبد البر (٢/٢٨٨، ٦/٣١)، والشفأ (٢/٦٨١)، وشرح النووي على مسلم (٩/١٦٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/٣٦)، وفتح الباري (٣/٦٧).

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل مكة (٩/٤١٥ - ٤١٦) وهذا لفظه، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح»، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الحج، باب فضل مكة (٢/٤٧٩)، وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك، باب فضل مكة (٢/١٠٣٧)، وأحمد في المسند (٤/٣٠٥)، والدارمي في سننه (٢/٦٨٨)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٦/٩)، والحاكم في المستدرک (٣/٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، وقد رواه هؤلاء كلهم من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري رضي الله عنه.

وقد صححه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (٢/٢٨٨) (٦/٣٢) وقال: «إنه من أصح الآثار»، وأشار إلى صحته الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٢٢٥ - ٢٢٦)، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٦٧)، والألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٢/٨٣٢).

ولما كانت الأمم مختلفة في طباعها وما جبلها الله عليه من أخلاق، جاءت شرائعها المنزلة بما يناسب تلك الأخلاق والطباع لتقويمها وإصلاحها.

ومن ذلك أن الشريعة المنزلة على موسى ﷺ فيها الشدة والقسوة، لتناسب أخلاق بني إسرائيل وطباعهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في سبب شدة شريعة التوراة: «إن سبب ذلك أن بني إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت بقهر فرعون لهم، واستعباد فرعون وقومه لهم، فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم، ويزول عنهم ذلك الذل»^(١)، ولعل من أسباب ذلك - إضافة لما ذكره شيخ الإسلام - ما رُكب في طباع اليهود من العناد، ومحبة الخلاف والعصيان، فعوقبوا بالتشديد عليهم.

يسر الشريعة القرآنية:

من خصائص الشريعة القرآنية عمومها للثقلين جميعاً على اختلاف طباعهم وأخلاقهم، واختلاف مللهم ونحلهم، وأجناسهم وطبقاتهم، وأزمانهم وأماكنهم، فجاءت أقرب إلى اليسر والسماحة لتلائم هذه الفئات المختلفة من الناس، وكان لذلك أثره في إقبال الناس على الإسلام، وتمسكهم به، ومحافظتهم عليه، واعتبر في ذلك بقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَمَا رَحِمَ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ لَكُنْ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَعُكَ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعِظْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩].

فيسر التشريع منهج من مناهج الإصلاح التي اتبعها القرآن الكريم^(٢).

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٠). وانظر: عقيدة ختم النبوة (ص ٨٤).

(٢) خصائص القرآن الكريم (ص ٨٤).

مظاهر اليسر في الشريعة القرآنية:

وقد جاء في القرآن ما يقرر هذه الحقيقة، ويمكن إجمال يسر الشريعة القرآنية في الآتي:

أولاً: ما جاء في القرآن الكريم من نفي الحرج والمشقة عن الدين، وأنه لا حرج فيه، والإخبار بإرادة الله تعالى اليسر بالأمّة:

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، و«الحرج» في الآيتين بمعنى الضيق، وجاء منكرأ في سياق النفي ليعم أي حرج في الدين.

يقول ابن عطية: «وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ معناه: من تضيق يريد في شرعة الملة، وذلك أنها حنيفة سمحة ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم، بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما كثر عده»^(١).

ويقول ابن العربي تعليقاً على هذه الآية:

«وقد كانت الشدائد والعزائم في الأمم، فأعطى الله هذه الأمّة من المسامحة واللين ما لم يعط أحداً قبلها»^(٢).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُخَفِّلُوا آخِذَةً وَلِتُكَتِبُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي هذا النفي والإثبات ما يؤكد أن الحرج مرفوع عن هذه

(١) المحرر الوجيز (١١/٢٢١).

(٢) أحكام القرآن (٣/١٢٩٣).

الأمة، وهذا النفي وإن كان وارداً في آيات الصيام، فإنه عام في جميع أمور الدين^(١).

ثانياً: إظهار المنة على المؤمنين برفع الآصار والأغلال عنهم ، وقد كانت هذه الآصار والأغلال على الأمم قبل الأمة المحمدية .

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقد قال الله مجيباً هذا الدعاء: «قد فعلت»^(٢)، فرفع الإصر عن هذه الأمة.

وقال تعالى في إظهار المنة على المؤمنين بإرسال الرسول ﷺ
ليضع عنهم الإصر والأغلال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ذَلِكُمْ يَعِزُّوهُمْ وَلَهُمْ عِزٌّ بِمَا صَبَرُوا وَتَكْفُلُ بِهِمُ
الْمَلَكُوتُ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَاَلَّذِينَ
ذَلِكُمْ سَاءَ مَا يَكْفُرُونَ بِحُنَنِ اللَّهِ ذَلِكُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَبِآيَاتِهِ
وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ثالثاً: أن الله تعالى لم يكلف المسلم ما لا يستطيع وما لا يطيق،
ففعل من الأمور حسب استطاعته وقدرته:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ وقد قال الله مجيباً هذا الدعاء: «قد فعلت»، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

ومن هذا إباحة المحظورات في حال الضرورات، كما في قوله

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٨٤).

(٢) هو جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تقدمت الإشارة إليه (ص ٣٦٢).

تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].
ولما ذكر - تعالى وتقدس - بعض المطعومات المحرمة في سورة البقرة استثنى حال الضرورة، وبين ألا إثم على المضطر إلى تلك المطعومات، وأكد نفي الإثم عنه، بأنه تعالى غفور رحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومن هذا رفع الحرج والإثم عن ذوي الأعذار في قعودهم عن الجهاد. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧].
فالله تعالى رفع الحرج - والمراد به هنا: الإثم^(١) - عن أصحاب الأعذار التي لا يتمكنون بسببها من الخروج للجهاد وقاتل العدو.

ومن فضل الله تعالى وكرمه وجوده مع إسقاط الإثم والتبعة عنهم أن زادهم فجعل لهم أجراً كأجر الصحيح المعافى ممن خرج للجهاد، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال حين رجع من غزوة تبوك: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة»، قال: «وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر»^(٢).

(١) جامع البيان (٢١١/١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب (٨١) ولم يترجم له (٥/ ١٣٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومن ذلك - أيضاً - أن الله تعالى رفع الحرج عن المكروه على الكفر بالله، وحكم بإيمانه مع تلفظه بالكفر الصريح، وإذا رفع الحرج عن المكروه في قضية الإيمان والكفر، فرفع الحرج عن المكروه في غيرها أولى.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

رابعاً: ومن مظاهر التيسير في القرآن الكريم نسخ بعض الأحكام من الأشد إلى الأخف، وأكتفي من الأمثلة بمثالين فقط:

الأول: ما فرضه الله تعالى على المؤمنين أولاً من وجوب ثبات الواحد منهم في القتال أمام عشرة من المشركين فأقل، فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف إلى وجوب ثبات الواحد أمام اثنين فأقل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِزْبًا مِمَّنْ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ عَشْرُونَ صَبَرُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ مِنْهُنَّ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ يَكْفِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: ما فرضه الله تعالى على المؤمنين إذا أراد أحدهم مناجاة النبي ﷺ فعليه أن يقدم بين يدي مناجاته صدقة على الفقراء، تخفيفاً من الله تعالى على رسوله ﷺ لما كان يجده من المشقة من كثرة المناجاة، فشقت الآية على الصحابة فأنزل الله التخفيف، وأسقط عنهم الصدقة بين يدي المناجاة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَدَعُوا بَيْنَ يَدَيْ جُثُوبِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٧].

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
[المجادلة: ١٢، ١٣].

وتلاحظ في المثالين كيف يمتن الله تعالى على المؤمنين بهذا التخفيف؟! لما علمه من ضعفهم وعجزهم فتاب عليهم، ومن ثمرات التوبة عليهم هذا التخفيف، حيث أسقط عنهم الحكم كلية في المثال الثاني، وخفف عنهم إلى حد كبير في المثال الأول.

ولا يرد على هذا ما جاء في القرآن الكريم من نسخ بعض الأحكام من الأخف إلى الأثقل^(١)، فإن ما ورد من ذلك لا يراد منه التشديد والمشقة لذاتها، وإنما شرعت هذه الأحكام وفقاً للحكمة والمصلحة، ومن الحكم في هذا النسخ:

١ - أن المصلحة التي توجد في الحكم الأثقل «الناسخ» تفوق المشقة الموجودة فيه، فهي مغمورة في جانب المصلحة الكبيرة المترتبة على هذا الحكم.

٢ - أن الانتقال من حكم خفيف إلى حكم أشد منه هو من باب التدرج في التشريع والأخذ بأيدي الناس، ولو جاء الحكم الأثقل أولاً لنفر الناس منه، وقد يكون حاجزاً لهم عن قبول الحق، مثل تحريم الخمر، فلو نزل أول ما نزل النهي المطلق عن شربها لأعرض الناس، وقالوا: لا ندع شربها أبداً، لكن جاء تحريمها في القرآن متدرجاً حتى إذا وصل النهي إلى النهي المطلق عنها، قال الناس: انتهي انتهي^(٢).

(١) ومن أمثلته: نسخ الأمر بمسالة الكفار والعفو الصفح والكف عنهم بالأمر بجهادهم وقتالهم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

انظر: مناهل العرفان (١١٨/٢).

(٢) انظر في التدرج في تحريم الخمر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم (٣/١٧٠).

وبهذه الحكمة يصبح النسخ إلى الأثقل متفق تماماً مع يسر الشريعة وسماحتها.

٣ - أن المشقة الموجودة في الحكم الأثقل لا تصل إلى حد العنت والضيق، وليست كالأصار والأغلال التي فرضت على من سبق، وهي تتفق مع يسر الشريعة وسماحتها وعدلها^(١).

هذه بعض الأمور المجملة في يسر الشريعة القرآنية، ولو تتبعنا تفصيلاتها في القرآن الكريم لطال المقام جداً؛ لأن اليسر والسماحة سمة من سمات التشريع القرآني، سواء في الحلال والحرام، أو في الأخلاق والآداب.

توازن اليسر في الشريعة القرآنية:

لا يفهم من اليسر الذي جاء به القرآن الكريم أنه يفضي إلى التحلل من الأحكام، والانعقاد من التكاليف، وتتبع الرخص، والأخذ بالأقوال الشاذة، كما قد يتشبث به بعض الكسالى والمتهاونين؛ زاعمين أن الدين الإسلامي دين يسر وسهولة، فلا ينبغي التشديد على الناس!!

والصواب أن القرآن الكريم جاء بيسر معتدل، ولذلك جاء بالأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، ووضع الضوابط والقواعد في تعامل الإنسان مع ربه، وتعامله مع الناس، وإذا نظر المسلم بعين البصيرة إلى الأحكام التي قررها القرآن وجدها تناسب فطرة الإنسان، وتنسجم مع ما جبل عليه من الضعف والتقصير والخطأ، فليست آصاراً وأغلالاً لا يستطيع أدائها إلا بكلفة ومشقة،

(١) انظر في هذه الحكم وغيرها: الموافقات (١١٩/٢) وما بعدها، ومناهل العرفان (١١٩/٢ - ١٢٣)، ومباحث في علوم القرآن لمنع القطان (ص ٢٤٦)، والشرائع السابقة (ص ٢٠٤).

وليست في الشدة بحيث يؤدي الانشغال بأدائها إلى انصراف الإنسان عن حاجاته الضرورية وحوائجه الدنيوية، فالأحكام الشرعية فيها من اليسر والسهولة ما يستطيع المسلم أداءها دون أن تعكر عليه صفو حياته، والعمل بها كفيل بسعادته في دنياه وأخراه، فقد جاءت بمصالح الدنيا والآخرة.

ومن مظاهر التوازن في الشريعة القرآنية ما جاء فيها من الشدة والغلظة على الكفار والمنافقين، والأمر ببغضهم وعداوتهم وجهادهم، وما جاء فيها من الأمر بالرحمة واللين وخفض الجناح للمؤمنين والذل لهم^(١)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي الشريعة الإسلامية من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهد وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين أعظم مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال، ولذلك قال بعضهم: بُعث موسى بالجلال، وبُعث عيسى بالجمال، وبُعث محمد بالكمال»^(٢).

التشديد في الشرائع السابقة:

ولكي ندرك القيمة العظيمة لنعمة اليسر التي حباها الله تعالى هذه الأمة أسوق بعض النصوص الدالة على تشديد الله تعالى على الأمم السابقة؛ لكفرهم وظلمهم وطغيانهم، وعصيانهم أمر الله ورسله.

فقد جاء في القرآن الكريم ذكر جوانب من التشديدات على الأمم قبلنا خاصة اليهود.

ومن تأمل ما ذكره القرآن عنهم أدرك أن هذه الأمة كانت تعيش في ضيق وحرَج، وعنت مشقة، وجاء أيضاً بيان سبب التشديد عليهم، وأنه

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٠).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

وقع عليهم بسبب تجاوزاتهم الكثيرة، من الكفر بالله العظيم، وإيذاء أنبيائهم بالقول والفعل، وانتهاكهم لحدود الله.

قال الله تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذَهُمُ الزَّبْرُ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَيْرِ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ففي هاتين الآيتين بيّن تعالى سبب حرمانهم من الطيبات وهو الظلم والبغي، والصد الكثير عن سبيل الله، والظلم والبغي من أقبح الصفات التي يتصف بها الإنسان، ولذلك جاءت العقوبة شديدة، وفي ختم الآية الثانية بقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ نفي للظلم عن الله - جل وعلا - وأن هذا التشديد الذي وقع عليهم ليس إلا عدلاً منه ﷻ.

ومن مظاهر التشديد في الآيات السابقة أن ما حُرِّمَ عليهم، وحُرِّمُوا منه هو من الطعام الطيب الذي تستلذه الحواس، وتستلذه النفوس^(١)، وجاء ذكر بعضه في آية الأنعام، فذكر فيها تحريم كل ذي ظفر، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور، كالإبل والنعام والأوز والبط.

وحُرِّمَ عليهم شحوم البقر والغنم إلا الشحوم التي تحملها الظهور والحوايا، أو الشحوم المختلطة بالعظام، فهذه قد عفي عنها، وباقي شحوم البقر والغنم محرمة عليهم، والمقصود بالحوايا: ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار، وتُسمى «المرابض»^(٢).

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٥٢٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٧٢ - ٧٦).

ولما ذكر تعالى ما ابتلاهم به من كثرة الحيتان يوم السبت - وهو يوم يحرم عليهم الصيد فيه - وعدم مجيئها في غيره، بيّن سبب هذا الابتلاء وأنه الفسق والخروج عن طاعته.

قال تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ الآيات [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٧].

وحينما أمرهم الله تعالى بذبح بقرة أياً كانت هذه البقرة تعنتوا على نبيهم - عليه الصلاة والسلام - في السؤال عن صفاتها، فشدّد الله تعالى عليهم في ذكر الصفات، وكلما زادوا السؤال زيد عليهم في الصفات، والقصة مذكورة في سورة البقرة^(١).

ومن أراد معرفة عظم المشقة والعنت الذي تعيشه هذه الأمة الغضبية فليتأمل قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كيف جاء ذكر الإصر والأغلال؟! دلالة على ثقل التكليف الذي كلفوا به، وملازمته لهم بحيث لا ينفكون عنه.

ومعنى الإصر: الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه فيحبسه عن الحركة من شدة ثقله عليه، والأغلال جمع غل، وهو: الطوق من الحديد يجعل في العنق^(٢)، فهذه الأمة في حالة من المشقة والجهد والعنت، ومن عبء التكاليف ما جعلهم ينوؤون بحملها، والنهوض بها، وهذا الجهد والعنت ملازم لهم لا ينفكون عنه كالطوق في أعناقهم،

(١) الآيات (٦٧ - ٧١).

(٢) انظر: الكشف (١٢٢/٢)، وأنوار التنزيل (ص ٢٤٢).

ويستوي فيه علمائهم وعامتهم على حدٍ سواء حتى فيما أحدثوه من البدع في دينهم^(١). ومع ما حصل لهذه الأمة الغضبية في هذا العصر من التعالي والتعاضم والتكبر على الخلق، إلا أنها لا تزال تعيش في عنت ومشقة، وقلق وخوف، حتى طال شرُّ هذا العنت والمشقة الأمم التي ركنت إليها، وألقت لها القياد.

والنصارى داخلون مع اليهود؛ لأن عيسى ﷺ جاء متمماً لما في التوراة ومقرراً لها، سوى بعض المحرمات التي أحلها لهم، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وفي ذكر الله تعالى في القرآن ما ابتليت به هذه الأمم من المشقة والحرَج فائدتان:

الأولى: ليدرك المسلم عظم نعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليه، ويسر الشريعة التي جاءت في الكتاب والسنة، وكيف يكون حاله، لو فرض عليه ما فرض على تلك الأمم؟، فليستعن بالله على شكر هذه النعمة العظيمة والمنة الجليلة قولاً وعملاً.

الثانية: ليحذر الوقوع فيما وقع فيه أولئك من الظلم والبغي والفسق حتى لا يصيبه ما أصابهم، فإن الله تعالى ما ذكر هذه الأشياء إلا ليعتبر المسلم، ويسأل ربه النجاة والعصمة من سلوك طريق المغضوب عليهم والضالين، ولذا أُمِرَ المسلمُ أن يكرر هذا الدعاء في كل ركعة من صلاته ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] آمين.

(١) انظر كلام ابن القيم النفيس حول هذا في: هداية الحيارى (ص ٢٥٠ - ٢٥٧).

المطلب السابع

تيسير حفظه على أمة محمد ﷺ

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]. وجاء في أحد معاني هذه الآية: «سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟»^(١).

وقد تكررت هذه الآية في سورة القمر أربع مرات، وهذا التكرار تأكيد لهذه الحقيقة، وهي تيسير حفظ القرآن الكريم لمن أراد ذلك، والآية تحمل في طياتها الترغيب والحث على الإقبال على القرآن الكريم، تلاوة وحفظاً، وتفهماً وتدبراً؛ إذ ختمت بالاستفهام المفيد للترغيب^(٢).

وُوصف القرآن في القرآن بأنه محفوظ في صدور العلماء، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

فالقرآن الكريم ليس شعراً أو سحراً كما ادعى ذلك المبطلون، بل هو علامات ودلائل واضحات يعرف بها دين الله أمراً ونهياً وخبراً، وهو في صدور العلماء يحفظونه ويقرؤونه ويفسرونه لأن الله تعالى قد يسر عليهم ذلك^(٣).

حفظ القرآن الكريم من خصائص الأمة المحمدية:

جاء في صفة الأمة المحمدية في الكتب السابقة أنها خصت بحفظ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٦٣٠٤). وانظر: فتح القدير (٥/١٢٣).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/٥٠٧٠)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٩٥)، وفضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٣٢).

كتابها عن ظهر قلب من بين الأمم، فعن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى^(١) - قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: «رب إنني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي»، وفي تنمة الخبر أن الله تعالى أجابه بأن هذه الأمة هي أمة محمد ﷺ^(٢).

وفي الخبر بيان مفارقة هذه الأمة لمن قبلها، فقد كانت اليهود لا تحفظ كتبها، وإنما تقرؤها نظراً، وكان لا يحفظها منهم إلا الأفاذا القلائل^(٣).

وفي السنة النبوية ما يشير إلى هذا التخصيص للأمة المحمدية.

ففي الحديث عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال له: «إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان»^(٤).

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل اليماني الذماري الصنعاني، من أبناء فارس، روى عن بعض الصحابة، قال الذهبي: «روايته للمسند قليلة مع غزارة علمه في الإسرائيليات، وصحائف أهل الكتاب» توفي سنة (١١٠ أو ١١٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣٥/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤)، وتهذيب التهذيب (٣٣٢/٤).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٧٩/١)، وأبو نعيم بنحوه في دلائل النبوة (ص ٣٥)، وروى نحوه ابن المنادي في متشابه القرآن العظيم (ص ٢٢ - ٢٣) عن ابن عباس رضيهما، وعن قتادة عن رجال من أهل العلم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦٣٠٤/٧)، وذكر أنه لم يحفظ التوراة إلا أربعة نفر: موسى وهارون ويوشع وعزير. وروى ابن المنادي في متشابه القرآن العظيم (ص ٢٣) عن الربيع بن أنس نحوه إلا أنه جعل بدل هارون عيسى عليه السلام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٩٧/٤) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

وفي التعبير بقوله: «لا يغسله الماء» إشارة إلى أن القرآن الكريم يحفظ، فلا يحتاج إلى كتابته في صحيفة تغسل بالماء، وأكد ذلك بقوله: «تقرؤه نائماً ويقظان»، فلا تحتاج إلى مطالعة المصحف^(١).

وفي الحديث أيضاً إشارة إلى حفظ القرآن، وبقائه مدى الدهر بلا تحريف ولا تبديل^(٢).

يقول الماوردي^(٣): «الوجه السادس عشر من إعجازه: تيسيره على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار به لسان القبطي الألكن^(٤)، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية فضله بها على سائر كتبه»^(٥).

وما ذكره الماوردي يشهد له الواقع، فحفظ القرآن لا يستعصي على من رامه مهما كان مستوى ذكائه، إذا أقبل عليه بصدق وعزم.

فالأمة التي لا يقرأ ولا يكتب يستطيع حفظ القرآن الكريم بترداده وتكراره، وكم رأينا من هؤلاء عدداً كبيراً.

(١) النشر في القراءات العشر (٦/١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٩٨/١٧).

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، من وجوه الفقهاء الشافعيين، جعلت له ولاية القضاء ببلدان كثيرة، ومصنفاته كثيرة في فنون عديدة، من مصنفاته: الحاوي، والإقناع وهما في الفقه، والنكت وهو في التفسير، والأحكام السلطانية وغيرها، توفي سنة (٤٥٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١٠٢/١٢)، ومعجم الأدباء (١٩٥٥/٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٦٧/٥).

(٤) الألكن هو الذي لا يقيم العربية لعجمة لسانه، القاموس المحيط (ص ١٥٨٩)، مادة «لكن».

(٥) أعلام النبوة (ص ٦٩). وانظر: الشفا (٣٩٤/١)، والخصائص الكبرى للسيوطي (١٩٦/١).

والصبيان الصغار يحفظون القرآن، وهو أسهل عليهم من حفظ أي كلام غيره، ولو أرادوا حفظ غيره لأعياهم وشق عليهم، وكم قرأنا في سير العلماء من حفظ القرآن وهو دون السابعة أو العاشرة، بل إن الصبي غير المميز يستطيع حفظ بعض القرآن عن طريق التلقين.

والأعاجم الذين لا يعرفون العربية يحفظون القرآن، ويقرؤونه خالياً من اللحن واللكنة، ولو كُلموا بالعربية في غير القرآن ما أجابوا بكلمة واحدة.

ومن تيسير حفظ القرآن مما نراه واقعاً كثرة حفاظه في هذا الوقت حيث يُعدون بالآلاف، مع ما عليه الناس من الضعف في العلم والإيمان^(١).

ولتيسير حفظ القرآن الكريم ثمرات وفوائد، وبذكرها يظهر اختصاص القرآن بهذا عن سائر الكتب، وهي:

أولاً: لتيسير حفظ القرآن الكريم أعظم الأثر في نقله إلينا نقلاً متواتراً، حيث تلقاه الجُمُ الغفير من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ حفظاً، وتلقاه عنهم التابعون كذلك حفظاً متقناً، وتلقاه عن التابعين أتباعهم، وهكذا جيلاً بعد جيل إلى أن وصل إلينا سليماً من التحريف والتبديل، وسلم بذلك من التشتت والضياع.

وقد ذكر أبو الفضل الرازي: «أن الله ﷻ لم ينزله جملة كغيره من الكتب، بل نجوماً متفرقة مترتلة ما بين الآية والآيتين والآيات والسورة والقصة في مدة زادت عن عشرين سنة إلا ليتلقوه حفظاً، ويستوي في تلقفه بهذه الصورة في هذه المدة الكليل والفظن، والبليد والذكي، والفارغ والمشغول، والأمي وغير الأمي، فيكون لمن بعدهم فيهم أسوة

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم (ص ١٦١)، وإعجاز القرآن للرافعي (ص ٢٤٢).

في نقل كتاب الله حفظاً ولفظاً قرناً بعد قرن، وخلفاً بعد سلف، لئلا يجد التحريف أو التصحيف أو النقص أو اللحن أو سوء الأداء إليه، أو إلى شيء من كلمه أو حروفه أو صفاتها سبيلاً، كما وجد إلى غيره من الكتب من حيث لم يحفظوه»^(١).

ولذلك لو أراد أحد المبطلين التعرض للقرآن بالتحريف أو النقص أو الزيادة؛ لضج المسلمون في الإنكار والتشنيع عليه، ولو فرض فقداه أو ضياعه لكتبه الحفاظ في لحظات، وسندهم في ذلك الاعتماد على حفظه في الصدور، ولم يخل عصر من العصور من وجود حفاظ للقرآن متقنين يبلغون حد التواتر.

ثانياً: بحفظه وضبطه يسهل على حفاظه الاهتداء بهديه، لكون أوامره ونواهيه حاضرة في قلوبهم في كل وقت، فيسهل عليهم التعبد به تلاوة وتدبراً، والاحتجاج بأدلتهم وأخبارهم، والاعتبار بحكمه وأمثاله، من غير حاجة إلى طهارة من حدث لمس المصحف والنظر فيه، أو حاجة إلى الرجوع إلى فهارس آياته، وما أحسن ما قاله أبو الفضل الرازي: «فستان بين من حفظه بنفسه، وجمعه في صدره، وتدبره في قلبه، وتلاه في كل أوانٍ أرادته، وعلى أي حال أحبه في النور والظلمة، والهواء والماء، وبين من غميت بصيرته كمن لا يتمكن من قراءته، ولا التفكير فيه، ولا التدبر المأمور به إلا بالرجوع إلى غيره فيه، وانقطعت عليه سبل الاتباع والاتعاظ والتفكير والتدبر عند عدمه»^(٢).

ثالثاً: من ثمرات تيسير حفظ القرآن الكريم، كثرة الإقبال عليه من الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم، وقدراتهم ومواهبهم، ومن ثمَّ كثرة حفاظه، ولو كان حفظه شاقاً لما أقدم على حفظه إلا الأفذاذ من الناس،

(١) فضائل القرآن وتلاوته (ص ٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٨).

ولأصاب الناس ملل وفتور لما يجدونه من صعوبته، وإقبال الناس على حفظ القرآن، وإكثارهم من تلاوته مقصد من مقاصد الشارع الحكيم، لما فيه من تعظيم شعائر الله، وإشاعة أفضل الأذكار بين الناس، وفيه تعظيم لثواب المسلمين، ورفع درجاتهم بسبب إكثارهم من قراءة القرآن.

وقد يشكل على تيسير حفظ القرآن الكريم ما ورد من الأمر بتعاهده، والإخبار بسرعة تفلته من حافظه، فقد قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها»^(١)، وفي رواية لمسلم: «لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»^(٢).

وفي الحديث الآخر: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»^(٣).

والأظهر - والله أعلم - أنه لا تعارض، فهذه الأحاديث تخبر بسرعة تفلت القرآن من قلب صاحبه إذا عرض عنه، ولم يتعاهده بالدرس والمراجعة. أما المقبل على القرآن بالتلاوة والحفظ والاستذكار فإنه سهل يسير لا يجد في حفظه عتاً أو مشقة^(٤). وهذا من مزايا القرآن حتى يبقى المسلم دائم الارتباط به، مكثراً من قراءته وتلاوته.

ثم إنه ليس بالضرورة أن يكون القرآن ميسراً حفظه لكل أحد، فمن

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (١٠٩/٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٥٤٥/١) كلاهما من حديث أبي موسى ﷺ، وقوله: «تفصيلاً» هو بمعنى «تفلتاً» في الرواية الأخرى، فتح الباري (٨١/٩).

(٢) هي رواية من روايات الحديث المتقدم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (١٠٩/٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٥٤٣/١)، كلاهما من حديث ابن عمر ؓ.

(٤) انظر: فتح الباري (٨١/٩).

الناس من يشق عليه حفظه^(١)، لكن ذلك ليس سمةً غالبة فيه، والغالب تيسير حفظه على الناس حتى ممن تقدم ذكرهم من الصغار والأمينين والأعاجم، وليس حفظ القرآن بالندرة التي عليها الكتب المتقدمة.

المطلب الثامن

هيمنته على الكتب السابقة

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَكُم ۖ فَاسْتَشِيرُوا الْقَحِطَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

للهيمنة معانٍ لغوية متعددة تشعر بمعنى العلو والارتفاع، ومن تلك المعاني: الحفاظ والرقابة على الشيء، يقال: هيمن على كذا، إذا صار رقيباً عليه وحافظاً.

ويقال: هيمن الطائر على فراخه، إذا رفق عليها بجناحه.

ومن معاني الهيمنة اللغوية: الرعاية والقيام على الشيء.

وتطلق أيضاً على الشهادة^(٢).

وللمفسرين في معنى: «مهيمناً عليه» أقوال وعبارات متعددة، لا تعارض بينها، ويجوز أن تحمل الهيمنة عليها كلها، فالاختلاف بينها اختلاف تنوع^(٣).

(١) فضائل القرآن وتلاوته للرازي (ص ٤٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/٣٣٢)، ولسان العرب (٦/٤٧٠٥) «همن»، والقاموس المحيط (ص ١٦٠٠)، مادة: «هيمن».

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٦٥)، وتفسير القرآن العظيم (٣/١١٩).

ومن أقوال المفسرين في معنى المهيمن:

- ١ - الأمين على ما قبله من الكتب أو المؤتمن عليها.
- ٢ - الشاهد على ما قبله من الكتب.
- ٣ - الحافظ والرقيب عليها.
- ٤ - المصدق لها.
- ٥ - الحاكم عليها.
- ٦ - العالي المرتفع عليها^(١).

والمعاني السابقة تشير إلى علو المهيمن - بكسر الميم - على المهيمن عليه، ولذا عُدي هذا الاسم بحرف الجر «على» المفيد للاستعلاء، ومن خلال المعاني السابقة نستطيع استخراج بعض وجوه هيمنة القرآن الكريم على ما قبله:

أولاً: شهادة القرآن الكريم بأن هذه الكتب نزلت من عند الله، وثناؤه عليها، وهذه الشهادة إنما هي لأصولها، لا ما حُرِفَ منها، وشهد أيضاً بتحريف ما حُرِفَ منها كالطورا والإنجيل.

ثانياً: شهادته وتصديقه لما أخبر به، سواء ما أخبر به عن الله تعالى، أو ما أخبر به من أركان الإيمان الأخرى، كالإيمان بالرسول واليوم الآخر، فجاء القرآن مقررّاً لما قرّرت في مسائل الإيمان، وزاد في إيضاح ذلك وتفصيله، وقرره بالأدلة والبراهين الكثيرة.

ثالثاً: أنه أمين على الكتب السابقة وحاكم عليها، فما وافق القرآن الكريم مما جاء فيها فهو حق، وما خالفه فهو باطل سواء في الأحكام أو في الأخبار.

(١) انظر في هذه المعاني إضافة للمصدرين السابقين: جامع البيان (٢٦٦/٦) وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٠٧/٣)، والبحر المحيط (٤٩٨/٣).

أما الأحكام فإن ما جاء في القرآن منها على ثلاثة أقسام، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر: إما أن تكون الأحكام في القرآن الكريم مقررة لما جاء في الكتب السابقة، وإما أن تكون ناسخة لها، وإما أن تكون مُجدّدة لأحكام لم تأت بها الكتب السابقة، قال: «وكل ذلك دال على تفضيل المجدد»^(١).

وأما الأخبار، فإن القرآن جاء بأوفى وأحسن مما في الكتب السابقة، فإن أخبار الأنبياء وما أنزل عليهم، وما أيدهم الله به من المعجزات، وما حصل لهم من العز والنصر والتمكين، وما نال أعدائهم من الذل والهوان والهلاك، كل هذه الأشياء لا تعرف معرفة حقيقية مطابقة للواقع إلا من طريق القرآن الكريم، وما جاء في الكتب السابقة دخل التحريف أكثره، ولذلك ينظر فيه، فإن وافق القرآن قُبِلَ، وإن خالفه رد وكُذِّب.

رابعاً: ومن وجوه هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب أنه حماها وحفظها من المحرفين والمبدلين أن ينسبوا إليها ما ليس منها، فلو لم ينزل القرآن الكريم لأصبحت هذه الكتب مليئة بالتحريفات والأباطيل بما لا يستطيع أحد من الناس كشفها وردّها، ولا يستطيع معرفة الحق من الباطل فيها، فلما نزل القرآن حماها وحفظها بفضح أهلها المحرفين والمبدلين لها، وكشف زيفهم، فأصبح القرآن أولى بهذه الكتب من أهلها، كما أن المؤمنين من أمة محمد ﷺ أولى بالأنبياء السابقين من أقوامهم المتكئين طريقهم، المعرضين عن الإيمان بما جاؤوا به.

خامساً: أن القرآن الكريم حوى ما في الكتب السابقة من الهداية والقصص والمواعظ وجميع العلوم، وزاد عليها من وجهين:

(١) فتح الباري (٤/٩).

الأول: من حيث الكيفية، فقد زاد القرآن الكريم في تفصيل القضايا التي شارك الكتب السابقة في طرحها وتناولها.

الثاني: من حيث الكمية، فسور القرآن تزيد عما في التوراة والإنجيل والزبور مجتمعة، كما جاء في الحديث المتقدم: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»^(١).

وهذا الوجه الخامس تقدم الكلام عنه في المطلب الرابع. وجميع المطالب السبعة المتقدمة تدل على هيمنة القرآن الكريم على ما قبله من الكتب، وفضله عليها بما تبين في تلك المطالب من مزايا وخصائص للقرآن لم توجد في غيره من الكتب.

وتقريباً لما تقدم فليس في ذكر هذا تنقص للكتب السابقة، أو حط من قدرها وشرفها، فقد خصها الله تعالى بخصائص ومزايا عظيمة من جعلها حجة على الخلق، وهداية لهم، ونوراً وضياءً وذكرأً، وحكماً بينهم يرجعون إليها عند تنازعهم واختلافهم، ويرضون بحكمها، ويلتزمون بما تأمرهم به، ولو لم يكن فيها إلا أنها كلام الله تعالى لكفاها فضلاً وشرفاً، ومع ذلك فقد «جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره»^(٢).

وبيان هذه المحاسن والكمالات، وإظهارها للمسلمين له أثر في إقبالهم على كتاب ربهم وعنايتهم به.

(١) انظر تخريجه (ص ٢٩٥). وانظر في أوجه هيمنة القرآن: التذكار (ص ٤٣)، والجواب الصحيح (٧٩/٤)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/٤٤ - ٤٥)، ومنحة القريب المجيب (ص ٧٠)، والرسل والرسالات (ص ٢٥٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/١١٩).

الفصل الرابع

تفاضل القرآن الكريم

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة تفاضل القرآن الكريم، والخلاف فيه.

المبحث الثاني: وجوه التفاضل عند أصحاب كل قول.

المبحث الثالث: أدلة كل فريق، ومناقشتها مع الترجيح.

تمهيد

اضطرب الناس - إلا من رحم ربك - في المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم وكلام الله تعالى اضطراباً عظيماً، حدثت بسببه فتن ومحن منذ أن ظهر القول بنفي الصفات عن الله تعالى، ومن ذلك صفة الكلام، وما ترتب على هذا النفي من القول بخلق القرآن الكريم، ونفي أن يكون كلام الله، وامتنح الناس بهذا القول بعد المائة الثانية، فحدثت بسبب هذه المحنة أقوال وآراء متشعبة في كلام الله والقرآن الكريم، وافترق الناس في ذلك افتراقاً عظيماً.

ولم يقتصر الكلام عن المسائل المتعلقة بكلام الله تعالى على كتب العقيدة فقط، فقد تناولت كتب الفنون الأخرى بعض المباحث المتعلقة بها، ومن هذه الكتب كتب علوم القرآن الكريم، فقد كان لها نصيب من الحديث عنها، ذلك أن كتب علوم القرآن أخص الكتب بكتاب الله وألصقها به.

وكان لموضوع فضائل القرآن جزء من هذا الحديث، فقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل بعض السور والآيات، وتذكر مزاياها، وتصف بعضها بأنها أفضل السور، أو أعظم الآيات، ونحو ذلك.

فاختلفت مواقف العلماء من هذه الأحاديث، هل يؤخذ بظاهرها فيكون القرآن بعضه أفضل من بعض أو لا؟

وقد أفرد الزركشي لهذه المسألة نوعاً مستقلاً سماه: «هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟»^(١)، وتبعه السيوطي فأفرد نوعاً سماه:

(١) البرهان (٦٧/٢).

«أفضل القرآن وفوائده»^(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أبا عبد الله بن الدراج صنف في هذه المسألة مصنفاً ولم يسمه^(٢).

وذكر الزركشي أن كتاب أبي حامد الغزالي «جواهر القرآن ودرره» يدور حول هذه المسألة^(٣)، وهو كما ذكر إلا أن حديثه في الناحية التطبيقية، ولم يتناول الجانب النظري فيها (أي: الخلاف في تفاضل القرآن)، وإن أشار صراحة لرايه فيها.

ومسألة تفاضل القرآن الكريم مبنية على مسألة أخرى، هي تفضيل بعض كلام الله على بعض^(٤)، وقد وصفها شيخ الإسلام بأنها «مسألة كبيرة»، وذكر أن النزاع فيها منتشر بين الناس^(٥).

وقد تطرقت لها كتب العقيدة عند الحديث عن صفة الكلام لله تعالى، وتطرقت لها كتب التفسير عند تفسير قول الله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلُهَا أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، أو عند الكلام عن فضل الفاتحة ونحوها.

وتناولتها كتب شروح الأحاديث بكثرة عند شرح الأحاديث المتعلقة بفوائده القرآن الكريم، كالأحاديث المتعلقة بفضل الفاتحة، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص.

(١) الإتيان (١٩٩/٢)، وكذلك فعل في كتابه «التحبير في علم التفسير» (ص ٣٠٥)، أفرد نوعاً سماه: «أفضل القرآن وفاضله ومفضوله».

(٢) انظر في ترجمة المذكور ومصنفه ما تقدم (ص ١٠٤).

(٣) البرهان (٧٠/٢)، وسيأتي كلام أوسع عن هذا الكتاب في آخر الفصل إن شاء الله.

(٤) البرهان (٧٢/٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/١٧).

وتكلمت عنها كتب أصول الفقه في الباب المتعلق بالنسخ،
وبالتحديد في مبحث نسخ القرآن الكريم بالسنة.

وتناولها الفقهاء بقلة عند كلامهم عن قراءة الفاتحة في الصلاة
ووجوبها. وكما تقدم فقد أفرد لها بعض المصنفين في علوم القرآن نوعاً
مستقلاً^(١).

وسياتي ذكر بعض هذه الكتب عند العزو إليها في ثنايا البحث إن
شاء الله تعالى.

فما حقيقة تفاضل القرآن، وهل في القرآن الكريم شيء أفضل من
شيء، وما الراجح من أقوال العلماء في ذلك؟
هذا ما سنعرض له في هذا الفصل مستمدين العون من الله تعالى
في الآخرة والأولى.



(١) وأفرد لها طاش كبرى زاده علماً مستقلاً سماه: «علم معرفة أفضل القرآن
وفاضله» في كتابه مفتاح السعادة (٥١٣/٢)، وتبعه صديق حسن خان في أبجد
العلوم (٤٩٣/٢).

المبحث الأول

حقيقة تفاضل القرآن الكريم والخلاف فيه

يطلق التفاضل في اللغة العربية ويراد به التمايز في الفضل بين شيئين فأكثر، فينظر في أفضلها وأميزها، يقال: تفاضل القوم إذا تنافسوا في الفضل، وادعى كل فريق الفضل على الآخر.

ومن الأسماء القريبة من التفاضل: المفاضلة والفضال، تقول: فاضل الرجل غيره مفضالة وفضالاً: إذا تذاكرا فضائلهما للنظر أيهما أفضل^(١).

وعلى هذا فتفاضل القرآن الكريم والمفاضلة فيه: النظر في فضل بعضه على بعض، ليحكم به استناداً للأدلة.

وللعلماء في تفاضل القرآن الكريم قولان مشهوران متقابلان، يمكن تفريعهما إلى أقوال كثيرة إذا حُدِّدَ مقصود كل قائل بقوله.

وسأعرض في هذا المبحث للقولين، ومن قال بهما، متجنباً مراد كل قائل بقوله للمبحث الآتي - إن شاء الله - وسأعرض هنا لنقد نسبة بعض الأقوال لأصحابها.

القول الأول:

وهو نفي تفاضل القرآن الكريم، فليس بعضه أفضل من بعض، وسوره وآياته سواء في الفضل والشرف والقدر، لا مزية لبعضها على بعض.

(١) انظر في هذا: الاشتقاق لابن دريد (ص ٦٤)، وتهذيب اللغة (٣٩/١٢)، ولسان العرب (٣٤٢٨/٥)، والمعجم الوسيط (ص ٦٩٣)، مادة «فضل».

وقال بهذا القول طائفة من العلماء والفقهاء والمتكلمين .

ونُسب هذا القول للإمام مالك ومستند هذه النسبة إليه أنه كره إعادة سورة بعينها، وتردادها دون غيرها، وأنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال: «محكمة مكان منسوخة»^(١).

ويلاحظ أن مالكا لم يصرح بنفي تفاضل القرآن، وإنما نقل عنه كلام فهم منه بعضهم أن الإمام ينكر تفاضله، ولذلك لما تعرض بعض العلماء للخلاف في هذه المسألة، وذكر هذا القول لم يجزم بنسبته إليه، وإنما قال: وروي معناه عن مالك^(٢).

والذي صرح بنفي تفاضل القرآن تلميذه يحيى بن يحيى الليثي^(٣)، قال: «تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ»، ثم ساق عن الإمام مالك ما تقدم^(٤).

وفي نسبة هذا القول للإمام مالك نظر، فلا يلزم من كراهيته إعادة سورة بعينها أن ذلك لأجل أن القرآن الكريم لا فضل لبعضه على بعض، وهناك تعليل آخر وهو: أن بعض السلف كرهوا - كمالك - إعادة سورة

(١) التذكار في أفضل الأذكار (ص ٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٥)، والبرهان (٢/ ٦٨).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) هو أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي القرطبي، لقي مالك في السنة التي مات فيها، وكان يسميه عاقل الأندلس، وكانت ليحيى حظوة عند الأمراء وجلالة قدر، وله يد طولى في نشر مذهب مالك في الأندلس، توفي سنة (٢٣٤هـ).

انظر: جذوة المقتبس (ص ٣٤٥)، وترتيب المدارك (١/ ٣٤٥)، والديباج المذهب (ص ٤٣١).

(٤) التذكار (ص ٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٥).

بعينها كسورة الإخلاص مثلاً حينما يقرأ المسلم من المصحف خشية الزيادة فيه، بل تقرأ كما كتبت في المصحف^(١).

فقد منع الإمام أحمد من تكرار سورة الإخلاص ثلاث مرات عند ختم القرآن، بمعنى أن القارئ إذا افتتح بسورة البقرة، ثم قرأ حتى وصل سورة الإخلاص، فيُمنع من تخصيص هذه السورة بالتكرار دون سواها من السور، هذا مراد الإمام أحمد^(٢).

أما كون المسلم يخص بعض السور والآيات بمزيد تكرار وترداد فليس مكروهاً؛ لأن التكرار لسورة أو آية له مقاصد شرعية مثل: التفكير والتدبر، وزيادة العلم والإيمان.

وقد روى الإمام مالك نفسه ما يدل على جواز تكرار سورة بعينها، فروى في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) يرددها، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن ذلك الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»^(٣).

وقد عقد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن» باباً فيما يستحب لقارئ القرآن من تكرار الآية وتردادها^(٤).

وهناك تعليل ثالث لكراهة مالك إعادة سورة بعينها، وهو أن يفضي ذلك إلى هجر بعض القرآن، على أن البخاري روى عن أنس بن

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٣٠، ٢١٣).

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح (١/٥٥٤)، والبرهان (٢/١٠٤)، والإنقان (١/١٤٦).

(٣) الموطأ كتاب الصلاة (١/٢٨٥)، وروى هذا الحديث البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد (٦/١٠٥).

(٤) (١/٣١٤).

مالك رحمه الله أن رجلاً من الأنصار كان يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ «قل هو الله أحد» حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم خبره، فسأله عما يحمله على لزوم هذه السورة؟ فقال: إني أحبها، فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة»^(١)، ففي الحديث إقرار صريح من النبي صلى الله عليه وسلم لصنيع هذا الرجل، بل ثناء عليه، ولذا أخذ بعض العلماء من هذا الحديث جواز تخصيص بعض القرآن بما تميل النفس إليه، ولا يعد ذلك هجراناً لغيره^(٢).

وقد سئل الإمام مالك عن قراءة «قل هو الله أحد» مراراً في ركعة واحدة، فكره ذلك، وقال: «هذا من محدثات الأمور التي أحدثوا»^(٣)، ونقلت الكراهة عن غيره من العلماء^(٤).

فلعل هذا هو الذي كرهه مالك، وجعله من البدع التي أحدثها الناس، أما تعليل ذلك بأن لا يفضي إلى تفضيل بعض القرآن على بعض، فيحتاج إلى نقل أصرح من هذا.

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان، باب الجمع السورتين في الركعة (١/١٨٨)، معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الترمذي في سننه في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص (٨/١٠٩ - ١١٠) وقال: «حديث حسن غريب صحيح»، ويشهد له حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يصلي بأصحابه فيختم بـ «قل هو الله أحد»... الحديث، وقد أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله (٨/١٦٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/٥٥٧).

(٢) فتح الباري (٢/٢٥٨). وانظر: كتاب «أم القرآن والسبع المثاني» لإبراهيم شلبي (ص ٣٦).

(٣) البيان والتحصيل لابن رشد (١/٣٧١).

(٤) انظر: فتح الباري (٢/٢٥٧).

وكذلك الاستدلال على منع الإمام مالك من تفضيل بعض القرآن على بعض بأنه فسر قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

بأن المقصود بالخيرية: أن تأتي آية محكمة مكان آية منسوخة، فليس صريحاً في المنع؛ لأن القائلين بالتفضيل يفسرون الآية بمثل هذا، وأن الآية المحكمة تكون خيراً من المنسوخة، وعلى كل فالنقل عن مالك ليس صريحاً في نفي تفضيل بعض القرآن على بعض، وإن جاء صريحاً عن بعض تلاميذه.

وممن نسب إليه القول بعدم تفاضل القرآن الكريم سفيان بن عيينة^(١)، فقد جاء منه أنه قال: «كنت أقرأ هذه الآية فلا أعرفها ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أقول: هذا قرآن، وهذا قرآن، فكيف يكون خيراً منها؟!، حتى فُسر لي فكان بيناً، نأت بخير منها لكم، أيسر عليكم، أخف عليكم، أهون عليكم»^(٢).

وكلام سفيان أظهر من كلام مالك، إلا أنه أيضاً ليس صريحاً في نفي تفاضل القرآن، إذ يحتمل هذا، ويحتمل أمراً آخر، وهو أنه استشكل الوجه الذي تكون به الآية خيراً من الآية الأخرى، وكلاهما من القرآن، فلو كانت الآية مكان حديث عن النبي ﷺ لما كان في هذا إشكال،

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي الإمام الحافظ، ولد في الكوفة ثم سكن مكة، أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين، قال عنه الشافعي: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز» توفي سنة (١٩٨هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٩/١٧٤)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٦٢)، وتهذيب التهذيب (٥٩/٢).

(٢) كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي (ص ٧٠). وانظر: كتاب مباحث المفاضلة في العقيدة (ص ٨٨).

وكانت الخيرية ظاهرة، فلما كانت آية مكان آية استشكل وجه الخيرية، فلما فُسر له اتضحت له الخيرية، وهو ما ذكره من اليسر والسهولة، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وربما نقل عن بعض السلف في قوله تعالى: «نأت بخير منها» أنه قال: خير لكم منها، أو أنفع لكم، فيظن الظان أن ذلك القائل موافق لهؤلاء، وليس كذلك، بل مقصوده بيان وجه كونه خيراً، وهو أن يكن أنفع للعباد، فإن ما كان أكثر من الكلام نفعاً للعباد كان في نفسه أفضل»^(١).

وممن صرح بنفي تفاضل القرآن الإمام المفسر أبو جعفر بن جرير الطبري حيث قال: «وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خيراً من شيء»^(٢).

وصرح به من المحدثين أبو حاتم بن حبان فقد علق على حديث: «ألا أخبرك بأفضل القرآن»^(٣) بقوله: «أراد به بأفضل القرآن لك، لا أن بعض القرآن يكون أفضل من بعض»^(٤).

وصرح به أيضاً الحافظ أبو عمر بن عبد البر حيث قال عن سورة الإخلاص: «ولسنا نقول في ذاتها أفضل من غيرها»^(٥).

وقال بهذا القول من المتكلمين الأشاعرة^(٦)، وقال به: أبو الحسن

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٥٣ - ٥٤).

(٢) جامع البيان (١/٤٨٠)، وإليه أشار في (١٧/٢٤)، وصرح به الإمام البغوي في معالم التنزيل (١/١٣٥)، والخازن في باب التأويل (١/٩٤).

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٤) الإحسان (٢/٧٥). وانظر (ص٧٧) من الجزء نفسه.

(٥) الاستذكار (٨/١١٧). وانظر: التمهيد (١٩/٢٣١)، وصرح به عَضْرِيْهُ أبو محمد بن حزم الأندلسي كما في الإحكام في أصول الأحكام (٤/٦١٨)، والفصل في الملل والنحل (٣/٦).

(٦) هم المنتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، من أهم آرائهم: =

الأشعري، وأبو بكر الباقلاني، وقد نسب إليهما القول بعدم تفاضل القرآن الكريم كثير ممن تكلم عن هذه المسألة^(١).

وممن قال به من الأصوليين: القاضي أبو يعلى^(٢)، وأبو حامد الغزالي^(٣)، وأبو الوفاء بن عقيل^(٤)، وجاء عن غيرهم^(٥).

ومن الغريب ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي عبد الله بن الدراج أنه نقل إجماع أهل السنة على امتناع تفضيل بعض القرآن على بعض^(٦).

وسياي - قريباً - حكاية شيخ الإسلام اتفاق السلف على القول بتفاضل القرآن.

= أنهم يشبتون من الصفات سبعاً فقط، أثبتوها بعقولهم، وتأولوا باقي الصفات كصفة الوجه وغيرها، ومن أشهر منظري مذهبهم: أبو بكر الباقلاني، وأبو المعالي الجويني.

انظر في مذهبهم: الملل والنحل (١/٩٤ - ١٠٣).

(١) انظر مثلاً: إكمال المعلم (٣/١٧٧)، والتذكار (ص ٤٥)، والبرهان (٢/٦٧)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢٥٢)، وعزا القول بعدم تفاضل القرآن للداودي، وابن أبي زيد، وابن القاسبي.

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح (١/٤١٦).

(٣) انظر: المستصفى (١/١٢٥).

(٤) انظر: الواضح في أصول الفقه (١/٢٥٤)، وسياي عن هؤلاء الثلاثة تصريحهم بتفاضل القرآن. وأبو الوفاء هو علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الفقيه الأصولي المتكلم، شيخ الحنابلة في وقته، اشغلت بمذهب المعتزلة في أول أمره، ثم تاب ورجع، من مصنفاته: الفنون في أكثر من أربع مائة مجلد، والفصول، وكفاية المفتي وغيرها. توفي سنة (٥١٣هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣)، وذيل طبقات الحنابلة (١/١٤٢).

(٥) كأبي بكر الجصاص الرازي في كتابه الفصول في الأصول (٢/٣٤٩)، وأبي الوليد الباجي في كتابه إحكام الفصول (ص ٢٤٥). وانظر: المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين د. محمد العروسي (ص ٢٤٣).

(٦) مجموع الفتاوى (١٧/٧٣).

نشأة هذا القول :

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن القول بإنكار تفاضل القرآن الكريم اشتهر بعد المائتين حينما ظهر القول بخلق القرآن فاتفق أئمة السنة وجماهير الأمة على إنكار هذا القول عليهم، وظنت طائفة منهم أنه لا يمكن رده إلا إذا قيل: إن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا كلم موسى حين أتاه، ولا قال للملائكة: اسجدوا لآدم بعد أن خلقه، وكان من أدلة القائلين بخلق القرآن الكريم الاستدلال بنصوص التفضيل بين القرآن، فرد عليهم هؤلاء بأنه لا يتفاضل^(١).

وابن تيمية من أهل الاستقراء التام، خاصة فيما يتعلق بالفرق والمذاهب، وقد بنى كلامه على السبب الذي حدا المانعين من تفاضل القرآن الكريم إلى ذلك، وهو الرد على الاستدلال على خلق القرآن بإثبات تفاضله، وحاصل الاستدلال أنه إذا ثبت تفاضله ثبت أنه محدث؛ لأن التفاضل لا يكون إلا في المحدثات، والقديم لا يتفاضل على ما سيأتي إن شاء الله تعالى. فكلام ابن تيمية مبني على معرفته بأصول البدع، وكيف نشأت؟.

ولا يرد على كلامه إلا ما تقدم نقله عن الإمامين مالك وسفيان بن عيينة على أن كلامهما ليس صريحاً في نفي تفاضل القرآن خاصة كلام الإمام مالك، والله أعلم.

القول الثاني :

قول من قال بتفاضل القرآن الكريم، فبعضه أفضل من بعض، وسورة الفاتحة أفضل سورة فيه، وآية الكرسي أعظم آية فيه، كما جاءت بذلك الأحاديث.

(١) مجموع الفتاوى (٥٣/١٧). وانظر (ص ٤٦) من الجزء نفسه.

وقد حكى ابن تيمية اتفاق السلف على هذا القول^(١)، وقال أيضاً:
«هو قول الأكثرين من السلف والخلف»^(٢).

ونقل ابن مفلح الحنبلي^(٣) عن الإمام أحمد أنه روى الحديث
المفيد بأن آية الكرسي أعظم آية في القرآن، قال ابن مفلح: «فظاهره أنه
يقول به»^(٤).

وإنما ذكرت هذا لما جاء عن الإمام أحمد أنه سأله رجل عن
حديث فضل سورة الإخلاص، وكونها تعدل ثلث القرآن، فلم يقم فيه
على أمرٍ بين^(٥).

فادعى القاضي أبو يعلى أن ظاهر هذه الرواية تفيد أن الإمام لم
يأخذ بظاهر الحديث، وأن المراد ثواب قارئها كثواب من قرأ ثلث
القرآن؛ لأن القرآن لا يجوز أن يتفاضل، وقد رد ابن مفلح على أبي
يعلى، وذكر أن الرواية السابقة عن الإمام لا تحتل ما قاله فأين
ظاهرها^(٦)؟!

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٠٣).

(٢) المصدر السابق (١٧/٢٠٩)، ونسبه لأكثر العلماء ابن كثير في تفسيره (١/
٢٤)، والسيوطي في إتمام الدراية لقراء النقاية (ص ٢٤)، والقسطلاني في
إرشاد الساري (٥/٧).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الصالحي الحنبلي، من
شيوخ الحنابلة الكبار، ومن أبرز تلاميذ ابن تيمية، وأعلمهم بمسائله
واختياراته، من كتبه: الفروع قال ابن حجر عن هذا الكتاب: «أجاد فيه إلى
الغاية»، والآداب الشرعية وغيرها، توفي سنة (٧٦٣هـ).

انظر: الدرر الكامنة (٥/٣٠)، والمقصد الأرشد (٢/٥١٧)، وشذرات الذهب
(٦/١٩٩).

(٤) الفروع (١/٤١٥).

(٥) التمهيد لابن عبد البر (١٩/٢٣٢).

(٦) الفروع (١/٤١٦).

وما ذكره ابن مفلح هو الأظهر - والله أعلم - لأن الرواية ليس فيها إنكار أن تعدل قل هو الله أحد ثلث القرآن، وأن القرآن الكريم لا يفضل بعضه بعضاً، غاية ما فيها أن الإمام أحمد توقف في وجه عدول قل هو الله أحد ثلث القرآن، والسر الذي من أجله عدلت سورة الإخلاص ثلث القرآن، فإن المعروف من منهج الإمام أحمد هو ما عليه سلف الأمة من إثبات ما أثبتته الأحاديث، وعدم التعرض لها برد أو تأويل يخرجها عن ظاهرها.

وقريب من صنيع القاضي أبي يعلى صنيع الحافظ ابن عبد البر، فإنه لما ساق الرواية المتقدمة عن الإمام أحمد تعقبها بأن الإمام لم يقم فيها ولم يقعد، يقصد مسألة تفاضل القرآن التي يتحدث عنها^(١).

والأمر ما تقدم من أن الإمام توقف في توجيه عدول سورة الإخلاص لثلث القرآن لا أصل مسألة تفاضل القرآن الكريم، والسؤال الوارد على الإمام يوضح ذلك، فإن السائل أورد عليه حديث عدول سورة الإخلاص لثلث القرآن، وقال: «ما وجهه؟»^(٢).

ولم يقل: هل القرآن يتفاضل أو لا؟^(٣).

وممن صرح بتفاضل القرآن من العلماء المتقدمين إسحاق بن راهويه^(٤)، قال: «إن الله جعل لكلامه فضلاً على سائر الكلام، ثم فضل بعض

(١) الاستذكار (١١٨/٨).

(٢) الاستذكار (١١٧/٨).

(٣) وقد ذكر السيوطي في تنوير الحوالك (٢١١/١) توقف الإمام أحمد في معنى الحديث، وأنه من المتشابه الذي لا يُدرى تأويله، قال السيوطي: «وإياه اختار».

(٤) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، الإمام الحافظ، أحد أئمة الإسلام، قال عنه الإمام أحمد: «إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أفقه من إسحاق» توفي سنة (٢٣٨هـ).

كلامه على بعض، فجعل لبعضه ثواباً أضعاف ما جعل لغيره من كلامه»^(١)

وصرح بتفاضل القرآن أبو عبد الله الحليمي^(٢)، والقاضي أبو يعلى^(٣)، وأبو المظفر السمعاني^(٤)، وأبو إسحاق الشيرازي^(٥)، وأبو حامد الغزالي^(٦)، وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي^(٧)، وأبو بكر العربي^(٨).

= انظر: تاريخ بغداد (٦/٣٤٥)، ووفيات الأعيان (١/١٩٩)، وتذكرة الحفاظ (٢/٤٣٣).

(١) التمهيد (١٩/٢٣٢)، وهو في الاستذكار (٨/١١٧) بنحو هذا اللفظ.
(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٤٤)، والحلي هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني الشافعي، روى عنه الحاكم والبيهقي، قال الذهبي: «له مصنفات نفيسة»، منها كتابه المتقدم. توفي سنة (٤٠٣هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٢/١٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٣١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٤/٣٣٣).

(٣) العدة في أصول الفقه (٣/٧٩١ - ٧٩٢).
(٤) وصرح بأن الخيرية المذكورة في آية البقرة مطلقة. قواطع الأدلة (٣/١٧٠)، وأبو المظهر هو منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي الشافعي، كان على المذهب الحنفي ثم تحول إلى الشافعي. وهو جد صاحب كتاب الأنساب. صنف في التفسير والحديث والفقه، من كتبه: منهاج أهل السنة، والانتصار، توفي سنة (٤٨٩هـ).

انظر: الأنساب (٣/٢٩٩)، وسير أعلام النبلاء (١٩/١١٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/٣٣٥).

(٥) شرح اللمع في أصول الفقه (٢/٢٢٠)، والشيرازي هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي، من كبار علماء الشافعية، من مصنفاته: التنبيه، والمهذب، واللمع، والنكت، توفي سنة (٤٧٦هـ).
انظر: الأنساب (٤/٤١٧)، ووفيات الأعيان (١/٢٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (٤/٢١٥).

(٦) جواهر القرآن ودرره (ص٤٤).

(٧) الواضح في أصول الفقه (٤/٢٦١).

(٨) انظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (١/٢٣٠)، وعارضة الأحوزي (١١/٣).

وصرح به أيضاً العز بن عبد السلام^(١)، وقال: «القرآن فيه فاضل ومفضل، فالفاضل كآية الكرسي وأول سورة الحديد... والمفضل: ك﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، و﴿قُلْ يَتَّخِذُونَ﴾»^(٢).

ورجح هذا القول جمع من أهل العلم، ومن أعظمهم انتصاراً له شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة «جواب أهل العلم والإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»، فقد أسهب في نصره والاستدلال له، والرد على مخالفه^(٣).

ورجحه - أيضاً - القرطبي المفسر^(٤)، والنووي^(٥)، والزركشي^(٦)، والسيوطي وجعل المراتب ثلاث: أفضل، وفاضل، ومفضل^(٧).

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، برع في الفقه وأصوله، وكان شجاعاً قوياً في الحق، لُقّب بسلطان العلماء، من مصنفاته: القواعد الكبرى، والقواعد الصغرى، ومجاز القرآن، توفي سنة (٦٦٠هـ).
انظر: ذيل مرآة الزمان (١/٥٠٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨/٢٠٩)،
وشذرات الذهب (٥/٣٠١).

(٢) فوائد في مشكل القرآن (ص ٢٦٤).

(٣) وقد طبعت مستقلة، وضمن مجموع الفتاوى في أول الجزء السابع عشر، وإليه أحيل.

(٤) التذكار (ص ٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١/٩٥).

(٥) شرحه على مسلم (٦/٩٤).

(٦) البرهان (٢/٦٩).

(٧) التحرير في علم التفسير (ص ٣٠٧)، وإتمام الدراية (ص ٢٤ - ٢٥)، ورجحه أيضاً: أبو القاسم السهيلي في كتابه الروض الأنف (١/٢٠٢)، وابن الحصار وتعجب ممن يذكر الخلاف مع النصوص الواردة في التفضيل. انظر: الإتيان (٢/١٩٩)، ورجحه ابن علان في كتابه دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/٥١٢).

المعتزلة وتفاضل القرآن الكريم:

توافق المعتزلة جمهور العلماء في أن القرآن الكريم يتفاضل، ويستدلون على ذلك بالأدلة التي يستدل بها الجمهور، مثل قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، ويستدلون بهذا الدليل على خلق القرآن، وأنه لو لم يكن مخلوقاً لامتنع أن يكون بعضه أفضل من بعض؛ لأنه حينئذ يكون قديماً، والقديم لا يدخله التفاضل والتخاير، وقد أثبتت الأدلة الشرعية تفاضل القرآن، فدل على أنه مخلوق محدث^(١).

وقد وافق المعتزلة بعض المانعين من تفاضل القرآن في أن القديم يمتنع تفاضله، وبنوا على هذا الأصل إنكار تفاضل القرآن.

وبهذا ترى أن المعتزلة توافق أهل السنة والجماعة في أصل القول بتفاضل القرآن، وتخالفهم في وجه الاستدلال على ذلك.

وتخالف المنكرين لتفاضل القرآن في أصل قولهم، وتوافق بعضهم في الدليل المانع من التفاضل، وهو أن القديم لا يقبل التفاضل، والله أعلم.

ويلاحظ من خلال عرض القولين السابقين أن لبعض العلماء في المسألة قولين: تصريح بنفي التفاضل، وتصريح بإثباته، وهؤلاء هم: القاضي أبو يعلى، وأبو حامد الغزالي، وأبو الوفاء بن عقيل، والمتأمل لأقوالهم يجد قولهم في التفضيل أظهر وأقوى، خاصة أبا حامد، وأبا الوفاء، فكلامهما في التفضيل أطول نفساً، وأكثر تفصيلاً، وأقوى في الاستدلال من كلامهما بنفي التفضيل بين القرآن.

(١) انظر في مذهبهم: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي (١٠٣/١)، وفهم القرآن للمحاسبي (ص ٣٦٨)، والتفسير الكبير للرازي (١/٦٤٢).

فالغزالي حينما تعرض لنفي التفاضل في «المستصفى» تعرض له باختصار شديد، ليرد به على القائلين بجواز نسخ القرآن بالسنة.

وهذا بخلاف كلامه عن تفاضل القرآن وإثباته فإنه أقوى، فقد استدل له بأكثر من دليل، وقَرَعَ المنكرين لتفاضله، ورماهم بالاستغراق في التقليد، يقول: «فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد نفسك الجوّارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه، فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقد دلت الأخبار على شرف بعض الآيات، وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة» ثم ذكر بعض الأدلة^(١).

أما أبو الوفاء فهو - أيضاً - أطول نفساً في إثبات تفاضل القرآن، فقد أثبت تفاضله من جهة نفسه وذاته، ومن جهة الانتفاع به في العاجل والآجل على ما يقتضيه الإطلاق في آية البقرة حيث قال: «بخير منها» ولم يقل: بخير لكم، ثم ذكر بعض وجوه التفاضل بين سور القرآن الكريم، فذكر أن توحيد الله في سورة الإخلاص أفضل من «تبت» المضمنة ذم أبي لهب وذم زوجته إن شئت في كون المدح أفضل من القدح، وإن شئت في الإعجاز، فإن تلاوة غيرها من الآيات التي تظهر منها الفصاحة والبيان أفضل.

وفي كلامه رد صريح على من نفى التفاضل، وتأول آية البقرة بأن الخيرية ترجع إلى المكلف والعامل، لا للآية نفسها^(٢).

(١) جواهر القرآن ودرره (ص ٤٤)، وأما نفيه للتفاضل فقد تقدم أنه في المستصفى (١٢٥/١).

(٢) الواضح في أصول الفقه (٤/٢٦١ - ٢٦٣)، وقد صرح بنفي التفاضل في نفس الكتاب (١/٢٥٤).

المبحث الثاني

وجوه تفاضل القرآن الكريم عند أصحاب كل قول

هذا المبحث له ارتباط بالمبحث السابق، وكان حقه أن يقدم عليه؛ لأنه يوضح المراد بتفاضل القرآن، إلا أنه تأخر بعد ذكر قولي العلماء لأنه كالشرح والتوضيح لهما، وعليه فلا يكتفى بالمبحث السابق عن هذا المبحث.

ولعل هذا المبحث أهم من المبحث السابق، فقد ينسب لبعض العلماء القول بتفضيل بعض القرآن على بعض، ويتأمل قوله يتضح أنه يلتقي مع النافين للتفضيل؛ لأنه يتأوله بما يتأولونه به، فبعض الأقوال المثبتة والنافية تلتقي في شيء واحد، ولذا حكى من حكى أن الخلاف في هذه المسألة لفظي على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فهذا المبحث بمثابة تحرير محل النزاع في المسألة، وبه يعرف حقيقة نسبة بعض الأقوال لأصحابها.

ولتفاضل سور القرآن الكريم وآياته معاني وأوجه، قصر بعض العلماء التفاضل على بعضها، وسأعرض لهذه الأوجه والمعاني مع عزو كل وجه لقائله:

الوجه الأول:

أن تفاضل السور والآيات الذي تفيده النصوص ليس متعلقاً بذات السورة والآية، وإنما تتفاضل السور والآيات في أجرها وثوابها، فبعض السور والآيات أعظم أجراً، وأكثر ثواباً من بعض.

وقد قال بهذا الوجه طائفة من المثبتين والنافين على حد سواء، فبعض العلماء رجح القول بفضل بعض القرآن على بعض، وقال: إن ذلك راجع إلى الأجر والثواب، ورجح بعضهم النفي، وتناول النصوص الواردة في التفاضل بذلك.

وقد جاء في كلام إسحاق بن راهويه ما يلمح إلى هذا، حيث قال:

«ثم فضل بعض كلامه على بعض، فجعل لبعضه ثواباً أضعاف ما جعل لغيره من كلامه، تحريضاً من النبي ﷺ أمته على تعليمه وكثرة قراءته»^(١).

وذكر ابن مفلح الحنبلي أن إسحاق يريد بالترفضيل هذا المعنى^(٢)، وبه فسر القاضي عياض والنوي مراد القائلين بتفاضل القرآن الكريم، فذكروا أنهم يريدون تفاضل الأجر والثواب^(٣)، وصرح ابن عبد البر بأن القرآن لا يتفاضل في نفسه، وأن التفضيل الوارد لمثل سورة الإخلاص إنما هو في الأجر والثواب، وذكر أن هذا المعنى يفر منه من يخاف التفضيل بين القرآن^(٤).

ولما ساق الزركشي الخلاف في المسألة ذكر قول المانعين، ثم أتبعه بقول المثبتين، وأنهم مختلفون فيما بينهم، فمنهم من فسر التفاضل بالأجر والثواب^(٥).

(١) تقدم هذا الكلام (ص ٤٠٠).

(٢) الفروع (١/٤١٥).

(٣) انظر: إكمال المعلم (٣/١٧٨)، وشرح النووي على مسلم (٦/٩٤)، وفتح الباري (٨/١٥٨).

(٤) الاستذكار (٨/١١٦).

(٥) البرهان (٢/٦٩)، وفعلت فعله الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢/١٢١)، =

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من فسر قول المثبتين بأنهم يريدون تفاضل الأجر والثواب، وبين أن المانعين لا ينازعون في هذا، لا الأشعري ولا غيره؛ لأن الثواب مخلوق، وتفاوته لا ينازع فيه أحد^(١).

ولم أجد - فيما اطلعت عليه من كلام أهل العلم في هذه المسألة - من صرح بأن القرآن الكريم لا تفاضل بين سوره وآياته في الأجر والثواب سوى ما يفهم من كلام ابن عبد البر، والقاضي عياض، والنووي، وسوى ما يفهم - أيضاً - من اعتراض بعض العلماء على من تأول حديث: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» بأن المراد تعدل ثلثه في الأجر والثواب.

اعترض بعض العلماء على هذا التأويل وضعفه بحديث: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها» الحديث^(٢).

فكيف تعدل الأحرف اليسيرة في سورة الإخلاص الأحرف الكثيرة لثلث القرآن، مع أن الحديث نص على أن كل حرف من أحرف القرآن

= وقد نقل الزركشي عن المانعين ما يفيد أن التفاضل الوارد في النصوص إنما هو تفاضل الأجر والثواب.

(١) مجموع الفتاوى (٥٢/١٧).

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي في سننه في أبواب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن (١١٥/٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٦٦/١) مرفوعاً وموقوفاً عليه، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وانظر أيضاً: المستدرک (٥٥٥/١)، وأخرجه موقوفاً على ابن مسعود الدارمي في سننه (٢/٨٨٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٤٦)، وصححه الألباني مرفوعاً في صحيح الجامع (١١٠٣/٢).

بعشر حسنات^(١)، والخلاف طويل في توجيه مساواة سورة الإخلاص
لثلاث القرآن، يطول الحديث بذكره^(٢).

والمقصود - هنا - ذكر من نفى تفاضل القرآن الكريم في أجره
وثوابه، على أنه لا يلزم من اعتراض المعترض على من تأول مساواة
سورة الإخلاص لثلاث القرآن في الأجر والثواب أن يكون نافياً لتفاضل
القرآن في الأجر والثواب مطلقاً، بل مقصوده الرد على من وجه الحديث
بذلك، والله أعلم.

وممن قال بتفاضل القرآن، وأرجعه إلى تفاضل الأجر والثواب أبو
بكر بن العربي فإنه صرح بتفاضل القرآن، وجعل الأجر والثواب أحد
وجهي التفاضل، وذكر أنه الأسلم^(٣).

ورجح النووي التفاضل وقيده بالثواب، فقال: «والمختار جواز
قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل، بمعنى أن الثواب المتعلق بها
أكثر»^(٤).

أما من صرح بنفي فضل القرآن بعضه على بعض، وتأوله
بالأجر والثواب فكثيرون، مثل: أبي حاتم بن حبان^(٥)، وابن

(١) انظر: البرهان (٧٧/٢)، والإتقان (٢٠٣/٢).

(٢) انظر في ذلك: الاستذكار (١١٥/٨ - ١١٩)، وإكمال المعلم (١٧٩/٣)،
والبيان والتحصيل (٣٧٢/١)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٠٣ -
١٤٠)، وفتح الباري (٦١/٩).

(٣) عارضه الأحوذى (٣/١١ - ٤)، وسيأتي ذكر الوجه الثاني في محله إن شاء الله.

(٤) شرحه على مسلم (٦٤/٦)، وصحح الحموي اختياره في القواعد والإشارات
في أصول القراءات (ص ٢٢)، وكذلك فعل أبو القاسم السهيلي نصر القول
بالتفضيل وأرجعه إلى الثواب.

انظر: الروض الأنف (٢٠٢/١).

(٥) الإحسان (٧٥/٢، ٧٧).

عبد البر^(١)، وابن حزم^(٢)، وغيرهم.

وهو أحد الوجوه في تأويل الخيرية الواردة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]^(٣).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الخلاف لفظي بين من قال: بالتفاضل وفسره بتفاضل الأجر والثواب، ومن قال بمنعه وتأوله بذلك.

ثم إن الذين جعلوا تفاضل القرآن الكريم متعلقاً بالأجر والثواب:

منهم من جعل الثواب متعلقاً بتلاوة السورة والآية، بمعنى أن السورة أو الآية التي جاء فيها تفضيل ثواب تلاوتها أعظم من السورة أو الآية التي لم يرد فيها شيء، فمن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليس كمن قرأ سورة المسد مثلاً، ولو قدر أن القارئ واحد، وحالته مع التلاوة واحدة من حيث الخشوع وحضور القلب، والتدبر والتفكر ونحو ذلك، فقراءة سورة الإخلاص لا يلحقها ثواب سورة أخرى، إذ الله تعالى بفضله ورحمته جعل لهذه السورة مزيداً من الأجر والثواب، وليس ذلك دالاً على أنها في نفسها أفضل من غيرها، قالوا: والله تعالى أن يفاضل بين الثواب في الفعلين وإن استويا، فالتفضيل إنما هو محض مشيئته^(٤).

ومنهم من جعل تفاضل الثواب متعلقاً بالعامل، ومرتباً بما يحصل

(١) تقدمت الإشارة إليه قريباً.

(٢) الفصل في الملل والنحل (٦/٣)، والإحكام في أصول الأحكام (٦١٨/٤)، ومثل هؤلاء: المهدوي في كتابه بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات (ص ٢٣٩) ضمن كتاب نصوص محققة في علوم القرآن د. الضامن.

(٣) انظر مثلاً: جامع البيان (٤٨٠/١)، ومعالم التنزيل (١٣٥/١)، والمستصفى (١٢٥/١)، والواضح في أصول الفقه (٢٥٤/١).

(٤) انظر: الاستذكار (١١٧/٨)، والقيس (٢٣١/١)، والروض الأنف (٢٠٢/١).

في قلبه من التدبر والتفكر والخشوع، وسكون النفس، وحضور القلب فيزداد أجره ويعظم ثوابه، فالتفاضل في الأجر إنما هو بحسب انفعالات النفس^(١).

فالأولون ربطوا الثواب بالعمل بغض النظر عن العامل، وهؤلاء ربطوه بالعامل وما يحصل في قلبه مما تقدم، والتأويل الأخير لا يختص بتلاوة القرآن فقط، وإنما جميع الأعمال متفاوتة في ثوابها بحسب تفاوت العالمين بها في إخلاصهم لله تعالى، وإقبال قلوبهم إليه، وتقواهم ونحو ذلك. والله أعلم.

الوجه الثاني:

أن التفاضل الوارد في النصوص ليس عائداً إلى السورة أو الآية، وإنما يعود إلى العامل والمكلف بها.

وبهذا الوجه فسر كثير من النافين لتفاضل القرآن النصوص الواردة في ذلك.

مثل قول ابن حبان في حديث: «ألا أخبرك بأفضل القرآن»^(٢)، قال: «أراد به بأفضل القرآن لك»^(٣).

ومثل قول ابن جرير في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال: «والصواب من القول في معنى ذلك عندنا: ما نبدل من حكم آية فنغيره أو نترك تبديله فنقره بحاله نأت بخير منها لكم من حكم الآية التي نسخنا فغيرنا حكمها»^(٤).

(١) البرهان (٦٩/٢).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٣) الإحسان (٧٥/٢).

(٤) جامع البيان (٤٨٠/١).

وقول الحافظ ابن عبد البر فيها: «ولم يختلف العلماء بتأويل القرآن أنها خير لعباده المؤمنين التاليين لها والعاملين بها... لا أنها في ذاتها أفضل من غيرها، فكذاك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خير لنا»^(١).

ويذكر العلماء بعض الفوائد والمنافع التي يحصل عليها القارئ والعامل بتلك السور والآيات المفضلة، يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: ما يحصل عليه من زيادة في الأجر والثواب بقراءته لها، وقد تقدم بسط هذا قريباً.

ثانياً: أن يكون العمل بالسورة أو الآية المفضلة أعود على العامل، وأنفع له من العمل بغيرها، أو تكون حاجته إليها أشد من حاجته لغيرها، مثل: كون السورة أو الآية الفاضلة أولى بالعمل من السورة أو الآية الأخرى؛ لكونها ناسخة، والعمل بالناسخ أولى من العمل بالمنسوخ.

ومثل: كون السورة أو الآية تشتمل على عمل أكثر ثواباً من عمل مذكور في سورة أو آية أخرى؛ فتكون المشتملة على عمل أكثر ثواباً أفضل للعامل من غيرها، أو تكون مشتملة على عمل أخف، فيحصل للعامل نفع في الدنيا لسهولة العمل عليه، وانتفاء المشقة عن النفس مما يؤدي إلى سرعة الاستجابة، والمصارعة إلى الالتزام بالعمل، ويلاحظ أن النفع في هذا المثال دنيوي، وفي الذي قبله أخروي.

ثالثاً: أن تكون السورة أو الآية المفضلة مشتملة على أحكام، وتحليل وتحريم، وأمر ونهي، فتكون خيراً للعامل من سور وآيات ليس فيها ذلك.

(١) الاستذكار (١١٧/٨). وانظر: التمهيد (٢٣١/١٩)، والإحكام لابن حزم (٤/٦١٨)، والفصول في الأصول للجصاص (٣٥٢/٢)، والواضح في أصول الفقه (٢٥٤/١).

رابعاً: أن يحصل للقارئ والتالي لتلك السور والآيات المفضلة انزجار وكفّ عن المحرمات، وخضوع وخشوع، وزيادة إيمان ويقين بتلاوتها؛ فيكون انتفاعه بها أعظم من غيرها، فتكون خيراً له من هذه الجهة.

خامساً: ومن المنافع والفوائد التي تحصل للعامل بالسور والآيات المفضلة أن تكون مما شُرعت الاستعاذة بها كالمعوذتين وآية الكرسي، أو شرع الاستشفاء بها كسورة الفاتحة ونحوها، فيحصل لقارئ تلك السور والآيات احتراز مما يخاف ويخشى، أو رفع لما نزل به من مرض ونحوه^(١).

الوجه الثالث:

أن التفاضل بين السور والآيات الذي تفيده النصوص الشرعية، راجع إلى تفاضل معانيها، وتفاوت مدلولاتها ومخبراتها.

فالمعاني التي اشتملت عليها سورة الإخلاص من الدلالة على وحدانية الله تعالى، وألوهيته، وصمديته، وأنه لا شريك ولا ند له، ولا نظير يكافئه، وغير ذلك من المعاني العظيمة، والمدلولات الجليلة التي اشتملت عليها هذه السورة أفضل من المعاني التي اشتملت عليها سورة المسد من ذم أبي لهب والدعاء عليه، والحديث عنه وعن زوجه، مع أن لكلا السورتين فضلاً وشرفاً من حيث كونهما كلام الله، لكن سورة الإخلاص أفضل من هذا الوجه، ففيها حديث الله عن نفسه، وثناؤه عليها، وتلك فيها حديثه عن بعض خلقه.

وكذلك المعاني التي في سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وآخر سورة

(١) انظر في هذه الأمور: جامع البيان (١/٤٨٠)، والمنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٤٤)، والمستصفى (١/١٢٥)، والواضح في أصول الفقه (١/٢٥٤)، والبرهان (٢/٧٢)، ومدارك التنزيل (١/٥٣).

الحشر، والآيات التي فيها أمر بالتوحيد، وإفراد الله بالعبادة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْكَلِمُ الْوَحِيدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ونحوها من الآيات لا توجد هذه المعاني العظيمة في السور والآيات التي فيها قصص وأخبار، أو حديث عن بعض الأحكام الشرعية كأحكام البيوع والمدائنات، وأحكام النكاح والطلاق والعدد، ونحو ذلك.

فالمعاني في السور والآيات متفاضلة متفاوتة في الشرف والقدر. وقد قَصَدَ هذا الوجه عدد من المرجحين لتفاضل القرآن الكريم، إلا أنهم نفوا أن يكون التفاضل راجعاً لنفس السورة وذاتها؛ لأن الذاتية عندهم في الكل واحد، وهي كونها كلام الله، وكلام الله لا تفاضل فيه.

ومن هؤلاء أبو بكر بن العربي، فإنه نص على أن السور والآيات تتفاضل، لكنه أرجع التفاضل إلى وجهين: أحدهما: ما تقدم من تفاضل الأجر والثواب، وجعل هذا الوجه هو الأسلم.

الثاني: تفاضل المعاني الموجودة في السور والآيات. ونص مع ذلك على أن التفاضل لا يدخل ذوات السور والآيات فقال عن القرآن الكريم:

«ولا تفاضل في حقيقته، ولا تفاوت في مرتبته، وخبر الله بأن بعضه أفضل من بعض إنما يعود...» وذكر الوجهين المتقدمين^(١)، ويؤكد ذلك فيقول عن الفاتحة:

«إن الشيء قد يشرف بذاته كشرف الله تعالى على خلقه، وليس هذا

(١) عارضة الأحوذى (٣/١١).

لفاتحة الكتاب لأن الذاتية في الكل واحدة، وهي كلام الله تعالى^(١)،
فقوله: وليس هذا لفاتحة الكتاب يقصد شرف الذات.

وفعل مثله القرطبي، فإنه رجح القول بالتفضيل بين القرآن الكريم،
وأضاف أن «التفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث
الصفة»^(٢).

فأثبت هنا تفاضل المعاني لكنه نفى أن تكون آية أفضل من أخرى
في ذاتها بقوله: «لا من حيث الصفة» أي: لا من حيث أن كلام الله
صفة من صفاته يتفاضل؛ لأن الصفات لا تفاضل بينها، هذا ما يفهم من
كلامه، والله أعلم.

الوجه الرابع:

من وجوه تفاضل القرآن الكريم التي يذكرها بعض العلماء تفاضله
في البلاغة والإعجاز، فبعضه أبلغ وأعظم إعجازاً من بعض.
وقد ذكر هذا الوجه بعض الأصوليين في ردهم على من نفى تفاضل
القرآن، وأن يكون بعضه خيراً من بعض.

وعلل القائلون بتفاوت القرآن في البلاغة والإعجاز بأن العرب
كانت تعجب من بعض القرآن، ولا تعجب من بعضه الآخر^(٣).

(١) القيس (١/٢٣١)، والغريب أنه ذكر هذا الكلام وجهاً من أوجه سبعة في فضل
الفاتحة على غيرها، ومع ذلك لم يلتزمه!

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٩٥)، والتذكار (ص٤٦)، وتبعه في هذا الترجيح
الزركشي في البرهان (٢/٦٩)، ومال إليه ابن حجر في فتح الباري: (٨/١٥٨)،
والطبيبي في الكاشف عن حقائق السنن (٥/١٦٤٤)، فقد ذكر أن
التفاوت بين السور والآيات إنما هو بحسب المذكور، أما من حيث كون
القرآن كلام الله فهو سواء في الفضل والشرف، وتبع القرطبي - أيضاً - محمود
السبكي في المنهل العذب المورود (٨/١٠٦).

(٣) العدة في أصول الفقه (٣/٧٩٢).

ولأنه قد يكون بعض الكلام المعجز مشتملاً على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن أو تتعلق بزيادة الفصاحة والبلاغة، ولا توجد في بعضه الآخر^(١).

قال هؤلاء: ولا يلزم أن يتحقق الإعجاز في كل آية من أي القرآن الكريم، ذلك أن التحدي إنما وقع بسورة مثل سور القرآن، وأقصر سورة فيه ثلاث آيات، فما جاء على مقدارها وجب أن يكون معجزاً^(٢).

وهذا الكلام الأخير على رأي من يرى أن أقل ما يقع به الإعجاز سورة أو ما يماثلها^(٣).

ويمثل القائلون بتفاوت إعجاز القرآن بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْثُوءَ أَبْلَى مَاءٍ لِي وَنَسَمَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

قالوا: «وفي هذه الآية من الإعجاز ما ليس في غيرها من الآيات»^(٤).

وقد علق الشوكاني على هذه الآية بقوله: «وقد أطبق علماء البلاغة على أن هذه الآية الشريفة بالغة من الفصاحة والبلاغة إلى محل يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين الأقلام في علم البيان، الراسخين في علم اللغة... إلى أن قال: وقد تعرض لبيان بعض ما اشتملت عليه من ذلك جماعة منهم فأطالوا وأطابوا»^(٥).

(١) التحرير والتنوير (١/٦٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر في القدر المعجز: البرهان (٢/٢٣٨)، والإتيان (٢/١٥٦)، ومناهل العرفان (٢/٢٣٠).

(٤) شرح اللمع للشيرازي (٢/٢٢٠). وانظر: قواطع الأدلة (٣/١٦٩).

(٥) فتح القدير (٢/٥٠٠)، وقد ألف في هذه الآية ابنُ الجزري كتاباً سماه: كفاية =

ومن الأمثلة التي يمثل بها القائلون بتفاوت القرآن في الإعجاز سورة المسد، قالوا: وقد يظهر في تلاوة غيرها من الآيات من الفصاحة والبيان ما هو أفضل منها^(١).

ومن العلماء من نفى تفاوت القرآن وتفاضله في البلاغة والإعجاز، واعتبر القول بتفاضله قصور نظر من قائله؛ لأنه إن قيل: إن سورة الإخلاص أفضل من سورة المسد، لما اشتملت عليه سورة الإخلاص من ذكر الله وتوحيده، وفي سورة المسد ذكر أبي لهب والدعاء عليه، فهذا القول غير صحيح، بل ينبغي أن يقال: إن ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ دعاء على أبي لهب بالخسران، فهل توجد جملة للدعاء بالخسران أفضل من هذه؟! لا

وكذلك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا توجد جملة تدل على الوحداية أبلغ من هذه.

قال: «فالعالم إذا نظر إلى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ في باب الدعاء بالخسران، ونظر إلى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول: أحدهما أبلغ من الآخر»^(٢).

ولذا جعل بعض العلماء الأسلوب في هاتين السورتين من باب: «هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها»^(٣).

= الألمعي في شرح قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَكْرَهُ أَلَيْسَ﴾. وهو مطبوع. وذكر الألوسي عن شيخه علاء الدين أنه كتب رسالة في هذه الآية «جمع فيها ما ظهر له، ووقف عليه من مزاياها فبلغ ذلك مائة وخمسين مزية». روح المعاني (٦٨/١٢).

- (١) الواضح في أصول الفقه (٤/٢٦٣).
- (٢) البرهان (٧١/٢)، ونقله عن شمس الدين الحوي. وانظر: الإتيان (١/١٩٩).
- (٣) الكاشف عن حقائق السنن (٥/١٦٤٤)، والحلقة المفرغة هي: المصمتة من جميع الجوانب غير مقطوعة. انظر: لسان العرب (٥/٣٣٩٧)، وتاج العروس (٢٦/٦) «فرغ».

ونقول - قطعاً - إن القائلين بأن القرآن متفاوت في البلاغة والإعجاز لا يريدون أن بعضه ضعيف في الإعجاز أو ليس بمعجز، بل القرآن عندهم وعند غيرهم قد بلغ مبلغاً عظيماً في البلاغة والفصاحة، أعجز العرب وقهرهم عن معارضته والإتيان بمثله، وهم بالمكان الرفيع من البلاغة والبيان، ومع بلوغ القرآن هذه المرتبة العظيمة السامية في الفصاحة والبيان، فإنه متفاوت فيها.

وبعدُ فإن القائلين بتفاضل القرآن في الإعجاز والبلاغة يرجعون التفاضل إلى نفس اللفظ، فهم يلتقون مع أصحاب الوجه الخامس الآتي:
الوجه الخامس:

أن سور القرآن الكريم وآياته متفاضلة في أجرها وثوابها، ومتفاضلة في معانيها ودلالاتها، وهذا كله دال على أنها متفاضلة في ذواتها وألفاظها.

فأصحاب هذا الوجه لا ينكرون ما تقدم من الأوجه، بل يؤكدونه، ويقولون: ما ذكره أصحاب الأوجه السابقة حق وصدق، وهو الذي دل على أن القرآن الكريم متفاضل في نفسه، فإن السورة أو الآية إذا امتازت على غيرها بعظم الثواب والأجر، أو جلالة المعاني دل ذلك على أنها في نفسها وذاتها أفضل من غيرها، وإلا فالتفضيل في الثواب دون أن يكون لنفس اللفظ فضل ومزية وشرف لا يمكن.

وهذا الوجه هو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله عن السلف، وذكره الزركشي ولم يسم قائله^(١).

ويفرُّ من هذا الوجه المانعون من تفاضل القرآن الكريم قاطبةً، ويفر منه - أيضاً - بعض القائلين بتفاضله كما تقدم^(٢).

(١) البرهان (٢/٦٩).

(٢) انظر (ص ٤١٣).

وسأنقل من كلام ابن تيمية ما يوضح هذا الوجه - وإن أطلت بعض الشيء - لما فيه من الفائدة في بيان المقصود به :

يقول : «قد علم أن تفاضل القرآن وغيره من كلام الله ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم، فإنه سبحانه واحد، ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها، وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»^(١).

ويقول بعد أن ذكر القرآن والتوراة والإنجيل :

«وهي وإن اشتركت في كونها كلام الله، فمعلوم أن الكلام له نسبتان : نسبة إلى المتكلم به، ونسبة إلى المتكلم فيه، فهو يتفاضل باعتبار النسبتين، وباعتبار نفسه أيضاً، مثل الكلام الخبري له نسبتان :

نسبة إلى المتكلم المخبر، ونسبة إلى المخبر عنه المتكلم فيه، ف﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ كلاهما كلام الله وهما مشتركان من هذه الجهة، لكنهما متفاضلان من جهة المتكلم فيه المخبر عنه، فهذه كلام الله وخبره الذي يخبر به عن نفسه، وصفته التي يصف بها نفسه، وكلامه الذي يتكلم به عن نفسه، وهذه كلام الله الذي يتكلم به عن بعض خلقه، ويخبر به عنه، ويصف به حاله، وهما في هذه الجهة متفاضلان بحسب تفاضل المعنى المقصود بالكلامين»^(٢).

ويقول أيضاً :

«فكذلك حروف القرآن تتفاضل لتفاضل المعاني وغير ذلك، فحروف الفاتحة له بكل حرف منها حسنة أعظم من حسنات حروف من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٧/٥٧ - ٥٨).

(٣) المصدر السابق (١٧/١٣٧).

ويقول أيضاً:

«وربما نقل عن بعض السلف في قوله تعالى: ﴿ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾، أنه قال: خير لكم منها، أو أنفع لكم، فيظن الظان أن ذلك القائل موافق لهؤلاء [يقصد النافين لتفاضل القرآن] وليس كذلك، بل مقصوده بيان وجه كونه خيراً، وهو أن يكون أنفع للعباد، فإن ما كان أكثر من الكلام نفعاً للعباد كان في نفسه أفضل»^(١).

وبعد عرض هذه الأوجه الخمسة ألفت نظر القارئ لما يأتي:
أولاً: ما تقدم تقريره من أن المانعين من التفضيل بين سور القرآن وآياته، ليسوا على مذهب واحد في ذلك.
وكذلك المثبتون لتفاضل القرآن ليسوا على مذهب واحد في ذلك.

ومعرفة هذا تفيد في نسبة الأقوال لأصحابها، فقد ينسب القول بالتفاضل لبعض العلماء بإطلاق، وعند تأمل كلامه تجده يلتقي مع المانعين من تفاضله، فهو يتأول التفاضل بما يتأوله به المانعون، مثل من يقول: إن القرآن متفاضل كما نطقت به النصوص، لكنه راجع إلى الأجر والثواب، أو راجع إلى ما يحصل للعامل من الخير والنفع بتلك السور والآيات المفضلة.

وقد يأتي عن بعض العلماء قول مطلق في المسألة، بمعنى أنه يثبت أو ينفي ولا يزيد.

ثانياً: يمكن جعل القائلين بتفاضل القرآن الكريم على ثلاث درجات:

١ - من قال بتفاضله، وجعله خارجاً عن اللفظ والمعنى، وعلقه بأمر

(١) المصدر السابق (١٧/٥٣ - ٥٤).

خارجي كمن جعل التفاضل متعلقاً بالأجر والثواب، أو متعلقاً بما يحصل للعامل والقارئ لتلك السور والآيات المفضلة من فضائل ومنافع وفوائد.

٢ - من قال بتفاضل القرآن، وجعله متعلقاً بمعاني السور والآيات ومدلولاتها ومخبراتها دون ألفاظها.

٣ - من قال بتفاضل القرآن الكريم، وجعله شاملاً لما ذكره أصحاب الدرجتين السابقتين، وشاملاً لألفاظه بمعنى أن التفاضل متعلق بنفس السورة والآية وذاتها.

ثالثاً: لا يعني سياق الأوجه الخمسة السابقة أن كل وجه منها مختصّ بقوم دون قوم، ومن قال بوجه لا يقول بوجه آخر، فهذا غير مراد، فقد يقول بعض العلماء بأكثر من وجه، مثل أصحاب الوجه الخامس، لا ينكرون ما ذكره غيرهم، ومن هذا أن بعض العلماء ينص على أن الخيرية مطلقة، أو أنها من كل وجه^(١) فقله يفيد عموم الخيرية. ومن العلماء من يصرح بنفي بعض الأوجه، ويمنع أن تكون داخلية في تفاضل القرآن الكريم.



(١) انظر: قواطع الأدلة (٣/ ١٧٠)، والعدة في أصول الفقه (٣/ ٧٩١).

المبحث الثالث

أدلة كل فريق ومناقشتها مع الترجيح

ج وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

أدلة المانعين من تفاضل القرآن ومناقشتها

تقدم أن المعتزلة توافق الجمهور في القول بتفاضل القرآن الكريم، لكن دليلهم الذي بنوا عليه القول بتفاضله لا يسلمه لهم الجمهور.

وهذا الكلام ينطبق تماماً على المانعين من تفاضل القرآن الكريم، فإنهم ليسوا على معتقد واحد في صفات الله تعالى، ومنها صفة الكلام، ولذلك قد يقول أحدهم بدليل لا يسلم به الآخر.

وسأعرض لأدلتهم في الجملة بغض النظر عن هذا، وبغض النظر عن تأويل المتأول منهم لتفاضل القرآن، وقد تقدم أن مسألة تفاضل القرآن مبنية على تفاضل كلام الله تعالى، ولذلك قد يتجه الاستدلال والنقاش إليها.

وللمانعين من تفاضل القرآن دليلان:

الأول:

أن القرآن الكريم كلام الله، وكلامه صفة من صفاته، ولا يقال في صفاته: إن بعضها أفضل من بعض؛ لأن صفات الله في غاية التمام والكمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهي لا تقبل التفاضل والتخاير، وإنما يكون التفاضل والتخاير في المخلوقات المحدثات.

ثم إن القول بتفضيل بعض القرآن على بعض يلزم منه أن يكون المفضل ناقصاً.

يقول ابن جرير بعد أن منع التفاضل في القرآن: «لأن جميعه كلام الله، ولا يجوز في صفات الله - تعالى ذكره - أن يقال: بعضها أفضل من بعض، وبعضها خير من بعض»^(١).

ويقول أبو حاتم بن حبان:

«لأن كلام الله يستحيل أن يكون فيه تفاوت التفاضل»^(٢).

ويقول الحافظ ابن عبد البر:

«ولسنا نقول في ذاتها أفضل من غيرها [يقصد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾]؛ لأن القرآن عندنا كلام الله، وصفة من صفاته، ولا يدخل التفاضل في صفاته؛ لدخول النقص في المفضل منها»^(٣).

الدليل الثاني:

أن القرآن الكريم من كلام الله تعالى، وكلامه شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض، فلا يمكن - والحالة هذه - أن يقال بعضه أفضل من بعض؛ لأنه لا بعض له أصلاً.

وهذا الدليل استدل به بعض النافين لتفاضل القرآن كأبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني، ومن وافقهما في القول بالكلام النفسي، وأنه معنى واحد، وهو مذهب الأشاعرة^(٤)، يقول أبو بكر الباقلاني:

(١) جامع البيان (١/٤٨٠).

(٢) الإحسان (٢/٧٥).

(٣) الاستذكار (٨/١١٧). وانظر: إكمال المعلم (٣/١٧٨)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٤٣٥)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢٥٢).

(٤) انظر: إكمال المعلم (٣/١٧٨)، ومجموع الفتاوى (١٧/٥٢).

«والقديم لا يجوز أن يفضل بعضه على بعض ولا يوصف بالأبعاض، وإنما الذي يبعض ويحدد تلاوة القديم، لا نفس الكلام القديم»^(١).
ويقول أيضاً:

«لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ هو القرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد لا يختلف ولا يتغير»^(٢).

ويوجز شيخ الإسلام ابن تيمية مأخذ المانعين من تفاضل القرآن الكريم فيقول:

«وفي الجملة، فالذين يمنعون أن يكون كلام الله بعضه أفضل من بعض لهم مأخذان:

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص ١٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٣). وانظر: أيضاً مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٥٦). ولمزيد إيضاح هذا الدليل فإن الكلاية والأشاعرة، أو بعضهم يرون أن كلام الله هو الكلام النفسي، وأنه قائم به تعالى لا ينفك عنه، أما القرآن العربي فهو عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وليس هو كلام الله، على اختلاف بين الكلاية والأشاعرة في ذلك، ويضيفون أن القرآن العربي مخلوق، فلا مانع من تفاضل القرآن العربي عندهم لأنه عبارة عن كلام الله، وهذه العبارات مخلوقة فلا مانع من تفاضلها، بخلاف كلام الله فهو غير مخلوق، فلا يقبل التغاير والتبعيض فضلاً عن أن يقبل التفاضل، ولذلك نقل أبو الحسن الأشعري عن ابن كُلاب قوله:

«إن العبارات عن كلام الله - سبحانه - تختلف وتتغير، وكلام الله - سبحانه - ليس بمختلف ولا متغير، كما أن ذكرنا لله ﷻ يختلف ويتغير، والمذكور لا يختلف ولا يتغير».

مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٤). وانظر في هذا: الملل والنحل (١/٩٦)، ومجموع الفتاوى (١٧/٦٩، ١٥٣)، وشرح الطحاوية (ص ١٤٠)، ولوامع الأنوار البهية (١/١٦٧).

أحدهما: أن صفات الرب لا يكون بعضها أفضل من بعض، وقد يعبرون عن ذلك بأن القديم لا يتفاضل.

الثاني: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل، وهذا على قول من يقول: إنه واحد بالعين^(١).

مناقشة الدليلين:

أولاً: مناقشة الدليل الأول:

اشتمل الدليل الأول على أمور ثلاثة هي:

- ١ - أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وكلامه من صفاته.
- ٢ - أن صفات الله تعالى لا تقبل التفاضل والتخاير.
- ٣ - أنه يلزم من التفضيل بين صفات الله تعالى دخول النقص على المفضل منها.

قال القائلون بتفاضل القرآن الكريم:

- ١ - أما الأمر الأول الذي ذكرتموه فمسلم به، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى.

وأما الأمر الثاني والثالث فننازعكم فيهما:

- ٢ - فقولكم في الأمر الثاني: إن صفات الله ﷻ لا تقبل التفاضل والتخاير غير صحيح، فالأدلة الشرعية لا تمنع من تفاضل صفات الله، بل ولا تفاضل أسمائه، فأنتم استدللتم على عدم تفاضل القرآن بمورد النزاع بيننا وبينكم.

قالوا: وعندنا من الأدلة السمعية والعقلية ما يكفي لإثبات تفاضل أسماء الله وصفاته، ومن هذه الأدلة:

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٦٢). وانظر (ص ٥٢) من الجزء نفسه.

أ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - قال: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده: غلبت، أو قال: سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش»^(١).

قال شيخ الإسلام: «فوصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها»^(٢).

ب - أن الأحاديث النبوية جاءت بوصف بعض أسماء الله تعالى بالأعظم والأكبر، ومن فضله وأعظميته أن الله تعالى إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وهذا يدل على خصوصية فيه من بين سائر الأسماء.

فمن النبي ﷺ أنه سمع رجلاً يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى»^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١٦/٨) وهذا لفظه، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة (٢١٠٧/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٩١/١٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب الدعاء (٧٩/٢)، والترمذي في سننه في أبواب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن الرسول ﷺ (١٥٤/٩) واللفظ له، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب اسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢)، وأحمد في المسند (٣٥٠/٥)، والحاكم في المستدرک (٥٠٤/١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، روه هؤلاء كلهم عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه، وقال ابن حجر عن هذا الحديث: «هو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك» فتح الباري (٢٢٥/١١)، وصحح إسناده الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح (٧٠٨/٢).

وقد جرى العلماء على تفسير هذا الحديث، فبحثوا في المراد بالاسم الأعظم، وتعددت أقوالهم في ذلك، حتى من بعض من ينفي تفاضل الأسماء والصفات، ولا شك أن اجتهاد العلماء في استخراج الاسم الأعظم وتحديد المراد به دليل على إقرارهم بأنه لله اسماً أعظم يُسئل به فيعطى، ويُدعى به فيجيب، فهذه الخصوصية المذكورة دليل على أعظميته وأفضليته على غيره^(١).

ج - عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

وفي هذا الحديث دليل على اختصاص فضيلة لهذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن فضيلتها ومزيتها أن إحصاءها سبب لدخول الجنة^(٣)، وقد اتفق العلماء على أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في هذه التسعة والتسعين^(٤).

وإذا جاز تفاضل أسماء الله تعالى، فجواز تفاضل صفاته من باب أولى؛ لأنها مشتقة منها، فما من اسم لله تعالى إلا ويشق منه صفة.

ثم إن صفات الله ﷻ تتفاضل من وجهين:

الأول: أن بعض الصفات أفضل من بعض، فلما نعلم أن اتصاف

(١) انظر في تعيين المراد بالاسم الأعظم: فتح الباري (١١/٢٢٤)، وكتاب الدر المنظم في الاسم الأعظم ضمن كتاب الحاوي للفتاوي (٢/٣١ - ٣٦)، وكتاب اسم الله الأعظم للدميجي (ص ١١١ - ١٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً (٨/١٦٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء (٤/٢٠٦٣) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مباحث المفاضلة في العقيدة (ص ٦٩).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/٥).

العبد بالعلم والقدرة والرحمة أعظم من اتصافه بضد ذلك، لكنَّ الله تعالى وتقدس لا يوصف بضد ذلك، ولا يوصف إلا بصفات الكمال.

الثاني: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فإن الرضا عن النبيين أعظم من الرضا عن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم، وكذلك صفة الكلام، فإن تكليم الله تعالى لبعض عباده أكمل من تكليمه لآخرين^(١).

٣ - قال المبتون لتفاضل القرآن الكريم:

وأما الأمر الثالث الذي ذكرتموه وهو أن التفضيل بين صفات الله تعالى يلزم منه نقص المفضول منها، وصفات الله لا نقص فيها، فنقول جواباً عن ذلك:

ما ذكرتموه من أن صفات الله لا نقص فيها صحيح لا إشكال فيه، ونحن نقول به، لكن القول بأن التفضيل بين الصفات يلزم منه نقص المفضول غير صحيح، ولا يسلم لكم، لما يلي:

أ - أن المفاضلة لا تكون إلا بين شيئين بينهما قدر مشترك في الفضل والكمال؛ لينظر أيهما أكمل وأفضل، فإذا قيل: هذه الآية أفضل من تلك دل على أن لكلا الآيتين فضلاً، لكن إحداهما أفضل من الأخرى، وقد أشار النحويون في باب «أفعل التفضيل» إلى أنه «لا بد من كون المفضول مشاركاً للمفضَّل فيما ثبت فيه التفضيل، فإن ورد لفظ التفضيل دون ظهور مشاركة في الفضل قدرت المشاركة بوجوه من الوجوه»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢١١/١٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٤٦/١٧)، وشرح التسهيل لابن مالك

(٥٤/٣)، وما بين القوسين منه بتصرف يسير، وجمع الهوامع (١٠٤/١).

ب - القول بأن تفضيل بعض الصفات على بعض يلزم منه نقص المفضلون توهم لا ترد به النصوص، وإلزام بما لا يلزم، فإن المفاضلة بين المخلوقات الفاضلة لا يلزم منه نقص المفضلون ولا عيبه والخط من قدره.

فلو فاضلنا بين الأنبياء، وقلنا: إن محمداً ﷺ أفضلهم، لم يلزم منه تنقص إبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم جميعاً صلوات الله وتسليمه.

ولو فاضلنا بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ففضلنا أبا بكر كما دلت عليه النصوص، لم يلزم من هذا التفضيل انتقاص عمر رضي الله عنه والخط من قدره، وإنما لكل منهما منزلة وفضل عظيم، لكن فضل أبي بكر ومنزلته أعظم.

فإذا كان التفاضل بين المخلوقات التي تقبل النقص بطبيعتها لا يلزم منه نقص المفضلون منها، فلأن لا يلزم ذلك في صفات الله ﷻ أولى وأولى؛ لأنها في غاية الكمال والتمام والجمال، ولا نقص فيها أصلاً^(١).

يقول القرطبي^(٢) صاحب «المفهم» راداً على من قال بنقص المفضلون: «إن أريد بالنقص اللازم من التفضيل إلحاق ما يعيب المفضلون، فهذا ليس بلازم مطلقاً، وإن أريد بالنقص أن المفضلون ليس فيه ما في الأفضل من ذلك القدر الذي زاد به فهو الحق، ولولا ذلك لما

(١) مباحث المفاضلة في العقيدة (ص ٩١)، «وفضائل القرآن» للغماري (ص ٧٠).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم القرطبي الأندلسي المالكي، من أعيان فقهاء المالكية، مع براعته في الحديث، من مصنفاته: «المفهم»، ومختصر لصحيح البخاري، ومختصر لصحيح مسلم، توفي سنة (٦٥٦هـ).

انظر: الديباج المذهب (ص ١٣٠)، ونفح الطيب (٢/ ٦١٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٣).

تحققت المفاضلة، ثم لا يجوز إطلاق النقص ولا الأنقص على شيء من كلام الله تعالى»^(١).

ونقول أيضاً: كون التفضيل بين القرآن يلزم منه مفضولية البعض، فهذا لا محذور فيه بالنسبة إلى بعضه الأفضل كإثبات الفصح، والأفصح، ونحو ذلك^(٢).

ج - أن إثبات التفاضل بين صفات الله ﷻ لا ينفي دلالة الصفة المفضولة على الكمال، فضلاً عن أن يلزم منه نقص في الرب ﷻ فإنه لا منتهى لكماله وعظمته، وهذا الكمال متفاوت في صورته وأشكاله ومدلوله ومفهومه، ومن تأمل معاني الأسماء والصفات وجد في كل واحد منها ما يدل على جانب من جوانب كماله ﷻ، وقد يكون في بعض المعاني لتلك الأسماء والصفات ما يدل على كمال أرفع من بعض، ولذلك جاءت النصوص بالاسم الأعظم، لتدل على عظمة فيه أرفع من غيره من الأسماء، ولتدل على أن الصفة التي يتضمنها هذا الاسم الأعظم أرفع وأعظم من غيرها من الصفات، وإلا لما كان لوصف هذا الاسم بالأعظم فائدة^(٣).

ثانياً: مناقشة الدليل الثاني:

وحاصل الدليل - كما تقدم - أن القرآن الكريم كلام الله، وكلام الله معنى واحد، فلا يقبل التفاضل والتخاير.

ونوقش هذا الدليل من قبل المثبتين لتفاضل القرآن بأنه دليل غير صحيح، فلا يصح ما بُني عليه، ولذلك لا يلزم التسليم به.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٤٣٦).

(٢) القواعد والإشارات في أصول القراءات (ص ٢٢).

(٣) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف (ص ٢٦١).

قال المثبتون: ولنا عنه جوابان:

الجواب الأول: أن الأدلة الشرعية قد دلت على تعدد معاني كلام الله - خلاف ما ذكرتم - ودلت على أنه ﷻ له كلمات متعددة لا نهاية لها.

فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ذكر كلمات الله تعالى بصيغة الجمع، ووصفت بأنها لا نفاذ لها:

أ - قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

ب - وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ج - وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤].

ففي الآيات السابقة دليل ظاهر على أن كلام الله ليس واحداً، وأنه متعدد، ولذا جاء وصفه بصيغة الجمع «كلمات».

وأوضح من ذلك أن آيات أخرى وصفت كلمات الله بالكثرة التي لا تنتهي لها:

د - قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

هـ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فلو أن جميع أشجار الأرض صُيِّرَتْ أقلاماً، وجُعل البحر مداداً يُكتب به، وأضيف إلى هذا البحر سبعة أبحر أخرى تُمدّه عند نفاده، ثم كُتبت كلمات الله بهذه الأقلام وهذا المداد، لتكسرت الأقلام وفنيت، وفني معها هذا المداد العظيم قبل أن تفنى كلمات الله^(١).

و - ومن دلالة السنة على تعدد كلام الله قول النبي ﷺ: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»^(٢).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

الجواب الثاني: أن القول بأن كلام الله معنى واحد لا يتعدد، ولا يتجزأ، ولا يتبعض يلزم منه لوازم باطلة، ومن هذه اللوازم:

أ - أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، هو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ويكون معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، وسورة الإخلاص هو معنى سورة المسد، وهذا لا قائل به.

ب - أن يكون معنى التوراة والإنجيل هو معنى القرآن؛ لأن الجميع كلام الله، فلو ترجم القرآن - على هذا القول - إلى العبرية صار توراة، ولو ترجم إلى السريانية صار إنجيلاً، وهذا باطل، فلو عربت التوراة والإنجيل لم تكن كالقرآن الكريم.

ج - أن يكون موسى ﷺ حينما كلمه ربه سمع جميع كلامه،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٣٥١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء (٤/٢٠٨٠) من حديث خولة بنت حكيم السُّلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتلقى جميع المعنى؛ لأنه عندكم واحد لا يتعدد ولا يتبعض، وهذا باطل لأنه يلزم منه إحاطة موسى بجميع علم الله وكلامه، والله تعالى قد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ^(١).

ويكفي في بطلان هذا الدليل أن أصله قولٌ لبعض أهل البدع في كلام الله تعالى، وهو القول بالكلام النفسي الذي قال به الأشاعرة، وقد رد عليهم أئمة أهل السنة، وبينوا القول الحق في كلام الله تعالى، المخالف لكل من قولي الأشاعرة والمعتزلة.

المطلب الثاني

أدلة المثبتين لتفاضل القرآن ومناقشتها

استدل القائلون بتفاضل القرآن بأدلة كثيرة:

الدليل الأول: ما ورد في القرآن الكريم من الخبر بأن بعض القرآن الكريم خير من بعض، وبعضه أحسن من بعض:

١ - قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال المبتنون: ففي الآية إخبار من الله تعالى أنه يأتي بآية خير من آية أو مثلها، مما يدل على أن الآيات القرآنية تتماثل تارة وتفاضل أخرى ^(٢).

قالوا: ولو لم تكن لفظة «خير» في الآية دالةً على التفضيل وعلى أمر زائد عن المثلية، وكانت الآية الناسخة مثل المنسوخة، لما كان هناك

(١) انظر في هذا النقاش: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٢/١٢٢، ١٧/٧١،

١٥٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٤٠)، ولوامع الأنوار البهية (١/١٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٠).

فائدة من قوله: «أو مثلها»؛ لأن المثلية عند المانعين متحققة ولازمة لكل آية من القرآن، فعندهم: كل آية مثل الآية الأخرى، فلا فائدة حينئذٍ من الإتيان بقوله: «أو مثلها»^(١).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَمَنْ عَمِلَ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۖ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

٣ - وقال - أيضاً -: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مَن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۚ﴾ [الزمر: ٥٥].

وهاتان الآيتان تدلان على أن في القرآن الكريم حسناً وأحسن^(٢).

الدليل الثاني:

أنه قد جاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة فيها الخبر عن بعض السور والآيات بأنها أعظم وأفضل من بعض، والخبر عن بعضها بأنه لم ينزل أو يُر مثلهن، ومن هذه الأحاديث:

١ - عن أبي سعيد بن المعلى^(٣) رضي الله عنه قال: «كنت أصلي، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، قلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثم قال لي: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: «ألا أعلمك

(١) انظر: كتاب «أم القرآن والسبع المثاني» (ص ٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٢/١٧).

(٣) قيل: اسمه رافع بن المعلى، وقيل: الحارث بن المعلى الأنصاري الزرقى،

معدود في أهل الحجاز. توفي سنة أربع وسبعين، وقيل ثلاث وسبعين.

انظر: أسد الغابة (١٤٢/٦)، والإصابة (١٦٥/١١).

أعظم سورة من القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١).

٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟» قال: فتلا عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ②^(٢).

٣ - عن عبد الله بن جابر^(٣) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: اقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ③ حتى تختتمها»^(٤).

٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في سورة الفاتحة: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها»، وقد تقدم^(٥).

٥ - ما تقدم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب (٦/١٠٣) وهذا اللفظ منه، ورواه قبل ذلك في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (١٤٦/٥).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب (١١/٥)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٧٤/٢ - ٧٥)، والحاكم في المستدرک (١/٥٦٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

(٣) البيضاوي الأنصاري، ولم أجد في ترجمته سوى أنه روى هذا الحديث، وحديثاً آخر فقط.

انظر: أسد الغابة (٣/١٩٢)، والإصابة (٦/٣٢).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/١٧٧)، وجوّد إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٤/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣١٠): «فيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سيئ الحفظ، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات»، وجود إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/١).

(٥) انظر (ص ٢٩٩).

«يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم» الحديث^(١).

٦ - ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في سورة الإخلاص: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»، وقد تقدم^(٢).

٧ - قال رسول الله ﷺ: «أنزل أو أنزلت علي آيات لم يُرَ مثلهن قط: المعوذتين»^(٣).

قال المثبتون: فلم يستشكل هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أن تكون هناك سورة هي أعظم سور القرآن، وآية هي أعظم آي القرآن، ولا قالوا للنبي - عليه الصلاة والسلام -، وهم رواة الأحاديث عنه: كيف يكون هناك أعظم سورة أو أفضل آية، والقرآن كله عظيم وفاضل؟!

بل إن النبي ﷺ كرر السؤال على أبي بن كعب رضي الله عنه مما دعاه إلى الاجتهاد في استنباط أعظم آية في القرآن، وكان موفقاً في استنباطها، فهناه النبي ﷺ على معرفته وعلمه^(٤).

الدليل الثالث:

أن الله - جل وعلا - فضّل القرآن الكريم على الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، وجعله مهيمناً عليها، وخصّه بمزايا فاق بها جميع الكتب قبله، مع أنها كلها كلام الله نزلت من عنده، وهذا دليل واضح على تفاضل كلام الله تعالى، وقد تقدم في الفصل السابق التدليل على فضل القرآن على الكتب السابقة بما أغنى عن إعادته.

(١) انظر (ص ٣٠٠).

(٢) انظر (ص ٣٩٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/٥٥٨)، من حديث عتبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٨٣).

الدليل الرابع:

أن الله - جل وعلا - فضل بعض كلامه على بعض، فخص بعض أنبيائه بأن كلمه من وراء حجاب بلا واسطة ملك، كما كلم موسى - عليه الصلاة والسلام - وكانت هذه فضيلة امتاز بها موسى عن غيره من الرسل، قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] فسمي كلیم الله، وهذا يدل على أن تكليمه من وراء حجاب بلا واسطة أفضل من الایحاء إلى غيره بواسطة الملك، مع أن الرسل يشتركون جميعاً في تلقي الوحي من الله تعالى، وقد سمي الله الوحي وإرسال الملك، والتكليم من وراء حجاب كلاماً فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وإذا صح فضل بعض كلام الله على بعض، صح ذلك في القرآن الكريم لأنه كلام الله^(١).

الدليل الخامس:

أن الشارع الحكيم خص بعض السور بالقراءة في مواضع متعددة دون غيرها من السور، كسورة الفاتحة والإخلاص، وهذا التخصيص يدل على مزيتهما وفضلها على غيرها.

الدليل السادس:

أن السور والآيات لو كانت سواء في الفضل والشرف، فما معنى تخصيص بعضها بالثناء، والإخبار بأن تلك السورة أفضل السور، وأن تلك الآية أعظم الآيات، وما الفائدة من تأليف بعض العلماء في فضائل السور والآيات؟^(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٦٧/١٧).

(٢) انظر: شرح اللمع للشيرازي (٢/٢٢٠)، وجواهر القرآن ودرره (ص ٤٤).

وقد جرى العلماء قديماً وحديثاً على التأليف في ذلك، وأجمعوا على شرح الأحاديث في ذلك وتفسيرها، وبحثوا عن الأسباب والأوجه التي استحققت بها بعض السور والآيات هذا الثناء.

وكتب شروح الحديث مملوءة بمثل هذا، بل إن بعض المانعين من تفاضل القرآن، إذا تكلم عن القرآن وفضله، أو شرح بعض الأحاديث في فضائل بعض السور والآيات، استرسل في الحديث وخرج منه ما يدل على التفضيل.

ومن ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري عند حديثه عن فضل القرآن على الكتب السابقة، يقول:

«ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء...»^(١) إلى آخر كلامه، وتقدم أن ابن جرير من المانعين من تفاضل القرآن الكريم.

ومثل ما ذكره الحافظ ابن عبد البر، عند شرحه لحديث: «ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها...»^(٢). حيث يقول:

«فمعناه مثلها في جمعها لمعاني الخير»، ثم أخذ يعدد بعض وجوه خيريتها إلى أن قال: «فهي أجمع سورة للخير، وليس في الكتاب مثلها على هذه الوجوه»^(٣).

وابن عبد البر صرح بأن القرآن لا فضل لبعضه على بعض، ولو

(١) جامع البيان (١/٨٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩٩).

(٣) الاستذكار (٤/١٨٦)، وقد نقل كلامه بطوله شيخ الإسلام ابن تيمية مؤيداً به القول بتفاضل القرآن. مجموع الفتاوى (١٧/١٧).

تتبع المنصف كلام العلماء في مثل هذه الأحاديث، لرأى من ذلك شيئاً كثيراً، فكلامهم منتشر في كتب كثيرة.

مناقشة أدلة المثبتين:

للمانعين من تفاضل القرآن الكريم اعتراضات على ما استدل به المثبتون مجملها اعتراضان:

الاعتراض الأول:

اعتراض على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

ووجه الاعتراض: أن الخيرية المذكورة في الآية الكريمة لا ترجع إلى الآية نفسها، وإنما إلى المكلف والعامل بها، وهذه الخيرية تحصل للمكلف: إما بكثرة الثواب إذا كانت الآية الناسخة مشتملة على عمل أشق وأثقل، فيحصل العامل على ثواب أكثر، وإما بالمسارعة إلى الامتثال إذا كانت الآية الناسخة مشتملة على عمل أخف وأيسر.

وتقدم كلام ابن عبد البر حول هذه الآية، حيث ذكر أن العلماء بتأويل القرآن لم يختلفوا في أن الخير المذكور في الآية هو خير للعباد التالي لها، والعاملين بها، لا أنها في ذاتها أفضل من غيرها^(١).

وقد أجاب المثبتون لتفاضل القرآن عن هذا الاعتراض بأمور:

الأول: قالوا: لو كان ما ذكرتموه صحيحاً من أن الخيرية ترجع إلى المكلف والعامل لقال في الآية: «خير لكم»، فلما لم يقل دل على ما يقتضيه الإطلاق، من كون الناسخ خير من جهة نفسه وذاته، ومن جهة

(١) انظر (ص ٤١١). وانظر في هذا الاعتراض: جامع البيان (١/ ٤٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٥٨)، وإحكام الفصول للباجي (ص ٣٥٤)، والواضح في أصول الفقه (١/ ٢٥٤).

الانتفاع به في العاجل والآجل، ونحن لا ننفي ما ذكرتموه، كما لا ننفي أن الآية خير من جهة نفسها وذاتها^(١).

الثاني: أن قصر الخيرية على ما ينفع الملكف تحكم، فإن الله قال في الآية: ﴿يَخْتَرُ مَنَّا أَوْ مِثْلَهُا﴾، وهذا يقتضي الخيرية من كل وجه، يقول ابن عقيل الحنبلي:

«وكذلك قوله: «أو مثلها» يشهد لما ذكرنا [يقصد ما ذكره من أن الخيرية يراد بها القرآن نفسه] لأن المماثلة يقتضي إطلاقها من كل، سيما وقد أنشأ تأنيث الآية، فكأنه قال: نأت بآية خير منها أو آية مثلها»^(٢).

الثالث: أن تفسير الخيرية بكثرة الأجر والثواب يدل على أن المفضل بهذا خير في نفسه، وأن فيه من الفضيلة والخيرية ما اقتضى تفضيله على ما ليس كذلك. أما التفضيل بالثواب مع التساوي بين المفضل والمفضل عليه فإن هذا ممتنع، ومخالف للشرع والعقل، وهو بمنزلة من جعل عملين متساويين من كل وجه، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أنه لم يختص الأكثر ثواباً وأجراً بمزية عن الأقل، وإنما هو مثله، مثل: لو تصدق رجل واحد، بدرهم ودرهم في وقت واحد، ومكان واحد، على اثنين متساويين في الاستحقاق، ونيت بهما واحدة، ولم يتميز أحدهما عن الآخر بفضيلة، فكيف يجعل ثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر^{(٣)؟}!

الرابع: أنه لا يجوز أن يراد بالخير - المذكور في الآية - ما كان أسهل عملاً، أو أشق وأكثر ثواباً؛ لأن هذين الوصفين ثابتان لكل مأمور

(١) الواضح في أصول الفقه (٤/٢٦١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/٤٧).

(٢) الواضح (٤/٢٦٢). وانظر أيضاً: العدة لأبي يعلى (٣/٧٩١)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٣/١٧٠) فقد صرحا بأن الخيرية في الآية مطلقة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٢، ١٦٩، ٢١٠).

به، سواء كان الأمر به ابتداءً، أو كان ناسخاً لأمر قبله.

وبيان هذا: أنه إما أن يكون المأمور به أيسر، فيكون خيراً من هذه الجهة، وهي اليسر.

وإما أن يكون أشق وأكثر ثواباً، فيكون خيراً من هذه الجهة، وهي كثرة الثواب، فإذا كانت هذه الصفة لازمة لجميع الأحكام لم يحسن أن يقال: ما ننسخ من حكم آية، نأت بخير منه أو مثله، فإن المنسوخ - أيضاً - يكون خيراً ومثلاً بهذا الاعتبار، فتفسير الخيرية في الآية بهذا غير صحيح^(١).

الاعتراض الثاني:

قال النافون لتفاضل القرآن: إن ما ذكرتموه من الأدلة التي جاءت بصيغة التفضيل مثل: «أحسن» و«أعظم» و«أفضل» ونحوها ليست على ظاهرها، فلا يراد بها حقيقة التفضيل، وأن بعض السور والآيات أفضل من بعض، وإنما المراد بيان عظمة القرآن، وعظمة السور والآيات التي جاءت فيها هذه الصيغ، فقوله في الحديث: «أعظم»، و«أفضل» إنما هو بمعنى: عظيم، وفاضل، وهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عِلَّتُهُ﴾ [الروم: ٢٧] أي: هين عليه، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْبَرُ﴾ [النجم: ٣٢] أي: عالم بكم^(٢).

وقد أجاب المشتون بما يلي:

أولاً: بعيد جداً أن يراد بأعظم وأفضل: عظيم، وفاضل؛ لأن القرآن كله عظيم وفاضل، وعلى هذا يكون السؤال الوارد في حديث

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/١٧).

(٢) انظر: إكمال المعلم (١٧٨/٣)، وشرح النووي على مسلم (٩٣/٦)، والكاشف عن حقائق السنن (١٦٤٤/٥).

أبي بن كعب رضي الله عنه على تقديركم هكذا: أي آية في القرآن عظيمة؟ وهذا باطل؛ لأن كل آية في القرآن الكريم عظيمة، فما الفائدة من تخصيص آية بذلك؟ ومثل هذا يقال في الأحاديث الأخرى^(١).

ثانياً: لو سلم لكم أن معنى «أعظم» و«أفضل»: عظيم وفاضل، وأنه لا يراد بهذه الصيغ حقيقة التفضيل، فما هو قولكم في الأحاديث الأخرى التي لا تقبل التأويل؛ لصراحتها في التفضيل، مثل: حديث: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»، وحديث: «أتحب أن علمك سورة لم تنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها»، وحديث: «أنزلت علي آيات لم يُر مثلهن قط»؟ فنفي أن يكون لهذه السور والآيات مثل أو نظير^(٢).

ثالثاً: قياسكم هذه النصوص على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْثَرُ بِكُرًا﴾ قياس غير صحيح.

أما الآية الأولى، فلها تفسيران آخران لم تذكرهما:

الأول: أن الآية على ظاهرها، فالإعادة أهون من البدء مع أن كلا الأمرين هين عليه ﷺ ولا يفهم من صيغة التفضيل أن البدء شاق عسير على الله تعالى، وإنما بين البدء والإعادة اشتراك في الهون واليسر، إلا أن الإعادة أيسر وأهون، وهذا التفسير مروى عن السلف كابن عباس رضي الله عنه وغيره.

ويشهد لهذا التفسير حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذّبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذّبيه إياي فقلوله: لن يعيدني كما بدّاني، وليس أول الخلق

(١) انظر: الروض الأنف (١/٢٠٢).

(٢) انظر: المفهم للقرطبي (٢/٤٣٦).

بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»^(١).

الثاني: أن قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ من باب ضرب الأمثال وتفسيره: أنه إذا كانت «إعادة الشيء على الخلائق أهون من ابتدائه، فينبغي أن يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم أهون عليه من الإنشاء»، فهذا مثال يقرب حقيقة البعث في أذهان الناس^(٢).

فهذان تفسيران قويان للآية، ليس ما فسرتموها به بأولى منهما، ولو سلمنا جدلاً أن المراد ما فسرتموه لا غيره، فإنه يختلف عما ورد في تفضيل بعض القرآن على بعض، فإن جميع المخلوقات بالنسبة للقدرة الإلهية متساوية، أما السور والآيات فنختلف معكم في كونها متساوية في الفضل، فهي محل نزاع بيننا وبينكم، فلا يتم الاستدلال بهذه الآية^(٣).

وأما الآية الأخرى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فإنها على ظاهرها، فالله تعالى أعلم بخلقه من كل عليم، لا أحد أعلم بخلقه منه، وهل هي إلا مثل قولنا: «الله أكبر»؟! والله أعلم.

المطلب الثالث

الترجيح وثمره الخلاف

أولاً: الترجيح:

بعد عرض الأقوال في المسألة، وأدلة كل قول ومناقشتها يظهر - والله أعلم - رجحان قول المثبتين لتفاضل القرآن الكريم، وأن السور

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإخلاص (٩٥/٦).

(٢) انظر في هذين التفسيرين: جامع البيان (٣٥/٢١ - ٣٨)، والجامع لأحكام

القرآن (٥١٠٣/٦)، وما بين القوسين منه، وتفسير القرآن العظيم (٤١٨/٦).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥١٢/٣).

والآيات تتفاضل: تتفاضل في أجرها وثوابها، وتتفاضل في معانيها، وتتفاضل في نفسها، وتتفاضلها في أجرها وثوابها ومعانيها دليل على تفاضلها في نفسها.

ولترجيح هذا القول أسباب:

الأول: قوة أدلة هذا القول، فما استدل به القائلون بتفاضل القرآن أقوى، وأوضح، وأكثر، وأفضل، فإن أكثر أدلتهم: قرآنية، ونبوية، أما أدلة القول الثاني فهي عقلية!

ولقوة أدلة المفضلين تجد بعض المانعين يوافقهم - أحياناً - على قولهم، وقد يكون قوله بالترجيح أقوى من قوله بالمنع، كما تقدم عن غير واحد، ولعل السبب في هذا: أن المنع من تفاضل القرآن الكريم مبني على أصل غير صحيح، فتأتي الأدلة الشرعية الكثيرة والصريحة في التفضيل فيتضاءل معها هذا الأصل الباطل الذي بني عليه المنع، حتى يضمحل فيسلم العالم المنصف بمقتضى الأدلة الشرعية، فتجد كلامه في التفضيل أقوى من كلامه في المنع.

ولهذا تَعَجَّبَ بعضُ العلماء ممن يذكر الخلاف في هذه المسألة مع وضوح الأدلة الشرعية في التفضيل وصحتها!!^(١).

الثاني: أن هذا القول يتوافق مع منطوق النصوص الشرعية الكثيرة الصريحة في التفضيل، مثل: «أفضل» و«أعظم» و«أحسن»، وليس لهذه السورة مثيل لا في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، وغير ذلك من الألفاظ الصريحة، فالقائل بالتفضيل ناطق بما نطقت به النصوص، سواء بسواء.

أما القول الثاني فإنه ينفي ما تثبته النصوص، فيقول: ليس هناك

(١) انظر (ص ٤٠٢)، حاشية رقم (٧).

سورة أفضل من سورة، ولا آية أعظم من آية، بل السور والآيات كلها متماثلة متساوية فضلاً وشرفاً وقدرًا.

الثالث: أن المانعين من تفاضل القرآن الكريم ظنوا أن القول به يلزم منه لوازم لا تليق بالله ﷻ ولا بأسمائه وصفاته، مثل: ظنهم أن الفاضل يلزم منه نقص المفضول، وقد اتضح من خلال المناقشة عدم صحة هذه اللوازم وبطلانها، فيبطل ما بني عليها.

والقائل بالترتيب يقول: هذه اللوازم التي ذكرتموها غير صحيحة فلا تلزمني؛ فضلاً عن أن ألزم أو أقول بها.

الرابع: أننا حينما نقول بالترتيب بين القرآن الكريم: سوره وآياته، ونقول بالترتيب بين كلام الله ﷻ لا ينسحب هذا الترتيب على المتكلم بذلك - وهو الله ﷻ - فإن للكلام نسبتين: نسبة إلى المتكلم به، ونسبة إلى المتكلم فيه.

«وقد علم أن تفاضل القرآن، وغيره من كلام الله، ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم، فإنه سبحانه واحد، ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها، وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»^(١).

الخامس: أن القول بالترتيب هو القول المأثور عن السلف ﷺ ولا شك أن اتباعهم في أقوالهم أولى من اتباع غيرهم، وهو - أيضاً - قول جمهور العلماء، وكان العلماء بينهم شبه اتفاق على شرح الأحاديث الناطقة بالترتيب، والبحث عن الأسباب التي جعلت سورة الفاتحة أعظم السور، وآية الكرسي أعظم الآيات، وبحثوا كثيراً عن السبب الذي جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ولم ينفرد القائلون بتفاضل القرآن بشرح هذه الأحاديث، والبحث عن أسباب الترتيب، وإنما شاركهم

(١) انظر (ص ٤١٨).

النافون، وإن جاء توقف في ذلك عن بعض الأئمة، فهو توقف في معرفة السبب، لا نهى عن البحث عنه، والله أعلم.

ثانياً: ثمرة الخلاف:

بينما يحكم بعض العلماء بكفر من قال بتفضيل بعض القرآن على بعض، لولا أنه عذر قائل ذلك بجهله^(١)، يُعَدُّ بعض الباحثين الخلاف في هذه المسألة لفظياً^(٢).

والواقع أن القول بلفظية الخلاف ليس على إطلاقه، وإن صدق هذا الإطلاق على بعض الوجوه، فتلتقي بعض الأقوال في شيء واحد مثل: من نفى تفاضل القرآن، وقال: إن ما ورد مما يفيد التفاضل راجع إلى الأجر والثواب، أو من أثبت التفاضل، وقصره على تفاضل الأجر والثواب، فلا ريب أن النزاع بين هؤلاء لفظي.

أما من نفى أن يكون التفاضل راجعاً إلى نفس اللفظ، أو معناه، فإن النزاع بينه وبين من قال بذلك حقيقي وله ثمرة، إذا علم المأخذ الذي انطلق منه النافي، وهو الاعتقاد بأن كلام الله معنى واحد لا يتعدد ولا يتجزأ، فإن هذا المأخذ باطل مصادم للنصوص الشرعية مفضٍ إلى خلل في معتقد العبد فيما يجب عليه في أسماء الله وصفاته، وهذا مما يؤكد أهمية معرفة الحق في هذه المسألة.

إضافة إلى أن القول بنفي تفاضل القرآن يفضي إلى تعطيل النصوص الشرعية الدالة على التفضيل، أو على أحسن الأحوال صرفها عن مدلولاتها الشرعية، وهذا خلاف ما قصد إليه الشارع، فالنبي ﷺ أثار

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/٧٧).

(٢) انظر: اللآلئ الحسان في علوم القرآن (١٣٢)، والمسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين (ص ٢٤٨).

همم الصحابة رضي الله عنهم تجاه هذا الموضوع، وأحب منهم معرفة الأفضل والأعظم في القرآن الكريم، وكرر عليهم السؤال في ذلك بطريقة تشويقية ليستحث همهم، ويقدح في أذهانهم، مثل قوله: «ألا أعلمك؟»، وقوله: «ألا أخبرك؟»، وقوله: «أتدري أي آية؟»، وهذا له دلالة في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعرف أصحابه هذا الأمر، ويطلبوه ويبحثوا عنه، كما يفيد أن معرفة ذلك والبحث عنه أمر مشروع ندب إليه الشارع بهذه الأساليب المختلفة، وقد هنا صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب رضي الله عنه حين استطاع استنباط أعظم آية ومعرفتها، ولم يكن ذلك من أبي صلى الله عليه وسلم عن تخرص أو رجم بالغيب، وإنما بالنظر والاستنباط وإعمال الفكر.

والقول بالمنع من التفضيل بين القرآن الكريم يفضي إلى تعطيل النظر في السور والآيات، والبحث في أسرارها، ووجوه الاختلاف بينها في هذه القضية، وهذا خلاف ما قصد إليه الشارع الحكيم.

وقبل ختام هذا الفصل يحسن التنبيه على مسألتين تتعلقان بثمرة الخلاف:

المسألة الأولى: هل التفضيل بين السور والآيات القرآنية توقيفي، أو اجتهادي؟

الأظهر - والله أعلم - أن التفضيل لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: التفضيل المطلق بأن يقال: هذه السور أفضل السور على الإطلاق، أو هذه الآية أفضل الآيات على الإطلاق، فهذا التفضيل توقيفي ليس لأحد غير الشارع، فليس لأحد أن يتجاسر في إطلاق ذلك، وقد قطع الشارع هذا الأمر بخبره عن الفاتحة بأنها أفضل السور، وآية الكرسي بأنها أفضل الآيات.

الحالة الثانية: التفضيل المقيد بأن يقال: هذه السورة أفضل من هذه، وهذه السور أفضل من تلك، أو آية كذا أفضل من آية كذا، ونحو

ذلك، فهذا قد جرى العلماء على ذكره، وله أمثلة منها:

١ - فضل السور والآيات المتعلقة بالإيمان بالله، وتوحيده وتعظيمه وتوقيره على السور والآيات التي ليس فيها شيء من ذلك، مثل السور التي تتحدث عن فرعون وأبي لهب وغيرهما من الكفار.

٢ - الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الإباحة والكراهة والندب؛ لاشتغالها على الحث على أعلى رتب المصالح، والزجر عن أعظم المفساد^(١).

٣ - ما جاء عن السلف الصالح ومن بعدهم من وصف بعض الآيات بأوصاف تفضيلية في أبواب مخصوصة، مثل قولهم في باب الرجاء: أرجى آية كذا، وقولهم في باب الخوف: أخوف آية كذا، وقولهم في باب العدل: أعدل آية كذا، ونحو ذلك.

وهذا الباب مما تختلف فيه أنظار العلماء كثيراً فتعدد أقوالهم، ومن ذلك ما ذكره الزركشي من الخلاف في أرجى آية في القرآن، حيث ذكر اثني عشر قولاً^(٢)، وزاد عليه السيوطي ثلاثة أقوال^(٣).

والبحث في هذا الباب لا يخلو من طرافة، ومن الأمثلة في ذلك:

أ - ما جاء عن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن أرجى آية هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ب - ما جاء عن ابن مسعود أن أعدل آية في القرآن قوله تعالى:

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٤)، والفروق للقرافي (٢/ ٢١٧).

(٢) البرهان (٢/ ٧٨).

(٣) الإتيقان (٢/ ٢٠٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ الآية [النحل: ٩٠].

ج - ما جاء عنه أنه قال: «ما في القرآن آية أكثر تفويضاً من آية سورة النساء القصوى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾» [الطلاق: ٣]^(١).

د - ما جاء عن أبي حنيفة أنه قال: «أخوف آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾» [آل عمران: ١٣١]^(٢).

٤ - ما بنى عليه أبو حامد الغزالي كتابه «جواهر القرآن ودرره»، فقد تقدم أنه بناء على مسألة تفاضل القرآن الكريم، وهو يتكلم فيه عن الناحية التطبيقية لهذه المسألة، ويتضح ذلك من خلال العرض الموجز لكتابه، فقد قسمه قسمين:

القسم الأول: يشتمل على مقدمات في الموضوع، وفيه تسعة عشر فصلاً.

ومن هذه الفصول: فصل يتعلق برأيه في مسألة تفاضل القرآن، وقد أبان عن رأيه الصريح فيها.

وفصل في بيان أسرار الفاتحة، وفصل في بيان كونها مفتاح لأبواب الجنة الثمانية، وفصل في بيان آية الكرسي ولم صارت سيدة آي القرآن؟ وفصل في بيان سورة الإخلاص، ولم عدلت ثلث القرآن؟ وغير ذلك من فصول هذا القسم^(٣).

القسم الثاني: في المقاصد، وذكر أنه يشتمل على لُبَابِ آيات القرآن، وجعل الآيات في هذا القسم نمطين:

(١) سورة النساء القصوى أحد أسمائها، ويقابلها سورة النساء الطولى وهي سورة النساء.

(٢) انظر في الأمثلة المذكورة: فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ٨٥)، والبرهان (٢/ ٨٠)، والإتقان (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٧).

(٣) جواهر القرآن ودرره (ص ٧ - ٩).

النمط الأول: آيات وردت في ذات الله ﷻ، وصفاته وأفعاله، وهذا النمط سماه «الجواهر»، والمقصود من هذه الجواهر اقتباس أنوار المعرفة، فهي متعلقة بالمعرفة، ولذا جعل هذا النمط علمياً.

وقد سرد فيه الآيات سرداً دون أي تعليق، ورتبها على ترتيب المصحف، وانتقى من الآيات ما ينطبق عليه الوصف المذكور.

النمط الثاني: آيات وردت في بيان الصراط المستقيم، والحث عليه، وهذا النمط سماه «الدرر»، والمقصود منها الاستقامة على سواء الطريق بالعمل، فهذا النمط متعلق بالعمل.

وكما فعل في النمط الأول فعل هنا سرد الآيات دون تعليق، منتقياً ما ينطبق عليه الوصف المذكور^(١)، ومجموع ما ذكره من الآيات في النمطين يزيد على ألف وخمسمائة آية، وهذا العدد ربع آيات القرآن تقريباً.

وكتاب الغزالي وإن كان مختصاً بالتطبيق العملي لمسألة تفاضل القرآن إلا أنه لا يخلو من ملحوظات تتعلق بتأثر الرجل بالتصوف وعلم الكلام^(٢)، وتصنيفه للآيات اجتهاد منه قد يخالفه غيره في ذلك، وإنما ذكر هنا لكونه أولى الجانب العملي لهذه المسألة اهتماماً أكبر.

المسألة الثانية مما يتعلق بشجرة الخلاف:

لا يعني تفضيل بعض السور والآيات أن ما لم يأت فيه تفضيل لا يحتاج إليه، فيترك بلا قراءة ولا نظر، ويعرض عن تدبره والعمل بما فيه، ويكون التركيز فقط على ما جاء فيه تفضيل، فإن الإنسان يحتاج إلى

(١) المصدر السابق (ص ٩، ٦١).

(٢) انظر نقد شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الكتاب في رسالته: جواب أهل العلم والإيمان ضمن مجموع الفتاوى (١٧/١١٣ - ١٢٢).

لا يسد مسدها، كما أنها لا تسد مسده، ولا بعضها يسد مسد بعض^(١).
ومما يبين هذا أن المفضل في زمانه ومكانه أفضل من الفاضل،
فالصلاة أفضل الأعمال، وهي أفضل من التسبيح والتهليل وسائر
الأذكار، ولكن قد يكون التسبيح والتهليل أفضل مثل: لو كان الوقت
وقت نهي عن الصلاة، فإن الاشتغال بالتسبيح والتهليل وسائر الأذكار
أفضل^(٢).

وأخيراً: فلا ينبغي المواظبة على الفاضل مواظبة تؤدي إلى ترك
العمل بالمفضل مع الأمر به وجوباً أو استحباباً، أو تؤدي إلى هجر
بعض القرآن ونسيانه فإن ذلك مذموم^(٣).



(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٣٧ - ١٣٨).

(٢) المصدر السابق (١٧/١٣٢). وانظر: أم القرآن والسبع المثاني (ص ٤١).

(٣) انظر: فوائد في مشكل القرآن (ص ٢٦٤).

المفضل، وقد تكون حاجته إلى المفضل في بعض الأوقات أشد من حاجته إلى الفاضل، ذلك أن القرآن الكريم كتاب متكامل من جميع النواحي، فهو يطرق أهم الأمور والقضايا، كقضايا التوحيد والإيمان بالله، وبيان جلال الله وعظمته وربوبيته وسلطانه، ويطرق كثيراً القضايا الفرعية، كقضايا الأسرة من نكاح وطلاق ونحوهما، وقضايا المجتمع في حال السلم والحرب، وقضايا الفرد من الحرص على إصلاح نفسه وتهذيبها، والرقى بها إلى مكارم الأخلاق، وكذلك تناول القرآن الكريم قضايا بسيطة جداً، على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

فالإنسان بحاجة إلى القرآن كله فاضله ومفضوله، ليصلح به نفسه، ويهذب به أخلاقه، ويقيم به حياته صغيرها وكبيرها؛ ليعبد ربه على بصيرة.

ويضرب شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة مثلاً برجل يملك ثلاثة آلاف دينار، ورجل آخر عنده لباس وطعام وشراب ومسكن يعدل هذه الثلاثة آلاف، فمن يملك هذه الأشياء ينتفع بها في جميع أموره، أما من يملك ثلاثة آلاف دينار فهو يحتاج إلى ما مع ذلك الرجل، وإن كانت الثلاثة آلاف دينار تعدل ما معه من طعام وشراب ولباس ومسكن.

ولو كان مع رجل طعام طيب يساوي ثلاثة آلاف دينار، فإنه يحتاج إلى لباس ومسكن، وما يدفع به الضرر عن نفسه من سلاح ودواء، وغير ذلك مما لا يحصل بمجرد الطعام.

فالقرآن الكريم يحتاج الناس إلى ما فيه من الأمر والنهي، والقصص، والوعد والوعيد، وإن كان التوحيد أعظم من ذلك كله، لكنه

الفصل الخامس

التفضيل بين القراءات

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: ضوابط قبول القراءات، وأنواعها، وارتباط ذلك بالتفضيل بينها.

المبحث الثاني: موقف العلماء من التفضيل بين القراءات.

المبحث الثالث: أدلة كل فريق مع المناقشة والترجيح.

المبحث الرابع: أسباب التفضيل بين القراءات.

تمهيد

هناك تشابه بين رد القراءات وإنكارها وبين التفضيل بينها، ويظهر ذلك من جهتين:

١ - اتفاق الحجج والأدلة التي يستدل بها المانعون من إنكار القراءات مع الأدلة التي يستدل بها المانعون من التفضيل بينها. وكذلك الأدلة والمبررات التي ينطلق منها المنكرون لبعض القراءات تتفق - أحياناً - مع الأدلة والمبررات التي ينطلق منها المفاضلون بينها.

٢ - أن المنع من التفضيل بين القراءات يلزم منه المنع من ردها وإنكارها من باب أولى.

وقد يرى بعض الناس أن المفاضلة بين القراءات جزء من ردها وإنكارها والطعن فيها انطلاقاً من أن ما لم يرد المنكر من القراءات ويطعن فيه أفضل مما رده وطعن فيه، ولكل اصطلاحه الذي يسير عليه.

وقد سرت في هذا الفصل على التفريق بينهما، فإن المفاضلة بين القراءات وإن شابها ردها في بعض الأشياء، فإن بينها فرقاً واضحاً:

فهل يستوي من يرد القراءة، ويزعم أنها وهم وهم فيها القارئ، فلا تجوز القراءة بها، هل يستوي هو ومن يقر بالقراءة ويقول: إنها صحيحة وحسنة قوية، لكن غيرها مما صح نقله أولى بالقراءة منها؟!!

فرد القراءات وإنكارها يعني أن القراءة المردودة لا تحل القراءة بها، ومن قرأها فقد أخطأ، وقرأ بما لا تجوز القراءة به.

أما التفضيل بين القراءات فالخطب فيه أسهل، ولا يلزم من التفضيل ما يلزم من الرد والإنكار، فالقراءة المفضولة حسنة غير منتقصة ولا مردودة، لكن غيرها أفضل منها.

أضف إلى ذلك أن أساليب التفضيل بين القراءات أخف من أساليب الرد والإنكار وأسهل، وعبارات المفضلين أحسن من عبارات المنكرين والطاعنين والطف.

ودوران التفضيل بين العلماء أكثر بكثير من دوران الرد والإنكار خاصة عند القراء والمفسرين.

ثم إن الخلاف في التفضيل بين القراءات عميق الجذور، فالمانعون من التفضيل والقائلون به ينزعون من أدلة هي في ذاتها مورد نزاع، وفي بعضها نزاع كبير بين العلماء، فالخلاف هنا مبني على مسائل طال فيها الجدل، وكثر فيها الأخذ والرد، ومن هذه المسائل:

هل القراءات السبع أو العشر كلها متواترة أو لا؟

وهل القراءات القرآنية المروية على حرف واحد من الأحرف السبعة، أو هي مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

وقد يذهب بعض المفضلين بين القراءات والمنكرين لبعضها مذهباً بعيداً، فيبني قوله على مذهب شاذ مخالف لما عليه العلماء قديماً وحديثاً فيرى أن من القراءات ما هو مبني على الرأي والاجتهاد، ولم يؤخذ بالتلقي من العلماء والأشياخ.

فالخلاف في هذا الفصل أعمق جذوراً من الخلاف في الفصل السابق.

وليس بالضرورة أن من تبني القول بالتفضيل يقول بجميع المسائل السابقة فيقول بعدم تواتر القراءات العشر، وأنها مروية على حرف واحد من الأحرف السبعة، وأن بعضها قرئ بالرأي والاجتهاد.

فقد يذهب العالم إلى المفاضلة بين القراءات ومأخذه واحد من هذه الأشياء، والمقصود هنا بيان اتساع الخلاف في هذه القضية وتشعبه .
وقد يحتد الخلاف في التفضيل بين القراءات فيصل إلى درجة التفسيق والتبديع، ويتعدى ذلك إلى التكفير .
وسيلحظ القارئ لهذا الفصل تركيزاً على الناحية النظرية فيه كذكر موقف العلماء من التفضيل بين القراءات، والاستدلال لمواقفهم ومناقشتها، وبيان الرأي الراجح .
والله المستعان وولي التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



المبحث الأول

ضوابط قبول القراءات، وأنواعها، وارتباط ذلك بالتفضيل بينها

عُرِّقَت القراءات بتعريفات عديدة من أشهرها تعريف ابن الجزري، فقد عرفها بأنها: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقله»^(١).

ويفيد هذا التعريف تعدد القراءات واختلافها، فالكلمة من القرآن الكريم قد تختلف فتقرأ بأكثر من قراءة.

كما يفيد هذا التعريف أن المعول في القراءات هو النقل والتلقي لا الرأي والتشهي. وأن السبب في اختلاف القراءات اختلاف النقلة في أداء الكلمات القرآنية. وهذا النقل للقراءات كما أنه مختلف في أدائه للكلمات القرآنية مختلف في صحته وضعفه، فمنه ما هو في أعلى درجات الصحة، ومنه ما هو في أدنى درجات الضعف.

ولما كان العلماء أمام قراءات كثيرة مختلفة في صحتها وضعفها، كان لزاماً عليهم وضع قيود وضوابط يميزون بها بين القراءات، فيقيسونها ويسبرونها بتلك الضوابط؛ ليعرفوا الصحيح من السقيم، والمحفوظ من الشاذ، والمعروف من المنكر.

(١) منجد المقرئين (ص ٤٩). وانظر: البرهان (١/ ٤٦٥)، ومناهل العرفان (١/ ٤٠٥)، وتعريفات كثيرة في كتاب القراءات وأثرها في التفسير (١/ ١٠٧ - ١١٢).

واتفقت كلمة أكثر العلماء على أن الشروط والضوابط التي لا تقبل القراءة إلا بها ثلاثة ضوابط:

الأول: صحة سند القراءة المروية بمعنى أن يصح نقلها عن النبي ﷺ.

الثاني: موافقتها للغة العربية، ولو بوجه من الوجوه فصيحاً كان أو أفصح.

الثالث: موافقتها للرسم العثماني^(١).

وقد انبرى العلماء لتفحص القراءات الكثيرة المروية مستخدمين هذه الضوابط أداة لقبول القراءة أو ردها، فجاءت بعض القراءات متفقة اتفاقاً كلياً مع الشروط والضوابط، وجاءت قراءات أخرى غير متفقة مع الشروط والضوابط، فكانت المتفقة مع الشروط والضوابط أصح وأقوى من التي اختل فيها بعض الشروط.

ولهذا كله تفاوتت القراءات المروية في صحتها تبعاً لانطباق الشروط عليها أو اختلافها.

وإذا نظرت في الضوابط الثلاثة وجدت فيها ما يفيد التفاوت، ففي الضابط الثاني وهو موافقة العربية تجد هذه الموافقة على درجتين:

الأولى: كون القراءة على أفصح وجوه العربية.

الثانية: كون القراءة فصيحة وحسب، أي: وإن لم تكن على أفصح الوجوه.

فالقراءة وإن كانت صحيحة مقبولة على أي الدرجتين جاءت، فإن الدرجة الأولى أقوى في العربية من الدرجة الثانية.

(١) انظر: الإبانة (ص ٣٩)، والمرشد الوجيز (ص ١٧١ - ١٧٢)، ومنجد المقرئين

(ص ٧٩)، والنشر (١/٩ - ١٢).

ونتيجة لما تقدم قسم العلماء القراءات تقسيمات متعددة، وأوسع التقسيمات تقسيم السيوطي، فقد قسم القراءات إلى ستة أقسام مستوحياً هذا التقسيم من كلام ابن الجزري على ما ذكره:

«القسم الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، قال: وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده، ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، ولم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به.

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده.

الخامس: الموضوع.

السادس: المدرج، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير^(١).

وتجد في تقسيم السيوطي تفاوتاً ظاهراً بين القراءات، فأعلاها المتواتر ثم المشهور، ثم الآحاد وهكذا.

وغالب تقسيمات العلماء للقراءات تدور حول هذا التقسيم المتعلق بالقبول والرد، والقوة الضعف، والصحة والبطلان.

ومن هذه التقسيمات تقسيم مكّي بن أبي طالب، فقد قسم القراءات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذي يُقرأ به، وهو ما اجتمع فيه ثلاث خلال، ثم ذكر الضوابط الثلاثة المتقدمة.

(١) الإتيان (١٠٢/١) باختصار.

قال: «فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده».

القسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين:
الأولى: أنه لم يؤخذ بإجماع، وإنما بخبر الآحاد.

الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، وما كان كذلك لا يقطع بصحته، وإذا لم يقطع بصحته فلا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحد هذا القسم.

القسم الثالث: وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف^(١).

ومن خلال التقسيمات المتقدمة فإنه لا إشكال في أن القراءات المتواترة والمشهورة أفضل من الأحادية والشاذة.

والنزاع قائم في التفضيل بين القراءات التي في مرتبة واحدة كالمتواترة والمشهورة المقطوع بصحتها، فهل يقع التفضيل بينها؟ فالقراءات السبع وتتمتها من العشر في منزلة المتواتر أو الصحيح على الخلاف بين العلماء فيها، لكنها تشترك في كونها صحيحة مقبولة. فهل يجوز المفاضلة بينها بناءً على تفاوتها في الصحة، وتفاوتها في موافقة اللغة العربية؟

أو يقال: لا تفاضل بينها لصحة نقلها جميعاً عن النبي ﷺ.

وإذا أُطلق التفضيل بين القراءات - فيما يأتي - فالمراد به التفضيل بين القراءات الصحيحة.

(١) الإبانة (ص ٣٩ - ٤٠). وانظر: تقسيمات موسعة في كتاب القراءات وأثرها في

التفسير (١/ ١٤٦ - ١٧٣).

أساليب التفضيل بين القراءات :

تقدم قريباً الفرق بين رد القراءات والمفاضلة بينها .

ولرد القراءات وإنكارها أساليب خاصة، مثل: تغليط القراءة أو تلحينها أو تقبيحها، أو الحكم بشذوذها، أو عدم إباحة القراءة بها، ومثل الحكم بوهم القارئ وغلطه، ونحو ذلك من الأساليب الدالة على رد القراءة، وعدم الأخذ بها .

وللتفضيل بين القراءات كذلك أساليب خاصة يستعملها بعض العلماء احترازاً من رد القراءة وإنكارها .

ومن هذه الأساليب ما هو صريح في التفضيل، ومنها ما ليس صريحاً فيه فيحتمله ويحتمل غيره .

وأثناء قراءتي في هذا الموضوع مرت بي أساليب كثيرة، وسوف أضعها أمامك في قسمين رئيسين :

الأول: ما دل على التفضيل .

والأساليب في هذا القسم منها ما جاء على صيغة «أفعل التفضيل» ومن أمثلته :

الحكم بين قرائتين بأن إحداهما أجود من الأخرى، أو أحسن منها، أو أقوى، أو أولى أن يقرأ بها .

أو الحكم بين قرائتين بأن إحداهما أولى بالصواب من الأخرى، وهذه الصيغة ترد كثيراً عند ابن جرير الطبري، وقد يصرح أحياناً بأن القراءة الأخرى جائزة غير مردودة^(١)، مما يدل على عدم رده لها، وإنما يحكم فقط بأولوية القراءة التي اختارها بالصواب .

(١) انظر مثلاً: جامع البيان (١٦٦/٨)، (١٧/٩)، وسيأتي التمثيل لذلك في المبحث الأخير .

ومن أمثلته: حكم بعض العلماء بأن إحدى القراءات أعجب إليه،
أو أحب إليه.

أو حكمه لقراءة بأنها أبلغ، أو أوجه معنى من القراءة الأخرى.
ومن الأساليب الصريحة ما لم يأت على صيغة «أفعل التفضيل»
ومن أمثلته:

قول بعضهم عن قراءة: أشتي القراءة بها أو لا أشتي القراءة
بها.

ومثل وصف قراءة من القراءات بأنها ليست قوية.
فعبارة: لا أشتي القراءة بها، أو ليست قوية، تدل على عدم
رضى عن القراءة، وأن غيرها أقوى منها.

وأصرح من هذه الأساليب الأخيرة وصف قراءة بأنها فوق أختها.
ومثلها: إذا تعرض العالم لقراءتين أو أكثر، ثم عقب عليها بقوله:
والقراءة الجيدة أو الحسنة هي كذا وكذا.

أما مجرد وصف القراءة بالحسن والجودة فقد لا يدل على
التفضيل، وإنما يكون مراد القائل بيان جودتها وحسنها في النقل أو
العربية وحسب، دون التعرض لتفضيلها على غيرها، وهذا يفهم من
السياق.

ومن الأساليب الدالة على التفضيل بين القراءات كراهة بعض
العلماء بعض القراءات، وكراهة العالم للقراءة يدل على استحبابه
وتفضيله غيرها عليها.

وعكس هذا الأسلوب استحباب العالم بعض القراءات،
والاستحباب دال على أفضلية الشيء المستحب على غيره.

الثاني: ما احتمل التفضيل وغيره، وأساليب هذا القسم كسابقتها

في القسم الأول: منها ما جاء على صيغة «أفعل التفصيل»، مثل: وصف قراءة بأنها أفصح أو أشهر في اللغة، أو أكثر استعمالاً، أو أقيس، فهذه الأساليب قد لا تدل على التفضيل؛ لأن من شرط القراءة - كما تقدم - موافقتها للعربية سواء جاءت على الفصح أو الأفصح، ولا يشترط لقبولها مجيئها على أفصح اللغات.

فالعالم عند ذكره لهذه الأساليب قد يريد بيان موقع القراءة في العربية من حيث الفصاحة، أو الشهرة، أو كثرة الاستعمال، أو القياس، دون التعرض لتفضيلها على غيرها.

وقد يريد بها التفضيل وبخاصة إذا علل بها اختياره بعض القراءات.

ومنها ما لم يأت على صيغة التفضيل، مثل ما يعبر عنه في علم القراءات بالاختيار، كقولهم عن قراءة: إنها اختيار فلان، أو قول العالم عند تعرضه للقراءات: وأنا أختار كذا، ونحو ذلك.

وسياتي تفصيل لمدلول الاختيار في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

ومثل الإخبار عن بعض القراء بأنه كان يقرأ كذا ثم رجع عن ذلك^(١).

ورجوعه يحتمل أنه يفضل الحرف الذي رجع إليه على حرفه الأول^(٢)، ويحتمل أنه بان له خطأ الحرف الذي يقرأ وعدم صحته فتركه، ورجع إلى الجادة، وبهذا يكون رجوعه رجوع تصحيح لا تفضيل.

(١) انظر أمثلة ذلك في: معاني القرآن للقراء (١/١٣٣)، والسبعة (ص ١٩١، ٤١٠، ٤٦٥)، والاختيار د. عبد الفتاح شلبي (ص ٦١ - ٦٣).

(٢) وهذا الذي مال إليه د. عبد الفتاح شلبي في كتابه «الاختيار» (ص ٦١)، وذكر أن الرجوع معناه: ترك المفضل، وأخذ بالفاضل.

وهل يُعَدُّ الترجيح بين القراءات تفضيلاً أو لا؟
الأظهر - والله أعلم - أنه قد يراد به التصحيح، وقد يراد به مطلق
التفضيل دون التعرض لرد القراءة المفضولة، فقد يعني أن الراجحة هي
الصحيحة، والمرجوحة ضعيفة أو شاذة على غرار الترجيح بين الأقوال.
وقد يأتي الترجيح للمفاضلة مثل ما لو وُصِفَت القراءة المرجوحة
بجواز القراءة بها، أو أنها مقبولة كما سيأتي عن بعض العلماء أنه جَوَّزَ
الترجيح بين القراءات بشرط ألا يؤدي إلى إسقاط المرجوحة أو إنكارها.
فتعبيره بالترجيح - هنا - صريح في أنه يريد به التفضيل.
وسياق الكلام هو الذي يحدد المراد بالأسلوب، هل يراد به
التفضيل أو لا؟
وسيأتي التمثيل لغالب هذه الأساليب في ثنايا البحث إن شاء الله
تعالى.



المبحث الثاني

موقف العلماء من التفضيل بين القراءات

وقف العلماء من التفضيل بين القراءات على طرفي نقيض، فبينما يقف بعض العلماء من التفضيل موقفاً متشدداً، مبالغاً في النكير على المفضلين، وقد يتجاوز فيصفهم بالبدعة، ويلزمهم بالكفر، يقف آخرون موقفاً أكثر تسامحاً في هذه القضية، وسأعرض - هنا - لكلا الموقفين:

الموقف الأول: الرفض لمبدأ التفضيل بين القراءات مطلقاً، وهو رأي جمع من أهل العلم، فلم يروا جواز التفضيل، ولا أن يقال: قراءة أفضل من قراءة، ولا أجود، ولا أحسن، ولا غيرها من العبارات المشعرة بالتفضيل، قال هؤلاء: وإذا ثبتت القراءتان وصحتا عن النبي ﷺ لم يجز التعرض لهما بالمفاضلة والترجيح.

وقد حكى أصحاب هذا الرأي عن السلف إنكارهم للتفضيل بين القراءات، ونقلوا عن رؤساء الصحابة إنكارهم لذلك^(١).

وقد جاء المنع من التفضيل صريحاً عن غير واحد من أهل العلم. فعن ثعلب النحوي^(٢) قال: «إذا ورد الحرف عن السبعة وقد

(١) انظر: إعراب القرآن لابن النحاس (٦٢/٥).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني الكوفي، إمام في النحو واللغة، وله معرفة بالقراءات، اشتهر بالحفظ وصدق اللهجة، من أشهر مصنفاته: الفصيح، وله كتاب معاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ١٤١)، وإنباء الرواة (١/١٧٣).

اختلفوا، ثم اخترت لم أفضل بعضاً على بعض، فإذا ورد في الكلام اخترت وفضلت»^(١)، ومع صراحة هذا الكلام عن ثعلب في عدم أخذه بالتفضيل بين القراءات، فقد جاء عنه أنه قال: «مالك أمدح من ملك»^(٢). فلعلة يقصد في غير القرآن.

وممن صرح بعدم جواز التفضيل بين القراءات أبو جعفر بن النحاس، فقد قال عند تعرضه لبعض القراءات في سورة المزمّل:
«السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان ألا يقال: إحداهما أجود من الأخرى، ومن فعل ذلك أثم»^(٣).

وقال في سورة البلد: «الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة.. إلى أن قال: فهما قراءتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى»^(٤). ومع صراحة هذه النقول عن أبي جعفر، فقد وقع منه التفضيل، فقال في قراءة: «واعدنا» بالالف من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]، قال: إنها أجود وأحسن من قراءة «واعدنا» بلا ألف^(٥).

(١) أسند هذه المقولة عن ثعلب ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها (٢/٢٢١). وانظر: البرهان (١/٤٩٠).

(٢) الواضح في أصول الفقه (١/١٦٥)، والفروع لابن مفلح (١/٤١٩).

(٣) إعراب القرآن (٥/٦٢).

(٤) المصدر السابق (٥/٢٣١)، وقال في إنكاره على الفراء حينما قال في قراءة: إنها أجود قال: «وهذا عظيم من القول أن يقال فيما قرأت به الجماعة، ووقع للسواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي ﷺ: أجود وخير» إعراب القرآن (٥/٢٤٠)، وكرر إنكار التفضيل في (٥/٢٩٠).

(٥) إعراب القرآن (١/٢٢٤)، وقراءة «واعدنا» بلا ألف قرأ بها أبو عمرو ويعقوب البصريان، وأبو جعفر المدني، وقرأ بقية العشرة بالالف «واعدنا». انظر: التيسير (ص ٧٣)، والنشر (١/٢١٢).

وقد اعتذر عنه بعض العلماء باعتذارين:

الأول: بعد المسافة بين تفسير سورة البقرة التي فضل فيها، وسورتي المزل والبلد اللتين أنكر فيهما التفضيل بين القراءات.

الثاني: أن يكون ترجح عنده امتناع التفضيل بين القراءات بعد أن قال به في سورة البقرة، فرجع إلى المنع في سورة المزل والبلد^(١).

والاعتذار الثاني أجود من الاعتذار الأول؛ لأن أبا جعفر فضل في غير سورة البقرة، والمتتبع لكتابه «إعراب القرآن» يجد فيه مواضع كثيرة في مختلف السور تعرض فيها للتفضيل بين القراءات، وتجاوز ذلك إلى الطعن والرد والتلحين.

حتى أصبح هذا الأمر من السمات الظاهرة في كتابه^(٢).

أما كون أبي جعفر ترجح عنده امتناع التفضيل، فهو أظهر الاعتذارين إذا عرفنا أن أبا جعفر قد كرر إنكاره للتفضيل في آخر كتابه، في سورة المزل والبلد والشمس والهمزة، مما يدل على تشبعه بهذا الرأي أخيراً، والله أعلم.

وممن جاء في كلامه ما يدل على ألا مفاضلة بين القراءات الصحيحة أبو بكر بن مهران^(٣).

(١) مقال «توجيه القراءات» (ص ٥٣) للدكتور عبد العزيز إسماعيل في مجلة كلية أصول الدين بالرياض العدد الخامس عام (١٤٠٣ - ١٤٠٤).

(٢) انظر: مقدمة د. زهير زاهد لكتاب أبي جعفر إعراب القرآن (١/ ١٢٨ - ١٣٧)، وكتاب «أبو جعفر النحاس» د. أحمد العمر (ص ٨١) وما بعدها. وانظر: إعراب القرآن لأبي جعفر (١/ ١٨٤، ٣٧٩، ٣٩١)، (٢/ ٩٨، ١٤٩)، (٣/ ١٣٤، ٣٨٩، ٤٠٣) وغيرها.

(٣) وهو أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني النيسابوري المقرئ، من مؤلفاته: الغاية في القراءات العشر، والشامل، وطبقات القراء، توفي سنة إحدى (٣٨١هـ).

فقد قال عن القراءات العشر: «إنها حق وليس أحدها أولى من الآخر»^(١).

وممن اشتد نكيره على المرجحين بين القراءات فخر الدين الرازي^(٢)، فقد أورد إشكالاً على ما حكاه من اتفاق الأكثرين على أن القراءات المشهورة متواترة، وحاصل الإشكال: أنه يلزم على القول بتواترها أن يكون الذاهبون إلى ترجيح بعضها على بعض مستوجبين للتفسيق إن لم يلزمهم التكفير؛ لأن الله تعالى خير المكلفين بين هذه القراءات، وسوى بينها في الجواز^(٣).

وقد وافق أبو حيان الأندلسي^(٤) فخر الدين الرازي في الإنكار على المرجحين والمفضلين، وأبو حيان كثير التعقب للطاعنين في القراءات والمرجحين بينها، وقد نص في غير موضع على أنه لا ترجيح بين قراءتين متواترتين، واستشهد مرة بكلام ثعلب المتقدم وقال:

= انظر: معرفة القراء الكبار (٣٤٧/١)، وغاية النهاية (٤٩/١).

(١) منجد المقرئين (ص ١٦٥).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي الشافعي الفقيه المتكلم، يُلقب بفخر الدين، ويعرف أيضاً بابن الخطيب، اشتهر بعلم الكلام، وقد ندم في آخر عمره على دخوله فيه، من كتبه: التفسير الكبير، والمحصول، وغيرها. توفي سنة (٦٠٦هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٢١)، وطبقات المفسرين للداودي (٢١٥/١).

(٣) التفسير الكبير (٧٠/١).

(٤) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي النحوي، خدم النحو والصرف أكثر عمره، ورحل إلى المشرق، وأضرّ قبل موته بقليل، من كتبه: البحر المحيط، وإتحاف الأريب. توفي سنة (٧٤٥هـ).

انظر: الدرر الكامنة (٧٠/٥)، وبغية الوعاة (٢٨٠/١)، ونفع الطيب (٢/٥٣٥).

«نعم السلف لنا أحمد بن يحيى كان عالماً بالنحو والعربية متديناً ثقة»^(١).

الموقف الثاني:

المقابل للمانعين من التفضيل، وهذا الموقف أكثر تسامحاً في قضية التفضيل بين القراءات، فلم يمانع أهل هذا الموقف من الترجيح والمفاضلة ضمن أسس وقواعد وضوابط صحيحة في التفضيل. والقائلون بالتفضيل قسمان:

قسم صرح بجواز التفضيل.

وقسم لم يصرح بذلك، وإنما عمل بمقتضاه، وسار عليه في كتبه، أو فيما نقل عنه، فإذا تناول القراءات قوى هذه، وحسن تلك؛ مما يدل على عدم ممانعته من التفضيل والترجيح بين القراءات، خاصة مع عدم النقل عنه ما يدل على المنع من ذلك.

وقد نُسب القول بالتفضيل بين القراءات والترجيح بينها لكثير من

(١) البحر المحيط (٨٧/٤). وانظر: (٢/٢٦٥، ٥٠٦)، (٣/٨٨)، وممن منع من التفضيل بين القراءات والترجيح بينها ابن النقيب البلخي على ما نقله الزركشي عنه في البرهان (١/٤٩١)، ومنع منه ابن المنير في «الانتصاف» (٢/٤٨٦) «بحاشية الكشف»، ومنع منه من المعاصرين د. عبد العال مكرم في كتابه القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية (ص ٢٢٧)، ود. أحمد البيلي في كتابه الاختلاف بين القراءات (ص ٨٧)، ود. لبیب السعيد في كتابه دفاع عن القراءات المتواترة (ص ٢٠)، والجمع الصوتي الأول للقرآن (ص ١٤٧ - ١٤٩)، ومنع منه يحيى فقيهي، ووصف المرجحين بأنهم مبتدعة، وذلك في رسالته الخازن ومنهجه في التفسير (ص ١٨٧)، ومنع من التفضيل بين القراءات د. محمد عمر بازمول في كتابه القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١/ ٣٩٣ - ٣٩٤).

العلماء^(١). والناظر في كلام العلماء في ذلك يجده كثيراً جداً، سواء من صرح منهم بالجواز، أو من فعله وارتضاه، ويصعب حصر كلام العلماء في ذلك.

وسأنقل من آرائهم وكلامهم ما يدل على المقصود:

فمن ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] بفتح الهاء والتاء، فقيل له: إن ناساً يقرؤونها ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بضم التاء^(٢)، فقال عبد الله: «إني أقرؤها كما علمت أحب إلي»^(٣).

وجاء عن أبي عمرو بن العلاء^(٤) - وهو من أئمة القراءات - أنه فضل قراءة «بَمَلَكُنَا» من قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقُورِ﴾ [طه: ٨٧] بفتح ميم ملكنا وسكون لامها على

(١) التحرير والتنوير (١/٦٢)، وذكر د. أحمد البيلي في كتابه الاختلاف بين القراءات (ص ٨٧) أن مذهب التفضيل والترجيح مذهب قلة من العلماء، وسيوضح من خلال ذكر الموقفين أن القائلين بالتفضيل أكثر.

(٢) في «هيت» عدة قراءات، منها: كسر الهاء وفتح التاء بينها ياء ساكنة، وقراءة فتح الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة، وقراءة فتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. انظر تفصيل هذه القراءات في: التيسير (ص ١٢٨)، والنشر (٢/٢٩٣ - ٢٩٥).

(٣) روى هذا الأثر أبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات (٤/٣٨)، وابن جرير في جامع البيان (١٢/١٨١)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٦/٣٠)، وجاء هذا الأثر مختصراً في صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَرَزَوْتُهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْنِنَا﴾ (٥/٢١٧).

(٤) هو أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري المقرئ النحوي أحد القراء السبعة المشهورين، أقرأ خلقاً كثيراً، وانتهت إليه الإمامة في القراءة في البصرة، توفي سنة (١٥٤هـ).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٣٥)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٠٠).

من قرأها بضم الميم وسكون اللام^(١).

وحكى ابن مجاهد^(٢) عن أبي عمرو أنه قال عن قرائتين سبعيتين:
إن إحداهما أحب إليه من الأخرى^(٣).

وحكى عنه - أيضاً - أنه كان سهل القراءة غير متكلف يؤثر
التخفيف ما وجد إليه السبيل^(٤).

ومن الأئمة الذين جاء عنهم التفضيل بين القراءات الإمام مالك،
فقد جاء عنه أنه استحَب القراءة بقراءة نافع^(٥) دون ما سواها، وقال:
«قراءة أهل المدينة سنة»، فقليل له: قراءة نافع؟ قال: «نعم».

وفي استحبابه لقراءة نافع دلالة على تفضيله لها على غيرها.

وجاء عنه أنه كره النبر في الصلاة ولم يعجبه، وكرهيته له دليل
على أنه يفضل القراءة بغيره، وجاء عنه أنه استحَب التسهيل وهو ضد

(١) انظر القصة في: مجالس العلماء للزجاجي (ص ١٨٤)، والقراءة التي فضلها أبو
عمرو قرأ بها نافع وأبو جعفر وعاصم، وقرأ بالأخرى حمزة والكسائي، وهناك
قراءة ثالثة بكسر الميم وسكون اللام قرأ بها بقية العشرة. انظر: التيسير
(ص ١٥٣)، والنشر (٢/ ٣٢١).

(٢) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي الإمام المقرئ، مسبق
السبعة، وصاحب كتاب السبعة، تصدر للإقراء فكثير عليه التلاميذ جداً. قال ابن
الجزري: «لا أعلم أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه». توفي سنة (٣٢٤هـ).
انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٢٦٩)، وغاية النهاية (١/ ١٣٩).

(٣) السبعة (ص ٦٧٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٨٤، ١٥٧).

(٥) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الليثي مولا هم المدني، الإمام المقرئ،
أصله من أصبهان، قرأ على طائفة من التابعين، قال عن نفسه: «قرأت على
سبعين من التابعين»، وقرأ عليه الإمام مالك، وهو ممن طال عمره في القراءة
فأقرأ أكثر من سبعين سنة. (١٦٩).

انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٧)، وغاية النهاية (٢/ ٣٣٠).

النبر، والنبر: إظهار الهمزة^(١).

وجاء عنه وعن غيره كراهة الإمالة مما يدل على تفضيلهم القراءة بضدها وهو الفتح. والإمالة: أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء^(٢).

وجاء عن الإمام أحمد أنه كره قراءة حمزة، والكسائي^(٣)، ورويت كراهة قراءة حمزة عن غيره من الأئمة كالسفيانيين^(٤) وابن مهدي وغيرهم^(٥).

وكراهة هؤلاء الأئمة لقراءة حمزة والكسائي دال على تفضيل قراءة

(١) في كتب القراءات كلام كثير عن الهمز وأحكامه. انظر: الكشف (١/٧٠ - ١٢١)، والتيسير (ص ٣١ - ٤١)، والنشر (١/٣٦٢ - ٤٩١).

(٢) انظر في تعريف الإمالة: الكشف عن وجوه القراءات (١/١٦٨)، والنشر (٢/٣٠). وانظر فيما تقدم عن مالك: السبعة (ص ٦٢)، والبيان والتحصيل (١/٣٥٨)، والمعياري المعرب (١/٢٢٦)، والتحريير والتنوير (١/٥٢، ٦٢)، والإتقان (١/١٢٣).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٢/١٦٥)، والفروع لابن مفلح (١/٤٢٢)، والكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي الكسائي المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة المشهورين، وأحد أئمة الكوفة في النحو، وكان له جاه وقدر عند الخلفاء، من كتبه: معاني القرآن، وكتاب العدد، توفي في الري سنة (١٨٩).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ١٢٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٢٠).
(٤) هما سفيان بن عيينة، وقد تقدمت ترجمته (ص ٣٩٥)، والثوري وهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي، الإمام الحافظ الفقيه، لقب بأمر المؤمنين في الحديث، ويضرب بحفظه المثل، مع شهرته بالزهد والورع والأمر بالمعروف، توفي مختفياً عن المهدي بالبصرة سنة (١٦١هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٩/١٥١)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٠٣)، وتهذيب التهذيب (٢/٥٦).

(٥) انظر: السبعة (ص ٧٦)، والشرح الكبير للمقدسي (٣/٤٧١).

غيرهما^(١)، وجاء عن الإمام أحمد أنه استحب قراءة أهل المدينة^(٢).
وممن جرى على التفضيل بين القراءات شيخ المفسرين أبو جعفر بن
جرير الطبري، فكثيراً ما يستحسن قراءة ويجودها على أختها، ويبدى
إعجابه ببعض القراءات دون بعض، وله عبارات كثيرة في ذلك، وقد
لفت إكثاره من هذا الأمر أنظار بعض العلماء فنقدوه بشدة، وحملوه وزر
من أتى بعده، وابن جرير ليس بدعاً في هذا الأمر، فقد سبقه أقوام وتلاه
آخرون^(٣).

وقد أبان عن رأيه في التفضيل فقال:

«وإنما يجوز اختيار بعض القراءات لبينونة المختارة على غيرها
بزيادة معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها، وأما إذا كانت المعاني في
جميعها متفقة فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءاً به من
غيره»^(٤).

وله عبارات أخرى تأتي.

(١) وقد أجيب عن كره قراءة حمزة من هؤلاء الأئمة أنهم سمعوا بعض أصحاب
حمزة يقرأ، فيفرط في المد والهمز ونحو ذلك من التكلف فكرهوا قراءته
لذلك، وكان حمزة - رحمه الله تعالى - ينكر ذلك، ويقول لمن يفرط عليه في
المد والهمز: «لا تفعل أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما كان
فوق الجعودة فهو ققط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة».

انظر: السبعة (ص ٧٦)، والمعيان المعرب (١٢/١٠٥)، وبذلك تأولت كراهة
مالك للنبر بأنه يريد المبالغة في تحقيق الهمزات. انظر: البيان والتحصيل (١/
٣٥٨).

(٢) انظر: المغني (٢/١٦٥)، والفروع (١/٤٢٢ - ٤٢٣)، والبرهان (١/٤٦٧).

(٣) انظر: مقال د. إسماعيل الطحان «ظاهرة نقد القراءات» (ص ٣٢)، وما بعده
في حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر العدد السابع عام
١٤٠٩.

(٤) جامع البيان (٢/٥٣٨).

وممن نسج على منوال الطبري فأكثر من التفضيل بين القراءات مكّي بن أبي طالب، ومن طالع كتابه الكشف عن وجوه القراءات ظهر له هذا الأمر بوضوح.

وقد نص هو على أن قراءة نافع وعاصم^(١) أوثق القراءات، وأصحها سنداً وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة قراءة أبي عمرو والكسائي^(٢).

وقد رد أبو العباس المهدوي^(٣) على من اعتقد أن ما وراء القراءات السبع التي سبعها ابن مجاهد شاذ، فنص المهدوي على أن ما حكم بشذوذه مما وراء السبع قد يكون أشهر وأجل من الذي اعتمد عليه^(٤).

وممن جرى على التفضيل بين القراءات أبو بكر بن العربي في تفسيره «أحكام القرآن»^(٥)، ونص في كتاب «القبس» على أن بعض

(١) هو أبو بكر عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي الكوفي الإمام المقرئ أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على كبار التابعين كأبي عبد الرحمن السلمي، وانتهيت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعده، جمع الإتقان والفصاحة وحسن الصوت، توفي آخر سنة (١٢٧هـ).

انظر: معرفة القراء الكبار (٨٨/١)، وغاية النهاية (٣٤٦/١).

(٢) الإبانة (ص ٦٥)، وسيأتي - إن شاء الله - التمثيل لبعض القراءات التي فضلها مكّي والطبري عند مبحث أسباب التفضيل.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي المغربي، مقرئ نحوي لغوي، من مصنفاته: التفصيل، والهداية في القراءات السبع، توفي في حدود سنة (٤٣٠هـ). انظر: إنباه الرواة (١٢٦/١)، وغاية النهاية (٩٢/١)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ١٩).

(٤) بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات (ص ٢٥٠)، ضمن كتاب «نصوص محققة في علوم القرآن».

(٥) انظر مثلاً: (٤٤/١)، (٥٠٩)، (١٢٨٥/٣). وانظر كتاب: ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن (ص ٢٣١).

الحروف مما لم يأت في روايات القراء السبعة قد يكون فوقها، ومثلاً لذلك بحرف أبي جعفر المدني^(١)، فصرح بأنه فوق حرف ابن كثير^(٢).

وسئل ابن رشد القرطبي^(٣) عن قضية التفضيل فأجاب بقوله: «أما ما سألت عنه مما يقع في كتب المفسرين والمعرّبين من تحسين بعض القراءات واختيارها على بعض؛ لكونها أظهر من جهة الإعراب، وأصح في النقل، وأيسر في الحفظ فلا ينكر ذلك»^(٤).

وقد نعى ابن الجزري على من يشذ ما جاء عن غير السبعة مع أن ما جاء عن غيرهم قد يكون مثل قراءاتهم أو أقوى^(٥).

وبعد...

فهذه بعض النقول تفيد عدم تحرج هؤلاء العلماء من التفضيل بين القراءات والترجيح بينها، ومنهم من صرح بجواز ذلك.

(١) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني المقرئ، أحد القراء العشرة، قرأ على جمع من الصحابة، وقرأ عليه نافع المدني وغيره، وقد قرأ القرآن قديماً قبل وقعة الحرة في المسجد النبوي. توفي سنة (١٢٨ أو ١٢٧هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: معرفة القراء الكبار (٧٢/١)، وغاية النهاية (٣٨٢/٢).

(٢) القبس (٤٠٢/١).

(٣) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، من فقهاء المالكية في الأندلس، من مؤلفاته: البيان والتحصيل، والمقدمات، توفي سنة (٥٢٠هـ).

انظر: بغية الملتبس (ص ٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٠١/١٩)، والديباج المذهب (ص ٣٧٣).

(٤) المعيار المعرب (٢٢٦/١).

(٥) منجد المقرئين (ص ٢١٥)، والنشر (٣٦/١)، وإلى القول بالترجيح بين القراءات يشير كلام الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١/٦١ - ٦٢)، وذهب إلى جواز التفضيل د. عبد الفتاح شلبي فقال في كتاب الاختيار (ص ٥): «وأثبت بالدليل والبرهان أن القراءات قائمة على الاختيار وتفضيل بعضها على بعض». وانظر (ص ٧٠) من نفس الكتاب.

ولو أضيف إلى هذه النقول ما يرد عن بعض العلماء من الطعن في القراءات وردها وإنكارها لطالت الصفحات، وكثرت النقول؛ لأن من سهل عليه الرد والإنكار والتضعيف سهل عليه التفضيل من باب أولى، وقد لا يقتصر بعض من تقدم ذكرهم على التفضيل فيتعداه إلى الطعن في القراءات وإنكارها.

بقي أن يقال: إن بعض القائلين بالتفضيل والترجيح بين القراءات يشترط ألا يؤدي الترجيح والتفضيل إلى إسقاط القراءات المرجوحة أو المفضولة، يقول أبو شامة:

«وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين [يقصد قراءة «مالك» و«ملك» في سورة الفاتحة] حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب ﷻ بهما»^(١).

ويقول الزركشي: «إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي؛ لأن كليهما متواترة»^(٢).

فمفهوم كلامهما أن الترجيح إذا لم يؤد إلى إسقاط القراءة المرجوحة فهو سائغ مقبول.

(١) إبراز المعاني (٢٣٨/١)، ومراده في آخر كلامه أن الرب - جل وعلا - متصف بمالك وملك.

(٢) البرهان (٤٩٠/١). وانظر: الإنقان (١٠٩/١)، وهو ما رجحه طاهر الجزائري في التبيان (ص ١٣٧)، ود. عبد العزيز إسماعيل في مقاله «توجيه القراءات» (ص ٣٧).

الاختيار وعلاقته بالتفضيل بين القراءات:

يدور الاختيار كثيراً عند علماء القراءات وغيرهم، وعند التأمل في تحديد المراد به يظهر لي أن له إطلاقات ثلاثة:

الأول: اختيار تصحيح، بمعنى أن العالم أو المقرئ الإمام يختار من القراءات ما صح وثبت لديه، ويترك من القراءات ما لم يصح، وهذا في حد ذاته يُسمى اختياراً.

والاختيار بهذا المعنى جارٍ عند الأئمة القراء الذين كانوا يتلقون عن شيوخهم، ويسمعون كثيراً من القراءات، فينتقون من هذه القراءات ما صح، ويدعون ما شذ.

جاء عن الإمام نافع المدني أنه قال: «قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة»^(١)، علق أبو شامة على كلامه بقوله: «يريد - والله أعلم - مما خالف المصحف»^(٢).

فصنيع نافع الانتقاء والاختيار مما سمع من شيوخه، فترك الشاذ واختار الصحيح.

ومما يوضح هذا الإطلاق أن لبعض العلماء قراءات ليست صحيحة، ومع ذلك وصفت بأنها اختيار مع عدم صحتها.

ومن ذلك ما ذكره ابن مجاهد أنه كان لابن محيصن^(٣) اختيار في

(١) الإبانة (ص ٣٨). وانظر (ص ٦١) من نفس الكتاب، والسبعة (ص ٦١).

(٢) المرشد الوجيز (ص ١٥٥).

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، كان يقرأ بما يوافق العربية وإن خالف المصحف، توفي سنة (١٢٣هـ).
انظر: معرفة القراء الكبار (٩٨/١)، وغاية النهاية (١٦٧/٢).

القراءة لكنه متروك^(١)، وذكر أبو عبيد أن عيسى بن عمر الثقفي^(٢) «كان عالماً بالنحو غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية، يفارق قراءة العامة، ويستنكره الناس»^(٣).

فابن محيصن وابن عمر كانا يختاران القراءة ببعض الأحرف، لكن هذا الاختيار مرفوض.

الثاني:

اختيار تفضيل وترجيح، بمعنى أن المقرئ ينتقي من القراءات التي يرويها عن شيوخه أرجحها وأصحها نقلاً، وأولاه وأقواها وأجودها في العربية، ويترك ما عداها من القراءات الصحيحة التي رواها دون أن يتعرض لها بالرد والتضعيف.

وهذا الكلام ينطبق على بعض العلماء الذين يقارنون بين القراءات، ويوجهونها وينصون على اختيار أرجحها وأولاه.

وهذا الاختيار في الغالب يكون مبنياً على أسس وقواعد ينطلق منها المقرئ.

وهذا الإطلاق له مدخل كبير في موضوعنا، واستعمال الاختيار بهذا الإطلاق كثير بين العلماء، ولا نبعد إذا قلنا إنه أكثر الإطلاقات الثلاث دوراناً، وعليه تحمل أكثر تعريفات العلماء للاختيار.

(١) السبعة (ص ٦٥).

(٢) هو أبو عمر عيسى بن عمر الثقفي البصري النحوي المقرئ، في طبقة أبي عمرو بن العلاء، أخذ عنه الخليل بن أحمد، من مصنفاته الكبار في النحو: الجامع، والإكمال، توفي سنة (١٤٩هـ).

انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٤٠)، وإنباه الرواة (٣٧٤/٢)، وغاية النهاية (٦١٣/١).

(٣) غاية النهاية (٦١٣/١). وانظر: كتاب الاختيار لشليبي (ص ٦٤ - ٦٨).

ومن أشهرها تعريف القرطبي، إذ يقول: «وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به، واشتهر عنه، وعرف به، ونسب إليه، فقليل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر، ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر، وكلٌ صحيح»^(١).

فالقارئ هنا يختار من القراءات أحسنها وأولاهها، ومع ذلك يجوز ما اختاره غيره فلا ينكره.

وإلى معنى التفضيل يشير مكّي بقوله: «وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحها سنداً»^(٢).

وتعليل مكّي لاختيار العلماء قراءة نافع وعاصم بأنهما أوثق القراءات وأصحها سنداً يدل بوضوح على أن الاختيار هنا اختيار تفضيل.

ومن دلالة الاختيار على التفضيل في كلام العلماء ما جاء عن ابن تيمية من أن العلماء الأئمة المعاصرين لحمزة والكسائي اختاروا قراءة أهل المدينة على قراءتهما^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١). وانظر: البرهان (٣١٩/١)، والتبيان للجزائري (ص ١٢١)، والاختيار لبالوالي (ص ١٢)، والقراءات القرآنية د. الفضلي (ص ١٠٥)، والقراءات القرآنية لعبد الحلّيم قابة (ص ٢٧، ٢٦٢)، وصفحات في علوم القراءات (ص ٢٨٨).

(٢) الإبانة (ص ٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٩٣/١٣).

ومن دلالة على التفضيل أن بعض العلماء عندما يتعرض للقراءات ينص على أن الاختيار هو قراءة كذا، ثم يذهب في الاحتجاج لاختياره ونصره بأنواع من الحجج والبراهين؛ ليبين أن اختياره هو الأقوى والأولى والأحسن، وهذا يرد كثيراً عند من يشتغل بتوجيه القراءات كمكي بن أبي طالب.

ومما جبلت عليه النفوس سَعْيُها دائماً لطلب الأكمل والأفضل، فإذا روى القارئ أو العالم عن أكثر من شيخ، واختلفت قراءاتهم، وأراد الاختيار فإنه سيسعى لاختيار أفضلها وأجودها وأحسنها، وهذا في حد ذاته تفضيل لما اختاره على غيره^(١).

وأخيراً فإن من مدلولات الاختيار اللغوية دلالة على التفضيل، فالاختيار في اللغة: الاصطفاء، وتقول: اخترت فلاناً على فلان إذا فضلت عليه، والمقريء يختار قراءة على قراءة أي: يفضلها^(٢).

الثالث: اختيار مطلق لا يراد منه التفضيل والترجيح، وإنما هو التزام القارئ قراءة من القراءات الصحيحة، أخذها عن شيوخه، واعتنى بها، وضبطها وداوم عليها قراءة وإقراء حتى عرف بتلك القراءة، واشتهرت عنه، فنسبت إليه على أنها اختياره، ويفهم من كلام بعض المؤلفين قصر الاختيار على هذا الإطلاق^(٣).

ومن مجيء الاختيار بهذا الإطلاق عند بعض العلماء ما تقدم نقله عن ثعلب النحوي أنه قال: «إذا أورد الحرف عن السبعة وقد اختلفوا،

(١) انظر: صفحات في علوم القراءات (٢٨٨).

(٢) انظر: الصحاح (٦٥٢/٢)، ولسان العرب (١٢٩٩/٢ - ١٣٠٠)، وتاج العروس (١٩٥/٣)، مادة «خير»، والاختيار لبالوالي (ص ١١).

(٣) انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير (ص ١٣٦ - ١٣٧)، ودفاع عن القراءات المتواترة (ص ١٥٠).

ثم اخترت لم أفضل بعضاً على بعض^(١).

فتعلب يختار من القراءات السبع دون تفضيل التي اختارها على غيرها.

ومن الاختيار الذي لا يقصد منه التفضيل أن الإمام المقرئ قد يريد التخفيف على بعض تلاميذه فيختار لهم من القراءات ما يناسب حالهم فيقرئهم بها، لا لأن ما أقرأهم به هو الأفضل عنده، وإنما لمناسبته حال التلميذ، فيأخذ التلميذ القراءة عنه، ويلازم القراءة والإقراء بها، فتروى عنه، وتنسب إليه على أنها اختيار شيخه، مع أن الشيخ لم يقصد التفضيل، وإنما أراد التخفيف على التلميذ.

ومن ذلك أن الإمام المقرئ قد يَقْدُمُ بلداً، فيقرأ عليه بعض أهل البلد بما هو معروف عندهم من القراءات، فيسمع الشيخ منهم، ويجيزهم بما قرأوا به إذا اتفق مع بعض ما يرويه عن شيوخه، فتنسب هذه القراءة التي أجازها على أنها اختيار الشيخ، وهو لم يقصد التفضيل^(٢).

قال مكِّي في تفرد ورش^(٣) بحروف لا يرويها غيره عن نافع: «وإنما ذلك لأن ورشاً قرأ عليه بما تعلم في بلده، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمته، فتركه على ذلك، وكذلك ما قرأ عليه قالون^(٤) وغيره، وكذلك الجواب عن اختلاف الرواة عن جمع القراء،

(١) تقدم (ص ٤٦٥).

(٢) انظر: صفحات في علوم القراءات (ص ٢٨٩).

(٣) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القرشي مولا هم المصري المقرئ أحد الرواة عن نافع المدني، وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي سنة (١٩٧هـ).

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥٢)، وغاية النهاية (١/٥٠٢).

(٤) هو أبو موسى سعيد بن ميناء بن وردان الزرقى المدني، أحد الرواة عن نافع المدني، وقد أكثر القراءة عليه حتى مهر وحذق، ونافع هو الذي لقبه بقالون =

وقد روي عن غير نافع أنه كان لا يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته، فإن قيل له: أقرئنا بما اخترته من روايتك أقرأ بذلك^(١).

والرواية التي يرويها ورش عن نافع تسمى اختياراً، وهي مما لم يقصد فيها نافع التفضيل، أو أنها أفضل من غيرها، وإنما لأن ورشاً قرأ على نافع بما تعلمه في بلده وكان صحيحاً أقرأه به، وفي تعريف القرطبي السابق أن القراءات المشهورة هي اختيار أولئك الأئمة مع أن بعضهم لم يقصد التفضيل، وإنما تلقى القراءة نقلاً، وأقرأ بها بعض تلاميذه فنسبت إليه. وبهذا التفصيل لمدلول الاختيار عند القراء نخلص إلى نتيجة مفادها:

أن الاختيار له علاقة قوية بالتفضيل بين القراءات والترجيح بينها، لما سبق من كثرة دورانه بهذا المعنى بين العلماء، وهو بهذه العلاقة القوية يزيد من عدد القائلين بالتفضيل.

توجيه القراءات وعلاقته بالتفضيل بينها:

توجيه القراءات: علم يبحث في تعليل القراءات، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب^(٢).

وتوجيه القراءات له علاقة بالتفضيل من جهة أن العالم حينما يورد القراءات في الكلمة يبدأ في بيان وجه كل قراءة في العربية، وقد يلوح له

= لجودة قراءته، وقالون تعني: جيد بالرومية، توفي سنة (٢٢٠هـ).

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥٥)، وغاية النهاية (١/٦١٥).

(١) الإبانة (ص ٦٢).

(٢) صفحات في علوم القراءات (ص ٢٨٦). وانظر: دراسات في علوم القرآن د.

محمود عبيدات (ص ١٧٩)، والقراءات القرآنية لعبد الحليم قابة (ص ٣٠).

حين ذاك قوة بعضها، إما من حيث إنها أقيس في العربية، أو أكثر استعمالاً، أو أفصح، أو نحو ذلك، وقد يدعوه ذلك إلى تفضيلها على غيرها، وقد يتجاوز بعض الناس إلى الرد والإنكار، والطعن في القراءة المرجوحة، وتغليط قارئها وتوهمه وتلحينه، ويرد هذا عند أهل العربية أكثر، والله أعلم.



المبحث الثالث

أدلة كل فريق ومناقشتها مع الترجيح

c وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

أدلة المانعين من التفضيل بين القراءات ومناقشتها

أولاً: الأدلة:

الدليل الأول:

أن القراءات إذا صحت عن النبي ﷺ، وصح أنه قرأ بها، وأجاز للصحابة أن يقرأوا بها، وهذا ينطبق على القراءات العشر لم يجز - والحال هذه - أن يقال: إن أحدها أجود أو أحسن أو أفضل. يقول ابن النحاس: «السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال: إحداها أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ»^(١).

الدليل الثاني:

يلزم من تفضيل قراءة على أخرى نقص القراءة المفضولة وعيبها، وقد يؤدي إلى ردها وإنكارها، وإن لم يؤدي إلى ردها وإنكارها أدى إلى

(١) إعراب القرآن (٥/٦٢). وانظر (ص٢٣١)، من الجزء نفسه، والاختلاف بين القراءات (ص٩١).

التشكيك في صحتها وثبوتها ولا بد، وكل ذلك محرم^(١).

الدليل الثالث:

أن التفضيل بين القراءات إعمال للاجتهاد في القرآن الكريم، والقرآن مما لا يجوز الاجتهاد فيه، لما يؤديه الاجتهاد من الاختلاف في القرآن، وقد نهى عن الاختلاف فيه^(٢).

الدليل الرابع:

أن النبي ﷺ حَسَّنَ جميع القراءات وصوبها من غير أن يفضل بعضاً على بعض، وحينما رفع إليه أبي بن كعب رجلين قرأ القرآن بأحرف مختلفة لا يعرفها أبي، فطلب منهما ﷺ القراءة، ثم حسن شأنهما^(٣)، فلو جاز لأحد أن يفضل قراءة على أختها لجاز ذلك للنبي ﷺ^(٤).

الدليل الخامس:

أن التفضيل بين القراءات والترجيح بينها كان سبباً للنزاع والخصام في عهد عثمان رضي الله عنه، وهو الذي هداه إلى جمع الناس على مصحف واحد حينما رأى خطورة النزاع وخاف أن يؤدي إلى الكفر والافتتال.

ومما يدل على أن التفضيل بين القراءات كان من الأسباب التي

(١) انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير (ص ١٤٣، ٢٠٤)، ودراسات في علوم القرآن د. محمود عبيدات (ص ١٨٠).

(٢) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن (ص ١٥٠)، ودفاع عن القراءات المتواترة (ص ٢١)، والقراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير (ص ١٩١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/٥٦١) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وفي رواية أحمد لهذا الحديث أن النبي ﷺ قال لهما: «أصبتما» انظر: المسند (١٢٧/٥).

(٤) انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير (ص ٨ - ٩، ٣٧٩).

دعت عثمان والصحابة رضي الله عنهم إلى جمع المصحف ما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

«لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف، وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك!! وهذا يكاد يكون كفراً!! قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: نعم ما رأيت»^(١).

ففي هذا الأثر تصريح بسبب جمع القرآن الكريم، وأن عثمان استعظم قول بعض الناس لبعض: «قراءتي خير من قراءتك» وقال: «هذا يكاد يكون كفراً!!» وقد وافقه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

فالتفضيل بين القراءات، والزعم بأن بعضها خير وأحسن من بعض كان سبباً لفتنة كادت تودي بالمسلمين، وتوقعهم في الكفر. فالقراءات إذن ليست مجالاً للمفاضلة، والتحسين والتقييح، والأخذ والرد^(٢).

الدليل السادس:

أن التفضيل بين القراءات والترجيح بينها مخالف لمذهب السلف، فلم يكن من هديهم التفضيل، بل كان رؤساء الصحابة رضي الله عنهم ينكرون ذلك على ما نقله ابن النحاس^(٣).

(١) روى هذا الأثر ابن أبي داود في كتاب المصاحف (ص ٢٢) عن سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٨/٩)، والسيوطي في الإتقان (٧٩/١).

(٢) الفرقان لابن الخطيب (ص ١١٨)، والاختلاف بين القراءات (ص ٦٤).

(٣) إعراب القرآن (٥/٦٢)، والقراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير (ص ١١)، (٣٧٩، ٢٣١).

ثانياً: مناقشة الأدلة:

قد لا تستوفى المناقشة هنا لأن تتمتها يأتي من خلال عرض أدلة القائلين بالتفضيل، ويمكن أن يورد على أدلة المانعين ما يلي:

أولاً: الدليل الثاني للمانعين وهو أن المفاضلة بين القراءات يلزم منها نقص المفضل وعيبه.... إلخ.

يرد عليه: أن هذا اللازم لا يلزم، ولا يلتزم به القائل بالتفضيل: ذلك أن المفاضلة بين شيئين لا يلزم منها انتقاص المفضل، وقد تقدم بسط هذا^(١). فالقراءتان الفاضلة والمفضولة صحيحتان حستان لكن إحداهما احتف بها من الأسباب والمبررات ما جعلها أقوى وأحسن في القراءة من أختها، وكثيراً ما يصف المفضلون بين القراءات القراءة المفضولة بالحسن والجودة والقوة، ومع ذلك فالقراءة الأخرى أحسن وأجود وأقوى.

وما هذا الصنيع منهم إلا دفعاً لهذا الوهم بأن المفضولة معيبة أو منتقصة أو نحو ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - حينما تعرض مكي بن أبي طالب للقراءات في قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] رجح قراءة من قرأ «ملك» بلا ألف، وقال: «إنها أقوى في نفسي».

ثم قال عن قراءة «مالك» بالألف: «ومالك - أيضاً - حسن قوي في الرواية»^(٢).

٢ - تعرض مكي - أيضاً - للقراءات في «يخدعون» من قوله تعالى:

(١) انظر (ص ٤٢٧).

(٢) الكشف (٢٩/١)، وقرأ «مالك» بالألف عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ بقية العشرة بلا ألف. انظر: المصدر السابق، والنشر (٢٧١/١).

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، فرجح قراءة من قرأها بلا ألف «يخدعون»، وقال: «وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي»^(١).

ثم قال عن قراءة من قرأها بالألف: «والقراءة الأخرى حسنة»، ثم ذكر قوتها في الرواية^(٢).

٣ - ذكر القرطبي القراءات في «البر» من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فرجح قراءة رفع «البر» وقواها، ثم قال: «والقراءتان حسنتان» يقصد قراءة الرفع والنصب^(٣).

والمتتبع لهذا في كلام المفضلين يجد شيئاً كثيراً^(٤)، فلا يعني تفضيل قراءة على أختها انتقاصها فضلاً عن أن يؤدي إلى التشكيك فيها وردّها، فهما قراءتان حسنتان، اقضت الدواعي والأسباب تقديم إحداها على الأخرى.

ثانياً: يردُّ على الدليل الثالث للمانعين بأن الاجتهاد الذي ذكروهم وحرمتهم هو الاجتهاد الذي يكون نابعاً من الهوى والرأي المجرد، وليس مبنياً على أسس وقواعد صحيحة.

أما إذا كان الاجتهاد في إطاره الشرعي، وكان هدف المجتهد الوصول إلى الحق، والذب عن القرآن الكريم، والدفاع عنه، مع ما هو عليه من الورع والتقوى، فإنه لا يُذم.

(١) الكشف (٢٢٥/١).

(٢) المصدر السابق (٢٢٧/١)، وقرأها بالآلف نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأها بلا ألف بقية العشرة. انظر: التيسير (ص٧٢)، والنشر (٢٠٧/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦١٦/١)، وقرأ بنصب «البر» حمزة وحفص، وقرأ الباقر بالرفع. انظر: التيسير (ص٧٩)، والنشر (٢٢٦/١).

(٤) وستأتي أمثلة أخرى في المبحث الأخير عند ذكر أسباب التفضيل إن شاء الله تعالى.

وعلماء القراءات منذ القدم اجتهدوا في تصحيح القراءات وضبطها
وتحريرها والتوفيق بينها، وكان من نتيجة ذلك: هذا الاختلاف الذي
حدث بينهم، ومصيبهم له أجران، ومخطئهم له أجر واحد.
ولو التزمنا هذا المنع مطلقاً لأبطلنا كثيراً من اجتهادات العلماء في
فهم القرآن واستنباط الأحكام منه، ولأثمناهم بذلك.

ثالثاً: يَرِدُ على الدليل الرابع: أن ما ذكرتموه من تحسين النبي ﷺ
وتصويبه للقراءات إنما هو في الأحرف السبعة، والقراءات التي نحن
بصدد الكلام عنها إنما هي على حرف واحد من تلك الأحرف، ولا
يجب في حق الاختلاف فيها ما جاء من الوعيد الوارد في الاختلاف في
الأحرف السبعة.

جاء في المرشد الوجيز:

«كل حرف اختلف فيه أئمة القراءة لا يوجب المراء كفراً لمن ماري
به في قول أحد من المسلمين، وقد أثبت النبي ﷺ الكفر للمماري بكل
حرف من الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن»^(١).

ساق أبو شامة هذا الكلام في معرض الرد على من اعتقد أن
القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

فهذه المناقشة إنما تأتي على قول من يقول: إن القراءات الموجودة
الآن هي على حرف واحد من الأحرف السبعة، وهذا رأي بعض
المفضلين، وعلى رأسهم ابن جرير الطبري^(٢)، ولذلك يقول هؤلاء: إن

(١) المرشد الوجيز (ص ١٤٩) نقلاً عن أبي طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وقد
جاء في النهي عن المراء في الأحرف السبعة عدة أحاديث ساقها الحافظ ابن
كثير وعلق على أسانيدھا في كتابه فضائل القرآن (ص ١١٤ - ١١٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٨/١). وانظر في هذه القضية: المرشد الوجيز
(ص ١٣٨)، والنشر (٣١٦/١)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٩٥/١٣).

الاستدلال علينا بالوعيد الوارد في حق الاختلاف والمرء في الأحرف السبعة استدلال بما هو محل نزاع بيننا وبينكم، فلا يلزمنا التسليم به.

رابعاً: يرد على الاستدلال بقصة عثمان رضي الله عنه ما يلي:

١ - أن الخلاف الذي وقع في عهد عثمان ليس هو الخلاف الموجود الآن بين القراءات، فالخلاف في عهد عثمان خلاف في الأحرف السبعة التي نزلت الرخصة بالقراءة بها، وقرأ بها الصحابة رضي الله عنهم وأقرأوا بها، مثل القراءات التي تروى عن أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

يقول مكي بن أبي طالب: «وهذا الاختلاف الذي يخالف خط المصحف، وما جاء منه مما هو زيادة على خط المصحف، أو نقصان من خط المصحف، أو تبديل لخط المصحف، وذلك كثير جداً هو الذي سمع حذيفة في المغازي، وسمع رد الناس بعضهم على بعض، وتكفير بعضهم لبعض، فحداه ذلك إلى إعلام عثمان رضي الله عنه، وهو الذي حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد، ليزول ذلك الاختلاف فافهمه»^(١).

٢ - أن الخلاف الموجود اليوم بين القراءات كان موجوداً في عهد عثمان فقد نسخ رضي الله عنه عدة نسخ من المصحف الذي كتبه، وأرسل إلى كل مصر من أمصار المسلمين المشهورة بنسخة، وكان بين هذه النسخ خلاف يسير من زيادة حرف أو نقصانه، وقد وضعه عثمان على هذا الرسم ليحتمل قراءات متعددة تلقاها الناس عن مشايخهم، فقرأ الناس بما يعرفون شريطة ألا يخالفوا ما رسمه عثمان، واتفق عليه الصحابة، فكان من الطبيعي وجود اختلاف بين قراءاتهم، وكان ذلك على علم من عثمان وإقراره.

(١) الإبانة (ص ٩٦).

فبالخلاف الذي في مصحف عثمان، وما وقع بين المسلمين بعد ذلك خلاف محدود بالنسبة للخلاف العظيم الذي كان قبل جمع المصحف، ولذلك لم يؤد هذا الخلاف إلى فتنة واقتتال، بل سكن الناس إليه ورضوا به، واستمر الخلاف إلى عهدنا دون أن يُخَدِّث فتنة أو قتالاً كما حدث في عهد عثمان، مع الفرق الكبير بين الناس في ذلك الزمن وزماننا هذا، فقد كان أولئك على جانب عظيم من العلم والفهم والفقه، وعلى جانب قوي من الترابط والتلاحم، وهم تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم فلو كان الخلاف الموجود اليوم في التفضيل هو نفس الخلاف الذي حدث في عهد عثمان رضي الله عنه لحصل من الفتنة والاختلاف والاقتتال أعظم مما حدث في ذلك العهد.

٣ - أن الذي صنعه عثمان رضي الله عنه من السياسة الشرعية الحكيمة حتى عُدَّ صنيعه هذا من مناقبه الجسام، ومآثره العظام، فالخلاف في عهده زاد عن حده، وتعدى طوره وخرج عن مساره الشرعي الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم للمختلفين، فلما وصل إلى تلك الحال من النزاع والشقاق، وتكفير الناس بعضهم بعضاً، لم يكن هناك بدٌّ من وقفة حازمة تقضي على الفتنة في مهدها، وتعيد الحق إلى نصابه، وترجع للمسلمين ثقتهم بكتاب ربهم، فوقف عثمان رضي الله عنه تلك الوقفة المشكورة بتأييد كبير من الصحابة، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه جميعاً.

ولو قدر وجود خلاف بين الناس في وقتنا في التفضيل بين القراءات يصل إلى درجة الخلاف الذي وصل إليه زمن عثمان لكان من واجب ولي أمر المسلمين أن يقف في وجهه، ويدراً خطره، لكن ذلك لم يقع والله الحمد. علماً بأن الذين يخوضون في التفضيل بين القراءات هم من أهل العلم والمعرفة والدراية بالقراءات، ولا يجوز لأحد ليس من أهل هذا الشأن أن يخوض في ذلك. والله أعلم.

خامساً: يَرُدُّ على الدليل السادس القائل بأن التفضيل بين القراءات مخالف لمذهب السلف، يرد عليه بأنه معارض بما جاء عن السلف من نصوص صريحة في التفضيل، وقد تقدم بعضها، وجاء عنهم ما هو أبعد من التفضيل، مما سيأتي عند الكلام عن أدلة القائلين بالتفضيل.

المطلب الثاني

أدلة القائلين بالتفضيل بين القراءات ومناقشتها

أولاً: الأدلة:

الدليل الأول:

أن التفضيل بين القراءات يتفق مع مذهب السلف، فقد جاءت عنهم نصوص صريحة في التفضيل، وكما ينقل المانعون عن السلف إنكارهم للتفضيل، فإن المفضلين ينقلون عنهم ما يدل على الجواز، ولو كان التفضيل محرماً أو منكراً من القول لما أقدموا عليه، ولأنكر بعضهم على بعض.

وقد تقدم النقل عن ابن مسعود وأبي عمرو بن العلاء ومالك والسفيانين وابن مهدي وأحمد ما يفيد التفضيل بين القراءات^(١).

بل جاء عن السلف ما هو أعظم من التفضيل، فقد جاء عن بعضهم رد بعض القراءات وإنكارها. ومن أمثلة ذلك:

١ - ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أنكر قراءة «نُسخها» بنون مضمومة من قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال مشدداً في إنكارها لما قيل له: إن ابن المسيب^(٢) يقرؤها

(١) انظر (ص ٤٧٠)، وما بعدها.

(٢) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي المدني، أحد فقهاء المدينة السبعة، لُقّب بسيد التابعين، روى عن كبار الصحابة، وجمع الحديث والفقه والزهد والعبادة، توفي سنة (٩٤هـ)، وقيل غير ذلك.

كذلك . قال : «إن القرآن لم ينزل على المسيب ، ولا على آل المسيب» .
 وكان ﷺ يقرؤها «تُنْسَهَا» بتاء مضمومة بعدها نون ساكنة ، وسين مفتوحة^(١) .

٢ - ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة ؓ أنها أنكرت قراءة «كُذِبُوا» بتخفيف الذال من قوله تعالى : ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف : ١١٠] ، وقالت : «معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها» . وكانت ﷺ تقرأها بالتشديد^(٢) .

٣ - جاء عن ابن عباس ؓ أنه لَحَنَ قراءة «يصدُّون» بضم الصاد من قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف : ٥٧] ، وقال الرجل : «إن عمك لعربي فما له يلحن في قوله : «إذا قومك منه يصدون» إنما هي يصدون» بكسر الصاد^{(٣)(٤)} .

= انظر : وفيات الأعيان (٣٧٥/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/٤) ، وتهذيب التهذيب (٤٣/٢) .

(١) جامع البيان (٤٧٦/١) ، و«ننساها» فيها قراءتان عشريتان ليست قراءة سعد منهما :
 أ - «ننساها» بفتح النون والسين ، وهمزة ساكنة بين السين والهاء ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .

ب - «ننساها» بضم النون وكسر السين من غير همزة ، وهي قراءة بقية العشرة .
 انظر : التيسير (ص ٧٦) ، والنشر (٢٢٠/٢) .

(٢) صحيح البخاري كتاب ، التفسير ، باب قوله الله تعالى : ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ (٢١٨/٥) وقد قرأ «كذبوا» بالتخفيف أبو جعفر وحزمة وعاصم والكسائي ، وقرأ بالتشديد بقية العشرة . انظر : التيسير (ص ١٣٠) ، والنشر (٢٩٦/٢) .

(٣) جامع البيان (٨٦/٢٥) ، وقرأها بكسر الصاد ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب البصريان وعاصم وحزمة الكوفيان ، وقرأها بضم الصاد بقية العشرة .
 انظر : التيسير (ص ١٩٧) ، والنشر (٣٦٩/٢) .

(٤) انظر في هذه الأمثلة وغيرها : «ظاهرة نقد القراءات» (ص ٣٤ - ٣٩) مقال سابق .

قال المفضلون: فإذا لم ير السلف بأساً في رد القراءات وإنكارها، فلأن لا يروا بأساً في التفضيل بينها أولى وأولى.

وإذا جاء المانعون بنقول عن السلف في المنع فعندنا في الجواز ما هو مثلها وأقوى منها.

الدليل الثاني:

من الأمور التي قررها علماء القراءات أنه يشترط لقبول القراءة وتصحيحها ثلاثة شروط، متى انطبقت هذه الشروط على قراءة ما قبلت وجازت القراءة بها، ومتى اختل منها شرط لم تقبل، وقد تقدمت هذه الشروط أول الفصل.

وتطبيقاً لهذا المبدأ الذي قرره العلماء، فإن المفضلين ساروا عليه وانطلقوا في تفضيلهم بين القراءات منه، ولم يحيدوا عنه، وبيان ذلك بالآتي:

١ - لما كانت القراءات المروية كثيرة جداً، وأراد المفضلون اختبارها بناءً على هذا المبدأ والمقياس المتفق عليه، وجدوا من القراءات ما يتفق تماماً مع هذا المقياس، وتنطبق عليه الضوابط انطباقاً تاماً في أعلى مراتبها، ووجدوا بعض القراءات دون التي قبلها، فتتحقق فيها الشروط والضوابط لكن ليس في أعلى درجاتها ومرتبتها، فإذا قارن العالم بين هذه وتلك، رأى أن القراءات التي اتفقت كلياً مع الضوابط أولى بالقراءة مما قل اتفاقه مع الشروط، فالقراءات عند المفضل كلها مقبولة، لكنها متفاوتة فبعضها في أعلى المراتب وبعضها دون ذلك.

٢ - من القراءات ما يتفق أكثر القراء على القراءة بها، فيوجد من القراءات المختلفة ما يُجمَعُ السبعة على القراءة بواحدة منها، وينفرد واحد منهم بوجه لا يقرأ به غيره، فيرى المفضل أن موافقة الجماعة الأكثر أولى من القراءة بوجه ينفرد به أحد الرواة.

يقول الطبري - وهو أحد المفضلين - لما رجع قراءة على أخرى :
«لأنها القراءة المستفيضة، فهي قراءة الأمصار التي لا تتناكر صحتها
الامة»^(١)، وكثيراً ما يعلل الطبري ومكي لتفضيل القراءات بكثرة من قرأ
بها من القراء كما سيأتي التمثيل لبعض ذلك إن شاء الله تعالى .

٣ - تطبيقاً للضابط الأول من ضوابط قبول القراءة المتعلق بصحة
سند القراءة المروية يرى بعض المفضلين وغيرهم أن القراءات المروية
متفاوتة في صحتها فبعضها يبلغ التواتر، وبعضها يقل عن رتبة التواتر،
ولا ريب أن المتواتر أقوى صحة وثبوتاً من غيره .

ومن هذه الحثيثة يفضل بعض العلماء القراءة المتواترة على غيرها
خاصة إذا انضم إلى التواتر قوة الوجه في العربية وقوة المعنى ونحو
ذلك .

وهذا يشير إلى ما تقدم في الفقرة السابقة من قول بعض المفضلين
إن القراءة بما قرأ به الأكثر أولى وأفضل .

ولهذا السبب يحمل ما تقدم نقله عن بعض السلف من إنكار بعض
القراءات وردّها؛ لأنها لم تتواتر عندهم، والتواتر قد يكون عند قوم دون
قوم^(٢) .

وقد توصف بعض القراءات المرجوحة بأنها مما قل فيه ضبط
الرواة .

يقول أبو شامة تعقيماً على ما أنكره بعض أهل اللغة من القراءات
السبع: «فكل هذا محمول على قلة ضبط الرواة فيه . . . وإن صح فيه
النقل فهو من بقايا الأحرف السبعة التي كانت القراءة مباحة عليها على

(١) جامع البيان (١١٢/٧) .

(٢) انظر: جمال القراء (٥٦٩/٢)، ومناهل العرفان (٤٢٩/١) .

ما هو جائز في العربية فصيحاً كان أو دون ذلك»^(١).

وتواتر القراءات السبع أو العشر مما تنازع فيه العلماء^(٢)،
والمقصود هنا بيان المبرر والدافع الذي ينطلق منه المفضل بين
القراءات.

وبما أن الكلام موصول عن تواتر القراءات، فإن بعض المفضلين
والمكرين ينطلق في التفضيل والإنكار من مذهب شاذ رديء، فيرى أن
بعض القراءات لم تتلق بالرواية والإسناد، وإنما قرئت بالرأي والاجتهاد
من القارئ الذي نسبت إليه القراءة، فهو لا يرى النقل في بعض القراءات
فضلاً عن أن يقول بتواترها.

ومن ذهب هذا المذهب فإنه لا يمانع مطلقاً من التعرض للقراءات
بالترجيح والمفاضلة، والرد والإنكار.

وقد ذهب هذا المذهب الشاذ بعض المتكلمين^(٣)، وجاء في كلام
الزمخشري ما يشير إليه^(٤).

ولا شك أن هذا المذهب مذهب شاذ مخالف لما عليه العلماء
قديماً وحديثاً من أن القراءات توقيفية، مبناها على التلقي والرواية، وأن

(١) المرشد الوجيز (ص ١٧٦) باختصار يسير، وفعل مثله الزمخشري، فإنه لما لحن
قراءة قال: «والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة
الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا لا أهل النحو» الكشاف (١/٤٠٧).

(٢) انظر في ذلك المرشد الوجيز (ص ١٧٣ - ١٧٨)، والبرهان (١/٤٦٦)، ومنجد
المقرئين (ص ١٨٦ - ٢١٢)، ومناهل العرفان (١/٤٢٨) وما بعدها، والتبيان
لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن (ص ١٣٤) وما بعدها.

(٣) الإتيقان (١/١٠٣).

(٤) الكشاف (٢/٥٤). وانظر: تعليق ابن المنير عليه في الانتصاف (٢/٥٣)
بحاشية الكشاف.

الاجتهاد والرأي لا مدخل له في اختراع القراءات^(١).

ولإنما نُبه على هذا المذهب هنا استكمالاً لأطراف القضية،
والدوافع التي ينطلق منها المفضلون بين القراءات.

٤ - تطبيقاً للضابط الثاني من ضوابط قبول القراءة المتعلقة بموافقة
العربية، فإن علماء القراءات لم يشترطوا لقبول القراءة أن تكون في أعلى
درجات الفصاحة، بل هي مقبولة وإن كانت دون ذلك، سواء جاءت على
الفصيح أو الأفصح، وسواء جاءت على الأشهر والأكثر استعمالاً، أو
جاءت دون ذلك.

ومن هنا يرى بعض المفضلين أن الأولى والأفضل والأكمل أن
يقرأ القرآن الكريم بأفصح اللغات، وأشهرها وأكثرها استعمالاً، وأقيسها
في قواعد العربية.

ولما سأل رجل الإمام أحمد عما يختار له من القراءات قال:
«قراءة أبي عمرو بن العلاء لغة قريش والفصحاء من الصحابة»^(٢).

ويقول الطبري مقررأ هذا المبدأ:

«قراءة القرآن بأفصح اللغات أولى وأحق منها بغير ذلك»^(٣).

ويقول: «وأحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها
كلام الله تبارك وتعالى»^(٤).

ويقول أيضاً:

«وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها، وأعرفها دون

(١) انظر: السبعة (ص ٤٦ - ٥٢)، والبرهان (١/٤٦٩)، والنشر (١/١٧).

(٢) الفروع (١/٤٢٣).

(٣) جامع البيان (٦/٦٤).

(٤) المصدر السابق (١١/١١٦). وانظر (ص ١٢٦ - ١٢٧) من الجزء نفسه.

أنكرها وأشدها»^(١).

ويقول أبو شامة بعد أن أورد ما أنكره أهل اللغة من القراءات السبع، وتناول ذلك بما تقدم من قلة ضبط الرواة، أو أنه من بقايا الأحرف السبعة إن صح فيه النقل، قال بعد ذلك:

«وأما بعد كتابة المصاحف على اللفظ المنزل، فلا ينبغي قراءة ذلك اللفظ إلا على اللغة الفصحى من لغة قريش وما ناسبها، حملاً لقراءة النبي ﷺ والسادة من أصحابه على ما هو لائق بهم، فإنهم كما كتبوه على لسان قريش، فكذا قراءتهم له»^(٢).

فالمفضلون بين القراءات لا يردون القراءات الثابتة الصحيحة التي تلقاها العلماء بالقبول، وإنما لأجل الحفاظ على القرآن الكريم، والعناية به، والدفاع عنه استحبوا ألا يقرأ إلا بأفصح اللغات وأعذبها وأشهرها، وأكثرها استعمالاً.

وحينما صوب الطبري قراءة على أخرى ذكر أن الأخرى جائزة غير مردودة إلا أنها جاءت لأهل البوادي لتناسب سجاياهم وطباعهم، ثم قال: «فأما المولدون فإن حكمهم أن يتحروا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها»^(٣).

هذه بعض الأدلة والحجج التي ينطلق منها المفضلون بين القراءات، وإن شئت فسمها دوافع ومبررات دفعت بعض العلماء للمفاضلة بين القراءات.

الاعتذار عن المفضلين:

بقي هنا أمران هما أشبه بالاعتذار عن المفضلين من الاستدلال

(١) المصدر السابق (٨/ ١٢٥).

(٢) المرشد الوجيز (١٧٦).

(٣) جامع البيان (٧٧/ ٢٧).

لجواز التفضيل، وهذان الأمران يفر إليهما من يريد التوفيق بين الموقفين: موقف المانعين من التفضيل، والقائلين به، فكأنه يقول: إن المفضلين وما جاء عنهم من أساليب صريحة في التفضيل لا يراد بها التفضيل الحقيقي، وإنما المراد:

أولاً: أن التفضيل الوارد عن بعض العلماء لا يرجع إلى التفضيل الحقيقي، وأن هذه القراءة أفضل أو أقوى من تلك، وإنما يعود إلى اللغة العربية: إما إلى الوجه النحوي أو غيره، أو يعود إلى معنى القراءة، وأن المعنى على هذه القراءة أفضل من ذلك المعنى.

جاء في «المعيار المعرب»:

«فربما يأخذ بعض القراء على بعض في اختياره لما اختاره لوجه ظهر له فيه مع وجود الثقة في غيره، وكلّ قرآن مسلم فيه تلاوة ورواية، وتضعف قراءة من جهة وجهها في العربية، ومقصوده الإنحاء على من اختارها مع ضعف وجهها، وقوة غيرها مما لم يختره، وليس مقصوده الطعن على القراءة في ذاتها ولا في روايتها وتواترها»^(١).

فالتفضيل راجع إلى ما تحمله القراءة من وجه نحوي أو معنى متعلق بها، وليس إلى ذاتها، وكأن المفضل يلوم غيره ويخاطبه قائلاً: أمامك قراءتان صحيحتان متساويتان في الفضل وصحة النقل عن النبي ﷺ وإحداهما أفصح في لغة العرب وأشهر وأكثر استعمالاً، وقد قرأ بها أكثر القراء، فما الذي يدعوك للإعراض عنها والتزام غيرها!!

ثانياً: أن القارئ قد يقرأ على شيخ، ويلتزم القراءة عليه بحرف معين، فيألف تلك القراءة، ويلتزم القراءة والإقراء بها، فينشأ عن هذه

(١) (١٢/١٠٥). وانظر: البرهان (١/٤٩١)، وأثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية (ص ٣١٦).

الملازمة نوع إثارة لها على غيرها، وقد يأتيه أحد الثقات، ويخبره بقراءة أخرى تخالف ما ألف وأخذ مشافهة عن شيخه، فينكر ما أخبر به، أو يفضل قراءته عليها، والإنسان بما جبل عليه يقدم ما عرفه بنفسه واطلع عليه على ما يخبر به.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال عن قراءة: «إني أقرؤها كما علمت أحب إلي».

فمحنة عبد الله للقراءة ناشئة عن معرفته بها، وملازمته لها، وأخذها من في الرسول ﷺ، فهي أحب إليه من قراءة يخبر بها ولم يسمعها مباشرة من النبي ﷺ.

فالتفضيل هنا نفسي يختلف من شخص لآخر، وليس تعرضاً لتفضيل ذات القراءة على غيرها، كما أنه من باب أولى ليس قدحاً في القراءة الأخرى.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض العلماء أنه كره القراءة بما يخالف قراءة أهل البلد، وأن المستحب للإمام أن يقرأ بما ألفوه وعرفوه^(١).

وما هذه الكراهة إلا لأن الناس قد نشأوا على قراءة، وألفتها أسماعهم، ولانت بها ألسنتهم، وشب عليها صغيرهم، وشاب عليها كبيرهم، فهي عندهم أفضل مما جهلوه، والمفضل - قطعاً - لا ينكر غيرها من القراءات أو ينتقصها، وإنما كره ما كره خشية التشويش على الناس، وإحداث نفرة في قلوبهم لما يجهلونه، ومن جهل شيئاً عاداه.

ومما يوضح هذا أن الإنسان قد جبل على محبة ما يعرف، والتعصب والانتصار لنفسه، أو غيره ممن يكنُّ له الود والاحترام، ويرى

(١) الفروع (١/٤٢٣).

أن له الفضل عليه بسبب تتلمذه عليه، فيظهر منه التعاطف مع شيخه، والانتصار له والدفاع عنه وعن قراءته، وإيثاره على غيره، وقد يدعو ذلك إلى تفضيل قراءته على قراءة غيره^(١)

ثانياً: المناقشة:

يمكن أن يورد على أدلة المفضلين ما يلي:

أولاً: ما ذكره المفضلون في الدليل الأول من نقول عن السلف في التفضيل بين القراءات وردّها وإنكارها ليست كلها صريحة في التفضيل.

فما جاء عنهم من رد بعض القراءات تقدم الجواب عنه في ثانيا الأدلة، وأن ذلك محمول على عدم علمهم بصحة تلك القراءات التي أنكروها أو تواترها، وليس بالضرورة أن يحيط الواحد منهم بجميع ما روي في القراءات، وقد عقب السخاوي على إنكار أبي عمرو لقراءة متواترة بأنها لم تبلغه على وجه التواتر^(٢).

وأما ما نقل عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أنه قال في قراءة: «إني أقرؤها كما علمت أحب إلي»، فتقدم الجواب عنه في الاعتذار الثاني. وبعض ما جاء عن السلف في التفضيل صريح في ذلك كالذي جاء عن الإمام مالك وأحمد وإن جاز تأول بعض ذلك ككراهة أحمد لقراءة حمزة.

ثانياً: قد ينازع المانعون من التفضيل في الدليل الثاني للمفضلين، فيقولون إن تفاوت القراءات في الصحة، وفي موافقة اللغة العربية، لا يقتضي تفاوتها في الفضيلة والأولية في القراءة، فما دامت مشتركة في

(١) انظر: المعيار المعرب (١٢/١٠٣ - ١٠٥).

(٢) جمال القراءة (٢/٥٦٩ - ٥٧٠).

الصحة سواء في أعلى درجاتها أو دون ذلك، ومشاركة في موافقة العربية على أعلى درجات الفصاحة أو أقلها، فهي مقبولة يقرأ بها ولا مفاضلة. ثالثاً: بعض ما جاء في الدليل الثاني مبني على آراء شخصية تجاه القراءات، وهذه الآراء هي مورد النزاع، فلا يمكن التسليم بها وهذه حالها. ومن هذه الآراء: القول بأن من القراءات السبع أو العشر ما لم يبلغ درجة التواتر.

ومنها القول بأن القراءة بما قرأ به الأكثر أولى. وأقبح من هذين الرأيين ما اعتقده بعضهم من أن بعض القراءات قرئ بالرأي والاجتهاد لا بالنقل والإسناد. رابعاً: ما جاء في الاعتذار عن المفضلين لا يعد استدلالاً لجواز التفضيل، وإنما هو تخريج لصنيع المفضلين ليصبح موافقاً لمذهب المانعين من التفضيل.

فكأن المعتذر يقول: إن ما ذكرتموه عن المفضلين من نصوص توهم التفضيل بين القراءات ليست تفضيلاً حقيقياً، والمفضلون يوافقونكم على عدم جواز التفضيل، وما جاء عنهم فإنه يراد به كذا وكذا مما تقدم ذكره. ولو طرد هذا الاعتذار لخرجت القضية عن محل النزاع، وأصبح الفريقان متفقين على عدم المفاضلة بين القراءات.

على أن ما تقدم من الاعتذار لا يمكن تطبيقه على جميع ما ورد عن المفضلين، وبخاصة الاعتذار الثاني فإنه لا يمكن تطبيقه إلا في حالات ضيقة.

المطلب الثالث

الترجيح

ينطلق المانعون من التفضيل والقائلون به من منطلق واحد: هو الحرص على القرآن العظيم، والدفاع عنه، والحفاظ عليه.

فالمانعون ينطلقون من الحرص التام على القرآن الكريم، وحمايته أن يكون عرضة للقليل والقال، والأخذ والرد؛ مما يضعف من هيئته في الصدور، وتوقيره في النفوس، فيضعف احترام المسلمين له.

ومن مقاصدهم حماية القرآن من عادية الأعداء كتشكيك المنافقين، وإرجاف الملحدين والمستشرقين، فإنهم قد يدخلون من باب الطعن في القراءات والمفاضلة بينها إلى الطعن في القرآن العظيم، وأن منه ما لم يثبت، ومنه ما هو مختلف في قوته وحسنه وجودته، ومثل هذه الشبه قد تأخذ مأخذها من قلوب بعض المسلمين.

والمفضلون لهم نفس المقصد، فهم يريدون إظهار القرآن الكريم بأجمل وجه وأمثل طريقة، فلا ينبغي عندهم أن يقرأ إلا بالأحسن والأجود والأقوى رواية ودراية، فدافعهم الحرص على ما جاء عن النبي ﷺ، لئلا ينسب إليه من القراءات إلا كل بليغ فصيح، مستقيم في العربية وجهه، قوي في القياس لفظه، مقبول في التأويل معناه، حتى إذا استوت عندهم الوجوه في القراء عدداً، وصحت عندهم لغة وتأويلاً قبلوها ولا تفاضل، وإن تمايزت من ذلك في شيء كانت مقبولة، وإن كان بعضها أولى من بعض^(١).

وبهذا يتضح أن المفضلين لا يخالفون المانعين من حيث المبدأ، فهم يتفقون وإياهم على وجوب الدفاع عن القرآن الكريم وحمايته وحياطته، ويضيف المفضلون: بأننا لا نخالف المانعين في حرصهم على القرآن، ومن تمام الحرص عليه والدفاع عنه بيان أقوى القراءات وأحسنها وأجملها وأعذبها، حتى يقرأ المسلم القرآن بأحسن أداء، وأقوى معنى، وأعذب لغة.

(١) ظاهرة نقد القراءات (ص ٥٥ - ٥٦) مقال سابق.

وإذا كان هذا هو مقصد هؤلاء وهؤلاء فإن التفضيل بين القراءات الذي سلكه كثير من أهل العلم، وتتابع على العمل به أئمة كبار، وعلماء أجلاء: من مقرئين، ومفسرين، وفقهاء، وهم من هم في العلم والبصيرة والفهم، وسعة الإدراك، وما هم عليه من الورع والتقوى والخوف المانع لهم أن يقدموا على أمرٍ حرمة ظاهرة، وخطره مائل، وعواقبه سيئة.

وإذ قد ترجح في الفصل السابق القول بجواز التفضيل بين سور القرآن الكريم وآياته اعتماداً على النصوص الشرعية الصريحة جداً في ذلك، وهو تفضيل ذاتي، فلم لا يجوز التفضيل بين القراءات مع أنه لا يطل الآية نفسها، وإنما يتعلق بأدائها، وقد لا يتأثر معنى الآية من هذا التفضيل البتة.

فالراجع - والله أعلم - أن المفاضلة بين القراءات جائزة بشروط ثلاثة:

الأول: ما قرره بعض المحققين من أهل العلم كأبي شامة والزرکشي وهو ألا يؤدي التفضيل بين القراءات والترجيح بينها إلى إسقاط القراءة المفضولة وردها، أو يؤدي إلى انتقاصها وغيبها.

فيجب أن تكون القراءتان في نظر المفضل وغيره صحيحتين مقبولتين حسنتين، لكن إحداهما أحسن من الأخرى لأسباب ومبررات اقتضت ذلك.

أما أن يؤدي التفضيل إلى انتقاص القراءات وتقبيحها، فهذا مالا يمكن قبوله بحال بعد تلقي العلماء للقراءات العشر بالقبول، وحكمهم بصحتها.

الثاني: أن يكون التفضيل بين القراءات مبنياً على أسس وقواعد صحيحة في التفضيل، فيضع العالم بين يدي تفضيله مبررات وأسباب قوية مقنعة، تبين أن ما نهجه في التفضيل أمر سديد لا يتعارض مع غيره.

ولذا ينبغي الحذر من التفضيل والترجيح بمجرد التشهي والهوى، دون الاعتماد على براهين صحيحة كمن يفضل لمجرد الإلف للقراءة أو القارئ.

الثالث: أن يكون القائم بالتفضيل بين القراءات من أهل العلم والبصيرة والفهم، فلا يجوز أن يخوض غمار التفضيل إلا عالم متمكن من علم القراءات والعربية؛ لأن لعلم العربية مدخلاً كبيراً في المقارنة والموازنة بين القراءات.

كما يجب أن يكون القائم بالتفضيل قادراً على الحكم بين القراءات بموضوعية وتجرد بعيداً عن التعصب والهوى.

وإنما أشرت هذا الشرط؛ لأن الترجيح والتفضيل بين القراءات أمر صعب المدرك، عسير المسلك، يحتاج إلى فهم عميق، أضف إلى ذلك خطورة الخوض في مثل هذه الأمور، وكثيراً ما تختلف أنظار المرجحين بين القراءات، فيرجح هذا خلاف ما رجحه غيره^(١).

وبهذه الشروط والضوابط تندفع المبررات والحجج التي يستند إليها المانعون من التفضيل، وتزول المحاذير التي يتعللون بها.

وبهذا الترجيح ندفع عن أئمتنا وعلمائنا - وبعضهم رؤوس في علم القراءات - غوائل التأثيم والتجريم، وتحميلهم أوزار من اقتفى أثرهم، واتبع طريقتهم، وندفع عنهم معرة الخوض فيما لا يجوز لهم الخوض فيه، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بهم، وانتقاصهم والخط من أقدارهم، والتجراً عليهم.

وبه نمنع كل من لم يتمكن من هذا العلم أن يخوض فيه، ويطلق لسانه فيما لا علم له به.

(١) انظر: التبيان للجزائري (ص ١٣٧).

وأخيراً: فبما أن الحديث عن التفضيل، وبيان الأكمل والأفضل،
فإن الأفضل والأولى للمسلم ألا يتعرض للقراءات بالترجيح والمفاضلة
بعد استقرارها، وتلقي الأمة للقراءات السبع وتتمتها من العشر بالقبول
والرضى والتسليم، والله أعلم



المبحث الرابع

أسباب التفضيل بين القراءات

الكلام في هذا البحث جارٍ على مذهب المفضلين، أما المانعون فينازعون في هذا المبحث برمته، فلا فاضل عندهم ولا مفضول، والقراءات كلها في أعلى درجات الفضل والحسن والجودة.

وهذه الأسباب قواعد وضوابط عامة يحتكم إليها المفضلون ويستدلون بها، وقد ينطلق أحدهم في التفضيل من أكثر من سبب، وقد مر بعض هذه الأسباب عند ذكر أدلة القائلين بالتفضيل.

والأمثلة للأسباب بين يدي كثيرة جداً، سأكتفي بذكر بعضها مشيراً إلى مصادر بعضها الآخر.

وقد تختلف وجهات نظر المفضلين حول تفضيل قراءة بعينها، فهذا يفضل قراءة، وآخر يفضل غيرها، وقد أشير إلى مثل هذا عند ذكر الأمثلة متجنباً الترجيح بينها.

السبب الأول:

أن تكون القراءة المفضلة مؤيدة بدليل من القرآن الكريم، فيستدل المفضل على ترجيحها على غيرها بآية أو كلمة قرآنية.

ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فَقَلَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالْفُرْسَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

رجح مكّي والقرطبي قراءة رفع «البر» الأولى وقوياها، ومن
تعليلهم للترجيح أن كلمة «البر» في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] قرئت بالرفع إجماعاً، فحمل البر
الأول على الثاني أولى من مخالفته له، وقد صرحا بأن قراءة الرفع
والنصب حستان^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ [النساء: ١٠].

رجح ابن جرير الطبري قراءة فتح الياء في «سيصلون» وقال:
«والفتح بذلك أولى من الضم»، واستدل لترجيحه بإجماع القراء على فتح
الياء من قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ﴿٦﴾ [الليل: ١٥]، ولدلالة
قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَنِيمِ﴾ ﴿١٣﴾ [الصافات: ١٦٣]^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَبِيرُ الْفَصِيلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾
[الأنعام: ٥٧].

رجح ابن جرير الطبري، قراءة «يقض» بالضاد المعجمة من
القضاء، وقال: «وهذه القراءة عندنا أولى القرائتين بالصواب».

وتبعه في هذا الترجيح ابن جزى الكلبي، رجحا قراءة الضاد على

(١) الكشف (١/٢٨١)، والجامع لأحكام القرآن (١/٦١٦)، وتقدم عزو القراءة
(ص ٤٨٨).

(٢) جامع البيان (٤/٢٧٤)، وقرأ «يُصلون» بضم الياء ابن عامر وأبو بكر، وقرأها
الباقون بالفتح.

انظر: التيسير (ص ٩٤)، والنشر (٢/٢٤٧).

قراءة «يقص» بالصاد من القصص، وهو الإخبار، واستدلاً لترجيح قراءة الضاد بآخر الآية: «وهو خير الفاضلين»، قال ابن جرير: «وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص».

وقد خالفهما في الترجيح مكي بن أبي طالب، فرجح قراءة الضاد وذكر أنها أحب إليه^(١).

السبب الثاني:

أن يكون سبب التفضيل راجعاً إلى السنة النبوية، إما أن يورد المفضل حديثاً عن النبي ﷺ أنه قرأها كذلك، أو يورد عن النبي ﷺ حديثاً يؤكد المعنى الذي تشير إليه القراءة التي يفضلها.

ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

رجح ابن جرير قراءة من قرأ «دكاء» بمد وهمز دون تنوين على قراءة «دكاً» دون همز مع تنوين الألف، وقال: «إنها أولى القرائتين بالصواب»، واستدل لما رجحه بأن النبي ﷺ قال في قصة تجلي الله تعالى للجبل قال: «فساخ الجبل»^(٢).

(١) انظر: جامع البيان (٢١١/٧)، والتسهيل (١١/٢)، والكشف (٤٣٤/١)، وقراءة الضاد قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم، وقرأ الباقر بالضاد. انظر: التيسير (ص ١٠٣)، والنشر (٢٥٨/٢).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ «ساخ» محل الشاهد: الترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب سورة الأعراف (٢٣٣/٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة»، وأخرجه أحمد في المسند (٢٠٩/٣)، والحاكم في المستدرک (٢٥/١)، (٥٧٧/٢)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الألباني في تعليقه على كتاب =

والحديث على رأي ابن جرير دال على قراءة المد، أما القراءة الثانية فمعناها تفتت، وصار تراباً، وليس في الحديث أن الجبل تفتت وصار تراباً، وإنما فيه أنه ساخ في الأرض أي: ذهب، وهذا بمنزلة الناقة التي ذهب سنامها فصارت دكاء بلا سنام. هذا ما قرره ابن جرير.

أما مكّي فيختار القراءة الأخرى، ويحتج لها بقوله تعالى: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّا ذَكَّةً وَجَدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. ﴿كَلَّا إِذَا ذُكِّتِ الْأَرْضُ ذُكَّا ذَكَّا﴾ [الفجر: ٢١]. ويحتج بأن النبي ﷺ قرأها بالتنوين من غير مد^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

رجح ابن جرير قراءة «هيت» بفتح الهاء والتاء وقال: «إنها أولى القراءة في ذلك»، واستدل بأنها قراءة النبي ﷺ، واختار مكّي بن أبي طالب ما اختاره ابن جرير، واستدل بما استدل به^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

= السنة لابن أبي عاصم (١/٢١٠)، وقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم» وقال أحمد شاكراً في تعليقه على تفسير الطبري (١٣/٩٨): «إسناده رجاله ثقات».

وقد أخرجه كل من تقدم عن أنس بن مالك ﷺ.

(١) انظر: جامع البيان (٩/٥٤)، والكشف (١/٤٧٥ - ٤٧٦). وقراءة المد والهمز قرأ بها حمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بدون مد ولا همزة مع تنوين الألف.

انظر: التيسير (ص ١١٣)، والنشر (٢/٢٧١).

(٢) انظر: جامع البيان (١٢/٨١)، والكشف (٢/٩)، والقراءات في هذه الكلمة تقدمت (ص ٤٧٠).

فضل ابن جرير قراءة «الدني» بتشديد النون على من قرأها بالتخفيف وذكر أنها أعجب القراءتين إليه، وعلل ترجيحه بأن النبي ﷺ قرأها بالتشديد، وصرح بأن القراءتين لغتان فصيحتان، قرأ بكل منهما علماء من القرآن^(١).

وقد يرد على الاستدلال على تفضيل القراءة بكون النبي ﷺ قرأ بها، يرد عليه: بأن القراءة الأخرى قرأ بها أيضاً؛ لأن مصدر القراءات واحد، وهو التلقي عن النبي ﷺ.

وقد يجيب المفضل بأن القراءة المفضلة كان النبي ﷺ يداوم على القراءة بها، وهي التي يسمعا منه الصحابة في الصلاة وغيرها. أما الأخرى فهي مما علمه الرسول ﷺ بعض الصحابة، أو رخص لهم في القراءة بها. والله أعلم.

السبب الثالث:

أن يكون السبب الداعي للتفضيل بين القراءات لغوياً، وهذا السبب أخصب الأسباب، وأكثرها دوراناً عند المفضلين والمنكرين لبعض القراءات على حدٍ سواء، وهو الذي أولع النحويون بذكره عند توجيههم للقراءات.

والسبب اللغوي قد يكون متعلقاً بأصل الكلمة وبنيتها، وأنها تقرأ كذا لأن أصلها كذا.

(١) جامع البيان (٢٨٧/١٥)، وقرأ «الدني» بضم الدال وتخفيف النون نافع وأبو جعفر المدينان، وقرأ أبو بكر بإسكان الدال وإشمامها الضم وتخفيف النون، وقرأ بقية العشرة بضم الدال وتشديد النون. انظر: التيسير (ص ١٤٥)، والنشر (٣١٣/٢).

وانظر في أمثلة هذا السبب: الكشف (٢٦٣/١)، (٣٩٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٢٨٤/٣ - ١٢٨٥).

وقد يكون متعلقاً بفصاحة الكلمة وشهرتها وكثرة دورانها في العربية.
وقد يكون متعلقاً بصناعة الإعراب، وأن الرفع أولى من النصب،
فيفضل العالم قراءة لكونها أقوى في الصناعة الإعرابية.
وقدم تقدم قول الطبري:

«قراءة القرآن بأفصح اللغات أولى وأحق منها بغير ذلك».
وقوله: «وأحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله
تبارك وتعالى»^(١).

ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا تُشْوَراً أَوْ إِعْرَاصاً فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ
تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٢٨].

رجح ابن جرير قراءة «يَصَالِحَا» بفتح الباء والصاد واللام مع تشديد
الصاد وألف بعدها على قراءة «يُصْلِحَا» بضم الباء وسكون الصاد ولا ألف
بعدها، وذكر أنها أعجب القراءتين إليه، وعلل ذلك بأن التصالح في هذا
الموضع أشهر وأوضح معنى، وأفصح وأكثر على ألسن العرب من الإصلاح.
ووافقه على تفضيله مكِّي وذكر أنها أحب إليه، لأن المعروف
في كلام العرب التصالح عند التنازع، و«يصالحا» أولى من
الإصلاح^(٢).

(١) انظر (ص ٤٩٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٣١٠/٥)، والكشف (٣٨٩/١ - ٣٩٩)، وقرأ «يصلحا»
بضم الباء وسكون الصاد وكسر اللام بلا ألف عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ
«يصالحا» بفتح الباء والصاد واللام مع تشديد الصاد وألف بعدها بقية العشرة.
انظر: التيسير (ص ٩٧)، والنشر (٢/٢٥٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

تقدم أن ابن جرير فضل قراءة «الدني» بتشديد النون على من قرأ بتخفيفها، وعلل هناك بأنها قراءة النبي ﷺ. وعلل هنا بأنها أشهر اللغتين فيها^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

رجح ابن جرير قراءة «يُسْحِتَكُم» بفتح الياء والحاء، وذكر أنها أعجب إليه، وعلل بأنها أفصح من القراءة الأخرى «يُسْحِتَكُم» بضم الياء وكسر الحاء، لأنها لغة أهل العالية، والضم لغة أهل نجد، ونص على أن القراءتين مشهورتان، ولغتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب^(٢).

السبب الرابع:

أن تكون القراءة المفضلة يؤيدها المعنى ويشهد لقوتها، فيكون معناها أظهر وأبلغ، وأكثر اتفاقاً مع الآية، فتفضل على القراءة الأخرى التي لا تبلغ مبلغها في المعنى.

وقد تقدم قول ابن جرير في الاختيار:

«وإنما يجوز اختيار بعض القراءات لبيان المختارة على غيرها بزيادة

(١) جامع البيان (٢٨٧/١٢)، وتقدمت القراءات في هذه الكلمة (ص ٥٠٩).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧٩/١٦). وقرأ «يُسْحِتَكُم» بضم الياء، وكسر الحاء حمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس، وقرأها الباقر بفتح الياء والحاء. انظر: التيسير (ص ١٥١)، والنشر (٣٢٠/٢).

وانظر مزيد أمثلة لهذا السبب في: جامع البيان (١٩٠/٤)، و(١٦٥/٨ - ١٦٦) و(١٧/٩)، والكشف (٣٦٥/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٧/١).

معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها، وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءاً به من غيره^(١).

ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

رجح مكّي قراءة: «وما يخدعون» بلا ألف على قراءة «وما يخادعون» بالألف، وقال: «وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي».

وتبعه في هذا الترجيح ابن جزي وقال: «إنها أبلغ في المعنى»، ومن تعليل ترجيحها: أن الخداع فعل قد يقع وقد لا يقع، والخدع فعل وقع بلا شك، فإذا قرأت: «وما يخدعون» أخبرت عن فعل وقع بهم بلا شك، وإذا قرأت: «وما يخادعون» جاز الوقوع وعدمه، فقراءة «يخدعون» أمكن في المعنى.

وقد ذكر مكّي أن القراءة الأخرى حسنة ثم ذكر قوتها^(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ وَمَنْ يَغُلُّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

رجح ابن جرير قراءة «يَغُلُّ» بفتح الياء وضم الغين على «يُغَلُّ» بضم الياء وفتح الغين، وقال: إنها الأولى بالصواب عنده.

ويكون معنى الآية عنده: ما الغلول من صفات الأنبياء، ولا يكون

(١) جامع البيان (٢/٥٣٨).

(٢) الكشف (١/٢٢٤ - ٢٢٧)، والتسهيل (١/٣٧)، وقرأ «يخادعون» بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ البقية «يخدعون» بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال لا ألف قبلها. انظر: التيسير (ص ٧٢)، والنشر (٢/٢٠٧).

نبياً من غل، وعلل ذلك بأن الله توعد أهل الغلول بعد ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَفْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، فكان في هذا الوعيد دليل واضح على أنه نهى عن الغلول، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات الأنبياء، ولو كان المراد القراءة الأخرى، وأنه نهى الصحابة عن اتهام الرسول ﷺ بالغلول لعقب هذا النهي بالوعيد على التهمة، وسوء الظن بالرسول ﷺ لا بالوعيد على الغلول... إلخ.

وخالفه في هذا الترجيح مكّي، فرجح قراءة ضم الياء وفتح الغين، وذكر أنها الاختيار، لأن فيها تنزيهاً وتعظيماً للنبي ﷺ أن يكون أحد من أمته نسب إليه الغلول، بل هم المذنبون المخطئون^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيْرًا﴾ [الأحزاب: ١٤].

رجح ابن جرير قراءة: «لأتوها» بالمد، وذكر أنها أعجب إليه، وعلل ذلك بأن المنافقين سئلوا فأعطوا، وإذا كان سؤال كان هناك إعطاء، وهو المناسب لمعنى الآية، والقراءة الأخرى «لأتوها» بلا مد، ومعناها: جاؤوها. ونص ابن جرير على جوازها، وقد وافق مكّي ابن جرير وعلل بأنها أبين في المعنى^(٢).

(١) انظر: جامع البيان (٤/١٥٧)، والكشف (١/٣٦٣ - ٣٦٤)، وقراءة فتح الياء وضم الغين قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأ بضم الياء وفتح الغين بقية العشرة. انظر: التيسير (ص ٩١)، والنشر (٢/٢٤٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٢١/١٣٦ - ١٣٧)، والكشف (٢/١٩٦)، وقرأ بلا مد الألف نافع وأبو جعفر وابن كثير، وقرأ بمدها بقية العشرة إلا ابن ذكوان فاختلفت الرواية عنه بالمد وبلا مد.

انظر: التيسير (ص ١٧٨)، والنشر (٢/٣٤٨).

وانظر مزيد أمثلة لهذا السبب في: جامع البيان (٥/٣٣١)، والكشف (١/٢٩)، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٣٩٥.

السبب الخامس:

أن يكون الداعي إلى تفضيل قراءة على أخرى كون المفضلة هي قراءة الأكثر من القراء، وقد يعبر بأن عامة القراء عليها، أو أنهم أجمعوا عليها سوى فلان، والتفضيل بهذا السبب كثير جداً عند مكّي بن أبي طالب.

ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

رجح مكّي قراءة «ملك» بلا ألف، وذكر أنها أقوى في نفسه، وعلل بعدة تعليقات منها أن أكثر القراء على القراءة بها^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَإٍ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَّمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَوْنَدَ اللَّهُ مَفَايِدُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

رجح مكّي قراءة «السلام» بالألف على قراءة «السلم» بلا ألف، وذكر أنها أحب إليه، ومن تعليقاته: أن أكثر القراء على القراءة بها^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُدِرَ عَنْهُمَا أَسْتَحَقَّا إِثْمًا فَفَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٧].

(١) الكشف (٢٩/١)، وتقدمت القراءات في الآية (ص ٤٨٧).

(٢) الكشف (٣٩٥/١)، وقرأ «السلام» بلا ألف نافع وأبو جعفر وابن عامر وحمزة وخلف، وقرأ بقية العشر بإثبات الألف. انظر: التيسير (ص ٩٧)، والنشر (٢/٢٥١)، وترجيح مكّي بين القراء السبعة، فيكون من قرأ بالألف أزيد بقارئ على من قرأ بلا ألف، أما على القراء العشرة فإنهم يتنافسون القراءة بها.

رجح ابن جرير قراءة «استحق» بضم التاء وكسر الحاء على قراءة «استحق» بفتح التاء والحاء، وذكر أنها الأولى بالصواب، معللاً ذلك بإجماع الحجة من القراء عليها، وصرح بأن القراءة الأخرى قراءة غير مدفوعة صحتها^(١).

٤ - قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، رجح مكّي تشديد النون من «لدني» وذكر أنها أحب إليه، لأن قراءة الجماعة عليها^(٢).

السبب السادس:

أن يكون الداعي لتفضيل قراءة ما موافقتها لأكثر المصاحف، ومن أمثلة هذا السبب:

١ - قوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّمَّكُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

اختار مكّي قراءة الرفع في «قليل» على قراءة النصب، وعلل اختياره بأن أكثر المصاحف لا ألف فيها^(٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكُمْ﴾ [٨٧] قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [٨٨] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ [٨٩].

(١) جامع البيان (١١٨/٧ - ١١٩)، وقرأ «استحق» بفتح التاء والحاء حفص وحده، وقرأ البقية بضم التاء وكسر الحاء. انظر: التيسير (ص ١٠٠)، والنشر (٢/ ٢٥٦)، ويلاحظ أن الطبري حكى الإجماع مع مخالفة حفص، بناء على مذهبه في الإجماع، وهو أن قول الأكثر يعد إجماعاً. انظر: روضة الناظر (٧٣/٢).

(٢) الكشف (٦٩/٢ - ٧٠)، وتقدمت القراءات في «لدني» (ص ٥٠٩).

وانظر مزيد أمثلة لهذا السبب في: الكشف (٢٣٩/١)، (٢٦٤ - ٢٦٥)، (٢٨٢، ٣١٧، ٣٦٤، ٣٩٢ و ١٩٦/٢).

(٣) الكشف (٣٩٢/١) وقرأ «قليلاً» بالنصب ابن عامر وحده، وقرأها بالرفع بقية العشرة. انظر: التيسير (ص ٩٦)، والنشر (٢/ ٢٥٠).

اختار ابن جرير قراءة لفظ الجلالة «الله» في الآيتين بدون ألف، محتجاً بإجماع خطوط المصاحف على ذلك سوى مصحف أهل البصرة. وصرح مع ذلك بصواب القراءة الأخرى «الله» بإثبات الألف ورفع الهاء، وذكر أن القراءتين قرأ بهما علماء من القراء^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَكُمْ قَدِينُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

رجح مكي قراءة إثبات الواو في أول الآية، وذكر أنها الاختيار؛ معللاً ذلك بعدة تعليقات، منها أن أكثر المصاحف جاءت بإثباتها^(٢).

السبب السابع:

قد يفضل بعضهم قراءة من القراءات لكونها قراءة أهل المدينة ومكة.

وقد تقدم عن بعض الأئمة استحبابهم لقراءة أهل المدينة عموماً. ومن أمثلة هذا السبب:

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠].

(١) جامع البيان (٤٧/١٨ - ٤٨)، وقرأ لفظ الجلالة بإثبات الألف ورفع الهاء أبو عمرو ويعقوب البصريان، وقرأ بقية العشرة بلا ألف مع خفض الهاء، واعلم أن هذا الخلاف في الآيتين المذكورتين، أما الآية التي قبلهما وهي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٥٥]، فقد اتفق القراء كلهم على الألف فيها.

انظر: التيسير (ص ١٦٠)، والنشر (٣٢٩/٢).

(٢) الكشف (٢٦٠/١)، وقرأ «قالوا اتخذ» بلا واو ابن عامر وحده، وقرأ بقية العشرة بالواو.

انظر: التيسير (ص ٧٦)، والنشر (٢٢٠/٢).

رجح مكّي قراءة «يُكذّبون» بضم الياء وتشديد الذال، وقال: «والتشديد أقوى في نفسي»، ومن جملة الأسباب التي فضل بها القراءة كونها قراءة أهل المدينة ومكة^(١).

السبب الثامن:

أن يكون في القراءة المفضلة زيادة أحرف على غيرها مما يقتضي كثرة ثوابها على غيرها؛ لأن الحرف بعشر حسنات، فتكون قراءتها أفضل من القراءة الأخرى، جاء في «الفروع»:

«وإن كان في قراءة زيادة حرف، مثل: «فأزلهما»، «فأزالهما»^(٢)، «ووصى»، «وأوصى»^(٣)، فهي أولى لأجل العشر حسنات»^(٤).

وجاء عن الإمام أحمد أنه كره الإدغام الشديد لحمزة، وعُِّل ذلك بأنه يتضمن إسقاط حرف بعشر حسنات^(٥).

ومن جملة الحجج التي احتج بها بعض العلماء لترجيح قراءة «مالك» على «ملك» أن فيها زيادة حرف بعشر حسنات^(٦).

(١) الكشف (٢٢٧/١ - ٢٢٩)، وقرأ «يُكذّبون» بفتح الياء وتخفيف الذال الكوفيين، وقرأ الباقيون بالضم والتشديد. انظر: التيسير (ص ٧٢)، والنشر (٢/ ٢٠٧).

(٢) قراءة «فأزالها» بالفتح بعد الزاي ولام مخففة قرأ بها حمزة، وقرأ الباقيون بحذف الألف وتشديد اللام. انظر: التيسير (ص ٧٣)، والنشر (٢/ ٢١١).

(٣) قراءة «وأوصى» بهمزة مفتوحة وصاد مخففة قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن عامر، وقرأ الباقيون «ووصى» بصاد مشددة بلا همزة. انظر: التيسير (ص ٧٧)، والنشر (١/ ٢٢٢).

(٤) (٤٢٣/١).

(٥) المصدر السابق (٤٢٢/١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٢٣)، وتقدمت القراءات في «مالك».

الخاتمة

وبعد أن تناولتُ هذا الموضوع المترامي الأطراف في بعض جوانبه أذكرُ أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

١ - أن أصل مادة الفضائل «فضل» وما اشتق منها يغلب استعمالها فيما يحمد ويُمدح، وقد جاءت هذه المادة في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع جميعها في هذا الاستعمال.
أما الفضائل في المعنى الاصطلاحي فلم تأتِ إلا فيما يرغب فيه ويبحث عليه.

٢ - مع كثرة تداول موضوع فضائل القرآن بين العلماء المتقدمين، وكثرة دورانه بينهم، فإن أحداً منهم لم يتعرض لتعريفه مثلما فعلوا مع علوم القرآن الأخرى كناسخه ومنسوخه وإعجازه وأمثاله ونحو ذلك.
وقد تعرض بعض المعاصرين لتعريفه، وتقدّم ذكره ونقده، وبيان التعريف المختار.

٣ - لخواص القرآن علاقة وارتباط قوي بفضائله، وهي علاقة الجزء بالكل إلا أن موضوع الخواص أخذ شكلاً مستقلاً فله تعريفه ومؤلفاته الخاصة.

وتبين من خلال البحث حاجة هذا الموضوع للدراسة المستفيضة المستقلة التي تحدد معالمه، وتضع شروطه وضوابطه وآدابه، وتتناول بعض مؤلفاته بالدراسة والنقد.

٤ - تبين من خلال التقسيم لهذا الموضوع سعته وكثرة أنواعه

وجزئياته، وقد وضعتُ هذه الأنواع والجزئيات في ثمانية أقسام رئيسة، وحاولت مجتهداً ترتيبها وتنظيمها، وجمع النظر إلى نظيره، وتبين أن الأنواع المتعلقة بفضائل السور والآيات هي أوسع الأقسام الثمانية على الإطلاق.

٥ - موضوع فضائل القرآن بحاجة إلى إعادة صياغة، وترتيب جديد، تضم فيه الأنواع إلى بعضها على غرار التقسيم المتقدم في التمهيد، ويدعو إلى ذلك أن المؤلفات في فضائل القرآن التي لا تختص بنوع معين لم تسر في عرضها للموضوع على ترتيب معين، وإنما تتداخل الأنواع في بعضها.

٦ - يعتبر التأليف في فضائل القرآن من أقدم العلوم الإسلامية تدويناً، وأقدم من نسب إليه التأليف فيه أبي بن كعب رضي الله عنه وقد تقدم نقد هذه النسبة، كما تقدم نقد نسبة التأليف للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -.

وأقدم الكتب التي وصلت إلينا في هذا الموضوع كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٥٢٤هـ).

٧ - اتخذ التأليف في فضائل القرآن أشكالاً متعددة في عرض الأنواع المتعلقة بهذا الموضوع، فمن المؤلفات ما جاء عاماً غير مقتصر على نوع أو أنواع محددة، ومنها ما ألف استقلالاً في نوع محدد كالمؤلفات في فضل تلاوة القرآن، أو فضل تفسيره، أو فضل بعض سوره وآياته.

أما من حيث الطريقة التي سارت عليها المؤلفات في فضائل القرآن، فقد جاءت على الطريقة الحديثية المتمثلة في تبويب الفضائل وسرد الأحاديث تحت كل باب.

٨ - المصنفات في فضائل القرآن الكريم كثيرة جداً، وقد بلغ عدد

المذكور منها في هذه الرسالة - مع ما في ثبوت بعضها من نظر - مائة وسبعة وستين كتاباً.

٩ - لا تزال كثير من المصنفات في هذا الموضوع حبيسة الأرفف مع حاجتها للتحقيق والنشر، وفي هذه الرسالة دلالة على مواضع كثير منها.

١٠ - للمحدثين والمفسرين عناية بفضائل القرآن، ولا تقل عنايتهم به عن عنايتهم بغيره من العلوم الإسلامية.

١١ - لم يخل كتاب من الكتب الحديثية الستة من تخصيص بعض الأبواب لهذا الموضوع، ومنها ما خصص له كتاباً مستقلاً.

١٢ - ظهرت عناية المفسرين بفضائل السور. أما أنواع فضائل القرآن الأخرى فحديثهم عنها إنما يكون في مقدمة تفاسيرهم.

١٣ - كثرة الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الكريم أثرت على هذا العلم، وشوهت صورته، وجعلت بعض الناس يقف منه موقفاً حذراً، فلم يقبل إلا أحاديث قليلة جداً.

١٤ - الذي تولى كبر الوضع في فضائل القرآن الكريم صنفان من الوضّاعين:

أ - الزنادقة، وقصدوا بذلك تشويه الإسلام والدس عليه، وتبين من خلال البحث العلاقة بين وضع الأحاديث في الفضائل، وقصد تشويه الإسلام.

ب - جهلة العبّاد والزهاد والمتصوفة، وقصدوا بذلك ترغيب الناس في تلاوة القرآن.

١٥ - أشهر الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن حديث أبي بن كعب في فضل سور القرآن سورة سورة، وهو أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن دوراناً في الكتب، وعليه مدار أكثر نقد العلماء لمن يورد الموضوعات في هذا الباب.

١٦ - الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن - خاصة حديث أبي بن كعب - متغلغلة في كتب التفسير، والمصنفات في فضائل القرآن، ولا يعني ذلك عدم الإفادة من هذه الكتب في هذا الباب، وإنما المراد تحذير القارئ وتنبيهه.

وقد تبين من خلال البحث الأسباب التي من أجلها وقع كثير من المفسرين ونحوهم في ذكر الموضوعات في فضائل القرآن الكريم، ونقدت من هذه الأسباب ما يحتاج لنقد

١٧ - كثير من التفاسير والمصنفات في فضائل القرآن لم تقع في ذكر الموضوعات في هذا الباب، ومنها من حذر منها ونبه عليها، وقد تقدم بيانها.

١٨ - تركز الحديث عن الوضع في فضائل القرآن الكريم على الجانب النظري من بيان كثرته، وأسبابه، ومن وقع فيه من المصنفين، وحكمه وآثاره، وسبل مقاومته.

وحبذا لو انبرى بعض الباحثين لجمع الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن في مؤلف مستقل، وتتبعها من مظانها، وقام بترتيبها على النسق المتقدم في التمهيد، وبذلك يسدي للقراء فائدة جلية، ويسهل عليهم التحقق من الموضوعات في هذا الباب.

١٩ - لا يلزم من القول بالترتيب في المسائل المتعلقة بذلك وهي: تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وتفضيل بعض القرآن على بعض.

وتفضيل بعض القراءات على بعض.

لا يلزم من القول بذلك كله انتقاص المفضل وعيه والخط من قدره.

وهذا اللازم هو الذي جعل كثيراً من العلماء يفرون من القول بالترتيب، لظنهم أن القائل بالترتيب يلزمه هذا اللازم.

٢٠ - ينبغي إظهار محاسن القرآن الكريم، ومزاياه وفضله على غيره، والحاجة إلى هذا في عصرنا الحاضر أشد؛ لمقاومة الهجمة التي يتعرض لها دين المسلمين وكتابهم، ولمواجهة الدعوة الضالة إلى مساواة القرآن الكريم بالكتب المحرفة عند اليهود والنصارى تحت شعار ما يُسمى بوحدة الأديان.

٢١ - اجتمع في تفضيل القرآن الكريم على الكتب الإلهية الأدلة من الكتاب والسنة، والمعاني والأوجه التي استنبطها العلماء منهما، وقد ذكرتُ في هذه الرسالة ثمانية أوجه رئيسة.

٢٢ - الأوجه المذكورة في تفضيل القرآن على الكتب السابقة هي خصائص اختص بها القرآن الكريم لا يشاركه فيها غيره.

٢٣ - تركز الحديث عن تفاضل القرآن الكريم في هذه الرسالة على الجانب النظري وهو: هل يقع التفاضل في القرآن الكريم أو لا؟ وبقي جانب آخر مهم في هذه القضية، وهو الجانب التطبيقي، وذلك بالنظر في النصوص المتعلقة بتفاضل القرآن وجمعها وتوجيهها، وبيان الأسباب التي من أجلها فضلت هذه السورة أو هذه الآية.

وكذلك النظر في كلام أهل العلم حول تفضيل بعض السور والآيات، وقد تقدم في ثمرة الخلاف لهذه المسألة شيء من ذلك.

٢٤ - يلزم القائل بتفضيل القرآن الكريم على الكتب الإلهية السابقة القول بتفاضل القرآن الكريم لأن الجميع كلام الله.

٢٥ - من منع من تفاضل القرآن منع من ذلك لسببين:

الأول: أن القول بالتفاضل يلزم منه نقص المفضول.

الثاني: أن القرآن الكريم كلام الله، وكلام الله لا يتصور فيه التفاضل والتخاير.

٢٦ - القائلون بتفاضل القرآن الكريم أكثر من المانعين من ذلك، وقولهم هو المروي عن السلف رحمهم الله تعالى .

والقائلون بالتفاضل على درجات، يلتقون في بعضها مع بعض المانعين، مثل من يصرح بأن القرآن الكريم يتفاضل لكن يتأول ذلك بتفاضل الأجر والثواب، ولذلك ينبغي عند النظر في كلام العلماء في هذه المسألة وغيرها فهم كلامهم .

٢٧ - أدلة القائلين بتفاضل القرآن أكثر من أدلة المانعين وأقوى وأصرح وأفضل، فهي أدلة عقلية سمعية .

أما أدلة المانعين فهي عقلية، ولا يلتزم بها القائلون بتفاضل القرآن .

٢٨ - ينطلق المانعون من تفضيل بعض القراءات على بعض والقائلون به من منطلق واحد، هو الحرص على القرآن الكريم، والدفاع عنه، والحفاظ عليه .

٢٩ - تقرر أن مسلك التفضيل بين القراءات الذي سلكه كثير من أهل العلم جائز بشروط ثلاثة :

أ - ألا يؤدي التفضيل إلى انتقاص المفضول وعيه .

ب - أن يكون التفضيل مبنياً على أسس وقواعد صحيحة في التفضيل .

ج - أن يكون القائم بذلك من أهل العلم والبصيرة والفهم .

٣٠ - لم ينطلق القائلون بالتفضيل من مجرد الهوى والتشهي بل دفعهم إلى ذلك أسباب ومبررات رأوا أنه لا بد من الأخذ بها واعتبارها، وقد ذكرت منها ثمانية أسباب، وأغلبها معتمدة على النقل والتلقي .

وهذا يؤكد الحقيقة التي عليها العلماء من أن القراءات مبنها على
التلقي والرواية، لا الرأي والاجتهاد.

وأخيراً فلا أحسب هذه الخاتمة قد وفّت بجميع مقاصد الرسالة
ومسائلها وفوائدها، فمن أراد المزيد فها هي بين يديه.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الفهارس

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس مراجع البحث.
- ٤ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ①	٤	٤٨٧ ، ٥١٦ ، ٥١٩
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ①	٦ - ٧	٣٧٦
سورة البقرة		
﴿وَمَا يَدْعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾	٩	٤٨٨ ، ٥١٤
﴿فِي قُلُوبِهِمْ تَمَرُّهُمُ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرْضًا﴾	١٠	٥١٨
﴿وَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾	٢٣	٣٢٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	٢٦	٤٥٠
﴿فَأَرْزَلَهُمَا الْفَيْضُ عَنْهَا﴾	٣٦	٥١٩
﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نَبِيَّ ...﴾	٤٠ - ٤١	٣٤٢
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	٤٣	٤٣١
﴿وَلَا وَاعِدَنَا مُؤَمِّنَ أَزْوَاجٍ لِّئَلَّا﴾	٥١	٤٦٦
﴿أَنْظِمُوهُ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾	٧٥	٣١٢
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٢٧٤
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ...﴾	٨٩ - ٩٠	٢٨٣
﴿وَمَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾	١٠٦	٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥
		٤٠٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٠
		٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٩٢
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾	١١٦	٥١٨
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ﴾	١٣٢	٥١٩
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾	١٣٦	٢٧٥
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٣٦٠
﴿وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾	١٦٣	٤١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾	١٧٣	٣٦٩
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾	١٧٧	٥٠٧ ، ٤٨٨ ، ٢٧٥
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾	١٨٥	٣٦٧ ، ٣٦٤ ، ٣٤١
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	٢١٣	٣٠٤ ، ٢٧٧
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٢٥٣	٣٥٧
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٤٣٢ ، ٣٠٠ ، ٥٩
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٨٤	٣٦٢
﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾	٢٨٥	٣٦٢ ، ٢٧٥
﴿وَرَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ﴾	٢٨٦	٣٦٨

سورة آل عمران

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾	١ - ٤	٢٧٨
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾	٧	٣٢٠
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٨	٥٩
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾	٢٠	٣٤٤
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾	٢٦	٥٩
﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾	٥٠	٣٧٦
﴿وَلَئِنْ مِنْهُمْ لَغَفِيرًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾	٧٨	٣١٢
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٨١ - ٨٢	٣٤٤
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾	٨٤	٢٧٥
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٣٦٠
﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةَ أَتَيْنَ مَا تُغْتَفَا﴾	١١٢	٢٨٣
﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾	١١٣ - ١١٥	٢٨٤
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٤٤٨
﴿فَإِن رَحِمَ رَبِّي مِنَ اللَّهِ لَنُتَّ لَهُمْ﴾	١٥٩	٣٦٦
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ﴾	١٦١	٥١٤
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ بِكُمْ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾	١٧٤	١٩
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾	١٨٤	٢٧٧
﴿وَلَئِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾	١٩٩	٢٨٤

سورة النساء

٥٠٨	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَا غُلَامًا﴾
١٩	٣٢	﴿وَسَقَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾
٣١٣	٤٦	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾
٣٤٤ ، ٣٤٢	٤٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ مَائِنًا﴾
٥١٧	٦٦	﴿مَّا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾
٣١٨	٨٢	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا﴾
٥١٦	٩٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ مَائِنًا إِذَا ضَرَبْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٣٦٩	٩٥	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٥١٢	١٢٨	﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾
٢٧٦	١٣٦	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ﴾
٢٨٣	١٥٥ - ١٥٦	﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بَيِّنَتُهُمْ وَكَفَرِهِمْ يَتَأْتِ اللَّهُ...﴾
٣٧٤	١٦٠ - ١٦١	﴿فَيُظَاهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا...﴾
٢٨٤	١٦٢	﴿لَنْكُنَ الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
٣٤١	١٧٤	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ مَدَّ جَاءَكُمْ بَرَهْنٌ﴾

سورة المائدة

٣٦٧	٦	﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾
٢٨٣	١٣	﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بَيِّنَتُهُمْ لَعْنُهُمْ﴾
٣٤٢ ، ١٤٦	١٥ - ١٦	﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ...﴾
٣٤٤	١٩	﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾
٣١٣	٤١	﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَتَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾
٢٨٢	٤٣	﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ﴾
٣١٣ ، ٢٧٩	٤٤	﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
		﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
٢٧٩	٤٥	
٢٧٩	٤٦	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِدِهِمْ يَحْسَى﴾
٢٧٩	٤٧	﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾
٢٨٦	٤٨	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾
٢٨٣	٦٠ - ٦٤	﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ...﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا...﴾	٦٥ - ٦٦	٢٧٨
﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾	٦٨	٢٧٩
﴿فَإِنْ عُدَّ عَلَيْكُمُ أَنْتُمَا أَسْحَقًا إِنَّمَا﴾	١٠٧	٥١٦

سورة الأنعام

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ﴾	١٩	٣٤٠
﴿مَّا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨	٣٤٨
﴿وَكَذَٰلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾	٥٥	١٨٤
﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾	٥٧	٥٠٨
﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾	٩٠	٣٤٠
﴿قُلْ مَنْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾	٩١	٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣١٣
﴿وَوَقَّعْتَ كَلِمَتَكَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	١١٥	٣٠٦ ، ٤٣٠
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾	١١٩	٣٦٩
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾	١٤٦	٣٧٤
﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾	١٥٤	٢٧٩

سورة الأعراف

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً...﴾	١٤٢ - ١٤٥	٣٣١
﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَيْلَةَ الْبَيْتِ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾	١٤٣	٥٠٩
﴿قَالَ يَمْسُوسُ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٤	٤٣٦
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...﴾	١٤٥ - ١٤٦	٢٧٩ ، ٢٧٢
﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْفُ﴾	١٥٤	٢٧٨ ، ٢٨٠
﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾	١٥٦ - ١٥٧	٣٤٥ ، ٣٦٨
﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾	١٥٨	٣٤٥ ، ٤٣٠
﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقُرْبَىٰ الَّتِي كَانَتْ...﴾	١٦٣ - ١٦٧	٣٧٥

سورة الأنفال

﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾	٢٤	٤٣٣
﴿يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	٦٥ - ٦٦	٣٧٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة التوبة		
﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾	٩١	٣٦٩
سورة يونس		
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا﴾	٣٨	٣٣٠
﴿يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدَةٌ﴾	٥٧	٣٤١ ، ٤٤
سورة هود		
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا﴾	١٣	٣٣٠
﴿وَقِيلَ يَتَّزِلْ أَتْلَى﴾	٤٤	٤١٥
سورة يوسف		
﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾	١	٢٨٧
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٢	٣٥٢
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	٣	٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧
﴿وَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾	٢٣	٥١٠ ، ٤٠٧
﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	١٠٤	٣٤٠
﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾	١١٠	٤٩٣
سورة الرعد		
﴿وَجَعَلْتُ مِنْ أَعْتَبٍ وَرَدَّعٍ وَيَحِيلُ﴾	٤	١٧
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾	٩	٣٠٦ ، ٣٠٥
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سُبْحًا مِنَ الْمُنَافِقِ﴾	٨٧	٢٩٠
سورة النحل		
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٩	٣٤٨
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	٩٠	٤٤٨
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾	١٠٣	٣٥٢
﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾	١٠٦	٣٧٠
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾	٣٢	٤٣١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	٣٦	١٩٩
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾	٥٥	٣٥٧
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي مَادَمَ﴾	٧٠	١٧
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾	٨٢	٤٤ ، ٤١
﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾	٨٨	٣٣٠

سورة الكهف

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾	٧٦	٥١٧ ، ٥١٣ ، ٥١٠
﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾	١٠٩	٤٣٠

سورة طه

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَتِلْكَمُ لَا تَقْرَءُوا﴾	٦١	٥١٣
﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾	٨٧	٤٧١
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	١١٠	٤٣٢
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	١١٣	٣٥٢

سورة الحج

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾	٧٨	٣٦٧
---	----	-----

سورة المؤمنون

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾	٢٤	١٧
﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ ...﴾	٨٧ - ٨٩	٥١٧

سورة الشعراء

﴿وَلَقَدْ لَنُنْزِلَنَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ...﴾	١٩٢ - ١٩٥	٣٥٢
---	-----------	-----

سورة القصص

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا﴾	٤٣	٣٣٢
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ...﴾	٤٨ - ٤٩	٢٨٠
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ...﴾	٥٢ - ٥٤	٢٨٤

سورة العنكبوت

﴿بَلْ هُمْ آيَاتٌ يَبْنِيْنَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ﴾	٤٩	٣٧٧
﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾	٥١	٣٣٤ ، ٢٩٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الروم		
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	٢٧	٤٤٠ ، ٤٤٢
سورة لقمان		
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾	٢٧	٤٣٠
سورة الأحزاب		
﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾	١٤	٥١٥
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾	٤٠	٣٢٢
سورة فاطر		
﴿وَلَنْ يُكَذِّبَكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	٢٥	٢٧٧
سورة يس		
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ ...﴾	٦٩ - ٧٠	٣٤١
سورة الصافات		
﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنِيمِ﴾	١٦٣	٥٠٨
سورة ص		
﴿يَكْتُبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا﴾	٢٩	١٥٠ ، ٣٧٠
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	٨٧ ، ٨٨	٣٤٠
سورة الزمر		
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾	١٧ - ١٨	٤٣٣
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾	٢٣	٢٨٧ ، ٢٨٦
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ...﴾	٢٧ - ٢٨	١٥٠ ، ٣٥٢
﴿قُلْ يَبْعَادُوا الَّذِينَ اتَّخَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٤٤٧
﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾	٥٥	٤٣٣
سورة غافر		
﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١٥	١٧٦
سورة فصلت		
﴿يَكْتُبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا﴾	٣	٣٥٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ...﴾	٤١ ، ٤٢	٣٠٥

سورة الشورى

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾	١٣	٣٢٨
﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾	١٥	٢٧٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾	٢٤	٤٣٠
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾	٥١	٤٣٦

سورة الزخرف

﴿حَمَّ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾	١ - ٣	٢٩٠
﴿وَأَنْتُمْ فِي أَرْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾	٤	٢٩٠ ، ٣٥١
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾	٥٧	٤٩٣

سورة الأحقاف

﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾	٧ - ٨	٢٨٠
﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾	١٢	٢٨٠

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝﴾	١	١٤٣
﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ﴾	١٧	٣٦٩

سورة الحجرات

﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾	٨	١٩
-----------------------------------	---	----

سورة النجم

﴿وَمَا يَطْلُقُ عَنِ السُّجُودِ ۝﴾	٣ - ٤	٢٠٠
﴿هُوَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ﴾	٣٢	٤٤٠ ، ٤٤١

سورة القمر

﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾	١٧	٣٥٠ ، ٣٧٧
---	----	-----------

سورة الحديد

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا﴾	٢٥	٢٧٧
﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَمَلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ﴾	٢٩	٣٦٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة المجادلة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّعْتُمْ أَرْسِلُوا...﴾	١٢ - ١٣	٣٧٠
سورة الحشر		
﴿لَوْ أَرَدْنَا هَذِهِ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَسِيفًا﴾	٢١	٥٩
سورة الجمعة		
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤَيِّدُ مَن يَشَاءُ﴾	٤	١٩
سورة التغابن		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٣٦٨
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	٤٤٨
﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾	٧	٣٦٨
سورة الحاقة		
﴿وَحُلَّتِ الْأَرْضُ رُبًا وَلِلْبَالِ مُدْكًا دَكًّا﴾	١٤	٥١٠
سورة المدثر		
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	١	٣٢
سورة القيامة		
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾	١٦ - ١٧	٣٠٦
﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُمْ وَقُرْآنَهُ﴾	١٧	٣٢
سورة الفجر		
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾	٢١	٥١٠
سورة الليل		
﴿لَا يَسْتَلْهَا إِلَّا الْإِنْفَى﴾	١٥	٥٠٨
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	٣٢، ٢٥٩
﴿كَلَّا لَا تُلْمِئْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾	١٩	٢٥٩

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
٢٩٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤١	«أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل في التوراة»
٣٦٢	«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب»
٣٥٨ ، ٣٠٤	«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد»
٢٩٥ ، ٣٤٦ ، ٣٨٦	«أعطيت مكان التوراة السبع»
٢٦٠	«اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة»
٤٣٤ ، ٣٩٦	«ألا أخبرك بأفضل القرآن»
٤٣٤	«ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة»
٣٦١	«ألا إنكم توفون يوم القيامة سبعين أمة»
٣٢٢	«ألا ترضى أن تكون مني»
٤٣٣	«ألم يقل الله ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾»
٢٩٧	«أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب»
٣٥٨	«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»
٤٤١ ، ٤٣٥	«أنزل أو أنزلت علي آيات»
٣٦٣	«أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام»
٣٦٩	«إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً»
٢٠٧	«إن رسول الله ﷺ كان يقرأ علي القرآن»
٢٣٨ ، ٢٢٥	«إن القوم ليعث الله عليهم العذاب»
٤٢٦	«إن لله تسعة وتسعين اسماً»
١٩	«إن لله ملائكة سيارة فضلاً»
٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ١٤٤	«إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم»
٣٧٨	«إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»
٣٨٢	«إنما مثل صاحب القرآن كمثل»
٢٦١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٤	«أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»
٣٨٢	«تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده»

٢٨٥	«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»
٣٩٤	«حبك إياها أدخلك الجنة»
١٤٠	«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»
١٣٨	«رجل آتاه الله القرآن»
١٦٧ ، ١٣٨	«زينوا القرآن بأصواتكم»
٧٩ ، ٧٨ ، ٧٢	«شيبتي هود»
٥٠٩	«فساخ الجبل»
٣٥٩ ، ٣٢٢	«فضلت على الأنبياء بست»
٣٢٣	«فينزل عيسى بن مريم فيقول»
٤٤١	«قال الله تعالى: كذبي ابن آدم»
٤٥	«كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى»
١٨٤	«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير»
٢٩٩	«كفى بها حماقة قوم»
٣٢٣	«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم»
٣٥٩	«لا تخيروا بين الأنبياء»
٣٥٩	«لا تفضلوا بين الأنبياء»
٣٠٩	«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني»
١٤٣	«لقد أنزل عليّ الليلة سورة»
٢٥٩	«لما أنزل الله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾»
٤٢٥	«لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده»
٢٥٧	«لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً»
٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢١ ، ١٩٦	«لو تمت البقرة ثلاثمائة آية»
١٦٧ ، ١٢٤ ، ٧٣	«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»
٢١	«لا يمنع فضل الماء»
٣٥٧ ، ٣٣٩ ، ٣٣٢ ، ٢٩٢	«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي»
٢٣٤	«ما من من عبد يصلي هذه الصلاة إلا رفع الله عنه»
١٣٨	«الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»
٤٥	«ما يدريك أنها رقية»
١٤٤	«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن»

- ١٩٨ «من بلغه عن الله ﷻ أو نبيه فضيلة»
- ٢٦٤ «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب»
- ٢٣ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»
- ٢٥٨ «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة»
- ٢٣٢ «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم أعطاه الله في الجنة»
- ٤٠٧ «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة»
- ٢٣٣ «من قرأ الحمد لله رب العالمين وقل هو الله أحد مائة مرة»
- ٢٥٧ «من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات»
- ٢٥٦ «من قرأ سورة الأنفال وبراءة»
- ٢٦٠ «من قرأ سورة البقرة أعطي من الأجر كالمرباط»
- ٢٥٧ «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر»
- ٢٥٧ «من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر»
- ٢٥٧ «من قرأ سورة الحشر لم تبق جنة ولا نار»
- ٢٥٦ «من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة»
- ٢٦١ «من قرأ سورة قل هو الله أحد أعطي من الأجر»
- ٢٥٦ «من قرأ سورة هود أعطي من الأجر»
- ٢٢٩ «من قرأ القرآن فله في بيت مال المسلمين»
- ٢٢٨ «من قرأ قل هو الله أحد ثلاثين مرة كتب»
- ٢٢٨ «من قرأ هو الله أحد مرة فكأنما قرأ»
- ٢٣١ «من قرأ كل يوم قل هو الله أحد ثلاث مرات»
- ٢٣٠ ، ٢٢٧ «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم»
- ٢٦٣ «من كذب علي متعمداً»
- ٤٣١ «من نزل منزلاً فقال»
- ٣٦٠ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»
- ٢٥٨ «وإن الليل أربع وعشرون ساعة»
- ٣١٦ «وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها»
- ٣٤٥ «والذي نفس محمد بيده لا يسمع»
- ٤٤١ ، ٤٣٥ ، ٣٩٣ «والذي نفسي بيده إنها لتعدل»
- ٤٢٥ «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم»

الحديث

الصفحة

٣٦٥

٤٣٥ ، ٣٠٠

٢٥٨

٣٢٤

٤٠

«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله»

«يا أبا المنذر أتدرى أي آية»

«يا علي من قرأ سورة إبراهيم كان في الجنة»

«يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب»

«يقال للرجل: اقرأ وارق ورتل»

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الآثار الخطية في المكتبة القادرية: د. عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة المعارف، بغداد عام ١٩٨٠م.
- ٣ - الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: لعبد الحي اللكنوي، إدارة إحياء السنة بالهند.
- ٤ - الإبانة عن معاني القراءات: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، دار المؤمنون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
- ٥ - أبجد العلوم: لصديق حسن خان، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق عام ١٩٧٨م.
- ٦ - إبراز المعاني من حرز الأمان: لأبي القاسم بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، تحقيق محمود جادو، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٤١٣هـ.
- ٧ - الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الثانية عام ١٤٢١هـ.
- ٨ - ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى المشني، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، الأردن، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ.
- ٩ - الإبهاج في شرح المنهاج: لعلي بن عبد الكافي السبكي وابنه عبد الوهاب، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.
- ١٠ - أبو جعفر النحاس: د. أحمد خطاب العمر، دار الشؤون الثقافية ببغداد، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨م.
- ١١ - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق عادل سعد، والسيد بن محمود بن إسماعيل، دار مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

- ١٢ - الإتقان في علوم القرآن: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة عام ١٣٩٨هـ.
- ١٣ - إتمام الدراية لقراء النفاية: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبوع بهامش مفتاح العلوم للسكاكي، المطبعة الأدبية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣١٧هـ.
- ١٤ - أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية: د. عبد الله محمد الكيش، نشر كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.
- ١٥ - الأحاديث المختارة: لمحمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ١٦ - الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ.
- ١٧ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ١٨ - إحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق د. عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- ١٩ - الأحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة عاطف، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ.
- ٢٠ - الإحكام في أصول الأحكام: لسيف الدين علي بن أبي علي محمد الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ.
- ٢١ - أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المالكي المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٨٧هـ.
- ٢٢ - الاختلاف بين القراءات: لأحمد البيلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٣ - الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته: د. عبد الفتاح شلبي، نشر معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١٧هـ.

- ٢٤ - الاختيار في القراءات والرسم والضبط: لمحمد بالوالي، نشر وزارة الأوقات والشؤون الإسلامية، المغرب عام ١٤١٨هـ.
- ٢٥ - أخلاق حملة القرآن وأهله: لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرى، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ٢٦ - الأخلاق النظرية: د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى عام ١٩٧٥م.
- ٢٧ - الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث: للخليل بن عبد الله الخليلي، تحقيق د. محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- ٢٨ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار إحياء التراث العربي، مصورة عن الطبعة الأميرية عام ١٣٢٧هـ.
- ٢٩ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، تحقيق عبد القادر عطاء، مكتبة الرياض الحديثة، ومطبعة السعادة.
- ٣٠ - إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: لأبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت عام ١٣٩٩، مصورة عن طبعة الحلبي عام ١٣٥٦هـ.
- ٣١ - الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز: لأبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر، طبعة عام ١٣٧٨هـ.
- ٣٢ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.
- ٣٣ - أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت عام ١٣٩٩هـ.
- ٣٤ - أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، نشر مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة عن مطبعة هندية بمصر عام ١٣١٦هـ.
- ٣٥ - الاستذكار: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار ابن قتيبة، دمشق، ودار الوعي، حلب، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.

- ٣٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين علي بن محمد الجزري «ابن الأثير»، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين، دار الشعب، القاهرة.
- ٣٧ - الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: د. رمزي نعناعة، دار القلم، دمشق، ودار الضياء، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ.
- ٣٨ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شهبه، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٨هـ.
- ٣٩ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: لعلي بن محمد القاري، تحقيق محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
- ٤٠ - الأسفار المقدسة قبل الإسلام: د. صابر طعيمة، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٤١ - اسم الله الأعظم: د. عبد الله الدميحي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٤٢ - الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: لمقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، طبع عام ١٣٩٥هـ.
- ٤٣ - الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ٤٤ - الإصابة في تمييز الصحابة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق طه الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٨٩هـ.
- ٤٥ - الاصطلاح في الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق د. نايف العمري، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ٤٦ - إصلاح المنطق: لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.
- ٤٧ - الأصمعيات: اختيار عبد الملك بن قُريب الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.
- ٤٨ - أصول التخريج ودراسة الأسانيد: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٢هـ.

- ٤٩ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني، مصر عام ١٤٠٠هـ.
- ٥٠ - إظهار الحق: لرحمة الله بن خليل الرحمن الكيروانوي الهندي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٥١ - إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، مطبوع بحاشية الإتيقان للسيوطي «مرجع سابق».
- ٥٢ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت عام ١٤١٠هـ.
- ٥٣ - إعراب القراءات السبع وعللها: لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.
- ٥٤ - إعراب القرن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.
- ٥٥ - الأعلام: لخبر الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة عام ١٩٩٧م.
- ٥٦ - أعلام النبوة: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، نُشر عام ١٣٩٣هـ.
- ٥٧ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، نشر وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية، الطبعة السابعة عام ١٤١٩هـ.
- ٥٨ - الإكسير في علم التفسير: لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق د. عبد القادر حسين، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، عام ١٣٩٧هـ.
- ٥٩ - الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب: لأبي نصر علي بن هبة الله بن ماکولا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١، مصورة عن طبعة الهند عام ١٣٨١هـ.
- ٦٠ - إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٦١ - أم القرآن والسبع المثاني: لإبراهيم أحمد شلبي، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.

- ٦٢ - إنباء الغمر بأبناء العمر: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦، مصورة عن طبعة الهند عام ١٣٨٧هـ.
- ٦٣ - إنباء الرواة على أبناء النحاة: لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٦٤ - الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال: لأحمد بن محمد بن المنير المالكي، مطبوع بحاشية الكشف للزمخشري الآتي في محله.
- ٦٥ - الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٦٦ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق عماد الدين حيدر، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ٦٧ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبد الله بن عمر الشيرازي البضاوي، تحقيق محمد سالم محيسن، وشعبان إسماعيل، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.
- ٦٨ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٦هـ.
- ٦٩ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت.
- ٧٠ - الباعث على إنكار البدع والحوادث: لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٧١ - الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن: عبد الرؤوف مخلوف، دار مكتبة الحياة، بيروت، عام ١٩٧٨م.
- ٧٢ - بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.
- ٧٣ - البحر المحيط: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق عبد القادر العاني، نشر وزارة الأوقاف بالكويت، الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ.

- ٧٤ - البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١١، مصورة عن طبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٩هـ.
- ٧٥ - البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، نشر مكتبة الفلاح، الرياض، وطبع مطبعة الفجالة، القاهرة.
- ٧٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لأبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة السعادة بمصر عام ١٣٤٨هـ.
- ٧٧ - البرهان في علوم القرآن: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي وزميله، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ.
- ٧٨ - البستان: لعبد الله البستاني، المطبعة الأميركية، بيروت عام ١٩٣٠م.
- ٧٩ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
- ٨٠ - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس: لأحمد بن يحيى الضبي، تحقيق د. روحية السويدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٨١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ببيروت.
- ٨٢ - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ٨٣ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات: لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي، تحقيق د. حاتم الضامن، مطبوع ضمن كتاب نصوص محققة في علوم القرآن، نشر وزارة التعليم العالي بالعراق عام ١٤١١هـ.
- ٨٤ - البيان والتحصيل: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ.

- ٨٥ - تاج التراجم: لقاسم بن قطلوبغا الحنفي، تحقيق إبراهيم صالح، دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ٨٦ - تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى في المطبعة الخيرية بمصر عام ١٣٠٦هـ.
- ٨٧ - تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، أشرف على ترجمته محمود فهمي حجازي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب من عام ١٩٩٣ - ١٩٩٩م.
- ٨٨ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ٨٩ - تاريخ أصبهان: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٩٠ - تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٩١ - تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، تعريب محمود فهمي حجازي، نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٣هـ.
- ٩٢ - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: لعبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت.
- ٩٣ - تاريخ علماء الأندلس: لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي «ابن الفرضي»، تحقيق د. روحية السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٩٤ - التاريخ الكبير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الباز بمكة مصورة عن طبعة الهند.
- ٩٥ - تاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله «ابن عساكر»، تحقيق أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، عام ١٤١٥هـ.
- ٩٦ - التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين: لعبد الله بن العباس الجراي، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٩٧ - تأويل مختلف الحديث: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ.

- ٩٨ - تأويل مشكل القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٣٩٣هـ.
- ٩٩ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، الدار العلمية، دلهي بالهند، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
- ١٠٠ - التبيان في آداب حملة القرآن: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبده الكوشك، مكتبة الإحسان، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ١٠١ - التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإلتقان: لطاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق د. عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة عام ١٤١٢هـ.
- ١٠٢ - تنمية الأعلام: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ١٠٣ - تجريد أسماء الصحابة: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠٤ - التجبير في علم التفسير: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. فتحي فريد، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ.
- ١٠٥ - التحديث بما قبل لا يصح فيه حديث: لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار الهجرة، السعودية الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ١٠٦ - تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ.
- ١٠٧ - التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر دار سحنون، تونس، عام ١٩٩٧م.
- ١٠٨ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: لعبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، الطبعة الثانية عام ١٣٨٧هـ.
- ١٠٩ - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة، الهند، والمكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- ١١٠ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: تصنيف عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- ١١١ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ.
- ١١٢ - التذكار في أفضل الأذكار: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق بشير محمد عون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧هـ.
- ١١٣ - تذكرة الحفاظ: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند عام ١٣٧٧هـ.
- ١١٤ - تذكرة الموضوعات: لمحمد بن طاهر الفتني الهندي مصورة عن الطبعة المنيرية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٤٣هـ.
- ١١٥ - تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه: لمحمد بن عبد الله التليدي، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ١١٦ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار الفكر بليبيا، عام ١٣٨٧هـ.
- ١١٧ - الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك: لأبي حفص عمر بن أحمد البغدادي المشهور بابن شاهين، تحقيق صالح أحمد الوعيل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ١١٨ - الترغيب والترهيب: لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٧٣هـ.
- ١١٩ - التسهيل في علم التجويد: لعلي حسن جبر، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ١٢٠ - التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، نشر المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٥٥هـ.
- ١٢١ - التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

- ١٢٢ - التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة: د. عبد الفتاح أبو غدة، مطبوع بحاشية الأجوبة الفاضلة لمحمد اللكنوي، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ.
- ١٢٣ - تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، دار الشعب، القاهرة. وطبعة أخرى بتحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٢٠هـ.
- ١٢٤ - التفسير الكبير: لفخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٢٠هـ.
- ١٢٥ - التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة بمصر.
- ١٢٦ - تقريب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ١٢٧ - تقييد العلم: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية عام ١٩٧٤م.
- ١٢٨ - التكملة والذيل والصلة: لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق إبراهيم الأبي أري، دار الكتب، القاهرة، عام ١٣٩٧هـ.
- ١٢٩ - تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: تصنيف أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم المدني، شركة الطباعة الفنية، القاهرة عام ١٣٨٤هـ.
- ١٣٠ - تلخيص الموضوعات: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عبد الرحمن عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ١٣١ - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ١٣٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأنديلسي، تحقيق مجموعة من المحققين، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب.
- ١٣٣ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: لعلي بن محمد بن عراق الكنتاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ.

- ١٣٤ - تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة عام ١٣٥٣هـ.
- ١٣٥ - تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية إبراهيم الزبيق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ١٣٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة عام ١٤١٥هـ.
- ١٣٧ - تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبعة عام ١٣٨٤هـ.
- ١٣٨ - تهذيب وترتيب الإثنان في علوم القرآن: د. محمد عمر بازمول، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ١٣٩ - توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ١٤٠ - التوراة دراسة وتحليل: د. محمد شتيوي، مكتبة الفلاح، لكويت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
- ١٤١ - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: لموريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ.
- ١٤٢ - توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة مكتبة الخانجي الأولى عام ١٣٦٦هـ.
- ١٤٣ - التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٦هـ.
- ١٤٤ - الثعلبي ودراسة كتابه «الكشف والبيان»: لمحمد أشرف المليباري، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٥هـ.
- ١٤٥ - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
- ١٤٦ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، عام ١٤٠٣هـ.

- ١٤٧ - جامع الأصول في أحاديث الرسول: لمجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة الحلواني، ودار البيان، عام ١٣٨٩هـ.
- ١٤٨ - جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- ١٤٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨هـ.
- والطبعة التي حققها أحمد شاكر ومحمود شاكر، نشر دار المعارف، مصر.
- ١٥٠ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس: لأبي محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي، تحقيق روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٥١ - الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند عام ١٣٧١هـ.
- ١٥٢ - جمال القراء وكمال الإقراء: لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق عبد الحق عبد الدائم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ١٥٣ - الجمع الصوتي الأول للقرآن: د. لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ١٥٤ - جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م.
- ١٥٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مطبعة المدني، بمصر، عام ١٣٧٩ - ١٣٨١هـ.
- ١٥٦ - جواهر القرآن ودرره: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق خليل إبراهيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٢م.
- ١٥٧ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشي، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار هجر، مصر، الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ.
- ١٥٨ - الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

- ١٥٩ - الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد: لأبي المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ١٦٠ - حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي: تصنيف محمد بن محمد الخفاجي المصري، دار صادر، بيروت.
- ١٦١ - الحاوي للفتاوي: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، عام ١٤١١هـ.
- ١٦٢ - الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به: د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ١٦٣ - حديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» رواية ودراية: لأبي عبد الله ناصر آل سعيد الشريف، الطبعة الأولى عام ١٤١٥، الرياض.
- ١٦٤ - الحديث والمحدثون: لمحمد محمد أبو زهو، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، عام ١٤٠٤هـ.
- ١٦٥ - الخازن ومنهجه في التفسير: ليحيى بن علي فقيهي، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، عام ١٤٠٩هـ.
- ١٦٦ - الخشوع في الصلاة: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار عمان بالأردن، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ.
- ١٦٧ - خصائص القرآن الكريم: د. فهد الرومي، الطبعة الخامسة عام ١٤١٠، بدون ناشر.
- ١٦٨ - الخصائص الكبرى: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ١٦٩ - الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها: يوسف العش، مطبعة الترقى، دمشق، عام ١٣٦٤هـ.
- ١٧٠ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادث عشر: لمحمد أمين بن فضل الله المحبي، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الوهية، مصر عام ١٢٨٤.
- ١٧١ - خواص القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد التميمي، مخطوط بجامعة برنستون، مجموعة برقم (٥٠٧٠)، ومنه صورة في مكتبة الملك فهد الوطنية.
- ١٧٢ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي وآخرون.

- ١٧٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار المعرفة، بيروت، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٤هـ.
- ١٧٤ - الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لعبد الرحمن بن محمد العلمي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة التوبة، السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ١٧٥ - الدر التنظيم في خواص القرآن العظيم: لعبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة عام ١٣٧٧هـ.
- ١٧٦ - دراسات في علوم القرآن: د. محمود سالم عبيدات، دار عمار بالأردن، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ١٧٧ - الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٨٥هـ.
- ١٧٨ - الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق خليل الميس، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
- ١٧٩ - دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر: د. ليبب السعيد، دار المعارف، القاهرة.
- ١٨٠ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: لمحمد الأمين الشنقيطي، مطابع الرياض، الطبعة الأولى عام ١٣٧٥هـ.
- ١٨١ - دلائل النبوة: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ١٨٢ - دلائل النبوة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد بالهند، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٧هـ.
- ١٨٣ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: لمحمد بن علان الصديقي الشافعي، تصحيح محمود حسن ربيع، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الأخيرة عام ١٣٩٧هـ.
- ١٨٤ - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: لإبراهيم بن نور الدين اليعمري المعروف بابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

- ١٨٥ - ديوان أبي فراس الحمداني: رواية الحسين بن خالويه، نشر دار بيروت، بيروت عام ١٤٠٧هـ.
- ١٨٦ - ديوان حسان بن ثابت: نشر دار بيروت، بيروت عام ١٤٠٣هـ.
- ١٨٧ - ذيل تذكرة الحفاظ: لأبي المحاسن محمد بن علي الحسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٨٨ - ذيل طبقات الحنابلة: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق محمد حامد فقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، عام ١٣٧٢هـ.
- ١٨٩ - ذيل مرآة الزمان: لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ.
- ١٩٠ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٩٧٣م.
- ١٩١ - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم: د. محمد جمعة عبد الله، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ١٩٢ - الرد على البكري: لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، نشر الدار العلمية، دلهي بالهند، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- ١٩٣ - الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة المشرفة: لمحمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة عام ١٤١٤هـ.
- ١٩٤ - الرسل والرسالات: د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ.
- ١٩٥ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطبعة الثالثة عام ١٤١٧هـ.
- ١٩٦ - الرقم في محاسن الصور في الكشف عن أحاديث السور: لمحمد بن محمد التافلاتي، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
- ١٩٧ - روح البيان: لإسماعيل حقي البروسوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة عام ١٤٠٥هـ.
- ١٩٨ - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: لمحمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥، مصورة عن الطبعة المنيرية.

- ١٩٩ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، مصر عام ١٤١٠هـ.
- ٢٠٠ - روضة الناظر وجنة المناظر: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ.
- ٢٠١ - رياض الصالحين: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة عام ١٤٠٦هـ.
- ٢٠٢ - زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ.
- ٢٠٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي «ابن قيم الجوزية»، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢هـ.
- ٢٠٤ - السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٢٠٥ - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي، تحقيق بكر أبو زيد، وعبد الرحمن العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ٢٠٦ - سر الفصاحة: لعبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ.
- ٢٠٧ - السراج المنير: لشمس الدين محمد بن محمد الشربيني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٢٠٨ - سفر السعادة: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٢٠٩ - سفر السعادة وسفير الإفادة: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق محمد أحمد الدالي، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق عام ١٤٠٣هـ.
- ٢١٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥هـ.
- ٢١١ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٥هـ.

- ٢١٢ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: لمحمد خليل بن علي المرادي، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٢١٣ - السنة: لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
- ٢١٤ - السنة: لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٢١٥ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥هـ.
- ٢١٦ - سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٢١٧ - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٢١٨ - سنن الترمذي «الجامع الصحيح»: لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق عزت عبيد الدعاس، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٢١٩ - سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤١٧هـ.
- ٢٢٠ - السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين البيهقي، نشر دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد بالهند، الطبعة الأولى عام ١٣٤٧هـ.
- ٢٢١ - السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ٢٢٢ - سنن النسائي: أحمد بن شعيب، نشر المكتبة العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة المصرية.
- ٢٢٣ - سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.
- ٢٢٤ - السيرة النبوية: لابن هشام الأنصاري، تحقيق مصطفى السقا وزميله، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥هـ.

- ٢٢٥ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر.
- ٢٢٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢٧ - الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية: د. عبد الرحمن الدرويش، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٢٢٨ - شرح التسهيل: لجمال الدين محمد بن عبد الله الطائي المعروف بابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد المختون، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٢٢٩ - شرح كتاب الحدود في النحو: لعبد الله بن أحمد الفاكهي، تحقيق د. المتولي رمضان الدميري، دار التضامن، القاهرة عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٣٠ - شرح حماسة أبي تمام: لأبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق د. علي المفضل حمودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.
- ٢٣١ - شرح صحيح البخاري لابن بطلال: علي بن خلف بن عبد الملك، المعروف بابن بطلال، تحقيق ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.
- ٢٣٢ - شرح صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتباتها، القاهرة.
- ٢٣٣ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكور، نشر وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية عام ١٤١٨هـ.
- ٢٣٤ - شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت: لجمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، نشر وزارة الأوقاف بالعراق، مطبعة العاني عام ١٣٩٧هـ.
- ٢٣٥ - الشرح الكبير: لعبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- ٢٣٦ - شرح اللمع في أصول الفقه: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق د. علي العميرني، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.

- ٢٣٧ - شرف أصحاب الحديث: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت «الخطيب البغدادي»، تحقيق د. محمد سعيد أوغلي، نشر كلية الألهيات، أنقرة.
- ٢٣٨ - الشعر والشعراء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مراجعة محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧هـ.
- ٢٣٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- ٢٤٠ - الصاحبى في فقه اللغة العربية: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق د. عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- ٢٤١ - الصحاح «تاج اللغة، وصحاح العربية»: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ.
- ٢٤٢ - صحيح البخاري «الجامع الصحيح»: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا، نشر عام ١٩٧٩م.
- ٢٤٣ - صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.
- ٢٤٤ - صحيح الجامع الصغير وزيادته: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٤٥ - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٢٤٦ - الصحيح المسند من أسباب النزول: لمقبل بن هادي الوداعي، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الثانية «بدون تاريخ».
- ٢٤٧ - الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق د. محمد الفاضل، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٢٤٨ - صفحات في علوم القراءات: لعبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المكتبة الإمدادية، مكة، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٢٤٩ - صلة الخلف بموصول السلف: لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

- ٢٥٠ - الضعفاء الكبير: لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ.
- ٢٥١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٢٥٢ - طبقات الحفاظ: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.
- ٢٥٣ - طبقات الحنابلة: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد فقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- ٢٥٤ - طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، بدون ناشر.
- ٢٥٥ - طبقات المفسرين: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٥٦ - طبقات المفسرين: لمحمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٥٧ - طبقات النحويين واللغويين: لمحمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- ٢٥٨ - عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المالكي، المعروف بابن العربي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٥٩ - العبر في خبر من غبر: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ٢٦٠ - العدة في أصول الفقه: للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي، تحقيق د. أحمد سير مباركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
- ٢٦١ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة المدني، القاهرة.
- ٢٦٢ - عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية: لأحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ٢٦٣ - علماء نجد خلال ثمانية قرون: لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ.
- ٢٦٤ - علوم القرآن بين البرهان والإتقان: د. حازم سعيد حيدر، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

- ٢٦٥ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٩٣هـ.
- ٢٦٦ - عون المعبود شرح سنن أبي داود: لمحمد شمس الحق آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، الطبعة الثانية عام ١٣٨٨هـ.
- ٢٦٧ - غاية المريد في علم التجويد: لعطية قابل نصر، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٠هـ.
- ٢٦٨ - غاية النهاية في طبقات القراء: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، نشر ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ.
- ٢٦٩ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية، القاهرة.
- ٢٧٠ - الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي: لعبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد نذير السلفي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- ٢٧١ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لأبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٨٣هـ.
- ٢٧٢ - فتح المغيبي بشرح ألفية الحديث: لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق محمود ربيع، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٧٣ - فتح المغيبي بشرح ألفية الحديث: لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٢٧٤ - الفرق بين الفرق: لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ٢٧٥ - الفرقان: لمحمد بن عبد اللطيف بن الخطيب، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٦٧هـ.

- ٢٧٦ - الفروع: لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي، مراجعة عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٤هـ.
- ٢٧٧ - الفروق: لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المشهور بالقرافي، دار عالم الكتب، بيروت، مصورة عن طبعة دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٤٧هـ.
- ٢٧٨ - الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٧٩ - الفصل في الملل والنحل: لأبي حمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصورة عن طبعة مؤسسة محمد علي صبيح بمصر عام ١٣٤٨هـ.
- ٢٨٠ - الفصول في الأصول: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق د. عجيل النشمي، نشر وزارة الأوقاف بالكويت، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ.
- ٢٨١ - فضائل الأعمال: لمحمد بن عبد الواحد المقدسي «ضياء الدين»، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ.
- ٢٨٢ - فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها: لأبي محمد الحسن بن محمد الخلال، تحقيق محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة لينة - دمنهور، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- ٢٨٣ - فضائل سورة يس في ميزان النقد: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٢٨٤ - الفضائل في ضوء الكتاب والسنة: لمحمد سالم محسين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية طبعة عام ١٩٨٣م.
- ٢٨٥ - فضائل القرآن: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ودار الثقافة، الرباط، الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ.
- ٢٨٦ - فضائل القرآن: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق أبي إسحاق الحيويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ. وطبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٢٨٧ - فضائل القرآن: لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق يوسف عثمان جبريل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.

- ٢٨٨ - فضائل القرآن: لأبي عبد الله جعفر بن محمد المستغفري، مخطوط في تركيا في مكتبة أسعد أفندي برقم (١٨١) «مصور لدي».
- ٢٨٩ - فضائل القرآن: لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
- ٢٩٠ - فضائل القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس، تحقيق غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٩١ - فضائل القرآن: لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي، تحقيق د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٢٩٢ - فضائل القرآن العظيم: لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي «ضياء الدين»، تحقيق صلاح الشلاحي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ.
- ٢٩٣ - فضائل القرآن وتلاوته، وخصائص تلاوته وحملته: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٢٩٤ - فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة: لمحمد موسى نصر، دار اليقين، البحرين، ودار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية عام ١٤١٠هـ.
- ٢٩٥ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب، عام ١٤١٥هـ. وأيضاً ما حققه محمد تجاني جوهري في أطروحة لماجستير بجامعة أم القرى عام ١٣٩٣هـ.
- ٢٩٦ - الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون: لمحمد بن علي بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ٢٩٧ - فنون الأنثان في عيون علوم القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٢٩٨ - فهرس الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط: إعداد محمد العربي الخطابي، مطبعة النجاح بالرباط، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ٢٩٩ - فهرس الخزانة التيمورية: نشر دار الكتب المصرية، القاهرة عام ١٩٤٧م.

- ٣٠٠ - فهرس دار الكتب الظاهرية:
 أ - علوم القرآن: إعداد صلاح الخيمي، طبع عام ١٤٠٣هـ.
 ب - مجاميع: إعداد ياسين محمد السواس، طبع عام ١٤٠٧هـ.
 ج - المنتخب من مخطوطات الحديث: محمد ناصر الدين الألباني، طبع عام ١٣٩٠، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٣٠١ - فهرس دار الكتب المصرية: الكتب العربية الموجودة بالدار حتى سنة ١٩٢١م، مع المحلق حتى منتصف سنة ١٩٢٤م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة عام ١٣٤٢هـ.
- ٣٠٢ - الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط «التفسير وعلومه»: نشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان عام ١٤٠٩هـ.
- ٣٠٣ - فهرس الفهارس والأثبت: لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ.
- ٣٠٤ - فهرس كتب الحديث المفردة في أبواب مخصوصة في الجامعة الإسلامية: إعداد عمادة شؤون المكتبات عام ١٤١٧هـ.
- ٣٠٥ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد: إعداد عبد الله الجبوري، مطبعة الرشاد، بغداد، الطبعة الأولى عام ١٣٩٣هـ.
- ٣٠٦ - فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح: إعداد ي. س. علوش، وعبد الله الرجراجي، طبع المكتبة الشرقية والأمريكية، باريس عام ١٩٥٤م.
- ٣٠٧ - فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية: نشر مكتبة الأسد، دمشق عام ١٩٩٧م.
- ٣٠٨ - فهرس المخطوطات المصورة: إعداد فؤاد سيد، نشر معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة، دار الرياض عام ١٩٩٤م.
- ٣٠٩ - فهرس المخطوطات والمصورات «التفسير وعلوم القرآن»: إعداد عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤٠٢هـ.
- ٣١٠ - فهرس مخطوطات العامة بتطوان: إعداد محافظ المكتبة، نشر المديرية العامة للثقافة بالمغرب عام ١٩٧٣م.
- ٣١١ - فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء: إعداد أحمد عيسوي، ومحمد سعيد المليح، نشر الهيئة العامة للآثار، طبع منشأة المعارف، الإسكندرية عام ١٩٨٧م.

- ٣١٢ - فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي: إعداد رمضان شنن وزميلي، استامبول عام ١٤٠٦هـ.
- ٣١٣ - فهرس مكتبة أيا صوفيا: مطبعة محمود بك، عام ١٣٠٤هـ.
- ٣١٤ - الفهرست: لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن النديم الوراق، تحقيق رضا المازندراني، دار المسيرة، الطبعة الثالثة عام ١٩٨٨م.
- وطبعة أخرى بتحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٣١٥ - الفهرست: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية عام ١٣٨٠هـ.
- ٣١٦ - فهرسة ابن خير: أبي بكر محمد بن خير بن عمر الأموي، تعليق محمد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٣١٧ - فهم القرآن: للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، مطبوع مع كتاب العقل، نشر دار الكندي، ودار الفكر، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢هـ.
- ٣١٨ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لمحمد بن عبد الحي اللكنوي، تصحيح محمد بدر الدين النعماني، نشر دار الكتاب الإسلامي.
- ٣١٩ - فوائد في مشكل القرن: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق د. سيد رضوان الندوي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ.
- ٣٢٠ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: لأبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢ بيروت.
- ٣٢١ - فوات الوفيات: لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ٣٢٢ - في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة العاشرة عام ١٤٠٢هـ.
- ٣٢٣ - قاعدة في فضائل القرآن: لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق د. سليمان بن صالح القرعاوي، نشر مكتبة الظلال، الإحساء عام ١٤١٤هـ.
- ٣٢٤ - القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

- ٣٢٥ - القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: تصنيف أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي، تحقيق د. محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٢م.
- ٣٢٦ - القراءات القرآنية: لعبد الحلیم بن محمد قابة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٩م.
- ٣٢٧ - القراءات القرآنية: د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ.
- ٣٢٨ - القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤١٧هـ.
- ٣٢٩ - القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري: محمد عارف الهرري، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٣٣٠ - القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: د. محمد عمر بازمول، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٣٣١ - القرآن آداب تلاوته وسماعه: لحسنين محمد مخلوف، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٧٨هـ.
- ٣٣٢ - القطع والائتناف: لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق د. عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.
- ٣٣٣ - قواطع الأدلة في أصول الفقه: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق د. عبد الله بن حافظ الحكمي، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٣٣٤ - القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف: د. إبراهيم البريكان، دار الهجرة، الثبة، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ.
- ٣٣٥ - القواعد والإرشادات في أصول القراءات: لأحمد بن عمر بن محمد الحموي، تحقيق د. عبد الكريم بن محمد بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
- ٣٣٦ - الكاشف عن حقائق السنن: للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق د. عبد الحميد هندأوي، مكتبة نزار الباز، مكة، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٣٣٧ - الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: تصنيف أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبوع بذييل الكشاف، طبعة دار المعرفة ببيروت.

- ٣٣٨ - الكامل في التاريخ: لعز الدين علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت عام ١٣٨٥هـ.
- ٣٣٩ - الكامل في ضعفاء الرجال: لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٣٤٠ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة عام ١٣٨٥هـ.
- ٣٤١ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.
- ٣٤٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة، دار العلوم الحديثة، بيروت، مصورة عن طبعة استنبول عام ١٣٦٠هـ.
- ٣٤٣ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق عام ١٣٩٤هـ.
- ٣٤٤ - كفاية الألمعي في شرح قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْثُوسَاطَ الْأَعْيُنِ﴾: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق عدنان أبو شامة، مكتبة الفاروق، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ٣٤٥ - الكفاية في علم الرواية: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق عبد الحلیم محمد، وعبد الرحمن محمود، دار الكتب الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٣٤٦ - الكلبيات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ.
- ٣٤٧ - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٣٤٨ - اللآلئ الحسان في علوم القرآن: د. موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديدة بمصر.

- ٣٤٩ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠١هـ.
- ٣٥٠ - لباب التأويل في معاني التنزيل: علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥هـ.
- ٣٥١ - لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وزميله، دار المعارف، مصر.
- ٣٥٢ - لسان الميزان: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٣٥٣ - لقط الدرر في شرح نخبة الفكر: لعبد الله بن حسين الأزهرى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٥٦هـ.
- ٣٥٤ - لمحات الأنوار ونفحات الأزهار: لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٣٥٥ - لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية: محمد بن أحمد السفاريني، نشر مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ.
- ٣٥٦ - ما جاء في البدع: لمحمد بن وضاح القرطبي، تحقيق بدر عبد الله البدر، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ٣٥٧ - مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: إعداد عبد العزيز الرومي وزميله، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- ٣٥٨ - مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ.
- ٣٥٩ - مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.
- ٣٦٠ - مباحث المفاضلة في العقيدة: د. محمد الشطيبي، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٣٦١ - المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح: لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي، تحقيق محمد حسان بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٣٦٢ - متشابه القرآن: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق د. عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة.

٣٦٣ - متشابه القرآن العظيم: لأحمد بن جعفر بن محمد بن أبي داود المنادي، تحقيق عبد الله الغنيمان، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

٣٦٤ - مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ.

٣٦٥ - مجالس العلماء: لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ.

٣٦٦ - المجروحين من المحدثين: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٢٠هـ.

٣٦٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بدون الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢هـ.

٣٦٨ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة عام ١٤١٦هـ.

٣٦٩ - محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٧٦هـ.

٣٧٠ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.

٣٧١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبعة عام ١٣٩٥.

٣٧٢ - مخطوطات المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين: إعداد د. محمد فاضل قفطان وزميله، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل عام ١٤٠٧هـ.

٣٧٣ - مخطوطات الموصل: إعداد د. داود الجلبي الموصلي، مطبعة الفرات، بغداد عام ١٣٤٦هـ.

٣٧٤ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، المطبعة الحسينية بمصر عام ١٣٢٦هـ.

٣٧٥ - المدخل إلى الإكليل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، المكتبة التجارية، مكة.

- ٣٧٦ - مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: د. عدنان زرزور، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
- ٣٧٧ - المدخل إلى الصحيح: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري «الحاكم»، تحقيق د. ربيع المدخلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
- ٣٧٨ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان: لأبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٣٧٩ - المراسيل: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٣٨٠ - المرشد في علم التجويد: لزيدان محمود العقرباوي، دار الفرقان، عمان، الطبعة الثالثة عام ١٤١٧هـ.
- ٣٨١ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، تحقيق طيار قولاج، دار صادر، بيروت عام ١٣٩٥هـ.
- ٣٨٢ - المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين: د. محمد العروسي عبد القادر، دار حافظ، جدة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٣٨٣ - المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري «الحاكم»، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية عام ١٣٣٥هـ.
- ٣٨٤ - المستصفى من علم الأصول: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة بولاق بمصر عام ١٣٢٥هـ.
- ٣٨٥ - المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: لمحمد بن محمود بن الحسن البغدادي «ابن النجار»، تحقيق د. قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٨٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: نشر دار سحنون، تونس، الطبعة الثانية، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣هـ.
- ٣٨٧ - مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.

- ٣٨٨ - مسند الطيالسي: أبي داود سليمان بن داود، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية عام ١٣٢١هـ.
- ٣٨٩ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، نشر المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة.
- ٣٩٠ - مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ.
- ٣٩١ - كتاب المصاحف: لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، تحقيق آرثر جفري، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٩٣٦م.
- ٣٩٢ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: تصنيف أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي، ود. عزت عطية، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ٣٩٣ - المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي بكراتشي، والمكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ.
- ٣٩٤ - المصنف: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق مختار الندوي، الدار السلفية، بومباي بالهند، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
- ٣٩٥ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٩٦ - معالم التنزيل: لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وزميله، نشر دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٩هـ.
- ٣٩٧ - معالم العلماء: لمحمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، المطبعة الحيدرية بالنجف، الطبعة الثانية عام ١٣٨٠هـ.
- ٣٩٨ - معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور.
- ٣٩٩ - معترك الأقران في إعجاز القرآن: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٤٠٠ - معجم الأدباء: لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م.

- ٤٠١ - معجم البلدان: لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، نشر دار صادر، بيروت عام ١٤٠٤هـ.
- ٤٠٢ - معجم الدراسات القرآنية: د. ابتسام مرهون الصفار، مطابع جامعة الموصل عام ١٩٨٤م.
- ٤٠٣ - معجم الشعراء الجاهليين: د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٨م.
- ٤٠٤ - معجم الشيوخ: لعمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق محمد الزاهي، دار اليمامة، الرياض.
- ٤٠٥ - المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، تحقيق د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٤٠٦ - المعجم في بقية الأشياء: لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق إبراهيم الإياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٣٥٣هـ.
- ٤٠٧ - المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٤٠٨ - معجم لغة الفقهاء: د. محمد رواس قلعه جي، ود. حامد صادق، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ.
- ٤٠٩ - معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤١٠ - معجم مصنفات القرآن الكريم: د. علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
- ٤١١ - معجم المفسرين: لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٩هـ.
- ٤١٢ - المعجم المفهرس: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد شكوري الميادين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٤١٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، تصوير عن طبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ.

- ٤١٤ - معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٤١٥ - المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرين، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الثانية.
- ٤١٦ - معرفة علوم الحديث: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري «الحاكم»، تحقيق معظم حسين، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الثالثة عام ١٤٠١هـ.
- ٤١٧ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
- ٤١٨ - المعيار المعرب والجامع المغرب: لأحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت عام ١٤٠١هـ.
- ٤١٩ - المغرب في ترتيب العرب: لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة دار الاستقامة، حلب، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
- ٤٢٠ - المغني: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤١٢هـ.
- ٤٢١ - المغني عن الحفظ والكتاب: لأبي حفص عمر بن بدر الموصلي، تعليق محمد الخضر حسين، نشر الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٤هـ.
- ٤٢٢ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة: لأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ٤٢٣ - مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ.
- ٤٢٤ - المفضليات: للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.
- ٤٢٥ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: لأحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

- ٤٢٦ - المقاصد الحسنة: لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
- ٤٢٧ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسين علي بن إسماعيل الأشعري، تصحيح هلموت دينز، نشر فرانز شتاينز بسفادان، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ.
- ٤٢٨ - مقاييس نقد متون السنة: للدكتور مسفر غرم الله الدميني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، عام ١٤١٥هـ.
- ٤٢٩ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع: د. ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- ٤٣٠ - مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث): لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر.
- ٤٣١ - مقدمتان في علوم القرآن: نشر آرثر جفري، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصورة عن الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ.
- ٤٣٢ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لإبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٤٣٣ - الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، عام ١٣٩٦هـ.
- ٤٣٤ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي «ابن قيم الجوزية»، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ.
- ٤٣٥ - مناقب الشافعي: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.
- ٤٣٦ - مناقب الشافعي: لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق د. خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبله، جدة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- ٤٣٧ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب: لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق د. محمود الطناحي، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة.

- ٤٣٨ - مناهج المفسرين «القسم الأول»: للدكتور مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٤٣٩ - مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية بمصر.
- ٤٤٠ - المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني: تحقيق د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
- ٤٤١ - المنتقى شرح الموطأ: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن طبعة السعادة بمصر عام ١٣٣٢هـ.
- ٤٤٢ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٤٤٣ - منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب: لعبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر، دار ثيف، الطائف، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ.
- ٤٤٤ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ.
- ٤٤٥ - المنهاج في شعب الإيمان: للحسين بن الحسن الحلیمي، تحقيق حلمي فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
- ٤٤٦ - المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود: تصنيف محمود محمد السبكي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ.
- ٤٤٧ - الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٤٨ - موسوعة فضائل سور وآيات القرآن: لمحمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة العلم، جدة، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ.
- ٤٤٩ - الموسوعة الفقهية: نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٤٥٠ - الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم حنفي، دار ابن زيدون، بيروت، ومكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الأولى.
- ٤٥١ - موضوعات الصغاني: الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون، دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.

- ٤٥٢ - الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق د. نور الدين بوياجيلار، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٤٥٣ - الموطأ للإمام مالك بن أنس: تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٧هـ.
- والطبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية «عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر».
- ٤٥٤ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
- ٤٥٥ - ناسخ القرآن ومنسوخه: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق حسين الداراني، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ٤٥٦ - الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
- ٤٥٧ - الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
- ٤٥٨ - النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٠هـ.
- ٤٥٩ - التبع الريان في تجويد كلام الرحمن: لمحمد محمد آل مطر، دار رمادي، الدمام، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
- ٤٦٠ - النبوات: لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- ٤٦١ - النبوة والأنبياء: لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٠هـ.
- ٤٦٢ - نزاهة النظر في توضيح نخبة الفكر: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد السلام بن أبي أسلم المدني، نشر الجامعة السلفية، الهند، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ.

- ٤٦٣ - النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٦٤ - نظرية النسخ في الشرائع السماوية: د. شعبان إسماعيل، مطابع الدجوي، القاهرة.
- ٤٦٥ - النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل: لمحمد كمال الدين الغزي العامري، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق، عام ١٤٠٢هـ.
- ٤٦٦ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، عام ١٤٠٨هـ.
- ٤٦٧ - النكت على كتاب ابن الصلاح: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. ربيع بن هادي عمير، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ٤٦٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- ٤٦٩ - نواذر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا: إعداد رمضان شنن، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ.
- ٤٧٠ - نبيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأبي العباس أحمد باب بن أحمد التنكيتي، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ.
- ٤٧١ - هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن: لأبي المحاسن يوسف بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق محمد أنور عمر، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٤١٨ - ١٤١٩هـ.
- ٤٧٢ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي «ابن قيم الجوزية»، تعليق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- ٤٧٣ - هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت عن طبعة استامبول عام ١٩٨١م.
- ٤٧٤ - هذا القرآن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار المنار، عمان، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.

- ٤٧٥ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٧٦ - الواضح في أصول الفقه: لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي، تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.
- ٤٧٧ - الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، بعناية جماعة من المحققين، نشر فرانز شتاينز بفيسبادن، الطبعة الثانية عام ١٣٨١هـ.
- ٤٧٨ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
- ٤٧٩ - الوسيط في علم التجويد: لمحمد خالد منصور، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.
- ٤٨٠ - وصايا النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: نشر المكتبة الأدبية بحلب.
- ٤٨١ - الوضع في الحديث: د. عمر حسن فلاته، مكتبة الغزالي، دمشق، ومؤسسة مناهل العرفان، بيروت، عام ١٤٠١هـ.
- ٤٨٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- ٤٨٣ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور عبد الملك الثعالبي، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.

المجلات:

- ٤٨٤ - حولى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد السابع.
- ٤٨٥ - مجلة البيان، لندن، العدد رقم (١٥٥).
- ٤٨٦ - مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد العددان (١٦٤، ١٦٥).
- ٤٨٧ - مجلة كلية أصول الدين بالرياض، العدد الخامس.
- ٤٨٨ - مجلة المورد، بغداد، العدد الرابع.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد	١٣
المبحث الأول: تعريف الفضائل لغة واصطلاحاً	١٥
المطلب الأول: تعريف الفضائل لغة	١٥
المطلب الثاني: تعريف الفضائل اصطلاحاً	٢٢
المبحث الثاني: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً	٢٧
المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة	٢٧
المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً	٣٢
المبحث الثالث: تعريف فضائل القرآن الكريم باعتبار الإضافة	٣٦
خواص القرآن الكريم وفضائله	٤٢
المبحث الرابع: أنواع فضائل القرآن الكريم	٤٧
المقصود بالتنوع في فضائل القرآن	٤٩
فائدة تحديد أنواع فضائل القرآن وحصرها	٥١
تقسيم أنواع فضائل القرآن	٥١
الفصل الأول: التأليف في فضائل القرآن الكريم	٦١
المبحث الأول: فضائل القرآن في مؤلفات خاصة	٦٢
مدخل	٦٢
المطلب الأول: نشأة التأليف في فضائل القرآن الكريم	٦٣
دلائل تقدم التأليف في فضائل القرآن الكريم	٦٤
المطلب الثاني: مميزات التأليف في فضائل القرآن	٧٠
المطلب الثالث: طرق التأليف في فضائل القرآن	٧٤
المطلب الرابع: الخدمة العلمية لمؤلفات فضائل القرآن الكريم	٧٨
المطلب الخامس: ذكر المؤلفات في فضائل القرآن الكريم	٨٢
بين يدي المؤلفات	٨٢

سرد المؤلفات في فضائل القرآن	٨٤
المبحث الثاني: فضائل القرآن ضمن كتب الحديث	١٢٥
مدخل	١٢٥
المطلب الأول: اهتمام المحدثين بفضائل القرآن وأهمية ما كتبه	١٢٥
مظاهر اهتمام المحدثين بفضائل القرآن	١٢٦
أهمية ما كتبه المحدثون في هذا الباب	١٢٨
المطلب الثاني: الكتب الحديثية التي تناولت فضائل القرآن	١٣٠
المطلب الثالث: منهج المحدثين في تناول فضائل القرآن	١٣٢
المبحث الثالث: فضائل القرآن ضمن كتب التفسير	١٤٦
المطلب الأول: اهتمام المفسرين بفضائل القرآن	١٤٦
المطلب الثاني: أنواع فضائل القرآن التي يتناولها المفسرون	١٤٩
المطلب الثالث: فضائل السور عند المفسرين	١٥٣
المطلب الرابع: فضائل القرآن في مقدمات المفسرين	١٦٠
المطلب الخامس: توثيق فضائل القرآن عند المفسرين	١٦٨
المبحث الرابع: فضائل القرآن ضمن كتب علوم القرآن	١٧١
مدخل	١٧١
المطلب الأول: فضائل القرآن في كتب علوم القرآن الشمولية	١٧٢
المطلب الثاني: فضائل القرآن في كتب علوم القرآن المفردة	١٧٨
الفصل الثاني: الوضع في فضائل القرآن	١٨٣
تمهيد	١٨٤
المبحث الأول: كثرة الوضع في فضائل القرآن	١٨٦
دلائل كثرة الوضع في فضائل القرآن	١٨٨
المبحث الثاني: أسباب الوضع في فضائل القرآن	١٩٣
السبب الأول	١٩٣
السبب الثاني	١٩٧
المبحث الثالث: المشتهر من الموضوعات في فضائل القرآن	٢٠٥
المطلب الأول: شهرة حديث أبي بن كعب الموضوع في فضائل القرآن	٢٠٥
المطلب الثاني: أشهر الرواة لحديث أبي بن كعب	٢٠٩
المطلب الثالث: بطلان هذا الحديث والإجماع على ذلك	٢١١

المطلب الرابع: الواضع لهذا الحديث	٢١٢
المبحث الرابع: الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير	
وفضائل القرآن	٢٢١
مدخل	٢٢١
المطلب الأول: الموضوعات في فضائل القرآن في كتب التفسير	٢٢٢
المطلب الثاني: الموضوعات في فضائل القرآن في كتب فضائل القرآن ..	٢٢٦
المطلب الثالث: نقد كتب التفسير وفصائل القرآن في هذه القضية	٢٣٦
المطلب الرابع: أسباب ذكر المفسرين والمؤلفين في فضائل القرآن	
للموضوعات، والاعتذار عنهم	٢٤٢
المبحث الخامس: الطريق إلى معرفة الموضوعات في فضائل القرآن	٢٥٣
الطريق الأول: طريق إجمالي	٢٥٣
الطريق الثاني: طريق تفصيلي	٢٦١
المبحث السادس: حكم رواية الموضوعات في فضائل القرآن، والآثار	
السيئة المترتبة على روايتها، وسبل مقاومتها	٢٦٣
المطلب الأول: حكم رواية الأحاديث الموضوعية	٢٦٣
المطلب الثاني: الآثار السيئة المترتبة على روايتها	٢٦٥
المطلب الثالث: مقاومة الموضوعات في فضائل القرآن	٢٦٧
الفصل الثالث: تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة	٢٦٩
تمهيد	٢٧٠
المبحث الأول: الأدلة على تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة	
من الكتاب والسنة	٢٧٤
المطلب الأول: مكانة الكتب السابقة ومنزلتها في القرآن الكريم	٢٧٤
المطلب الثاني: الأدلة من القرآن الكريم على فضله على الكتب السابقة	
المطلب الثالث: الأدلة من السنة على فضل القرآن الكريم على الكتب	
السابقة	٢٩٢
المبحث الثاني: أوجه تفضيل القرآن الكريم على الكتب السابقة	٣٠٢
مدخل	٣٠٢
المطلب الأول: حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التحريف	٣٠٤
الأدلة القرآنية على حفظ الله تعالى للقرآن	٣٠٥

الدلائل والشواهد التاريخية على ذلك	٣٠٦
عوامل أخرى	٣١١
التحريف في الكتب السابقة	٣١٢
دلائل وشواهد التحريف في الكتب السابقة	٣١٤
المطلب الثاني: إحكامه وعدم نسخه	٣١٩
دلائل بقاء القرآن بلا ناسخ	٣٢١
نسخ الكتب السابقة	٣٢٥
المطلب الثالث: كونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة	٣٢٩
اختصاص القرآن الكريم بالتحدي والإعجاز	٣٢٩
لماذا لم تكن الكتب السابقة معجزة؟	٣٣١
أوجه إعجاز القرآن الكريم	٣٣٥
المطلب الرابع: شموليته	٣٣٩
شمولية رسالته ودعوته	٣٤٠
شموليته واحتواؤه لما في الكتب السابقة	٣٤٦
اشتماله على علوم كثيرة	٣٤٦
شمولية القرآن في الإصلاح	٣٤٩
شمولية خطابه	٣٥٠
المطلب الخامس: نزوله بأشرف لغة على أشرف مرسل لأشرف أمة	٣٥١
شرف اللغة العربية	٣٥١
شرف المرسل ﷺ	٣٥٧
شرف الأمة	٣٦٠
تعليق على كلام الحافظ ابن كثير يتعلق بهذا المطلب	٣٦٢
المطلب السادس: يسر شريعته	٣٦٥
مظاهر اليسر في الشريعة القرآنية	٣٦٧
توازن اليسر في الشريعة القرآنية	٣٧٢
التشديد في الشرائع السابقة	٣٧٣
المطلب السابع: تيسير حفظه على أمة محمد ﷺ	٣٧٧
حفظ القرآن الكريم من خصائص الأمة المحمدية	٣٧٧
فوائد تيسير حفظ القرآن الكريم	٣٨٠

المطلب الثامن: هيمنته على الكتب السابقة	٣٨٣
أقوال المفسرين في معنى المهيمن	٣٨٣
وجوه هيمنة القرآن على الكتب السابقة	٣٨٤
الفصل الرابع: تفاضل القرآن الكريم	٣٨٧
تمهيد	٣٨٨
المبحث الأول: حقيقة تفاضل القرآن الكريم والخلاف فيه	٣٩١
القول الأول: القول بعد تفاضل القرآن الكريم	٣٩١
نشأة القول بعدم تفاضله	٣٩٨
القول الثاني: القول بتفاضل القرآن الكريم	٣٩٨
المعتزلة وتفاضل القرآن الكريم	٤٠٣
المبحث الثاني: وجوه تفاضل القرآن الكريم عند أصحاب كل قول	٤٠٥
الوجه الأول: التفاضل عائد إلى تفاضل الأجر والثواب	٤٠٥
الوجه الثاني: التفاضل عائد إلى المكلف والعامل بالآية	٤١٠
الوجه الثالث: التفاضل عائد إلى تفاضل المعاني والمدلولات	٤١٢
الوجه الرابع: التفاضل عائد إلى تفاضل القرآن في البلاغة والإعجاز	٤١٤
الوجه الخامس: التفاضل عائد إلى نفس الآية وذاتها	٤١٧
المبحث الثالث: أدلة كل فريق ومناقشتها مع الترجيح	٤٢١
المطلب الأول: أدلة المانعين من تفاضل القرآن	٤٢١
مناقشة أدلتهم	٤٢٤
المطلب الثاني: أدلة المثبتين لتفاضل القرآن	٤٣٢
مناقشة أدلتهم	٤٣٨
المطلب الثالث: الترجيح وثمرة الخلاف	٤٤٢
الترجيح	٤٤٢
ثمرة الخلاف	٤٤٥
مسألان تتعلقان بثمرة الخلاف	٤٤٦
• المسألة الأولى: هل التفضيل بين السور والآيات توقيفي أو اجتهادي؟	٤٤٦
المسألة الثانية: لا يعني القول بالتفضيل أن يترك المفضول بلا قراءة	
ولا عمل	٤٤٩

٤٥٣	الفصل الخامس: التفضيل بين القراءات
٤٥٤	تمهيد
	المبحث الأول: ضوابط قبول القراءات، وأنواعها وارتباطها بالتفضيل
٤٥٧	بينها
٤٥٨	ضوابط قبول القراءة
٤٥٩	أنواع القراءات
٤٦١	أساليب التفضيل بين القراءات
٤٦٥	المبحث الثاني: موقف العلماء من التفضيل بين القراءات
٤٦٥	الموقف الأول: الرفض للتفضيل بين القراءات
٤٦٩	الموقف الثاني: القائل بالتفضيل بين القراءات
٤٧٧	الاختيار وعلاقته بالتفضيل بين القراءات
٤٨٢	توجيه القراءات وعلاقته بالتفضيل بينها
٤٨٤	المبحث الثالث: أدلة كل فريق ومناقشتها مع الترجيح
٤٨٤	المطلب الأول: أدلة المانعين من التفضيل بين القراءات
٤٨٧	مناقشتها
٤٩٢	المطلب الثاني: أدلة القائلين بالتفضيل بين القراءات
٤٩٨	الاعتذار عن المفضلين
٥٠١	مناقشة أدلة المفضلين
٥٠٢	المطلب الثالث: الترجيح
٥٠٧	المبحث الرابع: أسباب التفضيل بين القراءات
٥٠٧	السبب الأول: كون القراءة المفضلة يؤيدها القرآن الكريم
٥٠٩	السبب الثاني: كون القراءة المفضلة تؤيدها السنة النبوية
٥١١	السبب الثالث: أن يكون السبب لغوياً
٥١٣	السبب الرابع: كون القراءة المفضلة يؤيدها معنى الآية
٥١٦	السبب الخامس: كون القراءة المفضلة عليها أكثر القراء
٥١٧	السبب السادس: كون القراءة المفضلة عليها أكثر المصاحف
٥١٨	السبب السابع: كون القراءة المفضلة قراءة أهل المدينة ومكة
٥١٩	السبب الثامن: كون القراءة المفضلة مشتملة على زيادة أحرف

الصفحة

الموضوع

٥٢١	الخاتمة
٥٢٩	الفهارس
٥٣١	فهرس الآيات
٥٤٠	فهرس الأحاديث
٥٤٥	فهرس مراجع البحث
٥٨٥	فهرس الموضوعات